



مبنى أبي علي أسس جادة عام ١٤١٢ هـ - ١٤١٣ هـ

# الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

---

الجزء السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب الاثنينية

(٢٤)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

محمد حسين زيدان

الجزء السادس

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ح) عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٦هـ

### فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زيدان ، محمد حسين

الأعمال الكاملة . / محمد حسين زيدان . - جدة ١٤٢٦هـ

(٧ مج ٤٥٧٦ ص) الجزء السادس ٤٧٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (كتاب الاثنينية ٢٤)

ردمك ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٧٤٥-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٦)

١ - زيدان ، محمد حسين ٢ - التاريخ الاسلامي

٣- الأدب العربي- مجموعات أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٦ / ٢٠٣٢

رقم الإيداع : ١٤٢٦ / ٢٠٣٢

ردمك : ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٧٤٥-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

## فهرس المحتويات

..... النشر
..... كلمات متنوعة — ١ — .....
..... الجنادرية .. المهرجان .....
..... طفلة قرأت .. فبَكَتْ! .. ..
..... العون منحناه ما منعناه .. الجحود ألفناه .....
..... الضوء الأخضر ومن الوحش؟ .....
..... محمد المغربي .. الطليعة والعلم .....
..... عصاميون لم يرثوا .. عظاميون أورثوا! .....
..... حديث الملك .. تقرير وتقدير وتحذير .. ..
..... لماذا توحشنا يا مؤنس؟! .....
..... اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا .. وَأَمِنْ رَوْعَاتِنَا .....
..... وَلِيَّ الْعَهْد فِي بَرِيطَانِيَا يَفْتَحِ الْمَلْفَ .....
..... خزينة الدولة .. جيوب رعاياها .....
..... عن الخزامة والزنبق .....
..... اتركوا الدعاية للماسونية .....

العباسي الحسيني الجزائري . . . . .	
اليهود يتصيّدون الأطفال! . . . . .	
دُعاة الإسلام أمّس . . . . .	
الإسلام ينتصر بالحرب ضدّه . . . . .	
حديث مع الرئيس جورج بوش . . . . .	
الكلام . . حجر يهوي في قاع النهر!! . . . . .	
أيام الجاهلية تُذكر . . وأيام الإسلام تُهجر! . . . . .	
المجمع الفقهي الإسلامي . . . . .	
نصير العراق نصير إيران!! . . . . .	
الديمقراطيون صنعتهُم المفاجآت! . . . . .	
اليهود . . بين التكتل والفرقة . . . . .	
نيكاراجوا . . وإسرائيل . . . . .	
ميزانيّة الدّولة . . . . .	
إسرائيل كوبا البتاغون! . . . . .	
أيهما زرياب؟ . . . . .	
كامل من العطاء الثقافي الثري . . . . .	
لمسات إلى الأستاذ خالد العجمي . . . . .	
لمسات . . . . .	
يالطا . . الدعاية والحملة والإثارة! . . . . .	
والكلمة إلى أكرم زعيترا! . . . . .	

..... الأشياء

..... الظلم.. هو الإرهاب

..... عبد الوهاب آشي.. والذكريات

..... مقاريع عن الدكاترة يا شباب..!

..... قمة القمة..

..... وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً

..... من حفيد للشيخ الألفا هاشم

..... طشقند من حقها أن تنفصل وليس من حق برلين أن تعيش

..... الرأي والرأي الآخر حوار مع الدكتور بطرس غالي

..... ولأبي الفتح جواب

..... عبد العزيز يمثل علاقة رجل عظيم بعصره

..... الملك عبد العزيز كان يحمل صفات الزعامة وكان تكسوه هبة هامات

..... العرب

..... اليوم الوطني للمملكة

..... عبد العزيز آل سعود وعبقريته الشخصية الإسلامية

..... مع الرئيس جعفر محمد النميري

..... الهجرة طريق النصر

..... خطاب مفتوح إلى الإمام الخميني

..... الأشداء.. الرُّحماء

..... زينب صدقت العرافة!

.....	عن القصيمي ومع الباقوري
.....	القرية الشمسية
.....	مع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري!
.....	الميثاق لم يبعد مصر
.....	أبو خلدون ساطع الحصري وجمال الدين الأفغاني
.....	إسرائيل ليست وحدها وراء الفيتو الثامن!
.....	القيصر نقفور من أولاد «جفنة»
.....	هذي المكارم
.....	ما الخليج . . ومن الخليج؟!
.....	لمسات
.....	الزهري لا المري
.....	مع الحكيمة عاقلة
.....	وإني أتهم
.....	أي القمتين أولاً؟!
.....	البصرة والكوفة
.....	أخلاق السراة «الجتلمان»!
.....	حوار مع عزيز ضياء
.....	الحرب بين الرأي والرؤية
.....	ملتقى الآراء
.....	الوطنية . . استعراق . .



أدب المكسرات .....  
أسقطوا ماك آرثر وأقاموا ييجين! .....  
وفاء الجيل .. عطاء طويق .....  
ذكريات جيل .....  
نزاريون ويமானيون .....  
الشيوعية تحاول تأويل آيات من الذكر الحكيم لصالحه .....  
كاشف الغطاء والخميني .....  
طعام طعم وشفاء سقم .....  
اكذب واكذب يصدقك الناس .....  
إعلان البراءة .. من المشركين في حجة أبي بكر الصديق .....  
اليهود .. لا الصهيونية .....  
حتى أنتم يا مسلمي نيجيريا! ..  
عن السامية .. واليهود! .....  
الكلديات العسكرية .....  
امتصاص النعمة؟! .....  
القصة واللغة! .....  
سيكوتوري وشولتز .....  
وقهقه الشيطان .....  
المثلث الرهيب .....  
لجنة التفيق والتزوير .....

..... الاستفزاز وسيلة الاستعمار والابتزاز غاية الاستقطاب .....

..... بيغن أم شو آن لاي؟! .....

..... الإيمان .. قاتل اليأس .. حياة الأمل .....

..... من غرينادا إلى لبنان .....

..... تأبط شراً .. تأبطه خير .....

..... وبرز الإسلام كله .. للكفر كله .....

..... فهرس المحتويات .....

## النشر

## كلمات متنوعة

— ١ —

## الجنادرية . . المهرجان

والجنادرية أرضنا الخضراء في مهرجان التاريخ يوم اخضرت الصحراء  
بوحدة العرب العرباء، تناولت بالوحدة وبالإيمان مجد التاريخ وتاريخ  
المجد، فإذا العدنانية التي أمها تهامة تنتشر في نجد أكثر مما انتشرت في  
تهائمها وسراتها. فَنَجْدُ بعد طسم وجديس ما كانت قحطانية وما ترسخت  
فيها الكلدانية وإنما كان الرسوخ والعمق وتفصيح اللغة، وإعلان البيان  
للكلمة كان نجدياً أكثر من كونه حجازياً أو تهامياً. كنسبة ظاهرة بينما  
مخبرها أنها بعمق العراقة ما كانت مضر الحمراء ووربيعة الفرس إلا التهامية  
التي أنجدت، كأنما كل ذلك تمهرجت به الصحراء في مهرجان يقول: فمن  
أرض واحدة، لغة واحدة، أمة واحدة، دين واحد، كل وسيلة جامعة  
تمهرجنا بها، فإذا نحن الترجمان الثاني لأمة العرب، فالترجمان الأول الذي  
صنع الحضارة الجدل لأم إسماعيل عليه السلام قحطان. والجد لإسماعيل  
نابغ الكلدان، كأنما عدنان أبي إرهابها إلى أن تراث حضارة قحطان  
والكلدان لتكون الأمة الواحدة منذ اللحظة التي تم فيها نصر الله لهذا الدين  
ليكون الفتح العظيم، فإذا أمة العرب تركت للإنسانية حضارة وهداية ولغة  
أشد وأقوى من ما بقي للإنسان من تركة الإغريق وتركة الرومان.

فأمة العرب ترجمت حضارة قحطان، حضارة الكلدان، علم الإسلام

إلى يومنا هذا وإلى آخر يوم من أيام الحياة.

من هنا أناغي هذه العروس «الجنادرية» أترقص بها حيث أقول: الكلمة التي قالها الإمام كريم الوجه، حيدرة، أبو تراب أبو الحسن، ابن أبي طالب، علي رضي الله تعالى عنه، فقد قال يوم شبع ليلة بطعام أخضرت به المائدة، قال يشني على المائدة كأنها مائدة الترف الأولى التي تذوق طعمها هذا الإمام. قال: «مهرجوناً كل يوم هكذا» اشتق من كلمة المهرجان هذه المهرجة أو أنشد وأنا أترقص مع المفتاح الجديد في ملف الحضارة الجنادرية، أنشد قول أحمد شوقي، التركي، الذي حين تمصر كان جنادياً يبشرنا بأن العروبة تصهر حين تقهر العجمي، فإذا التركي أمير شعراء العرق قال كأنه معي يحيي الجنادرية:

في مهرجان هزت الدنيا به أعطافها واختال فيه المشرق  
فالمشرق عند شوقي ليس إلا ما أشرقت به العروبة من خليجها إلى محيطها.

إن الجنادرية لا تنحصر في نجد، فهي سيكون لها يوم على الخليج حين تنير لنا الأثر الحضاري في صور العمانية، في الجبيل على البحر الأزرق، فالأثر الذي وجدناه هناك في الربع الخالي. في دارين هو الأثر الذي يوجد في مصر. ففي بعلبك، في القرطاج، في البتراء، في حجر ثمود، وسنجد في الربع الخالي في إرم ذات العماد، كما وجدناه في ما صنعه الفراعين من الأوتاد.

فوحدة الأثر من الكلدان إلى قحطان الأرض التي تعلقت بآثارها قحطان، عادية ثمودية، حميرية، كنعانية، فينيقية، إرامية، سبئية.. كل هذا سنقرأه في ملف الجنادرية بالهويينا اليوم وبعد اليوم. ثم في كل يوم تاريخنا

مضى يدلي على وحدة الأمة العربية .

أن الجنادرية تفتح أذهاننا لأعظم ما يدل على مجد التاريخ وتاريخ المجد لثلا يُظن أننا المسبقون بالحضارة، فالجنادرية ستسأل صنعاء عن هذا الكم من التاريخ الذي وجدوه في اليمن . فهل قحطانية اليمن أو طسم وجديس في نجد كانت قبل الفراعين في الحفاظ على الآثار؟ أم كان كل ذلك في وقت واحد ورثه الفراعين أو ورثوه لأخوانهم الذين هم إذ أنصفنا التاريخ هم آباء الفراعين، فمكة وصنعاء وبابل كل منها جدة، فإذا دمشق الظئر، وإذا الكوفة القابلة وإذا غرب السويس في مصر وما بعدها الحاضنة .

كل هذا مفتاح الجنادرية، فقد قلنا لهم: أنتم جديرون بالفخر بهذه الحضارة التي بقيت أعلامها من قبل سبعة آلاف عام، ولكن لا تنسوا أنا الفاخرون بحضارة ثمود والأنباط قبل خمسة عشر ألف عام .

أن الجنادرية تحت رمالها ستجد ما دفن من حضارة طسم وجديس، أو مما تخلف من مسيرة الأنباط الذين هم الكلدان، وكأنما الجد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال لنا: «أرجعوا إلى أنفسكم، فاعتلاء العدنانية باللغة الفصحى وبالهداية الأفصح ينبغي أن تعرف أنها من ولد النبيط» قال ذلك ابن العباس لأن الجد إسماعيل عليه السلام كلداني من أورالكلدان، ولكن الأرض والجدة أعطت لبني إسماعيل وكأنهم صناع إمبراطورية العروبة يوم وحدوا وحين توحدوا .

فالتحية للجنادرية، فهي اليوم تصنع لغد الكشف عن حضارة ما بخلت أرضنا بها . وإنما تباخلت عليها سنون القحط وأسنة الفرقة .

أن القحطانية نُبْتُ، والعدنانية اليوم تَبْتُ .

فكلما تجنب أبو عبيدة.. كان أبوه يتعرض إليه يستعرض سلاحه عليه



فاضطر أبو عبيدة.. أو نصره إيمانه ألا يسأل عن القربى فقتل أباه كما قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة. كما قتل الخصمان.. إختصموا دفاعاً عن الإسلام. قتلوا الخصمين إختصموا في سبيل الشرك.

فالخصمان هاشمي في الإسلام وعشمي في الشرك مع أن كلا منهما ابن عم الآخر فهاشم وعبد شمس أخوان شقيقان توأمان ولكن فات المشرك أن يتواءم مع ابن عمه المسلم.

قرأت الفتاة ذلك عن أبي عبيدة رضي الله عنه فبكت فاخرة بمجد الآباء لا تنحر نفسها بحقد الذين أبوا ألا يكونوا بعد الزمن الطويل يتلمظون بالأحقاد، من أجل مارق أو مفارق.. أبت الفتاة إلا أن تكون وكأنها فاطمة بنت عتبة بن ربيع التي حين آمنت وضعت الأحقاد تحت قدميها، فلم تستكثر بنسبها العالي أن تتزوج المولى عبد أخيها سيدي سالم المتولي مولى أبي حذيفة الشهيد في حرب الردة.

قرأت الفتاة فأحبيت لها أن تقرأ سيرة عبد الله بن عبد الله بن أبي «ابن سلول» حين أَرْضَى رسول الله سيدنا محمداً ﷺ يوم صنع بأبيه أشد إهانة من القتل. فقد كان أبوه عبد الله بن أبي بن سلول رأس الخزرج.. كانوا ينظمون له الخرزات يتوج ملكاً على أبناء قبيلة الأوس والخزرج.. وحتى اليهود الذين كانوا له يوم كان خليفاً لهم.

فالإبن سيدي عبد الله بن عبد الله بن سلول كان هذا الإبن مؤمناً لا تأخذه في سبيل الإسلام وفي سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ لومة لائم.

وفي غزوة المريسيع - وقد كان فيها كرب كارب - إختصم غلام مهاجر مع غلام أنصاري فتصايحا.. يا للمهاجرين يا للأنصار.. وكادت تشب فتنة ولكن الإيمان أطفأها، فإذا ابن أبي رأس النفاق يقول الكلمة الفاجرة «ما

نحن ومحمد إلا كما قالت العرب: سمن كلبك يأكلك» وأردف بكلمة نزلت في القرآن الكريم. قصها الله على المسلمين أنطقه بها نفاقه: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وقال عمر بن الخطاب جلواز رسول الله ﷺ: دعني أقتله فقال نبي الرحمة الموحى إليه: «لا، لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

وبعد أن وصل النبي ﷺ يدخل المدينة وعلى الثنية أقبل الإبن المؤمن عبد الله بن عبد الله بن أبي أقبل على رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله بلغني أنك قتلت والدي والأنصار تعلم أنه ليس من هو أَرْضِي مني لأبيه، وأخشى أن يقتله أحد أصحابه فأقتله فأدخل النار، فقال نبي الرحمة ﷺ «لا» فقال عبد الله «والله يا رسول الله لن يدخل أبي المدينة حتى يمر تحت سيفي هذا ويقول: أنك أنت الأعز وهو الأذل»، ومشى عبد الله الابن يقف على الثنية يسل سيفه.. يشرعه في وجه أبيه قائلاً: «والله لن تدخل المدينة حتى تقول أنك أنت الأذل ورسول الله ﷺ هو الأعز» وفعلها.

فما أدري أي حمد أي شكر أي مجد لهذا المؤمن لا يسأل عن الحرمة القربى.. لأن حرمة الإيمان هي التي سألت.. ولكن رسول الله ﷺ أكرم الإبن عبد الله حين استغفر لأبيه ودفنه وكفنه فكان ذلك الوفاء من رسول الله بل والجزاء من الله ثم كان المنع، فلم يستغفر رسول الله ﷺ لأحد بعد.

ولهذه البنت كتبت وللشباب كلهم راجياً ألا ينسوا أمجادهم وألا يتذكروا أحقادهم.

والخاتمة في هذا الثناء.. نعمة من نعم الله على عبده أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ

كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿٢٢﴾ (المجادلة: ٢٢).

أي نعمة أكبر من هذا؟!

رضي الله عن أبي عبيدة.. وعن أخيه عبد الله بن عبد الله بن أبي..

وعن أصحاب رسول الله أجمعين..

## العون منحناه ما منعناه .. الجحود ألفناه

وهذا العنوان لم يكن جديداً عليّ أن أكتبه فأكثر من مرة كتبت تحت هذا العنوان بصورة أخرى هكذا (بلدنا مأخوذ مجحود) فإذا بي اليوم وإذا ما كنت لا أخرج عن المراد ولا أمل الترداد جعلت العنوان هكذا ((العون منحناه. ما منعناه. الجحود ألفناه) ولست معنياً بالحوار مع أحد وإنما هو الحوار مع تاريخ هذا البلد حرماً وسياجاً وإنساناً تليده مازال طريفاً وطريفه لم يكن إلا إعلاناً للتليد الذي يعرفه التاريخ حتى أن الجاحدين لم يكن جحودهم إلا إعلاناً هو الشكر بطريقة النكر.

كما أن هذا البلد حرماً وسياجاً وإنساناً غريبٌ أمره في العطاء، فمن فجر التاريخ أعطى وأعطى.. نشر الهدى أنقذ أرض العرب من الرومان والفرس وباسم القداسة له واحترام التقديس أنقذ أرض العرب من الصليبيين ومن التتار ومن العقوق فإذا هو بكل ما يعطي لا يمن بل هو يشكر الذين تقبلوا عطاءه. غريب ذلك فطبيعة الأمور تمنح الذين يمنحون أن يفخروا أو يمنوا بينما هذا البلد بكل ما أعطاه من تحرير الإنسان من ربقة الوثن، ومن رق الإستعمار ومن فقر الثقافة فإنه يشكر الذين استقبلوا الفاتحين وأقبلوا على الإسلام واستقبلوا اللغة حتى أن نبغ منهم الأئمة وما أكثرهم وما أجلهم. إن هذا البلد مازال يشكر الذين استقبلوا عطاءه وإن لم يتح لبعضهم

الشكر لهذا العطاء ولكن أليس من أعمق الشكر أن يكون الفارسي عربياً مسلماً والسوداني عربياً مسلماً؟ فثمرة العطاء ليست هي إعلان الشكر، وإنما في استثمار الأخذ لهذا كان الحرم وسياجه لا يمن وإنما يمتن لي شكر الذين أخذوا فإذا ما أخذوه أخذهم إليه واتخذهم رغم بعض الجحود أن يكونوا المتجهين إلى القبلة، فإذا القبلة تطبع على جبينهم القبلة، وهذا البلد مرة أخرى يعرف الذين في الأرضين وراء النهر قدرهم ولا يسأل عن أي تقدير لعطاء هذا البلد فالتقدير الذي يحمد هو ما أخذوه من القدرة على القبول والاستقبال. وإن هذا البلد حرماً وسياجاً وإنساناً يعرف الذين أسلموا بالدعوة واستسلموا للغة بطواعة الحضانة، يستقبلون العرب لم يدخلوا أرضهم بسيف وإنما دخلوها فإذا أرض السودان مثلاً كأرض مصر مثلاً كأرض المغرب مثلاً، ما كانت كلها إلا حاضنة، فإذا كلهم يستقبلون العربي يناشدهم رفع الحيف فإذا هم يناولونه السيف كأنه وقد جاءهم لاجئاً أصبحوا يلتجئون بأسلوب الحرب، وإنما بالأسلوب الأوفر التقريب أفليس من العجيب أن يكون العرق العربي في السودان وفي مالي والسنغال كما كبيراً بجهينة والجعليين وبني رشيد وكثير من القرشين ومن قبائل الفلان (الفلاته) من ولد عقبة بن نافع، فالسيف في الشرق ما عرب ولكن حضانة الأفارقة عُرِّبت، كل هذا أكتبه لا للإشادة وإنما للإفادة للذين يتناسون فهذا البلد أنشد باسمه بيت السموأل.

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الشناء سبيل

## - المسجد الأقصى :

وسمعت من إذاعة صوت العرب شيخاً يتحدث عن الإسراء والمعراج قال (الكعبة هي المسجد الحرام) كأنه حصر المسجد في الكعبة وحدها مع

أن الكعبة قلب المسجد وحولها ما احتوته الأعلام أعلام الحرم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كل ذلك هو المسجد الحرام لا يصاد صيده، ولا يخلى خلاه ولا يقطع شجره، إن هذا الشيخ أخرج منى والمزدلفة من المسجد الحرام، وأخرج كل ما حددته الأعلام، والأقصى من ذلك أنه قال «أن المسجد الأقصى بناه يعقوب عليه السلام» ولعلّه نسي أن اسم يعقوب هو إسرائيل وبنوه بنو إسرائيل فإذا هو يثبت الحق لليهود بأن المسجد الأقصى بناه إسرائيل يعقوب عليه السلام، وفاته ما جاء في سورة يوسف من القرآن الكريم أن يعقوب عليه السلام والأسباط الأحد عشر حين قدموا إلى مصر واستقبلهم الكريم بن الكريم يوسف الصديق عليه السلام جاءوا من البدو يعني أن يعقوب عليه السلام وبنيه كانوا بدواً رحلاً أهل غير وأغنام لم يسكنوا في فلسطين مدينة أو قرية زمناً يبنون فيه بناء كانوا بدواً كما نص الآية ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف: ١٠٠) وما كانوا إلا تسعة وثمانين شخصاً فهل هذا العدد يبني بيت المقدس وسلطان الكنعانيين هو القوة، إن المسجد الأقصى أورسالم بناه عربي اسمه سالم أو أنه بنى بيتاً للوثن سليم والصحيح أنه بناء عربي، بناه سالم أو سليم، وحتى أن سليمان الرسول النبي عليه السلام قد بنى الهيكل حول المسجد ولا أثر له في بناء المسجد، ولا أدري كيف جهل الشيخ الأزهري ذلك والله الهادي إلى سواء السبيل.

## الضوء الأخضر ومن الوحش؟

وهذا العنوان عن موضوع واحد في صورتين، عن الضوء الأخضر وهذا ومن خطفه جورباتشوف؟ أم هو مازال في يد جورج بوش؟ وعن أكلة لحوم البشر ووحشاً، وقتلة البشر إنسانيين مدنيين، وإليكم التوضيح:

فالضوء الأخضر أباح للولايات المتحدة أن تفرض على عواطف الشعوب أن يكونوا الآملين في إنصافها وفي حربها ضد الاستعمار وتخليص الشعوب من سلطانها، فذلك حال تعاطفت معه شعوب القارتين آسيا وأفريقيا، فطغيان الإمبراطوريتين دعا الشعوب المستعمرة أن تتداعى عواطفها مع الولايات المتحدة، وقد تأكد ذلك بعد الحرب العامة الأولى حين علمت الشعوب بالمبادئ الأربعة عشر حملها الرئيس ولسون داعياً أوروبا إلى تطبيقها لينتشر السلام ولتنهض الشعوب التي أعجزها الاستعمار حتى إن هذه الشعوب المستعمرة، وحين فرضت عصبة الأمم الانتداب الذي تُمسك به الإمبراطورية المستعمرة في هذا الوقت العصيب كانت هذه الشعوب تتمنى أن يكون المندوب السامي من الولايات المتحدة غلبت على أمرها بغطرسة حليفها لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا وكليمنصو رئيس وزراء فرنسا لم يسأل كل منهما عن الدم الأمريكي الذي بذل في سبيل انتصارهما، حتى أن لويد جورج، وقد خرج من قاعة المؤتمر في باريس

بين الزعماء الثلاثة ولسون ولويد جورج وكليمنصو خرج لويد جورج فسأله الصحفيون، ماذا هناك؟ فقال ساخراً وقد لبسته غطرسة الإنجليز: لقد تركت في قاعة المؤتمر إثنين، أحدهما يريد أن يكون نابليون - كليمنصو - والآخر يريد أن يكون المسيح .. ولسون!

فهذا الوضع حجب الولايات المتحدة أن تمد يدها إلى الشرق، ولكنها الحرب العالمية الثانية أعطت للولايات المتحدة أن تستثمر قيمة النصر، ففرضت إرادتها على غرب أوروبا حينما قلم هتلر أظافر الإمبراطوريتين، فإذا الولايات المتحدة تتمتع بالضوء الأخضر ينتشر لمرورها من غرب الهيمالايا إلى ساحل الأطلسي، ومن جنوب البحر الأبيض إلى أقصى حد في جنوب إفريقيا وجنوب الهند.

لكنهم اليهود .. أخذوا من هيبة الولايات المتحدة الكثير، فلئن كان الإنجليز أصحاب وعد بلفور، فإن الولايات المتحدة بالحدز اليهودي قد رسخت دولة اليهود في فلسطين، وبدأ الضوء الأخضر ينقشع، ويصبح أصفر حيناً وأحمر في هذا الحين! لأن الإدارة الأمريكية لم تسأل عن عون الصديق لها الذي رسخ بقاءها في البحر الأبيض وفي شرق الخليج والذي أعطى لبقائها المصالح مادية واستراتيجية! لم تسأل عن العرب فكل ما تفعله اعتداء على العرب.

فعون اليهود قد تعاضم، تسأل عن أي قوة للعرب لئلا تكون، بينما كل القوة لليهود، عدوان تلو عدوان، ولعلّي أضرب مثلاً عن الغواية التي حين علم أصحابها بأن أربعة رجال من الماليزيين أكلوا لحم أمهم التي ماتت، فإذا الغواية تنشر الخبر عن هؤلاء الوحوش، فأكلة لحم البشر وحوش ولو كانوا أربعة من الجياع، بينما اليهود في فلسطين يقتلون الأطفال ويجهضون



الأمهات ويطردون الرجال، مازالوا في حساب الإنسان الأوروبي والأمريكي في عداد المدنيين الحضاريين كأنما أديب إسحق يدعونا لننشد هذين البيتين:

قتل امريء في غابة جريمة لا تغتفر      وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

كل هذا الذي تقدمنا به أمكن لليهود أن يخطفوا الضوء الأخضر يهبونه هدية لجورباتشوف، فشعوب آسيا وإفريقيا التي تخلت عنها الولايات المتحدة بدأت تلتفت إلى الاتحاد السوفيتي، فالشعوب الإفريقية بعد زوال الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والبرتغالي والبلجيكي والإسباني بدأت تلتفت تقدم نفسها على طبق أبيض إلى الولايات المتحدة ولكن فوضى المؤسسات الأمريكية أهدت إلى الاتحاد السوفيتي كثيراً من شعوب أفريقيا ولكن الضوء الأخضر في يد جورباتشوف هو الذي أعطى الاتحاد السوفيتي أنه صانع الانفراج العالمي.

فرغم غزو الأفغان، ورغم الحرب غير المباشرة بين ريغان وجورباتشوف في الأفغان فإن الاتحاد السوفيتي أوعز لأصدقائه في آسيا وأفريقيا، أوهم المستقطبون له أن يكونوا مع الانفراج، فهناك التغير في موقف الحبشة وفي موقف أنجولا، وفي مواقف أخرى كفيتنام وكوريا، حتى أخذ ينسحب من الأفغان.

كل هذا ليس كسباً للاتحاد السوفيتي فحسب وإنما هو خسارة للولايات المتحدة، خسارة الضوء الأخضر والهيبة، فلو أن هيبة الولايات المتحدة باقية لما تسنى لوزير الدولة البريطاني أن يجتمع مع منظمة التحرير في تونس، ولما استطاع أن يعلن الحملة على اليهود فهل كان موقف هذا الوزير خروجاً عن رغبة الولايات المتحدة أم كان إيعازاً من الإدارة الأمريكية ليفعل ذلك كأسلوب من الضغط الأمريكي المتستر على نفوذ اليهود؟

وسؤال أطرحه، هل يستطيع الرئيس جورج بوش أن يعيد للولايات المتحدة الضوء الأخضر والهيبة الأمريكية؟ أحسب أنه سيفعل، لأن الواقع يدعوه إلى ذلك، ليتحقق تفاؤل العرب!

ولعلّ اليهود في موضع المكابرة لا يسألون عن أي قوة تجبرهم على الحد من طغيانهم كأنهم يزعمون أن قوتهم فوق كل قوة، بينما الحجر في يد الطفل الفلسطيني صنع قوة التغيير، وكما قال بعضهم: اليهود أصحاب وقت، لا يحسبون حساباً للزمن، فكم من ضيم لحقهم وهم يلبسون غرور القوة الوقتية، والليالي من الزمان حبالى وأول ما ولدت الليالي أن أحالت ضحكهم إلى بكاء.

## محمد المغربي . . الطليلة والعلم

ومات محمد المغربي بعد عمر طويل متعه الله بهذه السنين يعيشها .  
فما هضم حقاً وما بخس، ينتقص حقه أحد. فلم يكن ذلك النوع لا يجوز  
على أحد ولم يكن ذلك التبرع جاد به عليه أحد. وإنما هي أخلاق التربية  
تربية الأخلاق نشأ عليها أبوه الشيخ عبد القادر المغربي الذي كان أحد  
أعيان المدينة المنورة. . فثبات هذه القيمة له ليست في إعلان السكنى في  
أحد بيوت الساحة التي إذا عد البيت الكبير في الساحة قالوا بيت الصافي . .  
بيت هاشم . . بيت المغربي . . بيت الحلواني . . بيت الكماخي . .

لقد نشأ المغربي في هذا البيت، فإذا هو لا يرى إلا الكبار فإذا تأثير  
الأكابر من أهل التربة الغزلة تربة المدينة المنورة. . علمته أن يكون كبيراً  
وما زال شاباً.

درّس في المدرسة التي أسسها السلطان عبد الحميد في باب المجيدي  
فأخرجت الطلائع الذين أمسكوا بكل القدر أساتذة وموظفين كباراً، فإذا  
محمد المغربي يبتعث إلى فلسطين في الكلية الصلاحية . . يصل - كما قال  
لنا آباؤنا - «شوفوا المغربي - يتراطن باللاوندي» سمعتها من أبي يحفزني

لأتعلم، فقال له خالي إن ابنك سيتراطن بلغة العرب فقد كانوا أناساً يوم  
قل في الناس الناس .

ومحمد المغربي خرج في شباب المدينة كأحد لداته طليعة .. اتخذوه  
مهمازاً يهزموننا به لئلا نهزم بترك التعلم، كثير من الأصابع تشير إليه  
وكانهم المفakhرون به والأمرون لنا بما كان له، فالعلماء من لداته اقتصروا  
على المسجد ولم يتقاصروا عن تولي القضاء، وآخرون ما قصرُوا في  
واجب الأداء كموظفين. فقد تميزت المدينة المنورة ابتداء من السنة الثامنة  
عشرة الهجرية دون مدن الحجاز بمحو الأمية في كل جيل بعد السنة الثامنة  
عشرة، المدرسة الإعدادية. دار المعلمين .. ثماني عشرة مدرسة ابتدائية،  
عشرون كتاباً .. كل هذا محا الأمية في هذه الأجيال فإذا هم يتقلدون  
مناصب مرموقة .. في اللاسلكي ومشروع الخرج والسكة الحديد ووزارة  
الدفاع ومديرية الشرطة وكتاب الدواوين، هذه البيئة كان المغربي من  
طلائعها لكنه وثلاثة معه وإن اختلفت مشاربهم عن مشاربه - لم يقتنعوا كما  
هو بالبقاء في المدينة المنورة، فحسن بن ذياب ناصر سار في معية  
الخديوي عباس إلى مصر وإلى اسطنبول، والسيد حمزة غوث أخذته  
رحلات إلى الأناضول وإلى حائل وإلى الرياض .. وكذلك حسن داغستاني  
رحل من المدينة المنورة وإلى الرياض كأنما هم ضاقوا بحكم الترك وما  
بعده .

وأما محمد المغربي فساقه طموحه إلى حائل قبل أن يضمها الملك  
عبد العزيز .. ثم هو في الرياض يكرمه الملك عبد العزيز . وإذا هو بعد  
في مكة المكرمة العلم .. عضو في مجلس الشورى .. كما هو العلم وكأنه  
من أعيان مكة المكرمة .

لا يكاد يغيب عن بيت بني شبيبة السدنة كأنه واحد منهم بصدقة الود وكرم الأصدقاء حتى أنه أصهر للعلية من أهل مكة المكرمة . . أو وهو أحد أعيانها الشيخ محمد علي خوقير الكبير فيها والعضو في مجلس الشورى . . إلا وهو الدكتور عصام خوقير، فالمغربي الطليعة في المدينة . ليس من المبالغة في شيء أن كان أحد الأعلام في مكة المكرمة، ولا أدري هل كان هو من بين أعلام الحجاز الذين كتب عنهم ابن عمه الصديق الشيخ محمد علي مغربي فاتني أن أرى ذلك أو لعلّه فات ابن العم أن يكتب عن أعيان المدينة المنورة مع أنها حجاز . . أما مكة المكرمة وجدة فهما تهاميتا - الجغرفة وإن لبستا الحجازية تاريخياً وسياسياً، ولعلّ الشيخ محمد علي المغربي يكمل تاريخه عن أعلام الحجاز ليشمل من كان في المدينة أو الطائف أو ينبع أو رابغ، فالمغربي لديه الفرصة أن يكون صاحب التكملة.

وأخيراً فإن محمد عبد القادر المغربي المدني المكي قد عاش طويلاً كما قلت . . فقد كنا أطفالاً كما قلت . . فقد كنا أطفالاً لم نصل إلى الفتوة والمغربي صاحب صيت في المدينة المنورة . . لعلّه توفي وقد زاد على التسعين . . ولدي نادرة ليسثنى بالتكريم له . . فقد كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد أمداً لله في عمره يستقبل الناس في مجلسه يوم كان في قصره أحد قصور مدائن آل فهد . . بكرت إلى المجلس فإذا أنا في بعض كراسي الصدر على يسار الأمير فهد حينذاك . . فدخل فلان من أصحاب الصيت وقد ضاق المجلس . . سلم وعاد القهقري لعلّه يجد مكاناً يجلس فيه، وجاء بعده آخر وكان من الوزن الثقيل . . سلم فعاد كذلك وما قام أحد من الجالسين قبل ليوسع لهذين . وبعدهما أقبل الشيخ محمد المغربي سلم على الأمير فهد حتى إذ أراد العودة إلى وراء قمت أناديه

تفضل يا أخ محمد ليجلس في الصدر مكاني، فحرمة الرجل الكريم لدي ومن أهل مدينتي أمرتني أن أحترمه وجلس في تحية سمو الأمير فهد.. وبعد يوم أو يومين ذهبت إلى مجلس الأمير فأكرمني أن أجلس في الصدر كأنه التقدير للذين يحترمون مجالس آل سعود.

يرحم الله المغيربي فقد عاش حياته الخاصة كما عاش حياته مع الناس يبذل كل الخير.. ولعل مساندته للشيخ إبراهيم الجفالي حين عزم الجفالي على تأسيس شركة الكهرباء دليل على ذلك فقد كان المغيربي وكأنه المترجم والناصح لإبراهيم الجفالي الذي لا ينكر ما له من فضل في تأسيس الكهرباء.

### - إمبراطور اليابان :

وإمبراطور اليابان أحسبه مثلاً عن أن إعلان الروح اليابانية تبرز الإنسان الياباني. فقد كان الإمبراطور الرمز يملك ولا يحكم ولم يكن ذلك بنص دستوري كما (الماجنا كارثة) الدستور غير المكتوب في بريطانيا صنعه كروم ويل كما هو معروف. فالياباني حدد معرفة الإنسان بأنه التنمية لأن الياباني ليس انفرادياً.. كل عمل الفرد للجماعة وكل حصيلة الجماعة رأس مال الفرد، لقد انتصرت اليابان على روسيا القيصرية، لأن القيصر لم يكن روح الشعب.. يأكل البسكويت والشعب لا يجد الرغيف فبرزت عسكرية اليابان جلبت الخطأ.. ارتكبه الجنرالات في الغارة على الأسطول الأمريكي في «ميدل هاربر» واستجلبت ضرب هيروشيما ونجازاكي بالقنبلة النووية طغيان فإذا هي اليوم في مركز الندادة كأكبر دولة صناعية يستجدونها أن لا تطغى عليهم بصناعاتها، فقد سبق لها أن طغت بنسيج الأقمشة فأفلست مانشستر واضطرت بريطانيا إلى الخروج عن قاعدة الذهب، وقلنا من قبل

ليس هناك عقيدة أنظف من عقيدة الإسلام.. ولكن فات المسلمين أن يكونوا الأمة الواحدة.. بينما اليابان لا تبلغ عقيدتهم قيمة من قيم العقائد الأخرى لكن وحدة الانتظام في عقيدتهم وتوحيدهم وتصميمهم أن يكونوا الفوق وصلوا بذلك إلى ما هم عليه الآن. وهناك نادرة أروىها لكم فقد قالوا أن أحد الأمريكان ركب الأتوبيس في اليابان وكان بجواره ياباني ومروا على قصر الإمبراطور المحاط بخليج من الماء.. فسأل الأمريكي الياباني متى بني هذا القصر؟ فقال الياباني بسخرية مضمرة: لقد بني هذا القصر قبل تأسيس الولايات المتحدة! فاليابان تاريخ عريق وليس غيره مثله إلا الإغريق والرومان والعرب والصين.

## عصاميون لم يرثوا . . عظاميون أورثوا!

والكاتب يأخذه الاحتراف أن يفكر في كل ما هو فيه أو ما هو له . لعلّه يجد أن يصل إلى ما هو به .

هذا كلام له خبيء، فينبغي ألا أكون كالنعامة، أحتفي بالوهم ولا أحتفي بالهم، فواقع العرب اليوم لا يجعلهم في هذا الشر الذي هم فيه . فالقرآن على ألسنتهم والإسلام عقيدتهم والأرض واحدة ليست بما عليها من صخر ورمال منفصلة عن ما هو مثلها على أي شبر وطأته قدم عربية، وكأنني أتخيل أن الجبل قاسيون يبتسم إلى المقطم . وأن جبال السراة أرسلت التحية إلى جبال الأطلس، حتى أن البحر الأحمر عانق البحر الأبيض .

عجيب أن يكون الجماد أشد حنيناً من الإنسان! ذلك أن الجماد جُبل على الطاعة، أما الإنسان فما أكثر ما تختلف الاستطاعة عن الطاعة لما ينبغي أن يكون سيد نفسه لا تفصله السيادة عن أن يكون السيد بما يفعل لقومه . وما أحسن قول محمد بن عمرو بن الأهم بقية الناس في تميم حين وقف على قومه في مريد البصرة فنهضوا واقفين تحية له فأنشد:

خلت الديار فسدتُ غير مسود ومن البلاء تفردني بالسؤدد



فالانفرادية اليوم سؤدد كاذب، لأنها بما تنفعل وبما تفتعل تكذب قومها.

أطرح هذه المقدمة حين ذكرت الماضي، وحين يُلح على تذكر الحاضر، لقد كان العرب في جاهلية حتى إذا جاءهم العلم قرأنا يتلى عليهم وإسلاماً يعتقدونه توحدوا. ثم نبع انفراديون يرتدون، ولكنه الله أطفأ الفتنة بعزيمة صاحب الثلاثين شهراً سيدي الصديق «أبو بكر» ومعه رجال لم يكونوا الانفراديين، فسطع نور العظمة بمسيرة الفتح ولكن الانفرادية اغتالت ذا النورين، وتعاظمت بما حدث في الجمل وفي صفين وفي النهروان، فإذا المخلصون وأن تجنبوا الفرقة رفعوا أصواتهم بالدعاء، فإذا العظامي ابن هند ابن أبي سفيان معاوية قد أمسكت به دمشق لتقوم إمبراطورية، ملك عضود بعد الخلافة والثلاثين عاماً. لكن هذا العظامي لم يجد من يوطد له الأمر إلا العصامي زياد ابن أبيه أو هو ابن سمييه، عصامي لا يُعرف أبوه وإن أغراه ابن أبي سفيان أن يدعوه أخاً له. أبوه أبو سفيان. تلك كانت نظرية متع نفسه بها زياد. غير أنها لم تكن عظامية العصامي. وإنما العظمية فيه من عصاميته، فإذا هو يقود العرب بعصاه. كأنما نبوءة عمر بن الخطاب قد تحققت فقد قال عمر وقد أعجب بكلام زياد بشيراً عن بشائر الفتح في القادسية وما بعدها، قال عمر رضي الله عنه: «لو أن هذا الفتى من قريش لقاد العرب بعصاه». وفعلاً قاد العراق وما إليه إلى وحدة الإمبراطورية العربية.

تلك عظامية ما ورثها، ولكن مجد التاريخ العربي ورثها.

وانتشرت فتنة فإذا عبد الملك بن مروان يتولى الأمر، يفتش عن رجل فلا يجد عظامياً حوله، فأكثرهم لا يرضونه، فإذا هو يفتش عن هذا العصامي الحجاج بن يوسف معلم الصبيان، حتى إذا كان في العراق بعد

زياد لم يفخر بنسب وما فاته السبب ولكنه أمسك خطوة خطوة ليكون ذا حسب، عصامي لم يرث العظامية، أصبح عظيماً ورثنا عنه فتح الشرق.

فالتيجة ألا نصرف فكرنا إلى بعض ما يؤخذ على الحجاج وعلى زياد، فتتظيم الأمن ووحدرة الإمبراطورية وتوحيد المجاهدين لا ينساه التاريخ.

أما الثالث العصامي الذي أصبح عظامياً بكل معنى الكلمة فهو قتيبة بن مسلم الباهلي. باهلي قبيلته لم تأخذ عظمة قبيلة أخرى حتى قالوا:

لا تنفع الأنساب من هاشم إن كانت الأنفس من باهلة

ولكن باهلة أصبحت في تاريخ العرب تتباهى بقتيبة لأنه قائد الفتح للشرق، يسير من الكوفة حتى يصل إلى كشغر، من حدود العرب إلى شمال الصين، كأنما قتيبة متعنا بهدية تركستانية، ألا وهي التي جادت بالإمام العظيم محمد بن إسماعيل البخاري، وما أكثر جودها بمن هم إخوان البخاري.

فمن مزايا قتيبة أنه لم يكن من أهل الغرور، فله كلمة قالها حين نبغت فتنة في التركستان الغربي، فقال له بعض رجاله: «ابعث إليهم وكيعاً، ذلك العظامي من تميم» فقال قتيبة: «إن وكيعاً يحتقر عدوه فأخشى أن يركبه الغرور فتلحقنا هزيمة شرها يستطير» ولكن طغت الانفرادية على وكيع يغتال قتيبة، يفرح بها سليمان بن عبد الملك، فالعظامي سليمان هو الذي دق أول مسمار في عرش بني أمية حيث تكب القادة، فرح بقتل قتيبة، وأذل المهلب بن أبي صفرة، ونكب موسى بن نصير فإذا إمبراطورية بني أمية تهتز، حتى أن الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز قد أخذ يلزم شملها، يمنع انتشار الفتح، ولكن الجور على القادة أخفق السيادة، فإذا شعوبية

الفرس وجدت المتنفس حتى أنشد نصر بن سيار:

أرى أثر الرماد وميض نار      ويوشك أن يشبّ لها ضرام  
فإن النار بالعودين تذكى      وإن الحرب أولها كلام  
أقول من التعجب ليت شعري      أأيقظ أمية أم نيام

وأشعلها العباسيون وانتهى القائد العربي، وحل محله الفارسي والتركي.

## حديث الملك ..

### تقرير وتقدير وتحذير ..

وسمعت حديث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد مذاعاً ومتلفزاً تحدث به إلى الذين حضروا مجلسه ولم يكن ذلك خاصاً بالذين سمعوا الكلام منه وإنما عام لكل الشعب بينما هو خاص بالذين أراد الملك أن يعلموا بما سمعوا وأن يتعاملوا بما هو يسمعه عنه.

تلك ثقة الملك بأنه القادر بنعمة الله على تعديل المعوج وبأن الشعب كله قادر على أن يكون في موضع الثقة .. الثقة بالملك .. بالحكومة، والثقة بنفسه فالذين لا يثقون في أنفسهم هم الذين لا يستطيعون أن يفعلوا ما تعطيه الثقة له.

حديث الملك تقرير لا مناص منه .. قرار لا عدول عنه، وهو أن شرعة الإسلام غنيت القاضي ليحكم بشرعة الإسلام، وأعانت الشعب على أن يتحاكم إلى شرعة الإسلام، فوجود القاضي في أي بلد هو الدعامة الأولى أسسها الإسلام فحكم القاضي ما كان ولن يكون .. إلا بهذا القرآن .. بهذه السنة .. بهذا الفقه المعتمد بكل العدل الذي إن لم يرض الظالم فإن المظلوم يرفع يده بالدعاء .. فأول كلمة يدعو بها هي الحمد لله والدعاء للملك بالتوفيق.

إن هذا القرار فيه التقرير لما هو واقع، كما هو مرجو كما هو فيه ألا نسأل عن أي نقد من الذين كل يوم يعدلون القانون وكل يوم يحكمون بدستور وضعي، فالقرار أو التقرير هو ألا تحكم إلا بما شرع الله، لكن بعض الذين لا يفهمون حكم الله لا يفقهون أن العدل هو الأمن والأمان، ولئن فهموا ذلك فإنهم لا يريدون أن يكون فينا، أما التحذير ف شامل جامع. . يحذرني ألا أظلم، كما يحذرني أن أطلب إزالة الظلم إذا ما ظلمت من صاحب السلطان قاضياً أو أميراً أو أي حاكم لأي قرية، فالأمر في هذا أن كلمة الملك عن القضاء معناها تحديد المسؤولية على الحاكم والمحكوم.

فالظلم هو الذي كان مصدر التخريب فيما مضى لهذا الكيان الكبير. . بل للعرب كلهم. . بل وللمسلمين كلهم فالحاكم هو الذي يصون العدل، وتلك الكلمة هي عن القضاء عن الحاكم، ومن قبل وفي ألمانيا بالذات أن القاضي حينما حكم على الإمبراطور قال الإمبراطور وهو راضٍ وفاخر. . (إن في برلين قضاة).

والملك فهد لم يأت بجديد وإنما هو عهده الذي عاهد الله به والذي ورثه عن أبيه، فلو لم يكن أبوه صوان الأمن بالعدل لما أتيح له أن يكون صاحب هذا الكيان الكبير. . المملكة العربية السعودية.

لنحترم أنفسنا، فماضينا يعلم حاضرننا ومستقبلنا وما علينا إذا ما جحدنا أو ما حمدنا.

## - الخميني والانتفاضة:

وأضحكة لم يضحك منها عربي ولم يتضحك بها فارسي، وإنما ضحك منها الأوروبي أي غرب أوروبا لا شرقها ولا حتى الغرب عن

أوروبا بعد الأطلسي، هذه الأضحوكة ما أذاعه سماسرة اليهود ولو على مستوى السفراء .. إن انتفاضة الفتى الفلسطيني، فتى الحجارة، المدافع عن وطنه كانت تابعاً للخميني .. فالخميني مسؤول عن الانتفاضة هكذا قال اليهود ولم يقل العربي شيئاً عن ذلك كأنهم لم يسمعوا .. لأن وكالات الأنباء تذيع عن الكونترا وهندراوس أكثر مما تذيع عن الانتفاضة، مأجورة إلينا فيما نسمع منها ومأجورة لليهود ألا تسمعنا، ما قاله سماسرة اليهود عن الخميني والانتفاضة، ولكن صحافة أوروبا الغربية فضحت الأمر ونفت عن الانتفاضة العار فعلاقة اليهود بنظام إيران لا خفاء فيها ولكنهم اليهود قوم «بهت» .. أي أصحاب بهتان .. ما قالها أحد وإنما الذي قالها الحبر العظيم الصحابي الجليل اليهودي الذي آمن بالإسلام عبد الله بن سلام قالها لرسول الله ﷺ يحذره من اليهود في حديث الرجم قائلاً .. إن اليهود قوم بهت، وهكذا على الانتفاضة وشر منهم ألا ينفي الفارسي هذه التهمة لأنه يعتز بها ولو كانت كذبة، بينما هو صديق لليهود وما يوم حليلة بسر.

## لماذا توحشنا يا مؤنس؟!

والدكتور حسين مؤنس لا تجده إلا مؤنساً في معاشرته، ولكن يصعب علينا أن يكون موحشاً في مسامرته.

فأترك نفسي ليكتب قلمي أتسلق على أكتاف هذا العالم لأنه سبقني . وقد تسلق على عظمة قريش، وفضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فالتسلق مني أسلق به ما ادعاه عن الطعن على قريش ينكر فضلها. وتلك جرأتان منه وهما في ذات الوقت تأخر منه، فالجرأة الأولى أن ينكر السنة، والثانية أن يتنكر على ذي النورين، كأنما التاريخ يحتال عليه لأنه لم يستطع أن يختال يكتب عن تاريخ هذه الأيام.

فالتنفس من كرب هذه لا يستطيع أن يكرب تاريخ هذه الأيام، ليس لأنه لا يعرف، وليس لأنه لا يعترف وإنما هو يخشى قوة سلطان يفرض عليه السكوت ولا يخشى قوة سلطان العربي يفرض عليه ألا يتجافى مع تاريخه العربي.

فقبل أيام تلفن إليّ أستاذنا شيخنا أبو تراب عن هذه الوحشة أوحشنا بها مؤنس فيما اجترأ على قريش، على السنة، على ذي النورين، وقال أبو تراب سأكتب أرد عليه، فكن رديفاً لي، والطاعة لأن أكون رديفاً ليس خضوعاً لأمر أبي تراب، وإنما هي لإخضاع هذا التوحش من مؤنس يصب فيه الإنكار على ما ذكرناه أو من ذكرناه.

وليس لي قوة أبي تراب كواحد من أهل الحديث، وإنما هي النعمة عليّ من قوة الحب لهذا التراب أنبت قريشاً وما أكثر ما أثمرت قريش. يكفيها من الفضل أن القرآن نزل بلغتها لغة العرب كل العرب وبلهجة قرشية وهذلية. وحتى تميمية، ويكفيها فضلاً أن خاتم الرسل المبعوث رحمه للعالمين ﷺ قد ولدته قريش من أب هاشمي، وأم زهرية، جده عبد المطلب، جده هاشم جده عبد مناف، جده قصي المجمع الأول لبطون قريش.. ينعم الله عليها بالسيادة في الجاهلية، وذلك إرهاباً للإسلام فالعرب كل العرب دانت لفضل قريش سدنة الحرم ودانت للإيلاف.. عهد السراة لتأمن تجارة قريش.. تمتاز من اليمامة، تمتاز من الشام حتى أن القيصر، وملوك الشام من أولاد جفنة احترموا الإيلاف.. أهو عامل اقتصادي؟ ليكن ذلك.. والذي كان أنه ثبات القيمة لقريش.

ذلك فضل الله يتفضل به على قبيل من العرب وهم قريش.. لتكون العزة لهم إرهاباً للنوبة، نبوة محمد ﷺ.

ولأدعُ الدكتور مؤنس أن يتفطن إلى هذا المن من الله على قريش في سورة الإيلاف (قريش).

هذا المن من الله يثبت فضل قريش.. ويدعوهم لشكر هذا الفضل. فلو لم يكونوا كذلك لما دعاهم الله بهذه النعمة أن يؤمنوا به، لأن إيمانهم بالله تنتصر به الرسالة. وهل الرسالة ما انتصرت إلا بالسابقين الأولين من قريش الذين آمنوا، وتحملوا الأذى؟ وإنكار الخبر عن فضلهم.. لأرجو الدكتور مؤنس أن يصدق الخبر، ولا أخافه، إذا ما أنكر الخبر، ولكنني أخاف عليه من هذه الجهالة التي تنكر بها على الخبر.

إنه ليعلم أن قوة انتشار هذا الإسلام مذ اعتز العرب بالإسلام، ومذ



أعز الله الإسلام بالعرب كل ذلك ما كان إلا وسلطان السيادة لقريش .  
فرسول الله ﷺ الأول وأبو بكر الثاني، وعمر الثالث، وعثمان الذي اتسع  
في عهده الفتح الرابع، وعلي الذي كان مثال العدل، أو الفقه، والسيف  
الصارم الذي يعرف الحق.. حتى أنه لم يكفر خصومه الذين حاربوه.. كل  
هؤلاء أليسوا من قريش؟! ذلك فضل الله عليهم، وتلك الفضائل التي إذا  
انتسبت كانت قوة، وإذا علت بالسبب وهو الإسلام.. كانت كل الفوق  
والذي إذا ما ارتفعت بالحسب علت إلى السماكين رامحاً وأعزل.

ثم يصدق الخبر بما قدمت، وإنه ليصدق حيث مضى زمن العزة  
لقريش قروناً عدة، سلطان أمية، سلطان بني العباس، سلطان صاحبك يا  
مؤنس في الأندلس. أموياً قريشاً.. صقر قريش عبد الرحمن الداخل، أنكر  
المتن في الخبر ولكن لن تستطيع إنكار الفضل على بقاء السلطان لقريش  
قروناً عدة.

أليس من فضل قريش أن يتم لها فتحان على يد رجال منها، تمام  
الفتح لأمية، فتح الأرض، وانتشار الإسلام إلى «كشعار» إلى «الأندلس»،  
والفتح الثاني بني العباس أعني فتح الحضارة الوسيط؟ فأمية أكملت فتح  
الأرض، وبنو العباس أكملوا فتح العقل بهذه الحضارة التي حضرت  
أوروبا، ولعلّي أفجؤك بقولة ما قالها قبلي أحد، وما أحسبك قد قلتها وأنت  
تؤرخ للأمم تلك: إني على يقين من أن لوثر، وكلفين نهضاً ضد كهنوت  
الكاثوليك في روما ودعياً إلى البروستنتينية التي كانت بداية النهضة الأوروبية  
لأن تمام الانطلاق بها من سلطان البابا، فلا صكوك غفران، ولا شراء  
أرض من النار وبيع أرض من الجنة، كل هذا لم يتم للوثر وكلفين إلا بتأثر  
الإسلام، لأنهم رأوا إخوانهم الأرثوذكس بين العرب لا يضامون، ولأن

الإسلام أعطى حرية الانطلاق للعقل والفكر من حيث أن الإسلام ليس فيه كهنوت ولا كهنة .

أجزم أن لوثر قد تأثر بالإسلام، فإذا هو يثور على الكهنوت وتنتشر البروستنتينية في الشعوب التي نهضت فالكسسون حين اعتقدوها كانوا ناهضين قبل اللاتين .

إن الذين نشروا هذا الإسلام أو انتصروا به ما كانوا إلا من قريش، خلفاء، وقادة .. كل هذا يثبت الفضل لقريش .

سلامي عليك يا مؤنس فرغم ما أعترض به عليك أحب أن أكون في معرض الاحترام لك .

## اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا . وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا

ولعلَّ المسلم في كل مكان.. والعربي وبكل الإمكان.. في حاجة إلى هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا» فهذا الدعاء أمر به رسول الله سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين أمر أصحابه من الآباء والأمهات وهم على ذروة الجبل وفي سفح الجبل في حرز الخندق في غزوة الأحزاب. فهذه الغزوة التي كان فيها نصر الله دون حرب، لأن الله سبحانه وتعالى أنعم على المسلمين فستر عوراتهم، وآمن روعاتهم.. وسلط عذابه على المشركين فإذا هم وفي العراء عورة، وإذا هم وَهُمْ، في العراء يأخذهم الرعب من صرير الريح وزمهيرها، تلك ريح الصبا في الأيام الشتائية، فالمدينة المنورة يشتد بردها في برج الدلو إذا ما هبت الصبا، وعجيب أن يكون صبا نجد موضوع الغزل، وأن تكون صبا نجد ريح عذاب إن الله يخلق ما يشاء، فهو على كل شيء قدير.. وقال أهل المدينة الأنصار قبل المهاجرين، والمهاجرون مع الأنصار، قالوا: «إن بيوتنا عورة» أفلا يصح لنا أن نقول بلسان المسلم أو بلسان العربي إن بيوت المسلمين وبيوت العرب في أكثر من مكان أصبحت عورة بغزو الأفغان والحملة على الباكستان والتبشير النصراني في أكثر من مكان؟ والعورة الفادحة هي في فلسطين اليوم.

كان يوم الأحزاب شديداً على المسلمين يقودهم ذلك الذي وعده الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) فالعصمة في بدر كانت نصراً والعصمة في أحد كانت صهراً، والعصمة في غزوة الخندق كانت قهراً على المشركين، فأى ستر لعورة كهذا، وأي أمن للروعة كهذا؟ ارفعوا أكفكم بالدعاء حين ترتفع أكفكم عن الأذى، أذاكم لأنفسكم بالمذهب الضال وإيديولوجية الضلال وإقليمية المضلين، وعنصرية الشعوبية، وإلحاد الفاسقين مع كل هذا العبث انفرط عقد الوحدة بين إفراط يدعيها وبين تفريط يتداعى بالبعد عنها.

قالوا: «بيتنا عورة» نعم فالمدينة الروضة عدة أبقة.. سهلها محصور بين جذم اللابة في جنوبها ولسان اللابة في شرقها (حرة قريظة) ولسان اللابة في غربها وأقم.. فهي بهذا الحصار لا تغزى من الجنوب لأنه ليس واسع المطرد يصعب عليه الطراد، وكذلك في شرقها وفي غربها فهي لا تغزى من هذا المثلث وإنما يأتيها الغزاة المشركون من شمالها يتسع فيه الطراد ومن شمالها الغربي واسع المطرد، لكن الجنوب والشرق والغرب ينساب منه العدو النهاب، فإن لم تكن من ذلك عورة لغزو فإنها بذاك عورة للنهب والسلب وعلى الأخص فمازال لليهود بقية هم بنو قريظة على الحرة الشرقية تمتد منازلهم حتى إلى شرق العاليه (العوالي).

ولكن الله الناصر لدينه الذي حقق وعده يوم لا يخزي الله نبيه ﷺ ولا ينهزم الإسلام، فإذا عصمة الله تلهم رسول الله ﷺ حين أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فالأمر من الله أن يحترز رسوله وعباده المجاهدون غرب الجبل سلع.. في حوض الجبل سلع يحاطون بالخندق، يحجز المشركين من قريش وهم في مجمع الأسياال برومة التي

هي «زغابة» فمجمع الأسياال، فالسيل قناة.. يمر في سفح أحد يكسر الحرة. ينساب من الجنوب بين عير الجبل، والجماء الجبل، وبين حرة وأقم ليصل إلى زغابة، فإذا العقيق وقناة سيل واحد، وفي وسط المدينة تسيل رانواء سيل بطحان أبو جيدة يمر من وسطها يسير في سفنح سلع وسط ساحة الخندق ليصل إلى زغابة فيكون العناق بين الأسياال الثلاثة فإذا هي سيل واحد يسمى وادي الحمض، قريش كانت في هذا المكان ما سلط عليها السيل.. فقد تنجو بالبعد عنه ولكن سلط عليها الريح تعصفهم عصفاً، فإذا هم وسد الدوامة يأخذهم الرعب حيث قال رسول الله: «نصرت بالرعب» وقال: «نصرت بالصبر، وأهلك عاد بالدبور» فالدبور ريح عاصف كأنما هي الإعصار، وأما الصَّبا فرياح ناصرة للمسلمين فريح عاصف على المشركين..

وقد قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجعلها ريحاً ولا تجعلها رياحاً».

ومع قريش بأحلافها كانت غطفان بقضها وقضيضها فنزلت في سفح أحد الغربي.. قريش في يسار الأسياال وغطفان في سفح أحد الغربي، ولكنها العصمة حجزت قريشاً بالخندق ورجفت بغطفان وجاءت الرجفة لقريظة حين خذلهم واحد إسمه نعيم بن مسعود الأشجعي هو من غطفان ولكن العصمة هدته إلى الإيمان.. يسأل رسول الله سيدنا محمداً ﷺ عما يصنع فقال عليه الصلاة والسلام النبي الموحى إليه: «خذل عنا، فإنما أنت رجل واحد» وهو كما قال: «إنما أنت رجل واحد فخذل عنا» فسار يخذل قريظة يبعث فيها الشك من المشركين ويخذل المشركين يبعث فيهم الشك من قريظة، فلولا العصمة لصارت قريظة تهتك المدينة التي هي كانت عورة غير أن الله صرف قريظة أن تفعل شيئاً فستر الله العورة وأمن الله الروعة.

غزوة الأحزاب هذه هي رمية الله الثانية .. الأولى كانت في بدر،  
والثانية في اليوم الذي أشد من بدر.

وضاق صدر فارس المشركين بهذا الحجز، فإذا هو عمرو بن ود  
العامري أحد أقران عنترة فإذا هو تجره العصمة يأتي إلى ثغرة في الخندق  
يقفز به حصانه، يرفع صوته وهو في ساحة القتال .. قفز الخندق فكان على  
مرأى المسلمين رفع صوته يتحدى يطلب البراز، وأبت العصمة أن يتكاثر  
جمع المسلمين ليأخذوا بعنقه ولكنهم تمتعوا بخلق الفرسان، فأنصفوه ليارز  
ليكون الخزي بسيف واحد سيف الإسلام ذي الفقار في يد الزند القوية  
بالإيمان، زند ابن الأكرمين الإمام حيدرة .. أبي الحسن .. أبي تراب كريم  
الوجه ابن أبي طالب .. علي ربيب رسول الله ﷺ .. صهره .. وابن عمه  
أول طفل أسلم.

صرخ ابن ود يطلب البراز، فقال النبي ﷺ يسأل أصحابه: «من  
لعمرو؟! سكت كل صوت، ونطق صوت العصمة على لسان ابن أبي  
طالب، فقال علي: «أنا يا رسول الله» فقال النبي ﷺ «إنه عمرو!» فقال  
الإمام كريم الوجه: «إن يكن عمراً» وقالها لرسول مرة أخرى أنه عمرو!  
فقال علي: وإن يكن عمراً.

وقالها الثالثة فأجاب علي الثالثة: كالأولى والثانية، فعممه رسول الله  
ودعا له فبرز حيدرة وكان عمرو على حصانه وعلي راجلاً فإذا عمرو فارس  
المشركين يعجب يسأل علياً: ابن أبي طالب؟ قال علي: نعم!

قال عمرو: لا أريد أن أقتلك .. قال أبو الحسن: أنا أريد أن أقتلك  
فانصفني! وأبي فارس المشركين بخلق الفارس، فقد كانت لديهم مكارم

أخلاق، فترجل، للعجب من هؤلاء حتى مشركهم فارس ذو خلق، فيا للحسرة فتهم خلق الإسلام.

فتصاول الفارسان وكان مع علي سلاح آخر.. كلمة رسول الله ﷺ فحين برز علي قال محمد الرسول النبي: «الله أكبر برز الإسلام كله للكفر كله»، وأسرع علي يقطع رجل عمرو يجندله فإذا قتل فارس المشركين رعب جديد على المشركين..

إن الله ينصر من ينصره، وكان دعاء المسلمين علمهم إياه رسول الله «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» وكانت العورة على الجبل النساء والذراري فإذا يهودي يرقى الجبل يريد أن يعرف هل عند النساء حارس، وما كان هناك حارس إلا نصر الله فنهضت بنت عبد المطلب صفية عمة رسول الله ﷺ حملت عموداً جندلت اليهودي ما تركته بين يديها فمن حصافتها أن رمت بهن أعلى الجبل. فإذا هي العصمة أرعبت اليهود ظنوا أن قتل صاحبهم رجالاً ذوو بأس، وما كان هناك رجال ولكنها صفية بنت عبد المطلب كانت ذات بأس.. بأس النصر من الله.

وما كتبت عن غزوة الأحزاب إلا ونحن الآن في حومة الصراع بين الأحزاب.. كقوله عليه الصلاة والسلام: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة» فقالوا: أ فمن قلة يا رسول الله؟ قال: لا.. ولكن غثاء كغثاء السيل إنما يدرككم الوهن.. قالوا: وما الوهن؟ قال عليه الصلاة والسلام: حب الدنيا وكرهية الآخرة أو كما قال حب الحياة وكرهية الموت.. فاللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا..

## وَلِيُّ الْعَهْد فِي بَرِيطَانِيَا يَفْتَحُ الْمَلَفَ

وتلك رحلة موفقة أحسنت التوقيت لينال التوفيق، فقد دعت بريطانيا المملكة العربية السعودية لزيارتها، وتمثلت تلك الدعوة من السيدة مارجريت تاتشر التي تبوأَت رئاسة الوزارة البريطانية، ولم تكن هذه الدعوة منها إلا وهي الموقف الذي يعرب عن رغبة الملكة إليزابيث، فالملكة في حقيقة الأمر هي التي دعت ولي العهد سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز، رغبة الملكة هي الأساس، أما التنفيذ فعن طريق رئاسة الوزارة تنفيذاً لأحكام دستورهم ولما جرت عليه التقاليد هناك.

إن زيارة ولي العهد لبريطانيا، فتحت أمامي ملف التاريخ، تاريخ علاقة الشعوب وعلاقة الدول فالإنسان يوم كان يعيش في الأكواخ وحول الغابات، كانت القرية الخضراء ذات علاقة بالقرية الحمراء، تحتمي القرية بالقرية، فحول الغابة من ناحية أخرى قرية سوداء وقرية صفراء، فالقرى هذه عرفت الصراع والغزو والغارات، حتى إذا اكتشف الإنسان النار أصبح العدوان من قرية على قرية يحرق بالنار الغابة التي حول قرية يحاربها.

فتنظيم العلاقة قديم ومن العصر السحيق، وعندما تشعبت الشعوب وتبني المدن تحدد الحوزة . . تتعنصر أو تتنصر أو تتهود أو تحمل راية الإسلام، كل ذلك يدعو إلى تنظيم العلاقات.



ولنختصر، لنصل إلى الإمبراطوريتين تغزو كل منهما الأرض العربية مستعمرة، وما كان ذلك يسمى استعماراً، فالتسمية هذه جديدة حاول الغزاة في العصر الأخير أن يهذبوا احتلالهم، كأنهم بهذا الاحتلال يعمرون الأرض، وبعض ذلك قد كان وأكثر من ذلك ألا يكون.

فالرومان قد اتصلوا بأرض العرب، سواء كانوا روما الغربية أو روما الشرقية، وإمبراطورية الفرس كانت كالرومان، فالرومان في الشام كلها في مصر كلها وفيما تلاها، والفرس كانوا في العراق وما استطاعوا المخاطرة ليكونوا في الصحراء.. في نجد وفي الحجاز وما إليهم، غير أنهم حجزوا الصحراء كلها حينما اتخذوا من الحيرة ملكاً عربياً وامتلاكاً فارسياً، كما فعل الرومان في الشام ملكاً عربياً وامتلاكاً قيصرياً.

وكان العرب في الجزيرة لا يرضيهم ذلك، فلا ربيعة بتغلبها وبكرها وشيبانها وحنيفتها قد خضعت إلى لحم في الحيرة، عدنانية لم تخضع لقحطانية، والقبائل في جوار الشام، سواء كانت عدنانية من مضر من أصحاب الإلاف أو قحطانية من قضاة ومن إليها، كلها لم تخضع لأولاد جفنة في دمشق. الإيلاف كان تنظيم علاقة والجوار نظمت به علاقة، فالوضع إذن أن العرب في جزيرتهم ينظمون العلاقة، فلکم صاهرت غطفان وكلب صاهرت قريشاً يعني أن الحيرة تواءمت مع مضر كما الشام صاهرت مضرأ.

إن هذا الاستطراد لسابق التاريخ، مقدمة لا بد منها، إن بريطانيا قد استغولت حين أصبحت إمبراطورية الهند، وجزيرة العرب الطريق إلى الهند والرجل المريض الدولة العثمانية، لم تعد قادرة على حماية الجزيرة وساحلها الشرقي من أن تكون طريقاً للهند. ذلك أن صحوة الشعوب

العربية لم تعد تحتل المركز في استنبول، والتوسع العثماني في أوروبا (البلقان). وقوة القيصرية في روسيا، كل ذلك كان عوناً لبريطانيا لأنه أضعف الرجل المريض، ولبت نجد دعوة الإسلام، أعني الرجوع إلى عقيدة السلف، دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكانت التلبية سيف آل سعود، وجري ما جرى.. انتصارات ونكسات، حتى إذا تولى الأمر بنعمة الله وبنصر الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن، كان لا بد له من أن ينظم علاقاته مع الدولة العثمانية حيناً بالرسائل والمفاوضات، ومع مصر حيث أن مصر بعد طغيان محمد علي على الدولة العثمانية استقل الخديوي فيها، لا يعارض النهضة العربية، كما كان جده، فمحمد علي كان حرباً على السعوديين طاعة للسلطان، فإذا هو بعد حرب على السلطان شنها على الشام مما أضعف الدولة العثمانية، قال بعضهم: إن محمد علي انتشر في جزيرة العرب حرباً على الإنجليز، قد يكون ذلك إعلاناً ولكن الحقيقة إنه كان حرباً على الدولة العثمانية لصالح الإنجليز، لم يردده ولكنها إرادة المصالح والمطامع وقوة السلاح.

فلقد ذكر الأمير عبد الله ولي العهد في إحدى كلماته أن العلاقة بين آل سعود وبريطانيا كانت في عهد الإمام فيصل، أن الإمام فيصل - كما ذكر ولي العهد بداية العلاقة مع بريطانيا، التي هي حارسة طريق الهند - بداية العلاقة مع مصر، لأن مصر بعد إبراهيم لم تكن للدولة العثمانية جيشاً.

والملك عبد العزيز نظم علاقاته مع بريطانيا كانت في حاجة لحماية طريق الهند من قبائل الصحراء، فالملك عبد العزيز لم يعتد على ما كان في حوزة بريطانيا في الخليج، ولكن نصر الله له أعطاه حين ضم الأحساء أن تكون بريطانيا أكثر حاجة إليه عندما أصبح ذا قوة على الخليج، وللملك

عبد العزيز مواقف برهان على أنه على علاقة طيبة مع بريطانيا غير أنه لم يعرف يوماً أن خضع لطلب بريطانيا لا يرضاه. حثَّ على بريطانيا على ألا يكون لها مندوب عنده، فقد كانت تطمع أن يكون لها عين، فأنعم الله على عبد العزيز بقتل الكابتن شكسبير في معركة خاسرة، فقد كان قتل شكسبير بل كان تركه في العراء دون مواراته موقفاً ناصراً لعبد العزيز، فقد حزوا رأس شكسبير وأرسلوه إلى المدينة المنورة وعلقوه على الباب الشامي ورأته رؤية عين وسمعتهم يذمون كيف كان النصراني في جيش عبد العزيز، وما عرفوا أنهم بذلك قد سلموا عبد العزيز الورقة الراجعة لا يوجد أي كابتن آخر أو أي مندوب آخر يكون عنده.

حتى عبد الله ما كان له أي شأن، فقد قرأنا ما كتبه الأمير شكيب أرسلان عن موقف الملك عبد العزيز في معاهدة اليمن وكيف نهر فلبى «ألا شأن لك في ذلك» وكان حينذاك فلبى لا علاقة له بوزارة الخارجية البريطانية، إنما مارس الاستشراق، ولكن عبد العزيز لو تركه يقول لأساء ظن شكيب أرسلان وهاشم الأتاسي وأمين الحسيني ومحمد علي علوية وحتى جميل مردم، نهر فلبى فعلم هؤلاء أن عبد العزيز في يده أمانة يصونها، كما قال ذلك شكيب أرسلان.

تحية لولي العهد وأسأل الله أن يتم علينا نعمة الأمن والاستقرار.. والله ولي التوفيق.

## خزينة الدولة .. جيوب رعاياها

وهذا العنوان «خزينة الدولة جيوب رعاياها» قانون الاقتصاد الحر . أو هو مبدأ الدولة المتحررة في تعاملها الذي لا يتم إلا بما تملك من المال، فالمال عصب الأعمال، كما أن الدولة تعد غنية ليس بما تملك في خزائنها وإنما بما تملكه في جيوب شعبها، والتجربة التي يعرفها كل من أنصف نفسه وكل من يتنافس بقوة دولته أعطتنا أن الدولة في كل العالم الحر ما نمت قوتها وما تكاملت صناعاتها وما استراح شعبها إلا بما ملكت من المال، وبما امتلكت من خزائن أرضها وإنسانها.

والتجربة مرة ثانية واضحة كل الوضوح في المملكة العربية السعودية، فهذا الكيان الكبير أنعم الله به علينا بنعمة الله على مؤسسه الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله برحمته، فهذا البطل من أول خطوة خطاها في سعيه يضم كل إقطاع، ويلغي كل قطيع، ويرفض كل مقاطعة منفصلة، فإذا الصلة بين كل شبر في أرضنا لا ينقسم عن أي شبر سواء كان في شرقها أو غربها، في شمالها أو جنوبها، فكل ما أنجز لم يكن لديه مدخر في خزينة، فبعض الوقت قد مر به لا يجد ما يجهز به جيشاً ينتصر به على فتنة، كما أنه لم يجد هذا المدخر في خزينة حين تم له جمع هذا الكيان الكبير، فلقد كانت خزينة الدولة التي هو رأسها يجدها

في جيوب رعيته، لأنه - يرحمه الله - يعرف ما هو صانع، وبهذا تصانع مع وقته فإذا هو يصنع ما جاد به زمانه، وكان ذلك بالوسيلتين، وسيلة الأمن لكل الشعب، والأمن لكل من لديه مال، فقد كان التاجر على قلة ما كان يملك يخاف على ما ملك فيخفي نصف ذهبه تحت البلاطة. ولا يعلن عن النصف الآخر وإن تاجر به.

وجادت حصافة عبد العزيز، خامس الملوك في العرب ليشعر من لديه المال ألا يخاف، بل أغراه بحفظ الأمانة والأمن وجزيل الربح ألا يتأخر عن أي تعامل مع الملك عبد العزيز، يرد ما أخذ ويزيده ربحاً، فقد رأيت بخطه عطاءه نسبة مئوية ربحاً مشروحاً على بيان ذلك التاجر الذي ما كتم ما ملك. بل أعان بكل ما ملك، ولست بصدد الإحصاء للذين تعاملوا بهذا الأسلوب. فكم هم من «شقراء» وكم هم في «بريدة» وكم هم في «الأحساء»؟ وكم وكم هم في المدينة المنورة وفي مكة المكرمة وفي جدة وفي أبها وفي جيزان؟ هم كثر فأصبحوا الأكثرين مالاً وسمعة وجاهاً.

وهكذا تحقق هذا المبدأ في هذا الكيان الكبير «خزينة الدولة جيوب رعاياها» حتى إذا أخرجت الأرض كنزها كان في خزينة الدولة مدداً لجيوب الرعايا.

إنها حصافة، اتسمت بالنظافة، حتى أن من يكلف بأعمال البناء لا يطلب قسطاً أول قبل أن يبدأ في إقامة البناء، مكلف به ومشرف بالأمانة. محفوظ الحق مع جزيل الربح، فتم البناء.

ذلك ما حققته التجربة التي أعطت المملكة العربية السعودية من خارج حدودها، وهي إن أعطت لم تكن دائنة تنتظر السداد، وإنما هو سداد

التوفيق، عطاء بلا منّ. وإنما هي منّة الدولة لحساب تفوقها، بل ومنتها في الحفاظ على مقدرات شعبها.

وما ذلك إلا من نعمة الله والله ولي التوفيق.

### - صورة:

وأصبحت لدولة فلسطين سفارة في الرياض. عمل جاد به التروي فلم يكن عن استهلاك أو عن مجازفة، وإنما هو مسؤولية المسلم عربياً أو هو العربي مسلماً، إلا وهو من شرفه الله بخدمة الحرمين الشريفين، ومن كلفه تاريخه أن يكون العربي على الذروة. المسلم على السنام، الملك فهد سار على النهج فلم ينشق سلوك الدولة عما دعت إليه من التضامن والحفاظ على كل شبر من أرض عربية، والاعتزاز بكل من أخلص لفلسطين أول الأمر، ولكل من يخلص لتاريخه في كل أمر، كأنما بسمّة الدموع من عين فتى الحجارة تحية للملك فهد، وليس هذا بالغريب على من استعرق نسبه، وصدق سببه وطاب حسبه، ألا وهو خادم الحرمين. فما النسب والحسب والسبب إلا من وراثته هذه الأرض حرماً وسياجاً لأنها وإن كانت الجدة صنعاء والظئر دمشق والحاضنة القاهرة فإنها الأبوة والأمومة.

## عن الخزامة والزنبق

وأقبلت فتاتي القارئة، قالت: ألم تقرأ يا أبي الخبر عن «الخبزامة»؟ فقد نشرت جريدة في ملحق «أن الخبزامة هي الزنبق وينبت في هولندا» ثم قالت: ليكن من أسماء الخبزامة الزنبق، ولكن كيف نسي صاحب الخبر أن العرب يعرفون الخبزامة، لأنها من نبات أرضه، كما يعرفون (الشيخ) و(القيصوم) والأزاهير كلها.

بعض العرب اليوم اخضرت أرضهم بماء النهر، سواء كان نهر أرضهم أو نهر أرض ارتحلوا إليها، فإذا معرفتهم لأرضهم قد رحلت معهم، لا بل ارتحلت عنهم، فلو رحلوا بها لعرفوها، ولكنها رحلة مزدوجة، رحلوا عن أرضهم، فارتحلت أرضهم عنهم، ظنوا أن الصحراء مجدبة كل دهرها، فلا أيام ممطرة ولا أرض مثمرة ولا دهناء مزهرة، فنسي العربي الذي ابتعد نبات أرضه نسي الواحات والعيون والآبار، لو سألت واحداً منهم ماذا تعني كلمة الإفلاج؟ لما قال لك أنها فليج قنطرة متسعة حتى لقد استعار العربي في لغته الشاعرة، «فليج الأسنان».

الخبزامة، تغزل بها الشاعر فكأنها الشذى من رائحة الحبيبة، لم ينس المسك ولا (أجمروا له) ولا الورد وعطره والياسمين ونفحه، كأنما الخبزامة جامعة الشمل للعطر، أو هي عطر ذات شملة حول الخزام ولا تستطيع أن تشتري المسك، وليس العطر ثروة تشتري، وإنما هو ثراء النفس تتعطر بما حولها من نبات أرضها.

والخزامة لا تُزرع، وإنما هي تزرع نفسها في رمال النفوذ حين يسوق الله الغيث تهتز الأرض تربو لتنبت من كل زوج بهيج .

في إحدى المرات سافرت إلى نجد والسماء ممطرة، كانت هاطلاً قبل أيام ثم أصبحت رذاذاً، وفي الضحى أخذنا نمر «نفوذ السر» وقبل ذلك لا نمرها إلا ليلة نرقب تلبد الرمل لئلا تتعثر السيارات، أما يوم أمطرت السماء وسقت النفوذ وكان الجو غائماً، وجدنا الرمل قد تلبد في طريقنا وحولنا في كل النفوذ الأزاهير .. أصفر .. أحمر .. أبيض .. من كل الألوان، وقفنا نجيل النظر في هذا الرمل المخيف، أصبح الرمل المؤنس، الأقحوان الخزامة، كل الرمل أعطانا رائحتين .. رائحة الثرى وما فوق الثرى من أزاهير، رائحة الثرى جميلة ألهتني في ليلة من ليالي القاهرة حين عرضوا في السينما الفيلم الهندي (من أجل أولادي)، أغمضت عيني عن الرؤية لأشم البراعة في هذا الفيلم، كأن الشاشة تندت برائحة الثرى، أو ليس الثرى أبي وأمي؟! . ألسنت من طينة .. من التراب .. من الماء الذي أنا حي به ولن أعيش إلا به؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

والعربي، لا تحسبوه جاهل الثقافة، جاهليته من عبادة الوثن، أما ثقافته فيعرفها، فهذا امرؤ القيس .. جاهلياً لكنه عرف أكثر الأرض التي حوله حتى ثبير الجبل، سواء هو الذي في منى، أو الذي هو في منازل أسد، أي في القصيم كما عرف تيماء كما عرف أنقرة عاصمة الترك اليوم، كما عرف العُتاب، ثمر بستان لا ثمر صحراء .. ثمر واحة، لا ثمر الدهناء، أليس هو الذي قال :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً      لدي وكرها «العناب» والحشف البالي  
والخزامة مرة أخرى، ما وجدتها في موسوعة، ولكن الزئبق اتسعت له الموسوعة العربية الميسرة، لم تحصره في أرض كهولندا مثلاً وإنما توسعت فذكرت الأراضي التي ينبت فيها، وأحسبها ما ذكرت أنه الخزامة .



## اتركوا الدعاية للماسونية

وأكملت أنا شاكر للكاتب اليقظ الأستاذ عبد الله باجبير حين قرأت كلمته عن الماسونية والذين اتهموهم بها وكأنه قد قال إني أهتم فلا أتهم أو أنني أتهم ولا أهتم، حين قرأت كلمته عرفت ما رزئت به من هذه القسوة، فلم أقرأ السجال والمقال، وما أكثر ذلك جرت به أقلام المرتابين، يحملون على الماسونية ويتحاملون على من يتهمون، ولست في حاجة في ذكر الأسماء، فما عندي برهان على التبرئة، ولو كان المتهم العقاد، وما عندي موجد أصفق لهذا الاتهام، فكل ما أريده أكتبه تحت هذا العنوان (اتركوا الدعاية للماسونية).

فكثير من الأغلبية الذين فشى بينهم القلم أخذوا يكتبون عن أكثر من ضلالة يتظاهرون بأنهم يدفعون باطلاً بينما هم قد تدافعوا لترويج هذا الباطل، فالذين كتبوا عن أدونيس بحجة الرفض له إنما كانوا ينشرون أقواله، فإذا بعض شبابنا يقع في هذه الأحبولة بينما أدونيس ليس هو الأسلوب المنشور، وإنما هو الخلق المنكور نشروا أقواله نستقبلهم يدافعون عن الحق وهم يستبرئون من لقائنا متدافعين إلى ترسيخ الباطل.

وكتب آخرون عن البهائية فإذا هم لا ينالون منها، ولربما قد نالوا من قارئ قد تمرد بواقعة فزاغ عن فطرته وتفطر يتوقع بأن تلك حرية العقيدة حرية القول فكم هي الدعاية للبهائية بهذا كله.

واليوم كتبوا عن الماسونية وما أحسب أنني أتجنى على من كتب حين يأخذوني عاصم الظن بأن اليهود وراء ذلك يريدون حياة جديدة للماسونية، فهم حين يعرضون هذه الأسماء الضخمة الفخمة من عليّة العرب المسلمين وفي مصر بالذات يدعون القاريء، كن مثل أحدهم وقد تأخذنا الغفلة وسوء التقليد ليقول أحدا (يا أخي مادام كان ماسوني ليه أنا ما أكون ذلك).

والماسونية في مصر كل الذين كانوا فيها لم يكونوا على عقيدة وليس همهم المذهب، فما رأينا منهم ما يوحي بذلك لأن الماسونية في مصر «فانتزيا» كما يقول الأتراك أي تظاهر بالتعاضد، وأي مرة أخرى وعلى صورة أخرى كانت السبيل الذي يدخل منه من انتسب إليها إلى صالون (زينب فاضل)، أو التوصل إلى إدريس راغب عن طريق «صالون مي زيادة»، أو الحصول على رعاية ولي النعم كما يقولون الأمير محمد علي توفيق، ثم هي مصر رفضت وترفض كل ما يختلف مع إسلامها، كل ما يخالف عروبتها، ألم تكن مصر تحت سلطان الفاطميين رافضة الباطنية؟ أراد المعز ومن إليه أن تكون مصر فاطمية باطنية، فرفضت مصر ذلك لا تقول أنه سيف صلاح الدين فنعم هو ذلك، ولكن الأقوى من ذلك قوة العقيدة في الشعب، مسلمة عربية هي التي أعلنت صلاح الدين أن ينتصر، لقد كان جنوب مصر ومحافظة أسوان بيت الباطنية لكن صلاح الدين .. لكن شعب مصر قال لهم أخرجوا فإذا هم ينتشرون في أكثر من فريق شرق السويس بل وشرق الخليج ألم يكن الأزهر مؤسسة باطنية فإذا هو يطرد هذا المذهب أصبح المؤسسة المسلمة عالية القدر هادية مرشدة من عطائها ابن حجر ومن إليه ومازال عطاؤها باقياً إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم.

إن الماسونية ذهبت، فالحديث عنها حياة لها، وما أشد غبطة اليهود أن

تعود الحياة للماسونية، وعلى ذكر أسوان فالباطنيون يرون أسوان كعبتهم الثانية لهذا استطاعوا أن يملكوا جمال عبد الناصر قاتل الماسونية فيمنحهم قبراً لزعيمهم إسماعيل آغا خان في أسوان فلهم أمل أن تعود أسوان باطنية مادام قبر الزعيم فيها، إن بعض الأغيلمة يستعرضون العضلات يقرأون الضلالات وهم لا يعتقدونها ولكن لينظروا سعة ثقافتهم يكتبون عنها وكأنهم لا يدرون أنهم ينشرونها، فلو أني أخذت من أفضل في الملل والنحل عن بن حزم أو ابن الشهرستاني نحلة باطلة واستعرضت ثقافتي فنشرت عن فرقة ضالة لكنت آثماً لا يضر الفرقة الضالة النشر عنه، وإنما يضر الدين قد يفتنهم بعض القول من أقوالهم، كم من مرة وضعت كلمة الإمام ناصر السنة قاهر البدعة الإمام أحمد ابن حنبل حاجزاً ليّ وازعاً فلم أكتب عن أي فرقة حتى ما كتبه الآن لم أستعرض قولاً ضالاً فقد قالوا للإمام أحمد لماذا لا ترد على المخالفين؟ فقال تغمده الله برحمته (لا أحب أن أنشر أقوالهم) دعوا الماسونية لئلا تنزلقوا في الدعاية لها.

## العباسي الحسيني الجزائري ..

ولعلي لا ألتفت إلى الذين يستكثرون على عظيم مات أن يكتب عنه من عرفه راثياً له. فالعظيم الذي سجل في سفر حياتنا العربية المسلمة عمل المجاهد وجهاد المخلصين. ينبغي وقد حفظه القبر أن تحفظ ذكره القراطيس، ولعلي مرة أخرى ما زلت مصراً على أن أكون راثياً كثناء ومادحاً كثناء فقد حفظنا قول شاعر:

عظيم الناس من يهوى العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما

وإسلامنا وعروبتنا في تراثهما سجل من الثناء، على الذين يستأهلون الثناء فالإسلام الدين الوسط والعرب الأمة الوسط يرفضون إفراط النصرانية وتفريط اليهودية فالنصارى يؤلهون واليهود يقتلون بالجحود أما المسلم والعربي فشناؤه وسط لا إفراط ولا تفريط.

وهذه المقدمة لا تحسبوني أتستر بها يوم أخذت على نفسي أن أكتب رثاء للسيد العباسي الحسيني الجزائري الذي مات في باريس غريباً عن تربة الجزائر، والقريب كل القرب وهو يعيش فوق تراب المسجد الجزائري .. كان هذا المسجد تربته جزائرية ولو كان من أرض فرنسية فخارج المسجد عليه سلطان فرنسا، أما داخل المسجد فإن السلطان هو الإسلام دين الله الواحد الأحد داخل المسجد لا يحكمه سلطان من خارج المسجد كان

اقتبس ذلك من فتوى لصاحب أبي حنيفة ألا وهو يعقوب أبو يوسف الذي كان زينة الفقه في عصر الرشيد، فقد أنقذ هارون الرشيد من ورطة قسم - أقسم به على ابنة عمه زوجه السيدة زبيدة حلف عليها:

«أنت طالق إن بت هذه الليلة في مكان لا يخرج عن سلطاني» فأين تذهب؟ أعظم الأرض كانت في سلطان الرشيد وكل بغداد في سلطانه ولكنه أبو يوسف أفتى أن تبيت داخل مسجد جدها المنصور، حيث لا سلطان للرشيد داخل المسجد لا لأن المسجد ملك بناه المنصور.

وفقيد الجزائر مسجدي يوم لم تكن ثورة الجزائر إلا مسجدية، نشأ العربي المسلم الجزائري يعتنق مبادئ الثورة، المسلم فهو من الرعيل الذي نما له شأن في ظل تربية عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ولعله من جيل الطيب العقبي الفضيل الورتلاني وأمثاله الذين كانوا مسجدين يحتضنون إخوانهم الذين لم يتفرنسوا وإن حصلوا العلم في فرنسا.

ولقد عرفت العباسي الحسيني رئيساً لبعثة الجزائر.

أو هو مكتب الجزائر في مدينة جدة، كان يسكن هو وزميله سعيد البيان في شقة رياشها حنبل، فراشها وسائد ليست من القطن وإنما حشوها طرف أو هو شيء آخر.. لا سيارة فمركبه رجلاه والثوب جلده. وحين تكرم بعض المحسنين على المكتب بسيارة لم يكن هناك سائق وإنما السائق ولدي حسين محمد زيدان، حجزته عن الدراسة في لندن ليخدم ثورة الجزائر ولا أدري من أعطاهم السيارة، كل ما أدريه أن الذين بدأ إحسانهم يترى على الجزائر هم الجفالي إخوان، محمد رضا زينل إخوان عبد الله السعد ولم أعرف غير هؤلاء لكن الذي احتضن ثورة الجزائر من أول يوم هو.. هو فيصل بن عبد العزيز الأمير الملك كان يرحمه الله مع ثورة

الجزائر يشد عضد أخيه الملك سعود يرحمه الله، فأول بندقية أمسكتها يد جزائرية كانت من مصانع الخرج.

إن السيد العباسي الحسيني أخلص لثورة الجزائر، وكان لبقاً فقد استطاع القضاء على عبث «عابد أبو حافة» الذي أخذ يدس دسائسه ووساوسه، ولكن المملكة العربية السعودية لم تحجز مددها لثورة الجزائر كاد يتأخر المدد أياماً من المال الذهب أو هو الدولار لكن فيصل بن عبد العزيز الأمير الملك يرحمه الله أسرع بتوالي المدد، واستقلت الجزائر وما أكلت الثورة بنيتها، فإن لم يكن العباسي الحسيني في سلطان الحكم فقد مات وهو في سلطان الحكمة ليس لأنه الإمام داخل المسجد، عرفته نبيلاً وعرفه بعض أهلي لأن زوج ابنتي إبراهيم من أصل جزائري له مكان عند العباسي فأهل بيته وهي ابنتي هي التي نعت إلى هذا السيد، فقد سمع زوجها الخبر من إذاعة فرنسا، ولئن تأخرت أياماً فما ذلك إلا لأنني كنت صائماً عن الكتابة، وحين أفطرت أفطر قلمي عن هذا الرثاء بهذا العزاء وما زالت الجزائر عظيمة في جهادها كما هي اليوم عظيمة في اجتهادها.

## اليهود يتصيّدون الأطفال!

واليهود حين عصوا ربهم وقتلوا أنبياءهم وقذفوا رسلهم.. سلط الله عليهم أن يصبحوا بلا أرض.. بلا عرض.. تمزقوا في الآفاق.. كفروا بأنعم الله فعاشوا يعبدون الذهب بينما هم يستعبدون أنفسهم لكل الشر الذي ظنوا أنهم يكونون به السادة. فمارسوا الغواية لأنفسهم حتى قال الإمام سفيان بن عيينة: إن بني إسرائيل قد أفسدهم السبي فتركوا التوراة التي تحفظوا عليها فلم يحفظوها فإذا هم لا يتخذون وثناً شاخصاً يعبدونه، وإنما اتخذوا أنفسهم آلهة لأنفسهم، فاليهودي وثن نفسه من حيث أنهم تقولوا على الله أنه لهم وحدهم لا على أنه الإله الواحد.

ولكن لأنه الإله الذي ليس غير اليهود هم الأولى به نقمة سلطها الله عليهم. نسوا موسى عليه السلام. وقذفوا داود الذي قتل جالوت فأمكنهم دخول فلسطين، قذفوه بشر النعوت، فإذا علماء الإسلام هم الذين آمنوا بالأنبياء والرسل كفريضة الإسلام على كل المسلمين، فإذا هؤلاء العلماء يؤلفون الكتاب يدفعون قذف اليهود بالبرهان وبصادق الاعتقاد. اليهود قتلوا الأنبياء دنسوا، قذفوا الطاهرات فإذا هم يقدسون العاهرات. فإستير مقدسة وإن تدنس بما فعلت مع الإمبراطور الفارسي، وسالومي مقدسة مع أنها

ومن أجلها كانت السبب في قتل الرسول النبي يحيى بن زكريا قتلة اليهود من أجلها.

كل هذا يعرفه بابا الفاتيكان وتعرفه سجلات الأمريكان ومع ذلك فإذا أتباع المسيح بن مريم عيسى عليه السلام يتناسون كل هذا الخبث فممنحوهم وعد بلفور واعترفوا بدولتهم وأمدوهم بكل السلاح، ومحترف السحر في فرنسا كما هو في تاريخ أوروبا كلها يجد العون مدداً لا حد له ليمتص اليهود دم أطفال الحجارة فالطفل وفي يده الحجر متعة لليهودي يقتله اليهودي، وإن ضاقوا بأطفال الحجارة حين شوهدت سمعتهم إلا وهم يجدون في هؤلاء الأطفال فرصة إبادة الفلسطينيين .. قد يتركون الرجل إذا ما وجدوا الطفل ليقتلوا الطفل حتى لا يكبر لينمو به النسل .. يجهضون الأمهات كل همهم أن يموت الجنين لئلا تلد الأم الطفل الجبار .. ولكن الفلسطيني ما زال هو الجبار فإن لم يكن هو العملاق الآن طويلة قامته متين عضل فإنه الجبار بهذا الحجر .. جبروت الإيمان .. جبروت الحق .. جبروت الأرض التي ما دخلها وأوغل إلا أوغلت فيه تقهره .. تسخره لئلا يكون المغولي أو الصليبي أو اليهودي .. لئلا يكون ذلك .. فالكينونة له أن يكون وكأنه ابن الأرض.

ولكن إلى متى يكون العرب على هذا الوضع الطائفي؟

لا تحسبوا أن في لبنان الطوائف فحسب، فالعرب في كل أقطارهم طوائف كل قطر طائفة وحتى داخل كل قطر طوائف بل حتى إن الفلسطينيين خارج الحدود طوائف وما عرف ذلك إلا المملكة العربية السعودية فإنها بالدعوة .. بالتضامن العربي وبالدعوة إلى المؤتمر الإسلامي أرادت أن تشن الحرب على هذه الطائفية الإقليمية .. ومذهبية، فلعلها وقد فعلت ذلك ينعم



عليها الله بالنجاح، أفليس من الطائفية أن يفترق الشامي عن المصري والمصري عن المغربي فلعلّها بشرى أن تعانق دمشق القاهرة لأن تاريخنا يحفظ أن الهزيمة حين يفترق شرق السويس عن غرب السويس. . وأن النصر قد نلناه بأكثر من معركة حين تعانق شرق السويس مع غرب السويس. . حطين كانت كذلك. عين جالوت كانت كذلك. ولا أدري كيف ينتهي الأمر وقد ضاقت الحلقة على اليهود فهل تكون نتيجة من هذا الانفراج يسمونه عالمياً مع أنه لم يكن إلا الانفراج بين موسكو وواشنطن.

موسكو ما زال فيها المدد بالرجال لليهود، فهل ينقطع المدد والآخرين عنهم المدد بكل ما يعطي الطغيان قتل أطفال الحجارة وإجهاض الأمهات؟

## دُعاة الإسلام أُمس

وعن دعاة الإسلام أُمس أكتب ما عرفت عن هؤلاء الفقراء ليس في جيبهم درهم .. وإنما في قلوبهم الإيمان، لم ينشروا الإسلام بالفلوس وإنما نشرته تقوى النفوس! كانوا المثل العليا .. مركب الواحد رجلاه والثوب جلده، ولكنه امتطى الأرض كلها من المغرب الأقصى، مغارب وصلوا إندونيسيا .. ومن حضرموت واليمن رحالة وصلوا إلى إندونيسيا .. ولا أدري من هم الذين وصلوا إلى الصين .. ومنهم الذي وصل إلى منشوريا .. كل هؤلاء نشروا الإسلام .. فالإسلام إذن صبر .. النصر بالجهاد أو هو نصر الصبر للمجاهدين .. وهو بذلك نصر الذين افتقرت جيوبهم واغتنت قلوبهم .. والذين وهم الأفارقة هداهم الفتح العظيم إلى الإسلام فأخذوا يفتحون قلوب الأفارقة في كل القارة، فإذا هؤلاء السمر بيض القلوب كيباض أسنانهم حين اعتنقوا الإسلام .. ولعلي أرشد من يريد التوسع في المعرفة عن هؤلاء وهؤلاء أن يقرأ كتاباً وإسمه «حاضر العالم الإسلامي» ألفه أمريكي ترجمه درزي استنارت حواشيه بما كتبه أمير البيان شكيب أرسلان .. ففي هذا الكتاب تاريخ معرفة .. ومعرفة أمل في أن يبقى الإسلام في إفريقيا حاجزاً للتنصير المسيحي الذي استغول حين تغير أسلوب الدعوة .. كيف؟ لا أستطيع أن أكتب الإجابة فما يوم حليلة بسر .. الداعية أُمس مضرب المثل فهو قدوة ..

الإسلام في إندونيسيا أول من نشره مغاربة فكان الذين اهتموا به انتسبوا إلى مذهب مالك، فالمغاربة أهل الثبات والإثبات ما زالوا الثابتين على فقه المدينة المنورة فقه المسجد النبوي فقه أمام دار الهجرة مالك بن أنس.. وما زالوا أيضاً الثابتين على قراءة أهل المدينة قراءة نافع مولي أبي نعيم. وحين قلّ المغاربة في إندونيسيا وكثر الحضرميون واليمانيون وقليل من أهل المدينة الأدلاء والمطوفين من أهل مكة.. كل هؤلاء بشروا بهداية الإسلام فاهتدى من كنا نسميهم الجاويين الذين لا ننسى عمارتهم للمسجد الحرام، فما أكثر من حج منهم، وما أطيب من سكن في دار السكينة والأمن «مكة المكرمة» وسمعت حديثاً عن مغربي.. بوسيلة أسلم على يديه الكثيرون فما هي الوسيلة؟ لقد كانت ديكاً صغيراً لا يصلح للمهارشة اقتناء حتى إذا حضر ذلك اليوم الذي تقام فيه المهارشة بين الديكة المدربة وصل إلى المكان ومعه ديكه الصغير فتهاوش ديكان فغلب أحدهما الآخر بسكين.. شفرة صغيرة تربط في زجل الديك لينتصر على صاحبه. فكلا الديكين في رجل كل منهما شفرة وبرز الداعية الفقير.. الغني بإيمانه يرسل ديكه الصغير يتهاوش مع الديك المنتصر ولم تمض لحظة كأنما القوي سخر بالضعيف.. ولو كان ديكاً فإذا الضعيف يقفز يضرب الديك بالشفرة فإذا هو قد نفق فعجب الحاضرون وسألوا عن قوة ذلك الديك الصغير فأمسكوا به يفتشون عن مصدر القوة فوجدوا رباطاً في عنقه في داخله قرطاس مكتوب عليه الشهادتان (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فسألوه عن معنى ذلك.. فقال معناه «الإسلام» فنطقوا بالشهادتين وأسلموا. لقد ضرب لهم مثلاً مادياً كساه بالقوة الروحية.

ولدي خبر آخر كنت قد كتبت عنه من قبل أعيده الآن.. ففي عودتي

من الولايات المتحدة عن طريق طوكيو تشرفت بزيارة الداعية المسلم الياباني (الشيخ عمر ميت) وقد تطرق الحديث إلى الكثير .. حتى أنني فيما أذكر كتبت أن يكون الدعاة بإسم الجمعيات لا عن طريق أي دولة فعن طريق المعاهدة والجماعة المسلمة يتعد الشك عن علاقة الدولة بذلك لينتفي تأثير النسبة إليها وقد حدثني هذا الداعية الياباني عن خبر ما كنت أعرفه، ولعلي تخطيته فلم أقرأه في حاضره العالم الإسلامي أو أنه لم ينشر فيه، وهذا الخبر هو عن عدد المسلمين في منشوريا في الشمال الشرقي من الصين قال إن عددهم يبلغ خمسة وعشرين مليون مسلم ومسلمة وأغرب ما في هذا الخبر كغرابه الكم وأكثر .. أنهم كانوا على مذهب مالك بن أنس هل كان الداعية من المغاربة؟ فلو وصلهم الإسلام عن طريق «كاشفر» عاصمة التركمستان الشرقية في شمال غرب الصين لكان مذهبهم الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ولو وصلهم عن طريق ثغور الصين لكانوا أحنافاً. فإذا لا بد أن المبلغ لهم والمبشر الداعية وصلهم عن طريق إندونيسيا يوم كانوا مالكية، أو أن بعض المنشوريين اعتنقوا الإسلام في إندونيسيا فرحلوا إلى وطنهم مبشرين يعتنقون مذهب إمام دار الهجرة. كان هذا الحديث قبل خمسة وعشرين عاماً. فهل ثبت المنشوريون على إسلامهم أم تغير بعضهم؟ هل كانوا يزيدون أم ينقصون؟ وتأتي المقارنة اليوم الذي استشرى فيه التنصير المسيحي بين المسلمين في إفريقيا وفي الشرق الأقصى .. إن هذه المقارنة بسيطة .. المنصر المسيحي طيب أو ممرضة يسكن مع الأفارقة في الأكواخ يعالجون مرضاهم لا يتظاهرون بأنهم هم الأعلون .. فيألفهم الإفريقي حيث ائلف معهم .. فيعتنق المسيحية أما غيرهم فلا يختلطون وإنما هم يخطبون في المساجد. ولكن سكنهم بعيداً عن سكنى هؤلاء الذين بقوا على وثنيتهم أو تنصروا اختلف الأسلوب فانتصر المنصرون

المسيحيون ولكنها تجربة أسأل الله أن يبصر دعاة الإسلام بما يصلح بهم ولهم .

وما كتبت إلا تعقيباً عما سمعت في ندوة النادي الأدبي بين رئيس رابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله نصيف . والثابت على الرابطة ديناً وسلوكاً . . الدكتور محمد عبده يمانى فاتني أن أحضر فما وصلتني الدعوة إلا يوم الأربعاء السادس عشر من شهر رجب . . يوم أن أملت هذا . . مع أنني أصل كل يوم إلى صندوق البريد وجدت بطاقة الدعوة ومعها دعوة لمحاضرة يوم صدور هذا المقال في جريدة «المدينة» مع أنه يمكن توجيه الدعوة لمثلي بالتلفون . . يتلفنون لي فلا أتأخر عن اجتماع يطيب لي حضوره ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

### - صورة :

وما دام الشيء بالشيء يذكر . . فلا بد أن أكتب عن صورة ، مازال يتجسد أمامي إمام مسجد كلكتا المؤذن في المسجد النبوي ومن أشهر المؤذنين حين ذاك ، كان عذب الصوت حين يؤذن عرفته في المدينة المنورة مؤزناً ليس إلا ، ورحل إلى الهند ، ذو هامة وقامة فإذا هو إمام المسجد في كلكتا يحترمه المسلمون هناك ولم يروا عليه ما يعاب فأجزلوا له الثواب احتراماً ورعاية فذاع صيته في المدينة الكبرى وفيما حولها ويومها كانت الهند وحدة الإمبراطورية لم تنقسم ، وحدثت أزمة الهوان من الهنادك على المنبوذين وهم رعييل من الهندوة احتقروهم فنبذوهم . . وهكذا عندما ينقسم الشعب إلى طبقات تصبح فيه طبقة منبوذة مهانة . وزرنا الشيخ (أبو بكر أبو النور) كعادة أهل المدينة وهم في خارجها وكان صاحبي في هذه الرحلة هو الشيخ محمود شويل ، واتخذنا مجلسنا فإذا نفر من المنبوذين بوذيون أقبلوا

على مجلس الشيخ على شكل طابور، تقدم الأول ليعلم إسلامه حيث يجد العزة إذا ما أسلم، فالمؤمنون إخوة، وأخذ الشيخ يلقيه الشهادتين وأركان الإسلام، وأركان الإيمان، وهذا المسلم منذ نطق الشهادتين أصبح موضع الاحترام وتلاه الآخر وما بعده إلى هنا ولا غبار على الوضع، فقد أخذنا السرور بالذين أسلموا وبهذا الإمام للمسجد داعية يسلم على يديه المئات من المنبوذين بحرية فيها معنى الطرد من قومهم ومعنى الترحيب من القوم المسلمين لكن هذا الشيخ (أبو بكر أبو النور) أدهشنا حين شرع يلقي أركان الإيمان فينطق الركن السادس من أركان الإيمان هكذا (أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى) ينطق كلمة القدر بسكون الدال لا بفتحه، كأنه لا يفرق بين الدال المفتوحة والدال الساكنة التي يتغير بذلك المعنى، فالكلمة بسكون الدال معناها الكم من الشيء لا تعني الإيمان بقدر الله بفتح الدال، سكتنا حتى انصرف الذين أسلموا، وكانت دموع الشيخ محمود شويل تسيل وكأنها دموع الفرح، والشيخ محمود شويل جهير الصوت قد يغلط إذا ما غضب ويشد إذا ما أنكر، ولكنه مع هذا الداعية تطف، وبصوت خفيض، يعلمه صحة النطق وكأنه يستحي منه لأن عظمة العمل هدأت محمود شويل وما رأيت وأنا عشيره هادئاً مثل هذا الهدوء فانظروا إلى ثقة أبي النور بنفسه وثقة الناس فيه بينما هو لا يملك من العلم شيئاً وإنما ملك الصدق في العمل.

## الإسلام ينتصر بالحرب ضده

والإسلام دين الحق حفظه الله، دين الإنسانية جميعاً، هو للناس كافة سرمدي لا دين بعده، هو خاتمة الأديان، ونبي الإسلام خاتم الرسل المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ابن عبد الله هو خاتم الأنبياء والرسل فلا نبي بعده، ولا رسول بعده، فهو بكل هذا ينتصر على الذين ينتصرون بالحرب فأهل الأهواء هوت مذاهبهم إلى العدم، والملحدون أكلتهم حسراتهم، فالإلحاد عذاب للنفس يشغل صاحبه بالحيرة فإذا هو المهترق الفاسق، فكل الذين كالوا الحرب على الإسلام لم ينالوا منه شيئاً وإنما هو نصر الله لدينه نالتهم الهزيمة.

وآية النصر للإسلام على من يحاربونه هو في قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الصحيح «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ويعجبني فكر الكاتب الإسلامي صاحب البيان الرافعي مصطفى صادق قال «إن الكافر والفاجر إذا تناول أحدهما على الإسلام فيهب المسلم يدافع عن دينه، وهكذا فهم الرافعي كأنما الحملة على هذا الدين تحرك المدافعين عنه».

وفي هذه الأيام نبعت ضلالة في كتاب ألفه مرتد ونشره في لندن لا أحب أن أذكر اسمه وأتجنب أن أذكر فسوقه، فهذا الملحد المرتد أثار ثورة ظنها الثائرون عليه تنال منه، بينما هي قد أشهرته وأظهرته، جعلته مشكلة دولية فهناك من أمر بإهدار دمه وأعلن الجوائز لقاتله، وهناك من أعلن جواز

الحوار معه ليبصروه ولينتصروا عليه حتى إذا تاب منحه العفو، إن الإسلام ليس فيه من يهدر دم المرتد في ثورة غاضبة ثم أعلن الطلب منه أن يعتذر كل ذلك كان إعلاناً لو دفع هذا المرتد لوسائل الإعلان آلاف الدولارات لما تحققت له هذه الشهرة، فالإسلام عزيز، فلربما مسكين من الركع السجود رفع يديه بالدعاء أن يهلك هذا الفاجر فإن هذا المسكين قد أدى حمايته لدينه والله ولي الاستجابة لأنه جل جلاله هو حافظ الذكر، ولم تفتني هذه الخاطرة أكتبها لأول مرة وهي أنه ما دام هذا الإسلام خاتم الأديان والرسول النبي المبلغ له خاتم الرسل فإنه محفوظ من الله لا ينهزم من أحد، لأن ناصر الله فلو لم يكن خاتم الأديان، ولم يكن المبلغ له محمداً بن عبد الله خاتم الرسل ربما يدخل الشك لمستريب أن يظن أنه في إمكانه النيل منه، دين سرمدي خالد لن ينال منه أحد، ولعلّي أعتذر عن سوء الظن حين اتهمت بعض ذوي السلطات في بغداد حيث لم يمكسك ببشر المريش الذي سخر من الدين وأنكر الثواب والعقاب إلى آخر فسوقه في مذهبه الضال لأن الرشيد يرحمه الله حين سمع بسخرية المريش بالأنبياء في حديثه مع الإمام الشافعي قال هارون الرشيد: «والله لئن ظفرت به لأقتلنه»، فزعمت أن بعض ذوي السلطان أنقذوا المريش من غضب الرشيد ولكني اليوم أحسن الظن بالرشيد وحاشيته، فلعلّه استرشد أو بعض حاشيته أرشدوه ألا يفعل مع المريش ما يكون سبباً في شهرته، لأن قتله ينزع الخوف من أعوانه فيتكاثرون، أما وهو خائف من القتل، فيبتعد عنه أعوانه، فإذا هو يموت محسوراً في حسرة الملحد، ولا غرابة فيما ذهب إليه بشر، فهو يهودي وذلك ما ذهبت إليه اليهود، أتركوا هذا الملحد في لندن فلو تركتموه لنال منه مسلم مسكين أكثر مما نلتم بل أنلتموه ما يريده أعداء الإسلام، أكثرتم السواد حوله وتلك مرحلة لا بد أن تكون لأن في نتيجتها تبصرة لئلا تكون.



## حديث مع الرئيس جورج بوش

والحديث أكتبه على القرطاس في كلام أتحدث به إلى الرئيس جورج بوش يتضح ما هو عنه أو هو له أو ما هو به، فبالأمس تُوجَّ جورج بوش رئيساً للولايات المتحدة فإذا هو الواحد والأربعون في عداد الرؤساء الذين اتسع بهم سلطان البيت الأبيض، كما أن البيت الأبيض يعلن عن اتساع الأرض الأمريكية والقوة الأمريكية والسياسة الأمريكية.

إن الرئيس جورج بوش وافته الحظوة أن يكون في البيت الأبيض أربع سنوات كرئيس مباشر بينما هو قد كان في البيت الأبيض الرئيس غير المباشر، فالتهنئة له لا أستطيع كعربي لي علاقة بالولايات المتحدة إلا أن أتوجه بها إليه، فرغم ما يجد العربي من بعض الذي تمارسه الولايات المتحدة نحو أصدقائها من العرب، فإن هذه التهنئة يحظى بها الرئيس جورج بوش لأنه اكتسبها حين تخلى عن منافسه الرئيس رونالد ريغان، فقد رشح نفسه في انتخابات الرئاسة كعضو في الحزب الجمهوري ضد الرئيس ريغان، فإذا الحظوة يمسك بها حين تنازل عن المنافسة ورضي أن يكون نائب الرئيس ريغان، لهذا أطرح سؤالاً فهل تنازل عن المنافسة لئلا يخسر الحزب الجمهوري فيكسب مرشح الحزب الديمقراطي؟ قد يكون ذلك، أم أنه تنازل بالمساومة يكسب بها نيابة الرئيس؟ فليس هو بذلك كله قد باع

سمسماً مقشوراً بغير مقشور، فهو بالصبر قد ربح أن يكون هو الرئيس الآن.

والتهنئة مرة أخرى في تفاؤل جورباتشوف مع حلف وارسو كما هو تفاؤل شعوب الحلف الأطلسي وكما هو مرة ثالثة تفاؤل العرب وتشاؤم اليهود.

إن الرئيس جورج بوش قد ورث تركة مثقلة بالديون على حد تعبير سعد زغلول، صنع السلامة من الاتحاد السوفياتي، وترسيخ السلام في الشرق الأوسط، وتصنيع السلام للولايات المتحدة فلم تُعدّ قوة الردع صانعة الخوف لعداء الولايات المتحدة، بل إنها تصنع الخوف لشعب الولايات المتحدة، فقوة الردع سلاح ذو حدين، فكم من مرة أشرعت الولايات المتحدة قوتها الرادعة في الحرب الكورية فلم تكسب النصر ولم تلحقها هزيمة، ولكنها في فيتنام خسرت النصر ولم تكسب بقاء الهيبة، فالاتحاد السوفياتي إن لم يكسب النصر فقد اكتسب النفوذ لدى شعب فيتنام الذي انتصر، وكادت الولايات المتحدة أن تخسر الصين صديقاً قوياً تحجبه الصداقة عن أشغال الولايات المتحدة في الحرب الباردة التي خاضتها مع الاتحاد السوفياتي. كأنما الولايات المتحدة مشت الهوينا في العدول عن غطرسة القوة فهل يصدق تفاؤل الإنسان في كل القارات بأن الرئيس جورج بوش يسير بالولايات المتحدة إلى الاعتدال بكل معنى الكلمة ليكون العدل هو كل الكلمة؟ إن الرئيس جورج بوش طرح في خطاب التنصيب وحين أقسم بالعهد الدفاع عن الحرية وعن الديمقراطية وعن حقوق الإنسان. من هنا يسأل العربي ابن الحرية في الشرق الأوسط وللعرب وبالذات، فالواقع أن اليهود في فلسطين قد ملكوا كل الحرية بغطاء الحرية الأمريكية التي

تحررت من معونة الأصدقاء العرب وباعت حريتها إلى اليهود، كأنما قال جواهر لال نهرو لابنته انديرا إن الحرية في بريطانيا لا تعبر قناة السويس إلى الشرق فلنقل إن الحرية في الولايات المتحدة هي أيضاً لا تعبر جبل طارق ولا قناة السويس، والديمقراطية أحسب أن الولايات المتحدة وهذا شعارها الذي طرحه جورج واشنطن ورفاقه أصبحت تهتز في الولايات المتحدة نفسها ليس من دكتاتورية الإدارة وإنما هي من دكتاتورية الكونجرس.. وحقوق الإنسان تتصدر الاتفاق في أي مفاوضة مع الاتحاد السوفياتي من أجل حقوق الإنسان، وما الإنسان الذي يريدونه إلا اليهودي المطلوب تهجيريه من الاتحاد السوفياتي ليكون قوة قاتلة لحقوق الإنسان العربي سواء كان طفلاً في يده حجر، أو أمّاً في بطنها طفل، كل هذا هو التركة المثقلة بالديون، والأمل في الرئيس جورج بوش أن ينشر الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان بالمساواة لدى كل الناس، لا نطلبها للعرب، ولا تقتصر على الأفغان، وإنما لتنتصر في شمال إيران ومن أجل إيران، فلعلّ الرئيس جورج يعرف موقف الرئيس روزفلت يوم أصر على ستالين أن يسحب كل جنوده من شمال إيران، ولعلّ الرئيس جورج بوش يعرف أن الانسحاب من أفغانستان طعم يصطاد به جورباتشوف مكاناً آخر لأن عمق الباكستان يحول دون وصول جورباتشوف إلى ما يريده من البحار الدافئة، وسؤال آخر لماذا كانت الحراسة ساعات القسم شديدة إلى الحد الذي سمعناه؟ هل هو التقليد القديم؟ أم أن الأمن قد تغير؟ والنتيجة هي في الأمل أن يصدق التفاؤل بيقظة هذا الرئيس الذي لم يصل إلى الرئاسة إلا وهو الخبير كل الخبرة الأمريكية والعالمية.

## الكلام .. حجر يهوي في قاع النهر!!

ومازال هناك الكثير من الاستعداد «لترصد» الكلام وتحريفه وامتهانه .  
وإبرازه وهو يرتدي مسوح المنطق والحجة ومن الداخل عار .. ليصبح وسيلة  
سهلة وقذرة لغايات ذاتية وطافحة بالقيء!!  
أصبحنا «نقول» كثيراً و«نصغي» قليلاً .

أصبحنا لا نطبق الصمت «الجميل» ولا الإصغاء .. فصار من طبيعة  
البشر الآن أن يهاجموا بالكلام إلى درجة الافتراس!!

وهذا الكلام مباشر في صراحته وربما يكون موجعاً .. لكن الأكثر  
إيلاماً هو: أن يكون لهذا الجيل الواقف في ساحات المعرفة والعلم  
والمنطق غايات من الكرتون .. تندس في تضاعيفها أشياء هشة يسهل حملها  
وسرقتها من الناس ثم لا تكون هناك - بعد ذلك - مبالاة أن تأتي الخسارة  
في المنطق أو في السلوك، أو في نزاهة الحوار!!

\*\*\*

كنا في «جلسة» ضمت بعض الذين (يتعاطون) الكتابة وبعض رجال  
الأعمال!!

وانطلق الحوار من الجالسين وبهم إلى محاولة الإجابة على سؤال  
يقول:

- ما جدوى الكتابة.. إذا كان الكثير لا يقرأ إلا ما يريد هو؟!  
بمعنى: أن هذا القارئ «الحديث»! لا يرغب في مزيد من المعرفة، إلا  
عن شيء يخصه، مثل أغلب الشباب الذي يشتري الصحف ليقرأ صفحات  
كرة القدم فقط!!

وتحدث أحدهم.. وكان من «فئة» الكتاب، فقال:

- هل نتكلم بصراحة؟! إذن ألا تتفقون معي أن القليل جداً هو الذي  
يقرأ بتركيز، وبرغبة في العوافة؟!

- وسألناه: في رأيك.. من هو القارئ الحقيقي لما يكتبه الكتاب  
اليوم؟!

- قال مبتسماً: إنهما قارئان فقط.. قارئ كاتب، يقرأ ما يكتبه الكتاب  
الآخرون، ربما لأنه يريد أن يتسقط هفواتهم، أو يسفّه آراءهم، أما القارئ  
الآخر فهو الكاتب ذاته، أو قارئ نفسه.. الذي يعيد قراءة ما كتبه بعد  
الطبع!

\*\*\*

- وسألني «قارئ» عبر سطور رسالة «ودية» جداً فقال لي:

- هل أنت ترى، أم تفكر؟!

- هل أنت تعرف أم تمارس؟!

- هل المفاهيم.. متوارثة؟!

وكتبت إليه محاولاً أن أجيبه على أسئلة تضج بالإصرار على الرؤية  
والاكتشاف:

- قلت له: إن المفاهيم الفكرية والأدبية يضاف إليها، فهو ما يُستمد

من الرؤية المعاصرة ومن الحاجة ومن الابتكار ومن الحالة الاجتماعية ..  
بما ينعكس على عطاء الأديب والمفكر والفنان انعكاساً يرتبط بالعلاقات  
الاجتماعية والدولية وبالأخلاق، وبالسلوك الاجتماعي وبالوعي في ممارسة  
الماديات واستخدامها.

ومن قديم .. كانت هناك عبارة قالها الفيلسوف الفرنسي «بيار شاردان» هي :

- إما أن ترى .. وإما أن تموت!! فالرؤية محور في التفكير، وفي  
المعرفة، وفي الممارسة، وفي السلوك، وحتى في العاطفة. الرؤية معرفة،  
ومفهوم جديد أو متطور، وحقيقة، وفكرة .. يعطيها العقل إيجابية الحياة!!  
لذلك .. أحتفظ - بإعجاب - بعبارة قالها في أذني أستاذي الكبير «محمد  
حسين زيدان» منذ سنوات هي :

- «الكلمة تصنع الحضارة» .. لكن الحضارة قاتلة للكلمة التي صنعتها!!  
ولذلك - أيضاً - تساءلت فرعاً :

- ما الذي تبقى من الكلمة، ومن الثقافة .. وما الذي يمكن أن تعطيه  
الحضارة بعد ذلك؟!

في بعض ما نقرأ «صحافياً» .. نكتشف أن هناك من يزور الصدق  
ويغمر العقل في حرارة الرمل كما النعامة!.

إن هذا الذي يمارس التزوير للكلمة .. لا بد أنه فقد الشجاعة ليقول :

- ليس هذا رأيي، ولا قناعتي، ولا وعيي .. وإنما هو ظرفي!!

ونقرأ - أحياناً - لبعض الذين يكتبون عن: القيم، والمثل، والمنطق،  
والحقيقة .. فنكتشف أن هذا البعض يقع بين فكي الازدواجية: «دكتور  
جيكل - مستر هايد» !!

إنهم يتحدثون عن «النظريات» ويتجادلون فيها. . وفي تلك الحوارات العجيبة، تتضخم «الشيزوفرنيا»!

إنهم يعجزون عن «التطبيق» أو حتى مجرد تطوّر تطبيق تلك النظريات! ولقد كان هذا المرض. . هو لعنة ما حكمت به المصالح، حتى على مستوى قضايا الأمة العربية قاطبة. . ثم تسللت إلى الفكر، وأصبحت «اللغة» ظاهرة خطيرة!

إننا نطمح بلا شك إلى أن نجعل ما نسعى إليه قادراً على خدمة الحياة والأهداف. . بالوضوح، وبالصدق، والإيمان!

إن الأدب يصبح لعنة، وتتحول الكتابة إلى «ظاهرة». . عندما يختلط الحابل بالنابل، وعندما يصير «التخطي» هو حضارة الفهم، وعندما نتذكر مضمون الحديث النبوي الشريف: «من علامات الساعة: فُشُوُ القلم»! وهناك لغة أخرى تلاحق الكاتب، وتتمثل في معنى هذه العبارة التي قالها «جورج سنتيانا»:

- «تقف الثقافة دائماً على حافة نقيضين كبيرين: إن كانت رفيعة، فهي قليلة الانتشار، وإن كانت عامة. . فهي قليلة القيمة»!!

أما الخلاص من هذه اللعنة. . فهو - فيما يلوح - ضد طبيعة العصر الذي نعيشه، ذلك أن البناء والهدم هما التجانس الفريد في عصرنا!!

فهل هناك أكثر من هذه اللعنة ضد الفكر، وضد الجوع والوجدان!!

\*\*\*

إن «الكتاب» ضرورة للإنسان. . ليتعلم، ويتطور، والذين لا يكلفون أنفسهم أن يرتادوا المكتبات، لاختيار كتاب. . سيستمرون في الدائرة

المفرغة، وسيشربون فراغ الوقت، وغياب «القيمة»!

إن هناك مثقفاً «أمياً».. ذلك الذي جفت عاطفته، وطحنه التوتر.. فلم تعد الثقافة، ولم تعد الكلمة تؤثران فيه، وتصيغانه إنساناً حضارياً متفوقاً على عنعناته، وذاتيته، وممارساته!

إنه الذي يضيع منه وجدان في متاهات، ذات خطوط متشابكة! إنه الذي ينطبق عليه قول كاتب أمريكي اسمه «رودلف فريدمان»:

- إن المرء لا يظل على قيد الحياة.. إلا طالما يظل يتوقع الحب!!

\*\*\*

هكذا.. ما أسرع ما تتحول الكلمات إلى حجر يهوي في قاع النهر! فهل نحاسب أنفسنا على ما نقوله من كلمات، وعلى ما نمارسه لتشويه دور وعطاء الثقافة؟

هل الكلمات هي التي تحاسبنا على وضعها في المكان غير المناسب لها؟! إن العالم يطفح بالكلام.. والإنسان يتوعد زمنه، ويفقد زمنه! لا شيء يحتفظ بتخومه.. وكل الذي بين شفاهنا: كلام فقد معناه! إننا نحلم بالكلام، ونتعاطف بالكلام، ونتاجبذ بالكلام، ونتحارب بالكلام، ونتصافح بالكلام.. والكلمات تحولت إلى حجر يهوي في قاع النهر!!

\*\*\*

- إلى اللقاء :

«الكاتب الكبير»: هو الذي تنخر في عظامه جرثومة الشجاعة..

والكاتب الصغير: هو الذي يبلع قبل نومه برشامة القناعة!!



## أيام الجاهلية تُذكر . . وأيام الإسلام تُهجر!

وهذا عنوان أمليته فإذا بي أتذكر هذا المثل يجري على لسان العامة «من معرفته بالصحابة يترضى عن عنتر»!

فالعنوان زورته في نفسي، فإذا المثل هذا عون لي فشاعر الربابة في كل إقليم عربي ينشد الملاحم، فكل الذين يسمعونه يحفظون الأسماء في هذه الملاحم . .

إن العامة أيام شاعر الربابة كانوا يملأون المقاهي حتى إذا أدوا الفريضة في المسجد يسرعون إلى شاعر الربابة، ولا يمكنون يسمعون الدرس في المسجد.

وليس السبب شاعر الربابة، وليست التبعة على العامة، فالمسؤولية على فراغ المساجد من الشيخ المعلم الذي يلزمهم حديثه عن الأبطال في الإسلام عن كل ما في السيرة العطرة، بالسماع له والالتفاف حوله. فدرس المسجد ليس وقفاً على الفقه، فما أجمل أن يكون عن التفسير، إن تفسير سورة التوبة يتعلم منه السامع حب الإيمان وبغض النفاق، حب الجهاد وكرهية التخلف، كما يعلمه قبول التوبة، وما أكثر ما في التفسير والحديث من دعوة تجعل العامي طالب علم. فقد وجدنا أسياننا من العامة يعرفون الحلال والحرام ويسلكون الآداب المسلمة لأنهم تعلموا من الشيخ في المسجد ذلك.

شاعر الربابة أبقي على اسم عنترة وأبي زيد الهلالي ودياب وخليفة وزيدان ومعروف بن جمر وسيف بن ذي يزن . . أكثر العامة يعرفون هذه الأسماء ولكنهم لا يعرفون أبا دجانة، عمرو بن الجموح، عبد الله بن حرام، سعد بن معاذ، إلى الكثير من هذه الأسماء من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه . .

إن أيام الجاهلية كل عربي في كل إقليم يفخر بها؛ لأنها أيام العرب، لأنها أيامه، ولا يكاد يذكر أن «بدرًا» يوم النصر للإسلام كان من خير أيام العرب، أعطاهم النصر، وما ذلك إلا من عطاء الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) وآيات عظيمة علمتنا كيف نعرف نصر «بدر» نعمة من الله.

فالنبي محمد رسول الله ﷺ المهاجر إلى المدينة يعود فاتحاً لمكة بعد أن انتصر في «بدر» بعد أن قُتل الشهداء في «أحد» بعد هزيمة الأحزاب في غزوة الأحزاب «الخندق» كانت هزيمة الأحزاب بريح صرصر عاتية ساقها الله عليهم ناصراً لمحمد، ينتصر الإسلام.

كل هذا الانتصار لا يكاد يعرفه من العرب إلا بعض طلبة العلم، يمرون عليه مروراً، في إقليم يرى هذا النصر خاصاً بالمهاجرين والأنصار لا فريقاً من العرب مع أنه وأنفه راغم ما هو إلا النصر تنقاد له كل الانتصارات بعده، ف «اليرموك» بنت «بدر» و«القادسية» عزيمة من عزائم «بدر» و«حطين» المنتصرة على الصليبيين نعمة من «بدر».

«بدر» هزم الله بها الشرك، و«حطين» هزم الله بها الصليبيين ولكن بعض الأقاليم العربية يرون «حطين» انتصاراً مصرياً شامياً حتى أن صلاح الدين بعضهم ينفي عنه الشامية وبعضهم ينفي عنه المصرية، مع أن صلاح الدين

مجاهد مسلم ليست العربية فخره وإن كان من خير المستغرقين في العروبة .  
يرفضون نصره مع أنهم ما اعتزوا إلا به ، وما بقي «أزهرهم» وما بقيت  
المنارة البيضاء في دمشق إلا بنصر «بدر» و«اليرموك» و«حطين» و«عين  
جالوت» كانت الكلمة فيها «وإسلاماه» ولم تكن «واعروبتاه»! قائدها الذي  
يحلو لي أن أتغنى بما ألقبه العبد مرتين الملك مرتين . . إن النصر في «عين  
جالوت» أزاح الستار لا عن مصر ، وإنما عن الشام والعراق ، أزاح ظلاماً  
أظلمت به الدنيا على المسلم ، ولكن هذا العظيم صاحب اليوم الأغر لا  
يزال في نظر عبدي القبيلة والإقليمية عبداً مملوكاً فارسياً غير عربي .

شيئاً من الحياء أو من الرحمة لأنفسكم أن تفخروا بسيبويه وأبي حنيفة  
وابن الرومي وابن المقفع وأبي نواس ، وتبخسون الملك المظفر «قطز»  
وصلاح الدين ويزداد بخسكم للسيدة الملكة العبد «شجرة الدر» قادت  
النصر فأسرت لويس التاسع وأجلت الصليبيين لم تقم لهم قائمة بعد هذا  
النصر .

إن بعض الأقاليم الأخرى يرون ذلك نصراً مصرياً ، مع أنه نصر مسلم  
وعربي ومصري . .

إن هذه الأيام التي انتصر فيها الإسلام القائد الأول فيها هو انتصار  
«بدر» حتى النصر على المستعمرين ما كان إلا من وازع التاريخ لحماية  
التاريخ بحماية التاريخ . .

إن من المؤسف حقاً أن لا تحفل الجامعات والمساجد بذكر أيام  
الإسلام على أساس صحيح بلا طرقية ولا مجاذيب ولا تجديف ، ولا أدعو  
إلى أنها مواسم دينية كما ادعى ذلك بعض علماء الأزهر ، وإنما هي مواسم  
تاريخية تزيح من العامة تأثير شاعر الربابة ، ونعلمهم ما جاء في القرآن

والسنة، وكتب السيرة الصحيحة، حتى يذهب الترضي عن عنثرة ليترضى المسلم على كل الصحابة الذين هم قادة النصر لم يقتصر نصرهم على يوم واحد، فكل يوم انتصر فيه المسلمون هو ولا شك يعود إلى انتصار «بدر» و «اليرموك» و «القادسية» وما بعد ذلك . .

والنصر في العاشر من رمضان، سواء بالعبور أو حول جبل الشيخ، لم يكن نصراً إقليمياً لمصر أو لسوريا، وإنما هو الانتصار للعرب جميعاً.

إن الإقليمية ما زالت تذكر أيام الجاهلية فخراً بالعرب وتهجراً أيام الإسلام من تأثير الإقليمية . .

## - مع المقدمة -

والشيء بالشيء يذكر، فالملك المظفر «قطز» لماذا ألقبه بالعبد مرتين والملك مرتين؟

كان ذلك لأن «قطز» و«جلنار» ابنة خاله الملك جلال الدين ملك فارس كانا يلعبان، غفل الحراس عنهما، فاسترقتهما عصابة، فمن بائع إلى مشترٍ لهذين الرقيقين، فبيع قطز في دمشق وبيعت جلنار في مصر . .

يا لقسوة الفوضى وفقدان الأمن!

وكان في دمشق سلطان العلماء سيدي الشيخ العز «عبد العزيز بن عبد السلام» فإذا المكنون يصل هذا العبد قطز بالشيخ، لأن سيده كان أخاً صدق للشيخ، فتولى الشيخ تربيته، كأنما المكنون في علم الله قد أعد «قطز» هذا الرقيق ليكون صاحب يوم «وإسلامه» .

وسجن السلطان المنشق العز، لم يحترم شيخوخته وعلمه، فإذا قطز

بزي حلاق يدخل السجن بإذن ليميط الأذى عن الشيخ فما لبث أن يدعو الشيخ يلبس لباس الحلاق يمسك بأدوات الحلاق ليخرج من السجن على صورة الحلاق ..

وخرج الشيخ يركب حماره يصل إلى مصر، ويخرج قطز من السجن فيجد سيده قد امتلأ شكراً له يعتقه فأصبح حراً ..

ولكنها جلنار، حبيبته ابنة خاله، عرف أنها في مصر، فسار إلى مصر، حتى إذا وصل إلى النخاس ليسأله عن جلنار فيعرف أنها بيعت، فهي من جملة المماليك في مصر، ويطلب قطز أن يراها.

قال النخاس: لن تراها حتى آخذ منك ثمن ذلك. ولم يكن مع قطز درهم ولا دينار كان معه حبه، كان معه فقه الشيخ، دعوة الشيخ، فباع نفسه للنخاس ليدخل في جملة المماليك ويرى جلنار ..

وتدور الأيام، فإذا دعوة الشيخ يستجيب لها الله يصبح قطز الملك المظفر صاحب «والإسلاماه».

من هنا فهو العبد مرتين، باعه السراق وباع نفسه.

أما الملك مرتين فهو من بيت مُلك خاله جلال الدين، ثم صار الملك، فهو الملك مرتين ..

واغتاله الظاهر بيبرس فإذا المجدفون لبيبرس يسرقون الملك المظفر قطز، فبعضهم كتب حتى لقد قرىء ما كتب في مدارسنا أن صاحب «عين جالوت» هو الظاهر بيبرس. سرقوا التاريخ لحساب الظاهر. وسرق الظاهر حياة قطز.

زلة تحسب على الظاهر ولكنه حين أصبح الملك قد أدى واجبه فكان عظيماً من ملوك المماليك . .

المماليك لم يبقوا عبّدي، فالشيخ ابن عبد السلام حكم عليهم بأن يبيعوا أنفسهم ليشتروا أنفسهم وليصبحوا أحراراً . . جزعوا أول الأمر وجاء السلطان إلى بيت الشيخ مهتداً يتوعد، فخرج الشيخ يلبس ثوب الإيمان ليس عليه تاج وليس على بدنه حرير أو كتان، خرج الشيخ للسلطان فقال ابن الشيخ: إنه يقتلك فقال الإمام المؤمن: «يا بني . . إن أباك هيّن عليه أن يقتل في سبيل الله»، ولم يكن ذلك هوان القيمة للشيخ، فعزة الإيمان ما كانت يوماً هواناً . .

وارتجف السلطان، وخضع المماليك ليقف الشيخ يبيعهم، واحداً واحداً فقد ملكوا من المال ما اشتروا به أنفسهم، فذهب الرق عنهم وأصبحوا الملوك .

استعرقوا في مصر، فلئن ظلم بعضهم فقد كانت له أيام أزاحت الظلام عن مصر وعن الإسلام . .

## - صورة

سألني من أملى عليه:

- هل حب جلنار، أم الإيمان، أم الشيخ جعل من قطز عظيماً؟

قلت:

- الإيمان حب، والشيخ كان حباً، وجلنار كانت حباً، فحب قطز كان مزيجاً من كل ذلك .

فاستراح سائلي؛ لأنني نبشت بعض ما فيه!

## المجمع الفقهي الإسلامي

وليس بدعاً أن يعقد مؤتمر القمة الإسلامي الثالث في المسجد الحرام في مكة المكرمة، وليس بدعاً مرة أخرى أن ينعقد مؤتمر الفقه الإسلامي في مؤسسة المجمع الفقهي في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

ذلك أن المسجدين الحرمين هما الجامعتان الإسلاميتان اللتان صدرتا الفقه الإسلامي إلى عالمها المسلم، لأن الإسلام سطع نوره نبوةً على حراء، ورسالةً على الصفا، ودراسةً في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم على الصفا، وتعليماً واسعاً تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ في مسجده الحرم الثاني.

فالعودة إلى أن يكون مجمع الفقه ينعقد أول مرة في مكة، ما ذلك إلا برهان الصحوة ونور اليقظة في أمة القرآن، أمة السنة، أمة الإسلام، وقد كانت هذه الصحوة قد تفاعل بها الملك «فهد» فانطلق في خطابه يرحب بها كأنه يبشر المسلمين بأنهم على الطريق حتى إني لا أفتئت زوراً إذا ما دعوت هذا المؤتمر أو هذا المجمع إلى أن يكون خطاب جلالته وثيقة من وثائق المجمع بل وميثاقاً لهذا المجمع.

فهناك تعبير كتعريف للشريعة الإسلامية ألا وهو.. الكتاب والسنة من مصادر الفقه الإسلامي، تعريف لا أحسب أن المجمع الفقهي الإسلامي

سيرضى عنه لأن التعريف الذي أنا على يقين بأنه يرضى عنه هو: «الكتاب والسنة هما المصدر للشرعية الإسلامية والفقهاء الإسلاميين» لأن الإجماع والاجتهاد والقياس ما كان كل منها إلا ومصدره الوحيد الكتاب والسنة. وإذا ما قلت آنفاً أنه ليس بدعاً أن ينعقد هذا المجمع في مكة المكرمة، ولعلّه سينعقد مرة ثانية في المدينة المنورة، فإن فقه الصحابة انتشر من المسجدين حتى أصبح التعريف للفقهاء على صورتين: فقه الحجاز وفقه العراق.

وليس في ذلك التقسيم يتعادل به الفقهاء أو يتناقضان، وإنما كان ذلك صفة لما اجتهد به فقهاء البلدين في الفروع، وإلا ففقه العراق مصدره إذا ما كان عن فقه ابن مسعود وأنس ومن إليهما ومن أخذ عنهما من الأئمة، فما هو إلا فرع من أصل هو فقه المسجدين، كما أن فقهاء المغاربة حتى قرطبة ما كان إلا من هذا الأصل.

ولقد قلت من قبل أن مذهب أهل الحجاز بإمام دار الهجرة «مالك بن أنس» كان أقدم انتشاراً، حتى وصل إلى «الأندلس» في الغرب، وحتى أصبح يتمذهب به الآن ومن قبل أكثر من ثلاثين مليوناً في أقصى المشرق في منشوريا، وحتى أن مذهب «مالك» كان مذهب المسلمين في أندونيسيا قبل أن يتحولوا إلى مذهب «الإمام الشافعي محمد بن إدريس المطلبي الهاشمي».

أما مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان فقد أصبح أوسع انتشاراً بسلطان العباسيين والعثمانيين.

وهناك ظاهرة استشرفناها - كاتب هذه السطور وحمزة شحاتة - حين وضعنا بين أيدينا «المغني والشرح الكبير» لابن قدامة، و «المحلى» لابن



حزم، وإذ قرأنا حديث رسول الله ﷺ للزبير بن العوام: «احبس الماء حتى يبلغ كعبيك ثم أطلقه ليروي أرضه من بعدك» - أو كما قال ﷺ . . فوقف الأستاذ حمزة شحاتة مكبراً يقول: «هكذا يخلق الله الحوادث ليكون التشريع . وإلا فكيف أجد بين يدي هذه المجالات الضخمة مليئة بالأحكام فقهاً مشرقاً، مع أن الزمن الذي تم فيه هذا التشريع عشر سنوات، ومع أن المجتمع في المدينة لا كهرباء ولا كثرة من الناس، لكنه الله منح رسول الله هذه الأحداث يتم فيها التشريع والفقه».

وكأنما المجمع الفقهي الإسلامي سيعود بنا إلى قول مالك بن أنس: «لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فالعودة إلى الكتاب والسنة على نور من مذهب السلف، والخيرين من الخلف، فيها الخير كل الخير.

\*\*\*

## - ولي العهد -

وأصغت الأسماع إلى كل مذياع، تتابع الرحلة الخيرة التي قام بها صاحب السمو الملكي الأمير «عبد الله بن عبدالعزيز» ولي العهد يسرع بها إلى ليبيا ودمشق وبغداد وعمان.

رحلة لم ترد بها المملكة العربية السعودية إلا أن تدفع ضريبة «العربي على السنام والمسلم على الذروة»، إلا أن تلبية نداء الواجب، تدعو إلى الألفة والتضامن، إلى نبذ الخلاف.

فقد ارتفع الملك «فهد» وارتفع سمو ولي عهده عن القيل والقال، لا يلتفتون إلى ما يكدر صفو العلاقات؛ لأن مسعاهما أن تصفو العلاقات

العربية، ليتوجه العرب في وحدة الألفة والتضامن للدفاع عن أنفسهم، حرباً على عدو، وسلماً بين الأخ وأخيه.

فالمملكة العربية السعودية حريصة كل الحرص على أن يتوحد العرب في عقيدة واحدة، وقيادة متحدة، ليست هي الإمبراطورية، وليست هي الخلافة، وليست هي الانفراد في الزعامة، وليست هي خاضعة للاستقطاب، وإنما هي قد دعت إلى التضامن في مسيرة واحدة لإنقاذ العرب من أنفسهم إذ يختلفون، ومن أعدائهم حين يتحدون.

\*\*\*

## - خبر -

وسمعت خبراً أذيع، قالوا: إن الولايات المتحدة بوسائل استكشافها الفضائي تعطي سوريا وإسرائيل صوراً عن تحرك جيش كل منهما لتكون إسرائيل وسوريا على علم بما يدبر للآخر.

وقد رابني هذا الخبر، فهل تعطي لسوريا الصورة كاملة، وهل إسرائيل رضيت أن يكون ذلك، وهل سوريا تثق بذلك؟

أم أن وراء الأكمة ما وراءها مما لا أعرفه ويعرفه الذين يثقون بذلك، أو الذين يرتابون منه؟!

وهناك سابقة، ففي غارة إسرائيل يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م كان هناك تضليل في المعلومات التي أعطاها السوفيت لمصر، وهناك تضليل لكل العقبات في الأخبار الصحيحة التي أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل «والليالي من الزمان حبالى».

## نصير العراق نصير إيران!!

والعربي في أي مكان لا بد أن يكون نصيراً للعراق في حربه مع إيران، وهذا العربي الذي ينصر العراق لا يريد هزيمة إيران، فهل هذا من الازدواجية في شيء.. أم هو التزاوج بين إسلام العربي وعروبه؟! إن العراق أرض عربية، وشعب عربي، عقيدته الإسلام، كما أن إيران الخط الأول من الشرق في الدفاع عن غرب الخليج كله، بل وعن العراق وعن الشام.

فهذا الوضع المتزاوج يحتم على العربي أن ينصر أخاه العربي. وفي الوقت نفسه يحتم على المسلم عربياً وأعجمياً أن لا يرضى الهزيمة على شعب مسلم.

موقف صعب.. قد لا تطيقه النفوس، ولكن العقول والمبادئ تعصم النفوس. فإذا العاطفة مع العقل، وإذا العقل لا يتجنى على العاطفة.

لماذا لا نريد هزيمة إيران؟!

لأن الهزيمة لهذا الشعب تجر الهزيمة على العرب فيما يأتي بعد. لأن من هم شمال إيران وشرق إيران يتحنون الفرصة، ينتصر بها اليسار المتطرف، تصبح إيران في نطاق إمبراطورية الكرملين، فيتولى اليسار بزعامة «كارمل» الجديد، فإن الخسارة إن تسلطت على شعب إيران فإنها مسلطة على من هم غرب وشمال إيران.

إننا نناصر العراق، نمنع الهزيمة عنه وعنا، لأن هزيمة العراق هزيمة للأمة العربية كلها، فلئن انتصرت إيران فإن نصرها هو جالب النصر لإسرائيل .

فكم نحن العرب في أمس الحاجة لئلا يهزم العراق . نمده بكل وسائل النصر، ولا نخشى في الحق لومة لائم، وقد كان وزير خارجية الكويت الوزير الشيخ صباح الحمد صريحاً حين أعلن نصر الكويت للعراق . مع أنه يعرف مدى الخطورة من هذا التصريح .

### ولكن مرحباً بالخطورة دفاعاً عن النفس ونصراً للأخ!

من هنا، ألحت دول مجلس التعاون الخليجي على الترحيب بالسلام، وبذلت كل جهد في سبيله . وما سكت عن الدعوة إلى السلام العرب غرب السويس . فالسلام يشد أزر إيران، يجعلها تستفيق من صدمة الحقد إلى بسمه الكلمة التي أشرق نورها على حراء، واتضح برهانها على الصفا . . «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ورادفتها الكلمة النور ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) وأنشدت الحضارة . . حضارة المسلمين كلمة نبي التوحيد بتوحيد الكلمة قوله عليه الصلاة والسلام «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله رجال من فارس» .

### أيها الفارسي . . زعيماً لشعب أو شعباً نصيراً لزعيم

يتوجه كل مسلم عربي إليك أن تبشر صناعة السلام . لسلامتك أولاً، ولسلامة العرب منك ثانياً ومن الذين يريدون الهزيمة لك لينتصروا بها على إسلامك وعلى العرب .

العرب الذين كان حبك لرجال منهم هو الرابطة لك، أطفأت النار  
الوثن والمانوية الإباحة، فإذا فيك ومنك أولئك الذين تهدم بيوتهم في  
البصرة.. سيويه وأبو حنيفة وابن المقفع «والأئمة صوّان السنّة، حفاظ  
الإسلام حفاظ القرآن».

### أيها الشيعي ..

باسم الرجال الذين أحببت.. أسألك أن لا يكون الحب وازع البغضاء،  
فالإمام عليّ كريم الوجه لم يكن هو الذي أطفأ النار، الوثن، وإنما كان  
الإسلام، وإنما كان أبو بكر، وإنما كان عمر.  
تعالوا إلى كلمة سواء.

وأريد أن أقولها صريحة.. إن أي عربي يناصر العراق يرد الهزيمة عنه  
هو في الوقت نفسه نصيرٌ لإيران، يريد أن تثوب إلى السلام.  
أما الذين يعينونها على حرب العراق من أي قبيل، فإنهم قد خططوا  
لهزيمة إيران قبل هزيمة العراق.

فإسرائيل مثلاً.. هل تريد نصر إيران؟

ومن هم أشبه بإسرائيل في احتراف البغضاء للعراق وللعرب إلا كما  
إسرائيل، كما إمبراطورية الكرملين، كما كل عدو للعرب؟ والعون لإسرائيل  
أعطاهما فرصة أن تستمر الحرب مع أنها ليست في صالح الذين لا يعرفون  
حماية مصالحهم، فأیما قطعة غيار للسلاح هي إسفين يدق لهزيمة إيران  
بدعوى النصر لها.

## - عن المقدمة -

والوازع الذي جعلني أكتب ما قدمت، سبق لي موقف أشبه ما يكون به. كان ذلك عن أخوتي للباكستاني وصادقتي للهندي.

فيوم كانت الأزمة شديدة بين الهند والباكستان، والحرب قد اشتعلت ساخنة بين شعبي الأرض الواحدة أفليس هذا الوضع الذي ذكرت أشبه ما يكون بهذه العلاقة، أخاً للعراق عربياً مسلماً وأخاً للإيراني جاراً مسلماً؟! . . مع الفرق بين العلاقتين. فالصدقة للهند لا تبلغ مبلغ الأخوة لإيران.

فمن هنا، لا أمتنع عن صداقة الإيراني، ولكنني أمتنعه بأي جهد أن يمد يده بسلاح على أخي العراقي.

\*\*\*

## - صورة

قال لي أحدهم: ألا تظن أن إسرائيل ومن معها من أعضاء الكونجرس الأمريكي قد أعجزوا الإدارة الأمريكية أن تبيع السلاح للكويت؟ قلت: هذا صحيح.

فقال: أو لا تظن أن الذين أطاعوا إسرائيل من أعضاء الكونجرس قد تعمدوا أن يكونوا سماسرة لإمبراطورية الكرملين؟ قلت: أوضح. . فما أبعدني عن تصديق ذلك. .

قال: إن أعضاء الكونجرس هؤلاء قد أعطوا للاتحاد السوفياتي قيمة السلاح الذي تبيعه للكويت، لتشتري به موسكو صفقات القمح، فهم لا

يسألون عن قيمة السلاح يدخل جيب إمبراطورية الكرملين، لأنه وبأسرع ما يكون سيدخل الجيب الأمريكي ثمناً لصفقات القمح، وما خفي من عجائب التكنولوجيا.

قلت: أنت سييء الظن.

قال: بل أنا صادق الظن، فعضو الكونجرس قبل أن يكون سياسياً هو رجل «البزنس»!

## الديمقراطيون صنعتهم المفاجآت!

الديمقراطيون صنعتهم المفاجآت، فإذا هم يألّفونها، بل ربما صنعوها. فهم في تاريخ الولايات المتحدة يشبهون الأحرار في بريطانيا. إن تاريخ الولايات المتحدة لم يكن طويلاً وإنما كان عريقاً، وأحسبني لا أجاوز الصواب إذا ما قلت أن الحزب الديمقراطي صنع اتساع العرض لهذا التاريخ أكثر مما صنع الجمهوريون.

فالجمهوريون قد صنعوا ما يفاخرون به داخل الولايات المتحدة، أما الديمقراطيون فالمفاجأة منحتهم أن يصنعوا به عرض التاريخ خارج الولايات المتحدة، ولا أريد أن أستطرد في الشواهد أو البراهين، فسأحصر الموضوع بما صنعه الديمقراطيون من هذا الاتساع خارج الولايات المتحدة.

فالديمقراطيون كتب لهم أو عليهم أن تحدث الحرب العامة الأولى إبان رئاسة ولسون وهو ديمقراطي. فإذا الولايات المتحدة يسمع اسمها في كل مكان على الأرض. بل وإن كثيراً من الشعوب التي فرض عليها الانتداب أو تخطرت عليها الوصايا لو سئلوا ليختاروا الدولة المنتدبة أو الدولة الوصي لاختاروا الولايات المتحدة، فسمعتها كانت حينذاك عريضة ومستحسنة.

ففي هذه الحرب العامة الأولى خرجت الولايات المتحدة من العزلة،



فانتصر بها حلفاؤها. وإن تجرعت من هذا النصير الخذلان، فقد عاد الرئيس ويلسون يحمل سخرية لويد جورج وصلب كليمنصو.

## مفاجأتان مع روزفلت

وئارت الحرب العامة الثانية فإذا رئيس الولايات المتحدة ديمقراطي فرانكلين روزفلت. فالرئيس روزفلت صنع مفاجأتين أو صنعتها المفاجأتان. فالكساد الاقتصادي صانعه، والخروج من الأزمة الاقتصادية هو صانعه، والمفاجأة الثانية حين جرت بيرل هاربر يوم اعتدى عليها اليابانيون إلى أن يخوض الحرب العالمية الثانية.

وتبعت ذلك مفاجأتان.. الانتصار لحلفائه، وبروز إمبراطورية الكرملين. فلئن كان هتلر دمر إمبراطوريتين.. فرنسا وبريطانيا، فإنه وعلى يد روزفلت صنع إمبراطوريتين.. تبسطان اليوم نفوذهما على العالم.. البيت الأبيض والكرملين.

فالحصيلة من ذلك كله أن الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة له أن يفخر بأنه صانع المفاجآت حين تصنعه المفاجآت.

والسؤال هنا: هل يصبح وولتر مونديل رئيس الولايات المتحدة الثالث، ويصحو من نومه على مفاجأة الحرب العالمية الثالثة؟!!

ليس بعيداً أن يكون ذلك. فالديمقراطيون يتلمظون أن يكون لهم شأن. فهم إما أن يبادروا إلى تخفيف ما بينهم وبين الاتحاد السوفياتي، أو إلى الوقوف أمام سياسة الولايات المتحدة كواقع الآن، فتشتد الأزمة وتكون الكارثة!

من هنا قد يلجأ الجمهوريون ليفوزوا بالرئاسة إلى «عرافة» لا يقارعون

بها «جير الدين فيرارو» وإنما يبثون الخوف في الشعب الأمريكي، تتكهن «العرافة» عن وقوع الخطر إذا ما فاز وولتر موندل بالرئاسة، وأمامها برهان تخدر به الشعب الأمريكي . . ولسون وروزفلت تحذر شعبها لئلا يقع في الكارثة.

أتخيل ذلك، فقد يلجأ إليه بعض الجمهوريين، يخترعون الكذبة، حتى إذا شاعت بدأوا يصدقونها.

### تعهد بحماية إسرائيل

إن الحزب الديمقراطي في مؤتمره الذي انعقد في سان فرانسيسكو قد أعطى «العرافة» بعض البرهان. فقد كان من برنامجهم تكريس الطغيان اليهودي في فلسطين، يقررون تعهدهم بالحفاظ على أمن إسرائيل، يمدونها بالسلاح، ويقررون جهراً أنهم سيمنعون السلاح عن العرب. ويعني ذلك أن يبقى الشرق الأوسط مجالاً لإشعال الحرب الساخنة بين اليهود والعرب، وبين العرب وأنفسهم، وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بصورة غير مباشرة، كما هو ذلك في أمريكا الوسطى.

وحين يستعرض تاريخ الولايات المتحدة بالديمقراطيين نجد أن القس جاكسون قد امتد به عرض جديد، فجرة جاكسون هي التي أعطت العربي المتأمر كجيمس زغبى أن يرفع صوته العربي بلغة التحدي الأمريكية، فإذا المؤتمر أصبح كأنه الجودي . . استوت عليه السفينة، فإذا الشعب الأمريكي آري يافثي، ويهودي وعربي ساميان، وجاكسون ومن إليه حاميون.

ولا أكاد أعدل عن الصواب إذا ما نقلت عبارة مثقف، قال «إن موقف جيمس زغبى وجاكسون قد وضع عام ١٩٨٤م بداية تاريخ جديد ينتصف به

الأمريكي المستضعف من اليهود حين ينتصر على سلطان اليهود». ومرة أخرى فإن موقف جاكسون وزغبى يحسب في عداد المفاجآت، تصنع للديمقراطيين مرحلة جديدة، أو هم قد يصنعون بها مراحل جديدة.

## مفاجأة الديمقراطيين

وأخيراً.. كدت أنسى المفاجأة الديمقراطية، كآخر المفاجآت! فقد تقدم ستة من نواب الحزب الديمقراطي، وهم من الولاية التي ينتسب إليها والتر مونديل.. تقدموا باقتراح ضمنه الحزب في برنامجه وتمت المناقشة عليه في مؤتمر سان فرانسيسكو! فهؤلاء الأعضاء الستة طالبوا بالعمل والاعتراف بتأسيس دولة فلسطينية! تلك مفاجأة يحسب حسابها، كأنما هي خروج على موقف الحزب من الحفاظ على أمن إسرائيل، أو كأنما تأسيس دولة فلسطين في نظر هؤلاء الأعضاء هو صمام الأمن لإسرائيل! والسؤال هنا: هل لم يعلم والتر مونديل باقتراح زملائه المنتمين إلى ولايته، لتكون تلك مفاجأة له.. أم أن المفاجأة هي من والتر مونديل نفسه، أو عزلهم، فهو إن لم يكن قد مارس التمثيل في السينما، فقد أخذ يمارس الإخراج السينمائي.. إذا ما كان هو صاحب هذه المفاجأة؟!

## اليهود . . بين التكتل والفرقة

ومجال القول أصبح ذا سعة، فالكاتب لا يجد مانعاً يعجزه أن يكتب عن اليهود، فالتاريخ من قبل وحتى الآن يتسع، بما حمل من أحداث وجرائم، لأي كاتب أن يتناول الموضوع خصوصاً إذا ما كان الكاتب عربياً.

من هنا أجد أمامي وضعين كل منهما عكس الآخر فاليهود أصبحت لهم دولة، فقد احتلوا فلسطين، والوضع الآخر أن وجود هذه الدولة، كتجمع لليهود في مكان واحد وتحت سلطان واحد، فيه القضاء على بقاء اليهود في أمان التجمع، فوجود الدولة اليهودية كواقع لا ينبغي أن يحملنا على اليأس، لأن استقرارات التاريخ وعبره تطرح ما يلي:

أولاً: كثيراً ما كتبت عن الجرعات المخدرة يصنعها الكهنوت اليهودي لذر الرماد في العيون، فمثلاً: أزمة اقتصادية في إسرائيل - طائفة إرهابية في إسرائيل - الحكومة الإسرائيلية تحقق مع الإرهابيين. فزعمت أن هذه الأخبار تزيعها إسرائيل لبلبله الرأي العام ولإعطاء العرب مخدراً يصور لهم أن إسرائيل على حافة الإفلاس أو تعيش في إرهاب الإرهاب.

ثانياً: لكن الواقع الآن في إسرائيل، وإن لم ينف ما زعمت قبل، فإنه

لا يتنافى مع ما يحدثه التكتل اليهودي في أرض واحدة وتحت سلطان واحد.

**ثالثاً:** أنهم حين تجمعوا في سيناء تحت قيادة الرسول النبي موسى أهلكوا أنفسهم وحين تم لهم التجمع الكبير في فلسطين، في ملك داود وملك سليمان، سمأوا هذا التجمع وتفرقوا شيعاً، أسباطاً ومذاهب، حتى تمنوا موت سليمان عليه السلام، بل إنهم كانوا تحت سلطان سليمان على غير وفاق معه، فأعوان سليمان والبنائون لم يكونوا من اليهود، وإنما كانوا من غيرهم تدمريين أراميين أو مرده شياطين.

**رابعاً:** ولعلّ في دعاء الرسول النبي سليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ (ص: ٣٥) ما يؤيد ما قلت، فلئن كانت الاستجابة عامة، تشمل كل إنسان لا ينبغي أن يكون له ملك كملك سليمان، فإنه ولا شك يشمل اليهود بصفة خاصة، والواقع للمستقرئ والمستنبط يؤيد أنه لم يكن لليهود بعد سليمان ملك ولا سلطان ولا تجمع، فبعد موته تبعثروا بالسبي، بل وهم بعثروا أنفسهم لأنهم لم يطيقوا استئناف تجمع آخر في فلسطين.

وهكذا فإنني لا أحسب أنني مجازف في إبداء الرأي، وهو أن اليهود في فلسطين بدأوا يتحركون ضد التجمع ليتفرقوا في الآفاق، إنهم ضعاف داخل التجمع، فلولا مدد السلاح وتفرق العرب لبرز الضعف أكثر وأكثر. أما بعثرتهم في الآفاق فإن سلطانهم يتسع ليس بأسلوب السلاح، وإنما بأساليب شتى، أهمها أنهم رجال المال، وأنهم يستطيعون بشتى الوسائل أن يكون لهم حبل من الناس، فالشتات في الآفاق قوة لهم، والتجمع في فلسطين فيه الضعف وفيه ما ينذر بانهيار هذا التجمع، فاليهودي لا يطيق أن يظل تحت السلاح أمداً طويلاً.

وإن نداء شامير إلى الدول الكبرى أن تترك الحرب الإيرانية العراقية دون تدخل منها، ليتم هلاك الفريقين، هذا النداء ما هو إلا النتيجة لسببين: الحقد اليهودي أولاً، والخوف من قوة العرب ثانياً، فهو يخشى أن يمتلك العرب السلاح المتطور. الحقد أولاً والخوف ثانياً، ولكن ما أبعد أن يتحقق التخويف لليهود، وإنما المحقق أنهم تحت ظل التجمع يخافون أنفسهم أكثر من الخوف من غيرهم.

## نيكاراجوا . . وإسرائيل . .

ولكي تتضح لي الصور الكثيرة من الأخبار أو بالأولى ما وراء الأخبار أجد نفسي مشدوداً إلى أن أسمع إذاعة واشنطن - صوت أمريكا - أو إذاعة مونت كارلو . .

ولست بذلك مجافياً للإعلام العربي وإنما أنا بكل ذلك لا أرتاح إلى إذاعة لندن . .

فالإعلام العربي لا تجده يتلفز لنا أو يذيع علينا إلا ما توظفه وكالات الأنباء . . أما أمريكا فهي إن وظفت الأخبار للهدف الأمريكي فقد تجد فيها ما يدعوك إلى أن تعرف ما وراء ذلك . . حتى إذا ما عرفت وجدت الفرصة لأن تتبصر ما وراء الأخبار . . ولتعرف مدى التناقض الذي يحترفهم ويغترفون منه :

بسطة هذه المقدمة لأصل إلى ما يلي :

١ - إن إذاعة «واشنطن» تشدد حملاتها على «نيكاراجوا»، إنها شيوعية تمارس الطغيان على الشعب، تسلط الإرهاب على رجال الكنيسة، تغتال . . كل هذا يصفون به الواقع في «نيكاراجوا» ويضعون أنفسهم في موقف المنقذ للإنسان عملاً بمبادئ الشعب الأمريكي (إن من حق الإنسان أن يعيش حراً على أرضه لا يضام في حق ولا يسام بظلم).

٢ - وأنا كسامع لما تقدم أكاد أكون النصير للولايات المتحدة.. ولكن سرعان ما أرفض أن أكون ذلك لا رغبة في الوفاق «مع نيكاراجوا» ولكنه هو الرفض لهذا التناقض في سياسة الولايات المتحدة.

إنه ازدواجية في السلوك.. فالولايات المتحدة التي تحارب الطغيان في «نيكاراجوا» ما زالت نصيراً لإسرائيل.. كأنما «تل أبيب» هي «نيويورك» الجديدة..

إن الحرب على الطغيان كمبدأ ينبغي أن يشمل كل الطغاة..  
إن «نيكاراجوا» أرض واحدة ملك لشعبها، فإن طغى فريق من الشعب بقيادة زعيم فما هو إلا نزاع الشعب مع نفسه وعلى أرضه.

٣ - أما طغيان إسرائيل فما وجدت إلا على أرض لا تملكها.. وكانت قمة الطغيان في وعد بلفور وهو في اعتراف الذين اعترفوا بها، وهو في طغيان العون لإسرائيل.. فالعون للطغاة طغيان ما أشد مرارته..

٤ - إن إسرائيل - أعني اليهود - يتسلطون بكل الشراسة على الشعب الفلسطيني وأرضه ومقدساته.. إغلاق الجامعات لم تفعله «نيكاراجوا».. قتل النساء والأطفال في صبرا وشاتيلا وفي عين الحلوة لم تفعله «نيكاراجوا».. ولكن الانفعال الأمريكي ينكر على «نيكاراجوا».. والفعل الأمريكي يؤيده الطغيان الذي هو أشد من طغيان «نيكاراجوا».

٥ - وحتى إذاعة صوت أمريكا بدأت تنحرف عن النطق بالعربية إلى النطق بالعبرانية.. فقد أصبحت السين شيناً ينطق بها عربي موظف في إذاعة واشنطن.. فمن المضحك حقاً أن أسمع لساناً عربياً ينطق اسم (سيرلانكا) تسمعه ينطقها (شيرلانكا).. أليس هذا مسخاً لا ينال من السين العربية شيئاً وإنما ينال من السمعة الأمريكية كل شيء.



٦ - وفي خبر أخبرني به صديق لعلّه سمعه من صوت أمريكا أو من مونت كارلو ولم أسمع أن إعلاماً عربياً قد أذاعه.. فما هو هذا الخبر؟ إنه خبر يترجم لنا الفرنجي ترجمة صادقة كما ترجمه شاعرنا «رشيدي سليم الخوري».

لأمر يلاقيك الفرنجي باسماء فزد حذراً ما زاد ذئب تودداً تراه صحيح الود وهو سقيمه كما تكسب الحمى الخدود تورداً

فهذا الخبر هو أن «جيسكار دستان» رئيس جمهورية فرنسا السابق قد اتهم نفسه حين عق «الديجولية» أنه زار إسرائيل، ويظهر أنهم احتفلوا به أكثر مما احتفلوا بالرئيس «ميتران» أو يظهر أنهم اشتروه.. يعدونه بأنهم سيمنحونه رئاسة الجمهورية في المرة القادمة..

لقد قال هذا الفرنجي أنه قد أخطأ في حق إسرائيل.. ما كان يعرف أنها هكذا.. فحين زارها وجد أنها تستأهل أن يكون لها ومعها..

أليس هذا اتهاماً قد وضع نفسه موضع ادعاء الجهل.. وحقارة أن أصبح عميلاً لليهود؟

وأخيراً.. لماذا لم نسمع ذلك من الإعلام العربي؟

الجواب لأن وكالات الأنباء قد وظفتنا نمجد الموقف في السلفادور أمريكياً.. ونغضب من الموقف في نيكاراغوا غضباً أمريكياً.. ويخفون عنا أخبار اليهود طغياناً صبه على العرب كل الذين يتبرأون من الظلم بينما هم الذين سلطوا الظلم حيث شاؤوا وبما شاؤوا.

## ميزانية الدولة

وحبسنى حابس الفيل بتلك التي . .

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

ولكنها حين غسلتني بأربعة سجام استفتت اليوم أن أملي لا أتأخر عن  
جدول أيامي، أكتب عن ميزانية الدولة.

لقد تسمعت إلى بيان الملك فهد عن الميزانية بيان «مُقَارَن» يقارن  
الكثير بالأكثر، يعلن عن التقدم يقر بعزم الملوك أنه سائر على الطريق  
عقيدة مسلمة صافية، وعملاً بناءً ضافياً كأنما هو قد أعلن المسؤولية الشاكرة  
(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ) ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾  
(إبراهيم: ٧).

فالمقارنة كثيراً بالأكثر تعني وضوح الأرقام ولكن أرقام الميزانية كانت  
معانٍ استمدت وضوحها من وضوح الرؤية، صادقت الماضي بكل الاحتفال  
يوم كان الحمد شعارنا، وصادقت مع الحاضر والمستقبل حين كان الشكر  
دثارها.

لقد كنت في كل ميزانية أتفاءل حين أنشد «وكل حاجز يفيض ويمتليء»  
- وبيان الملك اليوم - فعام الميزانية يومها كان يعلن أن الحواجز قد فاضت

وامتلاأت ولن يلحق بها جفاف إن شاء الله، ولكن حراسة هذه الحواجز، وأعني بها كل المؤسسات والسدود، والطرق، لا يحرسها من الجفاف إلا تحمل المسؤولية عن ذلك فمسؤولية الدولة أعلنها «تاجها» الملك فهد. أما مسؤولية الشعب فما أحسب أن شعباً قد جاع كثيراً في عماية التاريخ وهو صانع التاريخ إلا أن يصون كل عمران، كل بناء حضاري، كل مدرسة انتشرت، كل جامعة انتصرت، كل مؤسسة تعطي الشعب قيمة المواطن ولكن بقيم المواطنة. فالمواطنة قيمة ترتفع بالقيم التي يعرف الشعب أنها في أعراقه الذي أعطى وما أخذ، والذي مازال يعطي ولن يبخل، والذي عاقوه فما انشق.

فإذا من أهداف الميزانية أن تعالوا يا شعوبنا إلى كلمة سواء، هي أن نكون يداً واحدة، وإن تفرقتم عنا مذاهب تصدون معنا عدواً شرساً حتى أسال علينا النفط يهلك الحياة في الخليج.

إن ميزانية الدولة أسقطت الأوصاف، فلا نقص، فالمدخر وفير، نبني ونبني، وما ضرنا من قبل أن نصنع بالشظف كل هذا الترف.

فالمقارنة بين الكثير والأكثر ينبغي أن تعيدنا إلى المقارنة بين القليل القليل والكثير. فالدولة التي في هذا الكيان الكبير صنعت بالقليل الوحدة تحت راية التوحيد، قادرة على أن تصون الوحدة وتعتز بالتوحيد، قادرة على الثبات في وجه كل حدث.

فالتحية لجلالة الملك فهد أولاً، ولكل من ساهم في وضع أي رقم في هذه الميزانية بكل الثبات والتثبت والإثبات. كأنما وزارة المالية انطلقت بعامل المركزية إلى تعامل مرن مع «اللامركزية»، فالتحديد بالأرقام كان عمل المركزية، والعرض والتنفيذ كانا عمل اللامركزية.

فالمركزية وحدها سيطرت على التقنين، واللامركزية لها سلطان التنفيذ  
الواثق والمتجه لصنع الخير والبناء.

ولا أنسى الشناء على التلفزة التي بسطت أمام إعلان الميزانية عامل  
التشويق بالإعلان عما عمرته الدولة، كانت التلفزة فئاً من الفن، عطاءً من  
الميزانية السابقة، وأخذاً من هذه الميزانية اللاحقة.

إن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الملك البطل تغمدته الله  
برحمته قد أعطاناً درساً حين صنع بالشظف وحدة هذا الكيان الكبير.

فالقليل الذي كان لديه والقليل الذي كان يتمزق به هذا الكيان الكبير  
هو الذي أعطى وحده الكيان الكبير، فلو وافت القدرة أجزاء من هذا الكيان  
الكبير لعز على القليل أن يناله.

فنحن مدينون لقليل ساهم في عطاء الوحدة لهذا الكيان الكبير، فشيئان  
هما الدعامة لهذا الكيان الكبير. . الوحدة والأمن. فاللهم احفظهما لنا وزدنا  
من عطائك وإنعامك، فأنت ولي النعمة، وليس كالتوفيق والهداية والأمن  
والوحدة نعمة المال صوّانها، والملك بكل أجهزة الدولة هو الحفيظ على  
كل ذلك.

\*\*\*

## كرايسكي وقاتل برنادوت

كرايسكي مستشار النمسا كأنه «مترنيخ» هذا الزمان، قد طعن إسرائيل  
في كل سلوكها يحملها مسؤولية العبث بالسلام، فلم أر مناحيم بيجن قد  
أصبح عليه كأنه سئم رفض كرايسكي لكل احتجاج.

أو كأنه بخبث اليهود يعطي صورة خلفية يقول فيها إن كرايسكي كيهودي لن يكون بهذه الحملة صمام أمان يرخي غضب العرب على اليهود، وبهذا نكسب نحن اليهود من هذا الاسترخاء العربي نتناول به الاسترخاء العالمي لينتحر بكل ذلك الوقت.

ومن ناحية أخرى أصبح قاتل «برنادوت» السويدي وسيط هيئة الأمم على السويد لأنها استقبلت ياسر عرفات، فإذا السويد تعلن احتفاظها بالتوازن بين إسرائيل ومنظمة التحرير على صورة الاعتذار المبطن.

فبأي قوة أمسك قاتل برنادوت وزير خارجية إسرائيل إسحاق شامير ليحتج دون خوف، دون حياء من شعب برنادوت؟

ولكن لماذا نطالبه بالحياء وقد منحت السويد جائزة السلام لمناحيم بيجين؟ إن ذلك حبل من الناس سيقطعه الله، فالناس الذين أعنيهم هم هؤلاء الذين يصفقون داخل الغل في صدورهم لكل طغيان تصبه إسرائيل على العرب.

إن قوة إسرائيل ليست في عضل اليهود ولا وجدانهم، وإنما هي عطاء الصليبية التي ما زالت باقية لدى هؤلاء، فإن لم يمارسها القسيس فإن السياسي قد تجرعها طفلاً، والطفل أبو الرجل، فأصبح يمارسها الآن ضد المسلمين والعرب.

فالصليبية وإن كانت حرباً على اليهود فيما سبق فإنها الحرب اليوم وعلى اليهود ضد الإسلام والعرب، كأنما كلمة المارشال اللمبي: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، قد قالوا له أنها لم تنته بعد أن بدأت بإسرائيل مرة ثانية لتكون كلمة الجنرال غورو: اليوم عدنا يا صلاح الدين، قد صدقوها على يد إسرائيل.

## - صورة

وتفجير السفارة الأمريكية في بيروت، كنت أحسبه أن يتخذ صورة من الغضب على الأسباب التي دعت لتفجيرها. وليس هناك سبب إلا إسرائيل، كنت أحسب أن الولايات المتحدة تغضب لهيبتها فتلزم إسرائيل بالجلاء عن لبنان، ولكنها وفي تلك اللحظات أثبتت أن حجز الخمسين طائرة كان «مناورة» لا أكثر ولا أقل يقتل بها الأمن لأنها وبكل الاحترام والتلطف أعطت لإسرائيل التكنولوجيا لصنع طائرة متطورة.

وما لنا نذكر ذلك وقد كان العطاء جزيلاً من قبل حتى جعلوها تملك القنابل الذرية، وسكتوا عنها يوم دمرت المفاعل النووي في العراق؟ كل ذلك حبل من الناس سيقطع يوم تكون النازية الجديدة في شعب الولايات المتحدة ضد اليهود، فاليهود قد وطأتهم النازية أكثر من مرة، فمحاكم التفتيش في إسبانيا والتحرريك أيام هتلر في ألمانيا والتقتيل في الاتحاد السوفياتي لتكون النازية الرابعة في الولايات المتحدة يوم يعرف الشعب الأمريكي كيف ينقذ هيئته وسلاحه وموارده من استغلال اليهود.

إن شعب ألمانيا ينبغي أن يزيح عقدة الذنب منه حين يرى في اليهود جلادين نازيين هذا الزمان يمارسون القتل والتشريد للعرب، ولكن ما زالت جرعة التخدير بعقدة الذنب قد أعطاها «اديناور» كل البقاء في الشعب الألماني.

## إسرائيل كوبا البنتاغون!

خبران أذاعتهما وكالات الأنباء، فالأول يقول إن إسرائيل ستمد إمبراطورية الصين بالأسلحة المتطورة والتي تحتاجها هذه الإمبراطورية، أما الآخر فيحتوي على أن الولايات المتحدة وإسرائيل قد اتفقتا على استراتيجية موحدة لمقاومة الاتحاد السوفياتي.

أفلا يصح لنا أن نعلق على هذين الخبرين، من ناحية أن إسرائيل قد أصبحت - كما هو واضح - تمثل دور كوبا في أمريكا الوسطى وضد الولايات المتحدة، لتكون كوبا الأمريكية مقابل كوبا الروسية؟

إن إسرائيل قد احتضنتها الولايات المتحدة، وأخذنا نحن العرب نقول.. اليهودية تفرض إرادتها على أمريكا، الصهيونية هي التي ترسم السياسة الأمريكية.

كأنما نحن نبرئ الولايات المتحدة أو نعتذر عنها، ونشن الحملة على إسرائيل حيناً والصهيونية حيناً آخر.

لكن هذين الخبرين قد أوضحا أننا كنا على خطأ. فاليهودية أو الصهيونية أو إسرائيل أصبحت بصورة أو بأخرى تحت سيطرة الإدارة الأمريكية، وتحت نفوذ الكونجرس والبنتاغون.

إن الأمر واضح، فقد أرادت الإدارة الأمريكية أن تتحاشى العتب من تايوان، وأن تباعد عن إغضاب الاتحاد السوفياتي أكثر، فأمرت إسرائيل أن تمد الصين بالأسلحة المتطورة. وأريد أن أطرح سؤالاً. هل لدى إسرائيل قوة وكفاءة ومال يعطيها أن تصنع ما يكفي الصين من الأسلحة؟

إن جيش الصين ملايين، ومساحة الصين ملايين، وهموم الصين مع الاتحاد السوفياتي في احتلال منغوليا وتهديدها من الشمال، وما تفعله فيتنام، كل هذا يحتاج إلى أسلحة قوية وكثيرة. فإسرائيل قد تصنع القليل كغطاء للعملية، ولكن الكم الكثير والكيف المتطور يأتي إلى إسرائيل من ترسانة البنتاغون، تبعثه إسرائيل إلى الصين، وذلك يمنح الولايات المتحدة الخروج من عثم تايوان، وحجب الاتحاد السوفياتي عن أن يكون موضوع تسليح الصين كما تسليح أوروبا الغربية.

ثم إن إسرائيل كوبا البنتاجون تمارس فيما حولها ومن حولها، وبقوة الولايات المتحدة وبإذنها ورضاهها وحمايتها، الممارسة نفسها التي تثير بها كوبا الروسية الفتن في أمريكا الوسطى، مما سبب الصدام والخرج كل الحرج للولايات المتحدة، فهي تخوض في أمريكا الوسطى حرباً غير معلنة تؤكد اليمين وتحارب اليسار.

وهكذا إسرائيل. . تثير المشكلات في الشرق الأوسط، تعتدي على العراق، وما كان ذلك إلا بقوة الولايات المتحدة بل وإذنها، وتفعل الأفاعيل في فلسطين، وفي لبنان، وتعين إيران، وتحترف القرصنة حول سواحل لبنان.

\*\*\*

إن هذا كله هو عمل كوبا الثانية.



وهناك صراع بين كوبا البنتاغون وكوبا الكرمليين في القارة الأفريقية، فجنوب أفريقيا أيضاً كوبا أمريكية، وكوبا الروسية تفعل الأفاعيل في القارة الإفريقية رغم بعد المسافة بينهما وبين أفريقيا شرقاً وغرباً، فالإمبرطورتان بينهما حرب ساخنة على طريقة غير مباشرة منهما، بين كوبا أمريكا الوسطى وكوبا الشرق الأوسط.

والاتفاق السري استراتيجياً هو تكريس السلطان الأمريكي على إسرائيل. إن إسرائيل قد رضخت لهذا الاتفاق السري مع أنها حريصة على ألا تظهر بمظهر العدو للاتحاد السوفياتي. ولكن.. هل رفضت إسرائيل أن تكون ضمن حلف الأطلسي، تماشياً لغضب الكرمليين؟

نعم، إنها ترفض ذلك، وإن رضيت بهذا الاتفاق السري. ظاهره أنه ضد الاتحاد السوفياتي، وباطنه أنه الحرب على أصدقاء الاتحاد السوفياتي.. يعني أن كوبا البنتاغون تستحوذ على القوة، سلاحاً ورأياً ونفوذاً، ضد من حولها وما حولها من العرب.

فالوضع الآن أن نترك الحملة على اليهود، فقد أصبحوا آلة مسخرة فرحوا بها لأنهم يستطيعون أن ينفذوا أحقادهم ضد العرب.

إن الولايات المتحدة لن تكسب من ذلك إلا إذا أرادت إسقاط الصداقة وبسط النفوذ بدعوى الحماية من طغيان إسرائيل المسلط على العرب تسلطاً أمريكياً غير مباشر.

ولعل في جنوب الهند وفي سريلانكا التي ينطقون سينيها شيئاً الآن، حباً في لهجة اليهود، سيكون الوضع فيها على أنها كوبا أمريكية أخرى،

لمراقبة القارة الهندية كقاعدة أمريكية، لا تكون باسم أمريكي، وإنما باسم إسرائيلي.

فسريلانكا رأت من صالحها أن تستعين بإسرائيل، وأن تعترف بها، وإن أعطت للولايات المتحدة ملاذاً للأسطول ومنطقة نفوذه ورقابة على القارة الهندية. ذلك أن كوريا الجنوبية لم تعد تصلح أن تكون كوبا أمريكية، ولا تايوان أيضاً. فسياسة الولايات المتحدة هي أن تكون صديقة الصين كما هي صديقة لتايوان.

وهكذا أصبحت كوبا الروسية المثل المحتذى لدى الولايات المتحدة! إن إسرائيل قد تخسر عطف الاتحاد السوفياتي، يمنع الهجرة إليها، ولقد أصبح العربي في وضع يتمنى خراب الصداقة بين موسكو وتل أبيب. فروسيا التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل من يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ما كانت وبهذا التصرف إلا الحريصة على صورتين. . خداع العرب بأنها معهم، قطعت علاقاتها مع إسرائيل، وإعطاء إسرائيل الراحة كل الراحة لأن الاتحاد السوفياتي لم يعد طرفاً يكلف نفسه حين توجد له سفارة في تل أبيب بالعمل لصالح العرب. فالعرب تجرعوا الخدعة، وإسرائيل ربحت الألوف من المهجرين.

إن الإمبراطوريتين قد اقتسمتا بسط سلطانهما على الدنيا كلها، استقطاباً واستعماراً واحتلالاً وتخويفاً وإرهاباً.

## أيهما زرياب؟

سيد درويش أم محمد عبد الوهاب

وهذا العنوان: أيهما «زرياب»؟ يملك القارئ أن يظن به الظنون، يحسب أن وراءه غرضاً مخبأً. ولكي أنتزع الريبة، خطرت على بال قارئ، ينبغي أن أوضح الغرض النظيف من هذا العنوان. إن الأمر ليس مقارنة بين صوت وصوت، وأداء وأداء، أو عن البراعة في الفن، أو عن الروعة في اختيار الكلام.. فالأمر غير ذلك، إنها المقارنة بين التأثير دون أثر سجل في تاريخ «زرياب»، وبين التأثير والأثر، وقد سجلا في صفحات تاريخنا الحديث لسيد درويش ولمحمد عبد الوهاب فكيف كان ذلك؟

الإجابة نستقرئها من التاريخ، ليكون الفقه هو العطاء.

لقد كانت أمة العرب أهل غناء: يحدون الإبل، يعرفون الدف والمزمار والربابة و «الدربكة»، تدرجت هذه المعرفة فإذا العرب شعب يغني، والبرهان على ذلك اللغة، فإن لها حرساً ورنيناً إذا ما تكلم ذو بيان أطرب حين يلقي الكلمة، تسمعها أذن، تفهم بيانها وترتاح لتبيانها، لكن العربي منذ كان يغني في الجاهلية.. كان من عطاء لغته ذات الجرس والرنين أن

منحته التفوق في الأداء، فهو إن لم يكن غناء فهو الكلمة شعراً على وزن وقافية، فشعر الجاهليين برهان على أن العرب شعب يغني، وليست البراعة من «الخليل بن أحمد» أن حصر أوزان الشعر، ولكن الإبداع والروعة التي أعطت العربي أن ينظم شعراً محصوراً في هذه الأوزان، فالخليل لم يقنن وإنما أستقرىء وفقه، وإنما اللغة الشاعرة صنعت قانونها في هذه البحور وتعددت أوزانها وتناسقت تفاعيلها.

فقارئ الشعر الحصيف، إذا ما أنشد شعراً على غير وزن، ولو في كلمة، فإنه يعرف من الجرس أن ما أنشده فيه خطأ.

هكذا كان وضع الأمة العربية في جزيرتها وما حولها: غناء بلا تقنين ولا قانون، وبعد عصر الخلفاء واتساع الأرض المسلمة، والترف: ثراء وفكراً وانتشار من يسمونهم الموالي، واقتناء القيان، قد أحدث القانون والتقنين للغناء العربي، فنبح المغنون: عزة الميلاء، معبد، طويس، بن سريج، كان المكان في العقيق، أعني في المدينة المنورة، حتى إذا برزت بغداد ثم التقنين والقانون للغناء العربي أخذاً من السلم الفارسي، على يد المغنين والقيان في بغداد، وكانت الشهرة لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وبرزت الظاهرة الجديدة حين تم لـ «زرياب» أن يفقه القانون والتقنين، فكل هؤلاء الذين ذكرناهم لم يبق لهم أثر، ولم يحفظ التراث لهم تأثيراً، إن هي إلا أسماء سجلها التاريخ، غير أن «زرياب» حين أبعدوه عن العراق وحين أبعدوه مرة أخرى عن القيروان.. إذا هو الداخل الثاني إلى الأندلس، فصقر قریش، الداخل الأول، أسس الدولة وأرسى دعائم الحضارة. والداخل الثاني، هذا الإفريقي «علي بن نافع أبو الحسن»، الرقيق، حين وصل للأندلس، قد أدخل على الأندلس حضارة، ليست في

الغناء وحسب، وإنما في أنواع أخرى، فإذا في الأندلس موسيقار الأمة العربية الأولى «زرياب» إن لم يبق له أثر حيث لم نسمع صوتاً له، وإنما هو الأول الذي بقي له التأثير، فشطّر الأمة العربية في (أفريقيا) أعني شمال أفريقيا، ما زال متأثراً به. من هنا قال أستاذنا محمد عبد القادر الكيلاني، التونسي المصري التركي اليوناني المديني: (نحن في تونس ورثنا حضارة الأندلس)، قلت له: (والبرهان على ذلك «زرياب»)!

\*\*\*

أما سيد درويش فقد بقي له التأثير والأثر وإن انحصر أول الأمر مصرياً.

ومحمد عبد الوهاب مازال له التأثير والأثر، شرق السويس وغرب السويس، أعني في كل أذن عربية، سواء كان صاحبها ساكن القصر وساكن الكوخ أو بيت الشعر.

إن محمد عبد الوهاب في مراحل الأولى كان هو التأثير والأثر، يوم كان يغني الشعر الجيد لشوقي، وبشار، وأحمد فتحي، وعلي محمود طه، إن أغانيه الجديدة لن تصمد في سجل التاريخ، وإن كان لها بعض الامتداد للتأثير والأثر، أما أغانيه في المراحل الأولى فما تزال ولن تزول، ما تزال ثابتة التأثير راسخة الأثر.

إن شوقي لم يحتكر محمد عبد الوهاب، وإنما هو ولا شك قد ابتكره!

ففي عهد شوقي غنى لغيره ولكن محمد عبد الوهاب وبسلطان السينما كان له طور جديد لا يبلغ تأثيره ولا أثره مبلغ القديم منه، فلئن كان هذا الموسيقار العظيم، فإنه، وقد أراد أن يحتكر حسين السيد، فاحتكره حسين

السيد! ولقد تخابث «أحمد رجب» فعَدَّد الأغنيات التي لا تخلو من لفظ البيع والشراء، لأن الشاعر حسين السيد، يرحمه الله، كان صاحب صنعة هي البيع والشراء.

ولا ننسى أم كلثوم، فهي كما قال أحدهم: «إن أم كلثوم داعية الجامعة العربية: يختلف الزعماء ولكن الشعوب تأتلف على صوت أم كلثوم» فهي بعظمة الأداء لها الأثر أكثر من التأثير، وأعني بالتأثير البقاء لسلطان الموسيقى، يحتذى ليكون القانون والتقنين. . فأم كلثوم الطرب، وخير ما فعلت أنها لم تطرد الشعر الجيد.

قلت مرة لرياض السنباطي، يرحمه الله: إن أم كلثوم تصورت أنها تحتكرك ملحناً عظيماً، بينما الواقع أنك أنت احتكرتها، فالجوهرة لا يحتكرها مالکها، من حيث تأثيرها، وإنما هي التي تحتكره. . مستعبداً لها! ومحمد عبد الوهاب - مرة أخرى - كصاحب تأثير. . كان هو القصيدة العصماء في ديوان شوقي، ما نظمها «أحمد شوقي» وإنما هو انتظمها، فإذا صوت هذا الموسيقار حين غنى بشعر شوقي أصبح خط الدفاع الأول عن الشاعر، فانتصر شوقي به، فالخصوم ألقوا أسلحتهم أمام الخط الأول: محمد عبد الوهاب!

فإذا كان «شوقي» قد ابتكر، فإن محمد عبد الوهاب هو الذي انتصر!

## كامل من العطاء الثقافي الثري

### الأستاذ أحمد أمين لقب أستاذ

العبادي كان موجوداً.. ألقى ما في السيرة من نص.. وقال أهل مكة أدري بشعابها تعال يا أستاذ حاضر الجامعيين.. يريد أن أخبرهم عن موقع المعركة.. فأخبرتهم عن موقع النبي ﷺ في أحد وعن جبل الرماة بالعين.. وقال لي الأستاذ أحمد أمين.. ها أنت أصبحت أستاذ الجامعيين، قلت بدون دكتوراه.. قال سأعطيك أحسن من الدكتوراه.. إن «منزل الوحي» ممنوع لديكم الآن.. كتاب هيكل.. وقد أهداني الدكتور هيكل نسخة بخط يده أنا أهديها لك.. كانت كل الجرائد ممنوعة.. بعدين فؤاد حمزة والملك فيصل هما اللذان أباحا هذا الأمر، وهيكل عندما جاء إلى المدينة أول من زاره كنت أنا والدكتور سعيد مصطفى طيب أخ يوسف بك مصطفى قائد الجيش المرابط أيام الحرب العالمية الثانية.. وكان الدكتور هيكل جالساً في منزل الخريجي فإذا سعيد يسأله ما بال الوفديين يكون على الدستور الأعرج سعد يسمى دستور ٢٣ الدستور الأعرج.. وما رأيت مصرياً تأدب مع بلده وقال كلمة الأدب مثل الدكتور هيكل قال: زرنا فأكلوا ويزرعون فنأكل.. ثم قص علينا قصة من المجمع.. قال عندما عمل مجمع فؤاد قبل أن يكون مجمع اللغة العربية دعوا إليه مستشرقين

كثيرين منهم الدكتور فيشر الألماني، ودعي إليه الدرعميون والأزهريون ولم يدعوا من الجامعيين أحداً سواء هيكل أو طه حسين أو عبد العزيز فهمي أو عبد الحميد بدوي، فلما وضعوا المراجع . . قرأوا المراجع . . لسان العرب . . القاموس - الصحاح . . كل المراجع قرأوها . . فقال لهم الدكتور فيشر ألم تنسوا مرجعاً من المراجع؟. تنفج الأزهريون مثل علي الجارم وجاد المولى بك . . كيف هذا الأجنبي يعلمهم أن هناك مرجعاً ناقصاً . . قالوا كل المراجع دونها . . قال لا . . إن المرجع الأهم والأول الذي نسيتموه هو القرآن . . فأسقط في يد الدرعميين والأزهريين هذه حكاية الدكتور هيكل، وأقمنا له حفل تكريم حتى أن الفاكهة كانت قليلة في المدينة . . عندما نشترى البرتقال كنا نقسمه بالوصلة وجلبنا البرتقال من جدة بواسطة إبراهيم عطاس بالطائرة وعملنا حفلة تكريم ألقى فيها علي حافظ قصيدة. وضياء رجب قصيدة وأما أنا فألقيت خطاباً وهو أن أقول للدكتور هيكل:

لقد كنا نعجب بك ونحترمك ولكن كنا لا نحبك لأنك كنت تدعو للفرعونية وتدعو إلى المصرية البحتة حسب رأي أستاذك لطفي السيد ولكن قد أحبيناك بعد . . عندما أنصفت اللغة العربية من الدكتور طه حسين عندما لام منصور فهمي عندما جعل صادق عنبر يعمل له مقدمة لأن منصور فهمي شذك في أنه يعرف العربية، طه حسين قال لا كلنا نعرف العربية. هيكل دافع عن هذا . . عندما أنصف اللغة العربية من طه حسين وعندما ترجمت درمنغام حياة محمد ﷺ ونشرتها في السياسة ثم ألقت حياة محمد ﷺ فإذا نحن نحترم ونعجب ونحب . . الخطاب طويل هذه خلاصته . . فقام الدكتور هيكل وقال: لقد صدق الأستاذ . . لقد ذهبنا إلى الغرب وإلى فرنسا فرانت على أفئدتنا ثقافة الغرب فقلنا ما قلنا وذهبنا إلى ما ذهبنا إليه، ولكن



عندما رجعنا إلى ترابنا جاءت ريح شافية - وهذه ألفاظه - أزاحت تلك الرمال وبقيت قلوبنا الحجر الصلد مكانها حينما عدنا إلى تراثنا.. هذا الخطاب نشر في جريدة البلاغ.. أرسله الأستاذ عبد السلام غالي إليها ونشر في السنة التي حج فيها هيكلاً.. الغريب جداً أن هيكلاً كرم والمازني (إبراهيم عبد القادر) يرحمه الله قال نفس هذا الكلام الذي قلته.. لم يقله نقلاً ولكن مصادفة لأن حياة هيكلاً كانت كذلك.

### - أنا كنت ولد حارة

وأنا كنت ولد حارة ألبس حزاماً كشميرياً.. فإذا جاء أستاذ الجميع الأستاذ كامل القصاب رحمه الله.. طبعاً أنا كنت متصلاً بالشيخ عبد القادر شلبي كنت كخادم في المنزل عنده لأتعلم وأنام في المكتبة.. الشيخ عبد القادر شلبي الطرابلسي من لبنان والشيخ كامل القصاب من دمشق وكان مدير المعارف واتصل بالشيخ كامل وكان معه مراد بك الاختيار، فإذا الشيخ كامل القصاب يمسكني من أذني ويمصعني ويقول شو هذه الولدنة.. أنت في جسمك راجل فك الحزام.. من يومها فكيت الحزام الكشميري ولبست العقال وهذا من أفضال الشيخ القصاب علي.. ثم الفضل الثاني لمحمود الحمصي تلميذ القصاب وزميل الشيخ علي الطنطاوي في مدرسة كامل القصاب درسنا عليه الجبر واللوغريتمات وعلمنا ولهم فضل علينا وهذا نذكره فخراً بهم وليس إرضاء للشاميين.

### - رحلتي مع الأنساب

وفي معرض إجابته على سؤال حول الرحلة الطويلة الممتعة مع الأنساب قال:

السبب الأستاذ إبراهيم نوري رحمه الله أنا كنت بعيداً عن قراءة أسماء الصحابة قرأت كثيراً وما تعلق بذهني شيء . . ولكن يوماً ما مع إبراهيم نوري بمكة جاءت سيرة مالك بن سنان وإخواننا الشاميون يحبون مالك بن سنان . . عندما كانوا يأتون مع المحمل كان يحلف بأي حلف غير صادق ولكن إذا حلف بمالك بن سنان كان لا يكذب أبداً . . فجاءت سيرة مالك بن سنان فقلت له: إن مالك بن سنان هو والد أبي سعيد الخدري فاستساغ ذلك . . وقال لا . . باعتباره من العلماء . . فأخذني العناد . . واستعرت أسد الغابة من الشيخ يحيى أمان بواسطة طاهر مرداد وغرقت في أسد الغابة . . ثم اقتنيت الإصابة والاستيعاب والطبقات والأنساب . . هذا هو السبب والفضل لإبراهيم نوري لأنه أنكر علي معرفتي ومعرفة الأسر والعلاقات بينها، فقال إنني لا أنصح الشباب بتعلم الأنساب وإن كانت موهبتي واحترافي، ولهذا أنكرت على ابن خميس والجاسر التعرض لقبائل العرب لأن بعض قبائل تغيرت أسماؤها ودخلت قبائل في قبائل من الضغط الذي حملوه من الأمويين والعباسيين فأين أشجع وأين محارب وأين بنو عامر . . مطير من هم . . عتبية كيف . . هوازن كيف استحالت إلى عتبية كيف تألفت شبابه وخنده . . كل هذا يجب عدم البحث فيه لأن هذا يجر إلى خلافات وحزازات والقبائل حساسة في أنسابها فأنكرت عليهما أن يخوضا في بني المغيرة من تميم أم غير تميم فهل تعرف أن هيثم هم أشجع ومحارب ولهذا فإن أجمل بنات في الجزيرة العربية هم بنات هيثم، وأجمل رجال هم رجال هيثم، وهم بنو رشيد الذين عمروا السودان وهذا ليس طعناً في النسب ولكنه خفض في النسب. وأحب أن أقول إن هناك غلطة كبيرة في التاريخ . . يقولون إن الذي قتل عثمان بن عفان المصريون والذين أثاروا الفتنة الكوفيون والمصريون . . الذي قاد الفتنة ضد عثمان محمد بن بكر

وهو ليس مصرياً، كل الذين جاءوا من مصر الفاتحون لم يكن فيهم عرق مصري.. كلهم أولاد البلد من غطفانيين تميميين.. الكوفيين حرقوص بن زهير تميميين وغيرهم من العرب، فكوننا نحمل على العراق لأنهم فعلوا ذلك وعلى الشاميين فعلوا ذلك الذي قتل عثمان والذين عملوا وقعة الحرة هم أبناء هذا البلد وقبائل هذا البلد، فعقبة بن مسلم المري من الحناكية من غطفان هو قائد وقعة الحرة، الذي رمى الكعبة بالمنجنيق الحجاج بن يوسف الثقفي من الطائف.. هذه الحزازات المغرضون ضد الأمة العربية حملونا أن نكره الشام لأجل وقعة الحرة حملونا أن نجهل العراق لأجل الكوفيين قتلوا عثمان رضي الله عنه، لهذا تجد بني عامر لهم العز كله لأنهم أحوال أبناء مروان عندما جاء العباسيون هدموهم كل الهدم. من بني هلال لدينا هلاليون هلال عامر أقوال عبد الله بن عباس هؤلاء كلهم قرشيون أعزهم العباسيون.. هلال بن حفصه بن صعصعة، هؤلاء الذين رحلوا إلى المغرب عندما أضيّموا من العباسيين - هم حكام نجد أولاد موسى الجمر، جاء العباسيون.. وطأوا نجد فرحلوا ونزحوا، لم ينزحوا للنجعة.. بل ذهبوا لاجئين لابن عمهم الفاطمي المعز.

لقد أضير العرب كثيراً من العباسيين، من الشعوبيين والسبب الأمويون.. الأمويون كانوا قوميين «عرب».. لم يكن في دولة بني أمية حول ولا سلطان لغير العرب حتى مسلمة بن عبد الملك وهو أنجب أولاد عبد الملك لم يتول الخلافة لأن أمه غير عربية.. وعن التاريخ العربي.. قال التاريخ العربي مكتوب دُونَ ولكنه يحتاج إلى استنباط واستقراء.. كما نشرت في الإمامة.. من الاستنباط مثلاً موقف أبي لهب.. تباً لك لهذا جمعتنا.. أن أرى لها خلفية بأنها كانت «سباً» لرسول الله ﷺ لأن قريش سكّنت ولم تتكلم ولم تعترض واكتفت بكلمة أبي لهب ضد رسول الله

ﷺ، فهي من إرهابات النبوة.. مثلاً أبو سفيان قائد الحرب.. كيف يخرج إلى خارج مكة ويترك الجيش ولماذا يقابله العباس؟ لماذا لم يقابله شخص آخر، إذن المسألة مرتبة ترتيباً دقيقاً، أبو سفيان يخرج ليستأسر وتفتح مكة صلحاً صيانة لمكة والعباس كان يعرف خروج أبي سفيان والنبى ﷺ من سياسة الحرب كان يعرف.. هذا استنباط لم يسبقني إليه أحد.

إن للأمويين من الحسنات ما لم نستطع حصرها، توسعت الإمبراطورية الإسلامية في عهدهم وأغزوا قوم العرب.. التاريخ مكتوب ولكن الاستنباط جعفر الصادق رضي الله عنه في ترجمته أن «أبو مسلم» الخرساني راوده على الخلافة فرفض.. أين أجدها.. أجدها في ترجمة مالك، التاريخ مكتوب ولكنه يحتاج إلى استنباط وتعديل واستخراج.. الحجاج كلنا نلغنه ونكرهه مع أنه فاتح كبير له حسناته وله عظمته، ولهذا أنا أقول إن دمشق عاصمة الإمبراطورية ولكن الكوفة عاصمة العاصمة امتد الفتح إلى المغرب من الفسطاط وامتد إلى كشعر من الكوفة لأن الإنسان لا تنكر حسناته ويجب أن تذكر حسناته وسيئاته، تاريخنا كله مديح.

## - التاريخ لم يكتب

هل تعتقد أن التاريخ قد كتب بدقة؟

إن التاريخ لم يكتب بعد.. وليس بالنقد أو الترك بل بالاستقراء والاستنباط والرد والغلبة.. وقال الأستاذ عزيز وأضيف إلى هذه المشكلة الكبرى التي تعانيها أجيالنا الآن.. هو أن تاريخنا لم يكتب بعد والذي كتب شيء سلبي جداً، المؤلف يكتب الأحداث كما نقلها من مصادرها، كم أحب أن كاتب التاريخ العربي وعلى الأخص في المملكة العربية السعودية عندما يأتي ذكر الحجاج أريده أن يذكر الطالب الصغير أن هذا الحجاج من

الطائف وأن الطائف هي هذا البلد الذي تصطاف فيه وأن لك به علاقة، والحجاج من مفاخرك لأنه عمل كذا وكذا وله سيئات هي كيت وكيت.. كذلك عندما يأتي ذكر خالد بن الوليد.. أريد أن يشعر الطفل أنه سليل خالد هذا.. أو هو ابن الأرض التي أنبتت خالد هذا وأنه له من إحساس المجد والشرف الذي كان خالد بن الوليد رضي الله عنه، فالسلبية في كتابة التاريخ، في العالم العربي كله وبالأخص عندنا. نحن مصدر هذا التراث كله.. مصدر العظمة كلها مصدر الدين كله.. أولادنا لم يشعروا بأهمية التاريخ وبعلاقتهم به.

وأضاف من يعرف أن جابر بن حيان أسدي، من يعرف أن الخليل بن أحمد أسدي من السراة.. الأممية أكلتنا.. أحكي لكم الآن.. من تاريخنا.. في كتاب قراءة للشيخ «أبو الحسن الندوي» يقول وعمر بن الخطاب كان شخصاً في الجاهلية لا يأبه له لأنه كان يحمل الحطب لأبيه.. سيدنا موسى كان خداماً كان صبي عشر سنين والنبي محمد ﷺ كان يرعى الغنم، رددت عليه في محاضرة منها ١٧ حديثاً في البخاري.. (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) الآن عند بنت ولدي كتاب في التاريخ ذي قار إياس بن قبيصة من قبل كسرى قاد الجيش حاربه هاني بن مسعود انتصر عليه.. الحديث الكريم الدال على قومية رسول الله ﷺ (اليوم انتصف العرب من العجم)، لم يذكر يقرأون للأطفال نسوا الحديث ونسوا فخر رسول الله ﷺ بهذه المعركة وأنها من إرهاصات النبوة.. هذا الكتاب موجود.. في التاريخ الذي يقرأه أولادنا لم يذكر هذا الحديث الشريف..

## لمسات إلى الأستاذ خالد العجمي

وقرأت تصويبك لخطأ وقعت فيه . . لا من ضراوة الجهالة، وإنما من غفوة العجالة، فالإملاء والارتجال يتسع بهما التجوال حيناً، ويضيق المجال حيناً آخر .

لقد قرأت تصويبك أنشر نصه ثم أعقب عليه وجاء في مقال أستاذنا الكبير محمد حسين زيدان «لمسات» المنشور في عدد البلاد ٦٧١٨ الصادر في ١٥ جمادى الثانية في معرض حديثه عن السيد أحمد صقر، أنه بينما كان يقرأ لتلامذته في كتاب وفاء الوفاء للمسعودي جاء ذكر عبارة وردت في الكتاب أن الشمس كسفت يوم التاسع عشر أو السادس عشر وأن التلامذة سكتوا فرفع أستاذنا زيدان إصبعه وقال له: إن الشمس لا تكسف إلا في أواخر الشهر عندما تكون الشمس في المحاق، فاهتز السيد أحمد صقر فرحاً، وأعطاه الامتياز. انتهى كلام الأستاذ محمد حسين زيدان .

وتعليقاً على هذا . . هل تسمح لي جريدة البلاد الغراء أن أصلح الخطأ العلمي الذي ورد في هذه الفقرة وأقول أن دور المحاق لا يطلق على الشمس بل على القمر فإن كان يقصد القمر فعندئذٍ لا يكون كسوفاً بل خسوفاً كما أن ظاهرة الكسوف بالنسبة للشمس لا ترتبط بآخر الشهر أو

أوله.. . وإنما هي ظاهرة تحكمها قوانين ثابتة يحددها علماء الفلك والجغرافيا، مع تحياتي وتقديري لأستاذنا الفاضل.. . انتهى كلام الأستاذ خالد العجمي.

وأود أن أدير الحوار مع الناقد الكريم فلعلّه لا يعرف أنني شديد الفرح بالخطأ أقع فيه لأهتدي إلى الصواب، فكثيراً ما عاتبت القراء لأنهم لم يصوبوا لي ما أخطأت فيه حين تنبّهت إلى ذلك بعد.

فأنا أعرف أن المحاق لا يطلق إلا على اختفاء القمر في نهاية دورته، فذلك تقدير العزيز العليم.

من هنا كان خطأ مني أن قلت عندما تكون الشمس في المحاق، فالشمس لا توصف بذلك وإنما هو القمر.

إن القمر يخسف وهو في الاستقبال والشمس تكسف والقمر في المحاق.. . والاستقبال في منتصف الشهر عندما يكون القمر بديراً والشمس تكسف في نهاية الشهر القمري. هذا ما عرفناه بالقراءة والتلقين، غير أن الأستاذ الناقد جاء في نقده «كما أن ظاهرة الكسوف لا ترتبط بآخر الشهر أو أوله وإنما هي ظاهرة تحكمها قوانين ثابتة يحددها علماء الفلك والجغرافيا».

إن هذه الظاهرة ظاهرة الكسوف والخسوف هي من السنن الكونية.. . قانونها ما قدره الله لها، وعليها فالسنن الكوني هو الذي يحكمها، لا القوانين الفلكية أو الجغرافيا، ثم إن السنن الكوني وبلاستقراء والتتبع حدد لها أن يكون الكسوف في آخر الشهر والخسوف في ليالي منتصف الشهر. فحساب الفلكيين حين يذكرون أنه سيكون الكسوف أو الخسوف في يوم كذا من الشهر السرياني الشمسي أو الميلادي الشمسي ما هو إلا إعلام باليلة أو النهار إنما التحديد لوقوع الكسوف أو خسوف هو تحديد السنن

الكوني كما ذكرنا من قبل ، فأيام السنة الشمسية وإن كانت مرتبطة بمسيرة الشمس ، التي تبلغ أيامها ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وخمس ساعات ، (٤٨) دقيقة ، (٥١) ثانية ، هو حساب لأيام السنة ، وأشهرها ليس فيه التحكم في ليلة الخسوف ونهار الكسوف .

فحساب الكسوف والخسوف ، كواقع قمري وكإعلام شمسي ، فالأشهر السريانية شمسية والميلادية شمسية والأشهر العربية الشمسية بحسبان البروج تختلف في عداد للحساب الجريجوري في عداد الأشهر وأيامها وإن احتفظت بأمرين : أسماء الشهور «كانون ثاني وما بعده» الحمل وما بعده كما احتفظت بتحديد الأعياد ، فأعياد الكنيسة الشرقية بالحساب السرياني لا توافق أعياد الكنيسة الغربية بالحساب الميلادي ، فميلاد عيسى في الغرب في نهاية ديسمبر بينما هو في الشرق في أوائل يناير ، فهذا الاختلاف عائد للحساب الفلكي من عمل البشر ، أما الكسوف والخسوف فسنة كونية من تقدير العزيز العليم ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس : ٤٠) .

إن تحديدها كواقع هو سنة كونية كما قلت ، أما تعيين الوقوع فإعلام فلكي يضعه في ليلة من الشهر الشمسي أو في نهار .

أرجو وأنا كثير الشكر للأستاذ الناقد أن يحفل بما كتبت لا يقول لي أصبت وإنما أنا فرح أن يقول لي أخطأت إن كان هناك خطأ .



## لمسات

### كلمة عن رابع . . ؟!

وعجيب أمر هذه الأرض في جزيرتنا، فكل قرية أو مدينة، وكل فدغد أو سهل، وكل الجبل والوادي قد حف بشيء من الشاء علينا، وبكثير من الدعاء بالبركة علينا. . كأنما العربي قبل الإسلام، وقد تغنى بالأطلال، إنما هو يعرب عن حب الطفل البالي. . كأنما هو يريد أن يكون الطل القديم جديداً في وجدانه. . والراحة إلى الوادي، والعيش في ظلال النخلة، إلى تعريف مسلم. . فهجر ونجران واليمامة ويثرب قد كانت في وجدان رسول الله ﷺ وهي الأرض ذات النخلة المكان الذي سيهاجر إليه. . يصف النبق ثمرة سدرية المنتهى بأنها كبيرة كبيرة كقلال هجر. . هجر هي المنطقة الشرقية الآن - ويرحب بوفد نجران، وتعطيه اليمامة بالحصار الذي فرضه ثمامة بن أثال الحنفي. لمنعه حنطة اليمامة عن قريش، فإذا هو عطاء اليمامة، تضيق قريش، بالحصار. . يأتون يستشفعون برسول الله. . أن يأمر ثمامة وهوزة بن علي، ألا يمنع حنطة اليمامة عن مكة. . وكأنما فتح خير كان زلزلاً في نفوس المشركين لا يرون إلا أنه السبيل إلى فتح مكة والبركة لوج والعقيق ووادي القرى. . كل ذلك عطاء الحب للوطن. . فهل أجد كل أهلي أن يحبوا كل قرية.

كل مدينة. بل كل التراب في هذا الكيان الكبير.. نعم. لقد أعطى الملك خالد - أطال الله بقاءه وولى عهده الأمين فهد - البرهان لهذا الحب.. . تعمّر الجبيل كأنهما قالوا للفينيقيين. هناك الجبيل ذهبتم عن الجبيل تحسبونها لا تعمّر بعدكم فيها نحن العدنانيين من ربيعة الفرس قد بدأنا نبني الجبيل مدينة صناعية.

وكان العطاء لينبع مثل ذلك.. . فقد قال لقضاة (جهينة وبلى) لقد عشتّم في أساطير القحطانيين، وتعيشون الآن بما نصنع لكم في حقيقة واقعة يصنعها تفوق هذا الكيان الكبير.

وإذا اللفتة الكريمة من خالد وأخيه.. . وفي أيام الحج تلتفت إلى رابع.. . يوضع حجر الأساس لصناعة البترول.. . لتكون تحلية الماء لتزرع النخلة.. . لتكون رابع ثغراً ثالثاً على البحر الأحمر.. . يضاف إليه ثغر رابع وخامس في الليث والقنفذة.. . وكأنما التوفيق حالف التوقيت.. . أو أن التوقيت جاد به التوفيق. فراغب الميقات كأنها باب مكة يحرم من سمائها الحاج، وعلى ثلج البحر إن مرت السفن وكذلك من كل مار بها كأنما رابع الميقات قد وقت لها عطاء الميقات في هذه المصانع والمصفاة، وكأنما رابع إذ كانت ميقاتاً استصرخت الوفاء للحرم ومن الذين حول الحرم. وهل تستأهل رابع الوفاء؟ نعم. بل إنه حقها يحتمه التاريخ يلزم به التفوق.. . يعطي وحدة الكيان الكبير التمايز بهذا العطاء لا التمييز.. . فالدولة واحدة والأرض واحدة، والعطاء واحد. ولن يأتيني رجل لم ينزع الطفولة منه بعد.. . يفخر بقرية على قرية. وبمقاطعة على مقاطعة. وبوادي على أخرى.. . فخرنا بالجميع وللجميع.

فالدولة الواحدة والكيان الكبير الواحد حتم أن يتوحد كل فؤاد بالحب

الكبير والعميق لكل ذرة من هذا التراب.

وهل لرابغ وفاء ساهمت به في دعم هذا الكيان الكبير؟

نعم.. لقد كان ذلك يوم كانت الشجر المستقبل للأرزاق تأتي من الهند ومن بومباي بالذات يرسلها أحد أعيان القصيم ومن أعيان عنيزة الذي رسخت له قدم التجارة في الهند إبراهيم الفضل أخو الشيخ صالح الفضل كبير بيت الفضل في الهند وفي عنيزة وفي جدة.

وكان هناك ثلاثة رجال من أبناء المدينة المنورة.. أبناء القصيم. أبناء عنيزة، عبد العزيز الخريجي - يرحمه الله - ومحمد الخريجي أحسن الله إليه، وناصر العبد الله العقيل - يرحمه الله - كانوا بما لديهم من مال يستقبلون ما يرسله إبراهيم الفضل.. يمدون مكة وجيش الملك عبد العزيز يرحمه الله بالأرزاق.. فإذا كل نجد وكل الحجاز لا يخشون جوعاً من حصار.. ولكن من أباح لهم أن تكون رابغ كذلك؟ ذلكم الرجل الكبير الشيخ إسماعيل بن مبيريك أمير رابغ فقد كانت رابغ تحت إمرة آل مبيريك لا يقصيهام منها أحد في عهد الدولة العثمانية وفي عهد الأشراف وحتى هذا العهد الوفي لإسماعيل بن مبيريك.

إن إسماعيل بن مبيريك عرف بنظرة سليمة أن يكون صديقاً للملك عبد العزيز.. ولم يقتصر مسعى بن مبيريك على أن يضع رابغ ثغر التأمين والأمان.. فحين امتن عليه الملك عبد العزيز يرحمه الله تقديراً لوفائه أن يكون الأمير لقبيلة حرب فهو حربي من الغوانم يستكثر بابل عسب البيت الكبير في حرب.. ولم يستغول بسلطة زييد.. لم يأخذ هذه الإمارة على حرب مأخذ المستأثر بها، الجافي لأشياخ هذه القبيلة.. بل كان كل مسعاه أن يبعد كل وحشة في نفس هؤلاء الرجال. فقد كان يقربهم إلى جلاله

الملك عبد العزيز ليأنسوا بعطفه وليعرفوا من هو .

فيأخذ الشريف أحمد بن منصور أمير حرب قبله . . ووكيل إمارة المدينة أيام حكم الحسين بن علي يرحمه الله . . يصحبه للسلام على الملك عبد العزيز فإذا هو يلقي التكريم كما لقي أخوه عبد المحسن من قبل وكذلك فعل مع ناصر بن بنيان أمير اللهبة . كما أنه حين لجأ إليه الشريف عبد الكريم بن بديوي أحد أمراء جهينة وأمير الأشراف ذوي هجار احتضنه فأكرمه وأعز شيعته . . وحين أخذ بيد شيخ بشر ومعبود من بني عمرو من حرب ليقدّم السلام على الملك عبد العزيز . . كانت هناك ملحّة طريفة أرويتها للتاريخ . . فقد تبسط الملك عبد العزيز يرحمه الله . . يؤنس الوحشة في الرجال . . فسأل محمد بن حمادي : (أنت أكبر وإلا إسماعيل)؟ فاستمهل بن حمادي قليلاً كأنما يطلب الرضا عن الإجابة فقال : (إسماعيل أكبر بعطفك ، وأنا أكبر بعدلك) فاستحسنها الملك عبد العزيز وما غضب إسماعيل بن مبيريك فأصحاب الأقدار والقيم يعرفون القيمة لهؤلاء أصحاب القيم .

إن رابع اليوم ستكون متنفساً لجدة . . ستكون زاخرة بالعمران . وعساني بعد أن أطلب من معالي وزير الزراعة عبد الرحمن بن عبد العزيز آل الشيخ أن يزور رابع يوم يبشر بجريان السيل فيها لعلّه يستحسن أن يكون هناك سد .

ولعلّي في النهاية أكمل بعض الجغرفة التاريخية لثغرنا الحبيب رابع ، أنقله من ياقوت إكمالاً للمعرفة ، وإتماماً لتاريخ رابع .

رابع : بعد الألف باء موحدة ، وآخره غين معجمة : واد يقطعه الحاج بين البرداء والجحفة ، قال كثير :

أقول وقد جاوزت من صدر رابغ      نهاية غبرا يفرع الأكم ألها  
ألحى أم صيران دوم تناوحت      بتريم قصراً واستحثت شمالها  
أرى حين زالت عبر سلمى برابغ      وهاج القلوب الساكنات زوالها  
كأن دموع العين لما تخللت      مخارم بيضا، من تمنى، جمالها

تمنى: موضع، وقال ابن السكيت: رابغ بين الجحفة وودان، وقال في  
موضوع آخر: رابغ واد من دون الجحفة يقطعه طريق الحاج، وقال  
الحازمي: بطن رابغ واد من الجحفة له في المغازي وفي أيام العرب، وقال  
الواقدي: هو على عشرة أميال من الجحفة له في المغازي وفي أيام  
العرب، وقال الواقدي: هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء  
والجحفة؛ قال كثير:

ونحن منعنا يوم مر ورابغ      من الناس أن يغزي وأن يتكنفا

يقال: أربغ فلان إبله إذا تركها ترد أي وقت شاءت من غير أن يجعل  
لها ظمأ معلوماً، وهي إبل مريفة أي هاملة، والرابغ: الذي يقيم على أمر  
ممکن له، والرابغ: العيش الناعم.

## يالطا . .

### الدعابة والحملة والإثارة!

في التصفية النهائية لتركة الحرب العالمية الثانية تقاسم الحليفان «روزفلت» و «ستالين» الغنيمة، كأنما الدنيا كلها أصبحت السلب، فأخذ كل منهما حصته، وكان أول القسمة التي لم يستطع مهندس النصر «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا أن يعارضها وإن كان غير راضٍ عنها، هي تقسيم أوروبا إلى شطرين، فإنه رغم شعوره بالنصر أصبح يشعر بالهزيمة، فاليقين لديه أن بريطانيا وفرنسا أول الأمر، والولايات المتحدة آخر الأمر قد وضعوا في المكان الذي ما كان «تشرشل» يريده، وما كان يتوقع من الرئيس «روزفلت» أن يوافق على تحقيق المطالب التي فرضها «ستالين» . . فكانت معاهدة يالطا التي وقعها الزعماء الثلاثة «ستالين» . . «روزفلت»، «تشرشل»، الذين أحبوا أن يخرجوا بالسلام خروجاً يستريح به الإنسان، فإذا هم لم يحققوا السلامة لأي شعب من شعوب الأرض، كأنما الحرب العالمية الثانية لما تنته بعد .

والسؤال . . كيف رضي «روزفلت» بهزيمة الرأي لـ «تشرشل» وانتصار المطلب لـ «ستالين» وذلك أن روزفلت ينتمي إلى الحزب الديمقراطي أي

أنه كان «ليبرالياً»، لا مانع لديه أن يتحرر من بعض القيود، ليخرج على الدنيا بشيء جديد، سواء كان ذلك خضوعاً للتطور أو إخضاعاً للتغيير. ولعلّ «روزفلت»، وبمشاعر الشعب الأمريكي أحب أن يتنزع المخلب والظفر والناب من الشعوب الأوروبية، يكفي أنه أنقذهم من النازية، فلا داعي لوجود إمبراطوريات في أوروبا تكلف الولايات المتحدة حرباً ثالثة.

أو بمعنى آخر.. إن من سياسة الولايات المتحدة وضع أوروبا في المكان الذي لا يستغني عن حراسة الولايات المتحدة.

إن معاهدة يالطا كانت كسباً للاتحاد السوفياتي، فلئن كان «ستالين» قد حاز النصر على «هتلر» بقوة الحلفاء، أو بقوة الولايات المتحدة وحدها، فإنه قد استحوذ على النصر إلى أمد بعيد، فكل يوم تضاف له قيمة من قيم النصر، وضع نصف أوروبا تحت سيادته وجعل آسيا في حيازة الخوف منه، وأعطته الولايات المتحدة نصراً كبيراً في أفريقيا التي كان الأمل لشعوبها أن تجد العون من الولايات المتحدة.

كل هذا عطاء معاهدة يالطا.. فلماذا بدأ الرئيس «ريجان» الكلام عنها في طليعة أسلوبه حين بدأ الحملة الانتخابية؟

إن الإجابة تحتاج إلى هذا التوضيح.. هكذا..

أولاً: لقد أخذوا على الرئيس «ريجان» يعيبون عليه الدعاية أو المزحة التي أرسلها عبر الإذاعة، كأنما هو بذلك قد خرج على النص، فالأمر كما تقول العامة «الصنعة تحكم» ولا أحسب أن كفاءة الرئيس «ريجان» حين أرسل هذه الدعاية يعلن تدمير الاتحاد السوفياتي، وأنه أصدر أمره بالقصف خلال دقائق لا مزحة بل هي الجد كل الجد من الرئيس «ريجان» ليشبع الشعب الأمريكي بمنطق القوة، كأنما أراد أن يقول لشعب

الولايات المتحدة.. لديكم القوة لأن تفعلوا ذلك، ولدي الكفاءة لأقول ذلك. فالمطلوب منكم أن أكون الرئيس المنتخب.

فالذين قالوا إن هذه الدعاية تؤثر على الناخبين لا يعطون أصواتهم لـ «ريجان» أعتقد أنهم على خطأ، بل كان فيها من الدعاية ما يجعل الناخبين لا يحجبون أصواتهم عنه.

ثانياً: إن الدعاية التي لا يتسع لها الجد ولا ينتظم بها العمل هي ما أرسل من كلام عن معاهدة يالطا، كأنما هو أصبح قاضياً في محكمة العدل، يقرأ النص ويستخرج منه الحكم بأن معاهدة يالطا لم تسمح نصوصها بهذا الواقع في أوروبا وهذا يعني استحواذ الاتحاد السوفياتي على نصفها.. بل إن نصفها المقرب جداً للولايات المتحدة من قبل، وللاتحاد السوفياتي الآن، هو النصف الألماني.

أين كانت النصوص يوم سور برلين، أين كانت النصوص طيلة الأعوام التي مضت؟

فالنصوص أصبحت حبراً على ورق! فالتداول قد أعطى كل منهما الحق للاتحاد السوفياتي أن يكون له هذا الوضع في أوروبا.

زمن طويل ماتت فيه النصوص أفليست هذه دعاية؟!

هل في إمكان الولايات المتحدة أن تطرح نصوص «يالطا» للمفاوضات، أو أن ترفع شكواها إلى محكمة العدل الدولية؟

فأيما طلب يستحيل أخذه من العبث والدعاية أن يكون الوسيلة الأولى في الدعاية للانتخابات.

ثالثاً: ولكن ألا يظن أن ذكر معاهدة يالطا مظهر للحملة على



الديمقراطيين؟ كأنما هو يضع أمام «وولتر مونديل» ما يزعم أنه خطأ تورط فيه الرئيس «روزفلت» الديمقراطي.

ويعني ذلك أنه يقول لـ «مونديل».. لقد أخطأتم أيها الديمقراطيون حين وضعتم أوروبا تحت استحواذ الاتحاد السوفياتي، فلا تصلحون لتولي الرئاسة.

إنها حملة دعائية على الديمقراطيين.

ولقد سبق لخصوم الديمقراطيين أن على العالم العربي، وإنما بما هو واقع على شعبه، زعيم واحد فرض سلطانه على الشعب رأيته يتنهد، قلت: إنك الآن تعيش ناعماً في «جنيف» فلماذا تتنهد؟

- قال: لماذا لم أستطع العيش في بلدي وأنا من أصحاب الرأي؟

- قلت: لعلك قد خرجت على الطاعة.

- قال: تلك حجتهم عليهم يريدون أن يكون شعبهم شعب طاعة، لا شعب رأي!

- قلت: كأنك تعطيني هذا التعريف.. الولاء طاعة.. والإخلاص رأي.. فالزعيم الذي يعطي شعبه فرصة إبداء الرأي يعطي نفسه قيمة الصديق للولاء والإخلاص بالرأي!

ونفضت أودعه.. فقال إلى أين؟!.. قلت: إلى بلدي.. أعتنق الطاعة وأعانق الرأي.

## والكلمة إلى أكرم زعيتر!

أصبح القول ذا سعة حين فتح الباب على مصراعيه، فإذا الأستاذ «أكرم زعيتر» يحمد ذلك لي، كأنما أنا أعطيته الفرصة ليعلن وفاءه لمن أنا كثير الوفاء لهم، فالعظيم من قومي لا أراه مزدوج السلوك، وإن عابه خصومه بذلك، وإنما أراه تحت قهر الظروف تترواح المسالك بين يديه . . فإجحاف - أيما إجحاف - وعقوق أيما عقوق، إننا ما زلنا نتجرع هذا السباب على المنابر . . كأنما كل زعيم مضى قد خان القضية، وكأنما كل زعيم أتى قد صان القضية!

من هنا . . لا أريد للأستاذ «أكرم زعيتر» أن تأخذه الظنون بي، فلست من الغوغاء.

\*\*\*

مقدمة لا بد منها . . لا أعتذر بها، بل إنني العاذر لغيري، فالوضع هو أنني أريد أن أجري هذا الحوار مع الأستاذ «أكرم زعيتر» . . أدفع به ما يظنه قارئ أنني أنحرف، أو أتكرر، فلهذا سأوضح للأستاذ أكرم بعض النقاط، وأعده أنني لن أعود إلى ما نحن فيه، ويعني ذلك أنني سأغلق الباب وأحكم الرتاج، وإليك ما يلي:

أولاً: إن حديث مصطفى النحاس باشا إلى سماحة مفتي فلسطين

السيد أمين الحسيني، لم اخترعه ولم أفتريه، فكل ما في الأمر رواية لخبر تحدث به إلينا وفي جمع من الإخوان الفلسطينيين الغزاوي الطليعة «عز الدين الشوا» ولا أشك أنك تعرفه، فالتخطئة تعود إليه، ولا أحسبه مخطئاً أو يتقول، ولعلي أرجو من الأستاذ أكرم أن يسأل «عادل الشوا» أخا عز الدين عن ذلك، فلا بد أن يكون لدى «عادل» علم بهذا الخبر.

ثانياً: وحمدت لنفسي، وأنا أعرف صداقتك للوفد وصلتك الوثيقة بالنحاس باشا، أن أتحت لك الفرصة تدافع عن رفعة في هذه الغمرة التي أحاطت بفؤاد سراج الدين.

ثالثاً: وأثنت على العظيم «سعد زغلول» لأنه أراد أن يجعل «شاميين» أعضاء في البرلمان، وهنا أقف قليلاً مع منقبة لسعد لا أذكرها، ولا أتذكر لها، ولكنني أذكرك وأذكر التاريخ أن ذلك روح مصر، فمصر جعلت الأئمة من الحجاز وأبناء العترة في قمة تاريخها، وعلى الذروة من عاطفتها، ومصر لا تنكر أنها مدينة للشام، كما الشام مدان لها.. من صلاح الدين وقطرز والحلبي قاتل كليبر، والفتى جول جمال، كل هؤلاء من الشام تمصروا، فما قالت لهم مصر: لستم مني، وإن بدأ يقولها الانغزاليون!!

ولا أنسى سلطان العلماء العز بن عبد السلام.. نشأ شامياً، ونال المجد مصرياً. ومصر.. جعلت المغاربة غذاء لوجدانها.. حتى أنها لم تبخل على تونسي أن يكون شيخ أزهرها، أنت تعرفه هو «الخضر حسين»، فعمل «سعد» وإن شكرته له، إنما هو عمل مصر في كل تاريخها المسلم العربي!

رابعاً: وكل الرجاء أن ندع الأموات وأن نحتمي الحياة من بعض الذين يريدون قتل الحياة، ولا أنسى أن هناك مصادفة أذكرك بها، فإذا ما ذكرنا «سعد زغلول» يرحمه الله، لا يفوتنا أن نذكر أخاه «فتحي زغلول»، كما أننا إذا ذكرناه لا يفوتنا أن نذكر أخاك «عادل زعيتر» ففتحي وعادل، بما ترجمنا لنا من الكتاب الجيد.. صاغوا به لنا الذهب الإبريز من لغة أهل باريز!

خامساً: وأثنت على «بهي الدين بركات» أقام حفلة للشاميين يكرمهم بها، ثم وضعت من هذا الثناء حين قلت: إنه كرمهم باسم الوفد!

إن «بهي الدين بركات» قام بذلك بنوازه، وبأخلاقه الكريمة، فلو لم يكن شديد الرغبة.. عظيم الحفاوة بكل عربي، لما كان مسخراً من الوفد يقيم هذا الحفل. لماذا لم يقيم به غيره.. أما كان الأولى لعمق التكريم أن يقوم بذلك رئيس الوفد بنفسه؟!

إن «بهي الدين بركات» رجل أخلاق.. حتى أن ثورة ٢٣ يوليو قد دعمت نفسها حين اختارته أحد الأوصياء على العرش!

وهل نسيت يا أستاذ أكرم - وأنت الفلسطيني الأردني - زورة بهي الدين بركات إلى عمان، وكيف اتضحت عواطفه يوم زار الرجل العظيم الذي كان هناك، ومات هناك وهو: الحسين بن علي يرحمه الله؟!

عواطف كريمة لا علاقة لها بترجيح السياسة، وإنما برجحان الإنسان في وجدان الإنسان!

سادساً: والبرقية عن زلزال نابلس.. هل سبقتها، أو أتت بعدها برقيات من سعد عن وعد بلفور وقضية فلسطين؟!

أطرح هذا السؤال، لأجد الجواب منك، فلعله قد فعل ولم أعلم!

**سابعاً:** وعروبة الوفد.. أعلنت عنها رحلة «مكرم» إلى دمشق، تحدياً للأحرار الدستوريين، لأن الشام بجرحها الدامي وجرح فلسطين.. قد أصبحت في وجدان العرب، فمن حصافة السياسي أن يتقرب إلى العروبة بزورة للشام، وإلا، وقد أمسكت زعامة الوفد بكل الخيوط سلطانياً على الشعب المصري وسلطانها في تولي الحكم، فماذا فعل الوفد في حل الأزمة التي قادها الملك فؤاد ضد المملكة العربية السعودية؟!

إلى أواسط الثلاثينات، من أواسط العشرينات، أي نحو عشر سنوات، كانت القطيعة من مصر إلى المملكة العربية السعودية، وسعد رئيس وزراء، والنحاس رئيس وزراء، ولعلك على يقين أن الذي أطاح بهذه الأزمة، وأبعدها ليس الوفد، ولا أي حزب في مصر، وإنما الذي أسقطها من تاريخ الأمة العربية، وأعطى مصر حسن العلاقة مع المملكة العربية السعودية، هو ذلك الواحد: «علي باشا ماهر» في وزارة المائة يوم.. كأنما عرف تاريخ أمته، وعرف قيمة المملكة العربية السعودية، فإذا هو يحيط نفسه بالذين يعرفون المملكة العربية السعودية، وفي مقدمتهم: عبد الرحمن باشا عزام.

إن «علي ماهر» له هذا الموقف، فما أشد وفاءنا له.. إضافة إلى موقف قبل.. يوم تنازل عن كرسي مصر في الأزمة التي أثارها الأمير اليمني، فإذا هو يدعو الأمير «فيصل بن عبد العزيز» رئيس الوفد السعودي في ذلك المؤتمر بلندن إلى أن يأخذ مكان مصر!

تلك حصافة السياسة، ووجدان السياسي، فمن الوفاء أن لا ننساها له. ولا أريد أن أذكر كيف تصرف الملك فيصل بعطاء الوفاء. فذلك في صفحات التاريخ!

وأخيراً - وليس آخراً - أرجو، وأنت تعيش التاريخ، أن أكون وأنت من الذين لا يجرحهم الولع بالثناء، ولا المسيرة مع البغضاء إلى مواقف لا نحمدها وإن تمت الغواية لنا بهذا الإغراء . . نعطي للقراء بعض ما يشتهون، أو بعض ما يرفضون!!

\*\*\*

## - صور

أنكر بعض العرب التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وكانت حجتهم: أن الولايات المتحدة أصبحت هي التي تمارس الاعتداء مباشرة على العرب!

ولست بصدد مناقشة هذا الرأي، لكن هذا «الوضوح» في سياسة الولايات المتحدة . . ربما يعطينا «الوضوح» في سياسة الاتحاد السوفياتي، فقد سئمنا الانتظار، فإما أن تكون المواجهة من الاتحاد السوفياتي عملاً . . لا بتصنيع الأصدقاء . . تكون به الحرب الساخنة ينجلي بها الموقف، وإما أن لا تكون فيعرف العرب أنهم الضحايا بين الصداقتين!

هذا الوضوح أحالته إسرائيل إلى وضوح أكثر، فلم تنكر هذا التعاون الاستراتيجي، فقد جاءت الألفاظ الإسرائيلية تؤيده، ولكنها تنكرت له فزيفته، ما دامت تصر على الاعتراض لبيع أمريكا السلاح إلى المملكة العربية السعودية . .

فإذا كان التعاون الاستراتيجي قد بدأ تنفيذه فلماذا تعترض على خطة استراتيجية للولايات المتحدة؟!

كأنما هي تملي على الولايات المتحدة الخط الاستراتيجي الذي لن

يكون غير ما تريده إسرائيل: مستودعات للذخيرة، بل وتمتن إسرائيل بأنها ستعطي الولايات المتحدة الحماية الجوية بغطاء جوي للأسطول السادس.. . كأنما الأسطول السادس، في سياحة للبحر الأبيض.. . لا غطاء أمريكي له!! إن اعتراض إسرائيل على صفقة طائرات الأواكس.. . فيه كل التنكر لهذا التعاون الاستراتيجي.. . حتى أن وزير الخارجية «إسكندر هيچ» يهرول من واشنطن إلى نيويورك يترضى مناحيم بيجن.

إن سفور الولايات المتحدة بهذا العدوان المباشر.. . ينبغي أن يحمل أصدقاء الاتحاد السوفياتي على أن يرفع البراقع ليتضح سفوره، وإلا فالرواية لم، ولن تتم فصولها.

## الأشياخ

### الشيخ محمد الطيب الأنصاري

ونعود إلى إلى قواعدا سالمين، بعد أن حبسنا حابس الفيل لا نخوض  
القال والقليل.. ولم يكن ذلك الحابس عن تعجيز الكرب النفسية. أو ما  
إلى ذلك.. من كسل الفصل.. وتطلع العقل إلى ما يحمد.. نعود إلى  
قواعدا نكتب عن الأشياخ.. فحين كنا في المجاعة تحيط بنا الأمية  
والجهل، وجدنا الغوث عند هؤلاء الأشياخ، سواء كانوا من شيوخ  
الكتاتيب، أو من مشيخة الأساتذة المدرسين في المدرسة، أو من شيوخنا  
العلماء في المسجد النبوي.. فبعضهم كنا به ومعه وله، وكان بكل ما لديه  
لنا أباً ومعلماً، وبعضهم لم نكن به، وكان لزاماً أن نكون له، فطالب العلم  
ينبغي أن يحترم أستاذ العلم، ومن هؤلاء الأشياخ الذين سأكتب عنهم،  
والذين عمروا المسجد النبوي، فلعلّي قبل أن أبدأ بالسير من سيرة الشيخ  
محمد الطيب الأنصاري المعروف عند العامة (بالتنبكتي).

قبل أن أبدأ بالكتابة عنه أسرد أسماء الذين عرفناهم أصحاب حلقات  
في المسجد، أحرّض الذين تخرجوا من المسجد وشغلته شواغل أخرى،  
أن تكون لهم حلقات..



إن المسجد النبوي قد عمر بالعلماء وبكثرة وافرة، فمن أوائل العشرينات الهجرية إلى أواسط الثلاثينات كثر العلماء من كل الأقطار المسلمة.. سواء الذين أحبوا الإقامة في المدينة أو الذين هربوا من ظلم الاستعمار في المغرب العربي وفي الهند.

إن هؤلاء الذين كثر وجودهم في المسجد من العلماء منهم الذين ولدوا في المدينة ومن أعراق قديمة فيها كالسيد أحمد البرزنجي وابنه السيد زكي البرزنجي، والشيخ إبراهيم البري وابنه عمر البري.. والشيخ عمر كردي الكوراني حفيد صاحب السند العالي إبراهيم الكردي الكوراني الذي اتصل به شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أيام وجوده في المدينة المنورة.. وقبل هؤلاء كان العلامة الجليل عبد الجليل براده وصديقه وصفيه إبراهيم الأسكوبي.. أما الذين أصبحوا من أهل المدينة حقاً فأقاموا فيها يعمرون المسجد فأكثرهم من المغاربة - تونسيين وجزائريين ومراكشيين - أمثال شيخ الشيوخ حمدان ابن الونيس الذي أخذ عنه الأمير شكيب أرسلان الكثير وأعجب به، ومن ذلك الحديث (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة) قالوا أمن قلة يا رسول الله؟ قال: بل غناء كغناء السيل.. إنما يدرككم الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الآخرة.. وفي رواية حب الحياة وكراهية الموت.. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.. ذكر ذلك أبو غالب ابن ماء السماء الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على الكتاب (حاضر العالم الإسلامي) ترجمه إلى العربية الكاتب العربي الدرزي عجاج نويهض، وقد امتلأ بتعليقات الأمير فإذا الكتاب يصبح مرجعاً..

ومن هؤلاء العلماء المغاربة عبد الحميد بن باديس، والبشير

الإبراهيمي، والطيب العقبي، والعزیز بن الوزير شیخ شیخ السید محمد صقر . . والشیخ الحبيب، وحמידة والبضاوي، والشیخ محمد العمري .

ومن شنیط الخضر بن مايا الجكنی والد صديقنا محمد الأمين سفير الأردن سابقاً . . ومن أفريقيا السمراء (الألفا هاشم) ومحمد الطيب الأنصاري ومن لبنان وطرابلس الشیخ عبد القادر الشلبي . . ومن الهند الشیخ عبد الباقي الأنصاري والشیخ خليل أحمد صاحب (بذل المجهود) شرحاً على أبي داوود . . والشیخ السید حسین أحمد وهما من جامعة بیوباند . . وكانوا أهل حدیث ینتصرون لمذهب أبي حنیفة على طريقة محمد بن الحسن والطحاوي . . فالسید حسین أحمد هو الرجل الثاني من هؤلاء العلماء الذين أعجب بهم الأمير شکیب أرسلان، فالأمیر ینبغي ألا یفوتنا أنه جاء ثالث ثلاثة . .

عبد العزیز جاویش أحد أعلام الحزب الوطني - حزب مصطفى كامل . . وعبد القادر المغربي علامة دمشق، والأمیر شکیب . . جاءوا لتأسيس الكلية الإسلامية التي أقاموا قواعدھا غرب التکیة المصرية وشرق محطة القطار . .

فعاجلتهم الحرب ولم تؤسس الكلية . . ولا أنسى الشیخین محمد العلي التركي وصالح الزغبی من أعیان القصیم وأکابر مدينة عنيزة . . كل هؤلاء العلماء قد استنارت وجوههم في المسجد النبوي .

إن عبد الحمید بن بادیس زعيم الثورة في الجزائر ومربي أجيالها عاد مسرعاً إلى الجزائر یحمد للسید حسین أحمد (عم السید حبيب) أنه قد نصحه حين قال له: لماذا هجرت الجزائر تقيم في المدينة؟ أتحسب أن هذا تصنع به استقلال الجزائر؟ فالجهاد هناك . . سمعها ابن بادیس وعاد . .

فكانما السيد حسين أحمد قد نظم الخطّة لجهاد الجزائر في المسجد النبوي . .

هذه المقدمة وجدت لزاماً علي أن أذكرها كأنما أفهرس بها الأسماء التي سأكتب عنها بقدر ما أعرف أو بالقدر الذي أتعلمه من غيري إن وافاني أحدهم بما يفيد . .

## الظلم . . هو الإرهاب

كثرت حوادث الإرهاب في دنيا الإنسان: خطف للطائرات . اغتيالات . تفجير للقنابل . حريق في الفنادق . كل ذلك إرهاب، ولكن التسميات لبعض هذه الأنواع من الإرهاب تخضع لعواطف الذين يذيعون الأخبار عنها، فالفلسطيني الثائر دفاعاً عن أرضه وعرضه وعقيدته، والأفغاني الثائر كالفلسطيني دفاعاً عن الأرض والعرض والدين . . هم المجاهدون، ولكن بعض الإذاعات تسميهم: (المتمردين - الإرهابيين) تبخل عليهم بلفظة: الثوار، والمجاهدين . . بينما هي حين تذيع عن الإرهاب في إيرلندا تسمى المقاتلين للبريطاني العظيم (مونت باتن) والمخربين في إنجلترا كلها . . تسميهم: الجيش السري الإيرلندي، مع أنهم متمردون وإرهابيون!

وكذلك يتلطفون مع الاتحاد السوفياتي . . يكبرون أن يكون في شعبه إرهابيون، فيصفون المعارضين بالمنشقين، كما هي التسمية للخائن المرتد سعد حداد . . يقولون إنه المنشق!

عاطفة لا ننكرها على إذاعات الغرب لأنها صادرة عن الحقد القديم الذي مازال جديداً، ويأخذ المترجمون في إذاعات عربية الخبر عن اللغة

الأجنبية فيترجمونه حرفياً، كأنما الإعلام العربي بكل ما في الغفلة من جور - طوعٌ للإعلام الغربي!

ولكن.. ما السبب الدافع للإرهاب؟!

أهو شهوة أفراد، أم هو الانحراف كما يقولون، أم أنه الظلم؟!  
إن الظلم هو صانع الإرهاب. وبأسلوب من المجاملة هو صانع  
الانشقاق في بولندا وفي الاتحاد السوفياتي بالذات!

\*\*\*

إن طغيان الاتحاد السوفياتي في الأفغان نصفه بأسلوب التجميل معه بأنه  
غزو مع أنه ظلم وإرهاب، فالاتحاد السوفياتي هو صانع الإرهاب عالمياً  
بالظلم المباشر على الأفغان وبالظلم المتوقع بعد لحظات على بولندا،  
وبالظلم غير المباشر على يد كاسترو، ولم يعد هناك «كاسترو» واحد، ففي  
أفريقيا كاسترو، وأكثر وفي آسيا كاسترو وأكثر!!

كل ذلك إرهاب، فلماذا نحمل على الإرهاب الفردي، ولا نحمل على  
ظلم الإمبراطورية.. سواء إمبراطورية الكرملين أو إمبراطورية البيت الأبيض؟  
فالولايات المتحدة حين تنادي بحقوق الإنسان، فإنها تمارس الظلم على  
حقوق الإنسان.. تعطي إسرائيل كل العون وكل الدعم مع أنها تعرف أن  
إسرائيل واليهود الصهيونيين، ما هي وما هم إلا عصابة إرهابية.

من يخطف طائرة فيها مائة راكب إرهابي، ومن يخطف الأرض ويشرد  
إنسانها بالألوف ويسجن إنسانها ويخرب مساجدها ويبنّي المستعمرات ويقتل  
بالسلاح الأمريكي.. لا يعد إرهابياً؟!

بل إنه إرهابي.

بل إن إمبراطورية البيت الأبيض بسبب ذلك إرهابية . . لأن كل ذلك ناتج عن الظلم وأفدح الظلم - على أساس من منطق الولايات المتحدة - إهدار حقوق الإنسان، وليس هناك إهدار لحقوق الإنسان أشد وأقسى من عمل إسرائيل في فلسطين وفي لبنان!

\*\*\*

إن الولايات المتحدة تصرخ لتحارب الإرهاب، وتصرخ دفاعاً عن حقوق الإنسان بينما هي ومع إسرائيل وبإسرائيل تفعل نقيض ما تصرخ منه، وتصرخ الدنيا كلها في وجهها، ولكن حرية الفوضى وفوضى الحرية تتمتع بأذن صماء ولسان أخرس عن الحق، وما أشد فصاحته في الدفاع عن ترسيخ الباطل .

حاربوا الظلم، وأفرغوا السجون من المظلومين فلا يكون هناك إرهاب .  
ومالي أسكت عن الإرهاب العربي، أو ظلم العربي لأخيه . . أفليس هناك من العرب، ومن السلطان من يمارس الإرهاب تكريساً للظلم لا محاربة للظلم؟!

فالعربي يقتل العربي تأييداً لظلمه لأخيه العربي . . أما الذين يقتلون بأيدي الإرهاب العربي فلم تكن لديهم صلة إلا الفرار من الظلم، ولكن الظلم يلاحقهم في أي مكان . . ذلك أن قسوة الظلم لم تكن إلا من الخوف، وإذا ما ركب الخوف أي زعامة، فإنها تلاحق الفارين من ظلمها خوفاً على نفسها وعلى نظامها .

إن الإرهاب بين العرب لا يعني إلا أنه إرهاب غير مباشر في صالح إسرائيل .

## - مصر

وسمعت خطاب رئيس الحزب الوطني الاشتراكي محمد أنور السادات ألقاه على نقابة الصحفيين، وكان فيه يؤكد قيمة مصر، وعظمة مصر، كما يثبت على الصحفيين جهلهم أو تجاهلهم أو تنكرهم لقيمة مصر وعظمة مصر، كما أنه يلتفت إلى العرب يريد أن يعلمهم ما هي مصر، ما هي قيمة مصر، فلا بد لي أن أعلق على ذلك في فقرتين:

أولاً: إنه قد وضع الصحفيين المثقفين في موضع الجاهلين والناكرين لقيمة وطنهم، وكأنما هو الواحد الذي عرف هذه القيمة.. بينما كل المصريين وكل العرب يعرفون قيمة مصر، وحتى موقف الخلاف حول كامب ديفيد لم يكن من العرب إلا لمعرفتهم قيمة مصر، لا لأنهم يجهلونها أو يتجاهلونها أو ينكرونها، ولكن أحسبني أضع أمام الرئيس هذا المثل (توضيح الواضح أمر فاضح) وعظيم من سعد زغلول أن صاغ هذا المثل بكلمة مجنحة هكذا: (كلما كان الشيء واضحاً كان البحث فيه موجباً لغموضه)!

أما الفقرة الثانية فهي في ترديد الكلمات المكرورة: (إن مصر علمت وتعلم العالم العربي)!

وتعليقي على ذلك: أن هذا غير منكر.. نعرفه لمصر، ولعلّ الرئيس عرفه الآن، ولم يعرف أن مصر ما علمت العرب إلا لأن العرب علموها!!

أضع ثلاثة أشخاص: الشيخ محمد رفعت - تعلم بعض القراء منه أسلوب القراءة، ولكن محمد رفعت تعلم هذه القراءة الموجودة من الإمامين القارئين في المدينة والإمام القارئ في مكة، والإمام القارئ في دمشق، والأئمة القراء في الكوفة والبصرة وبغداد، إن القراء في مصر يعرفون أسماء

هؤلاء الأئمة الذين علموهم القراءة.

ومالي قد نسيت المغربي الشاطبي - مؤلف الشاطبية - جامع هذه القراءات، فهو الذي نقل إلى رفعت ومن إليه علم المدينة ومكة ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة.

فالحصيلة من ذلك أن كل عاصمة عربية في كل إقليم عربي علم وتعلم.

والرجل الثاني هو: أحمد شوقي . . تعلمنا منه الكثير، ولكن «عكاظ» علمه الكثير. شعراء الجاهلية علموه الكثير، الشريف الرضي وأبو نواس في العراق ومن إليهما، وأبو تمام والبحري والمعري في الشام، وعمر بن أبي ربيعة في الحجاز، وجريز والفرزدق والأخطل في نجد وما إليها، وابن رشيق والحصري وابن زيدون . . كل هؤلاء من شرقنا العربي إلى مغربنا العربي علموا شوقي.

وفقه الأزهر . . أليس هو فقهاً مدنياً مكياً بمالك بن أنس، والشافعي والليث بن سعد، وحنبلًا وحنفيًا عراقيًا؟!

ومالي أنسى خراسان بالشوامخ من الأئمة . . ألم تتعلم منهم مصر؟ والأزهر كبناء . . كجامعة . . من بناه؟ فاطمي علوي . . هاشمي، مغربي، وحتى صقلي.

والرجل الثالث: العالم الرياضي العبقري «الدكتور علي مصطفى مشرفه» فقد علم الكثير - مصريين وعرباً - ولكن . . ألم يتعلم من جابر بن حيان الأزدي المدني البغدادي، ومن محمد بن موسى الخوارزمي العراقي ومن البيروني وابن الهيثم ومن إليهم؟!



أرجو من الأخ أنور السادات أن يعرف هو قيمة مصر.. تعلمت  
فعلت، كما عرفها شوقي في يوم عيده حين قال:

يا عكاظ تألف الشرق فيه من فلسطينه إلى بغداده  
افتقدنا الحجاز فيك لم نعثر على قسه، ولا سحبانه

ويعرف شوقي ذلك في كلمته المجنحة في كتابه «أسواق الذهب» حين  
عبر عن الذي عرف مصر، فقال يعني أبا الأنبياء إبراهيم الخليل عليه وعلى  
نبينا أفضل الصلاة والسلام.. قال:

- وهاجر إليها إبراهيم الخليل أكرم من هاجر، فعاد منها ومعه أم  
العرب هاجر! والكلام كثير.. لم يصدر إلا عن حب، فالبغضاء بغیضة إلى  
نفس عربية تعرف أنها الأمة الواحدة، أما الانفراد بالتاريخ فهو جناية على  
التاريخ، وعلى نفسها تجني براقش!!

\*\*\*

## - صورة

أريد أن أذكر الرئيس محمد أنور السادات بالعجبة التاريخية من تاريخ  
مصر، فهي أبداً ودائماً إمبراطورية بلا إمبراطور، وحين أراد محمد علي،  
وإبراهيم ومن قبلهما ومن بعد، أن يكونوا أباطرة.. اهتزت مكانة مصر،  
فانتهى الأباطرة وبقيت مصر، وستبقى إمبراطورية بلا إمبراطور!!

## عبد الوهاب آشي . . والذكريات

أهم خط جديد اقتحم الخطوة الأولى في إغرائنا به الأستاذ عزيز ضياء لنكتب عن الأحياء . فذلك خير من أن نتأخر ونحن العارفين به أن لا نترجم له . فقد ضاع الكثير من تراجم الأكبرين الذين كانوا هنا وكنا بهم نحن اليوم هنا .

فالأستاذ أبو إبراهيم عبد الوهاب آشي يستأهل أن يكون في عاطفة الذكريات يحيا بها الذكر والتذكير للذين إذا سألوا عنه وعن أمثاله أن يجدوا بعض المعرفة عنه من خلال التعريف به .

ولعلّ ما أعجلني أن أكتب عنه اليوم هو وجوده الآن بين أهله وإخوانه . فقد تلفن إليّ الأستاذ عبد المجيد شبكشي يخبرني عن قدومه إلى جدة ويدعوني لتناول الغذاء معه فسرني الخبر اعتزمت به أن أكتب به عنه وإن حجبني عن اللقاء به ما تعودته من أني لا أتناول الغذاء إلا في بيتي ، ويعرف ذلك كل أصدقائي ، فحين كنت أقوى على رفض العادة هذه ما كنت إلا أكثر قوة أن تقودني إلى الاعتذار ، فكيف بي الآن؟

وكنا في المدينة نتشوق بعد أن قرأنا (أدب الحجاز) و(المعرض) و(خواطر مصرحه) إلى الذين كتبوا النثر ونظموا الشعر . فما زار واحد منهم المدينة المنورة إلا وسبقت إليه بالتحية واستمتعت بالتعارف وليس أولهم

محمد سرور الصبان، يرحمه الله؛ وليس آخرهم أحمد السباعي، حفظه الله.

وفي عام ١٣٤٨ هجرية قدم إلى المدينة الأستاذ عبد الوهاب أشي ونزل كعاداته في بيت الشيخ حمزة رجب والد تلميذي وأستاذي الذي علمته ألف باء وعلمني ألف لام ميم الأستاذ ضياء الدين رجب، يرحمه الله.

وكان بيت رجب في مواجهة المدرسة السعودية التي أنا أستاذ فيها فلم يفتني يوم إلا وقد حظيت بالتحدث إلى الأستاذ الآشي، فبيت رجب قريب مرتين. مرة ينعدم فيها البعد من طول مسافة والمرة الثانية قد تأصل فيها القرب من ناحية الصداقة بيني وبين ضياء الدين رجب. فأعجب لأستاذ يصبح صديقاً لتلميذ كان إذا عاد من المدرسة يدخل من سدة الباب ينسرب انسراباً من السبب يتخفى لكي لا نراه.

وقويت أواصر الصداقة بيني وبين عبد الوهاب، ولم يكن العطاء مني. بل كان الأخذ من عطائه. عطاء إنسان نظيف الخلق لا نشعر معه بالتصنع ولا يحترف الزيف ولا يقترف المعابثة على أحد.

الوفاء سجية فيه وأدب السماع عنده شغف إلى المعرفة، لعل كل ذلك عرفناه بعض من أخلاق هذا البيت. بيت الآشي. فلا أجدني قد سمعت من واحد منهم ما يوحش فقد كان هذا البيت يمثل الأرستقراطية المتواضعة. كبرياء يزيده التواضع، فبعض الذين يفتقرون إلى شيء من الكبرياء يحترفون التكبر ويقتربون العالي فإذا هم يعيشون الجفوة في أنفسهم ومن الذين لا يقادون بالتكبر والعجرفة.

وفي يوم من الأيام، زار أستاذنا الشيخ عبد القدوس الأنصاري ضيف

المدينة عبد الوهاب آشي فإذا بينهما حوار يمتد عن النص في هذا البيت من شعر بشار بن برد:

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوافي

فأنكر الشيخ عبد القدوس هذا النص: فقال هو هكذا: فريش الخوافي قوة للقوافي فإذا الأستاذ عبد الوهاب آشي يقول: وهناك رواية هذا نصها: ما كان الخوافي فيه قوة للقوافي.

واشتد الجدل فكتب الأستاذ الآشي يؤيد رأيه. وكتب الأستاذ الأنصاري يؤيد رأيه. ولعلّي احتفظت بما كتبا وقد ضاع من مكتبتي الأولى. ولكن الأستاذين ظلا صديقين.

ويقودنا الشوق إلى معرفة أخواننا في مكة وفي جدة إلى أن عرفت أول ما عرفت ومن الأستاذ الآشي من هو حسين سرحان. ومن هو حمزة شحاته. وما كنت قد سمعت عنهم وكان تعريفه ثناءً عاطراً عليهما. وإكباراً منه لهما حتى قال عن تعريف السرحان: لا أعرف أحداً يطبق الخصومة معه، فأكثرنا يتجنب الاحتكاك به فهو وحمزة شحاته في هذه سواء. ما أكثر ما قرأ وقد امتاز بالحضور، ذلك أنهما يستطيعان الهضم والتمثيل والتعليم إلا أن هناك فرقاً بينهما، فحسين سرحان سهل المعاشة صعب الخصومة، أما حمزة شحاته فما أصعب أن تعاشره وما أصعب أن تخاصمه. فهو كما وصفته أنا له بعد حين كنا خليطين في مكة، حمزة شحاته كالوردة شمها ولا تضمها.

وزاملته موظفاً في وزارة المالية. هو رئيس ديوان وأنا موظف في قسم الأوراق وسكرتير للمجلس المالي فلم يكن الكبير علي وكان الأثير عندي.

وإذا أردت أن تعرف قيمة إنسان حضاري فينبغي أن تطمئن إلى سلوكه معك ومع الآخرين. ويزيدك يقيناً أن لا تراه إلا نظيف الثياب. حتى إذا أردت عين اليقين ينبغي أن تنظر إلى مائدته - فإن وجدت القصد والفروق والاحتفال بالضيف والأكل المستطاب فإنك حينذاك تتأصل لديك أن صاحبك هذا عظامي حضاري ولو كان يعيش الكفاف، فالحضارة ليست ثروة جيب وإنما هي ثراء وجدان. ويعيرون على عبد الوهاب أنه لم يوارث صناعة الثراء للجيب حتى عده بعضهم من الخاملين. وما دروا أنهم الآن يعيشون الخمول ويعيش عبد الوهاب الفوق.

وعرفت عن الأستاذ حمزة شحاته القيمة الكبيرة التي لعبد الوهاب لديه. فقد تلسن حمزة على كثيرين نقداً وتجريحاً. ولكنه مع عبد الوهاب أشي لا ينطلق لسانه إلا بالثناء، فلماذا؟

ليس لأنه الأديب الشاعر. وليس لأنه المكي مثله وإنما لأنه كما يقول كان رجلاً لبس كل الرجولة وقلت له وأين. قال كنا في سجن واحد. ونحن كذب، فإذا الذين كنا نشعر بعزائمهم وطول ألسنتهم قد خارت عزائمهم أما عبد الوهاب أشي فكان العزيمة لنفسه. والعزيمة لنا جميعاً، فهذا الرجل القصير كان طويل الباع. فقد كنا في السجن لا نملك شيئاً من المال. وكانت لنا حاجات خارج نطاق ما يقدم لنا في السجن، فإذا عبد الوهاب أشي هو الذي يشتريها من جنيهاً ذهباً قد تكون أكثر من ستة صرفها كلها في قضاء حاجتنا التي تعودنا عليها.

وفي يوم من الأيام مرض بعضنا فكان عبد الوهاب أشي الممرض يغسل ثياب المرضى حتى أنه قد صبر وصابر على بعض ما يغشي النفوس.

تلك قيمة الآشي الأديب مرتين: أدب الاحتراف - وأدب السلوك -  
والشاعر مرتين: شعر الاحتراف والموهبة. وشعر الوجدان لكرامة الناس بل  
لعلّ ذلك من شعره نحو نفسه. إنساناً نظيفاً يستأهل كل ثناء.

## مقاريع عن الدكاترة يا شباب . . !

وما دمنا نتكلم عن الدكاترة والأقلام الشابة فليكن ذلك الأسلوب البلدي (مقاريع عن الدكاترة يا شباب) فقد أخذت أقلام كثيرة في صحافتنا جميعاً أن تتحمل الكلام عن الدكاترة كأنهم ليسوا من أبنائنا. من أهلنا أو كأنهم قد أخذوا الغنائم عنا مع أنهم قد حملوا بعض الغرم.

مقاريع . . كلمة ينطق بها في الأجيال السابقة رجل من أصحاب القيم، فحين يسمع طرقات العصي بين اثنين من أولاد الحارات، أو بين حارة وحارة، بين الساحة والمناخة، بين سوق الليل والقرارة، بين المظلوم والشام، ينزل الرجل ذو القيمة لا يتقمش بلباس يصنع له الهيبة، وإنما الهيبة في معرفة المتعاركين في الهوشة لقيمته. فيقول: مقاريع يا مشاكلة. يا مطاليق. فإذا العصي ترتخي، وإذا الرجال ينسلون واحداً بعد الآخر إلى أعمالهم أو بيوتهم، وكأن الهوشة لم تقع.

وفريق من القبائل يجاور فريقاً من قبيلة أخرى يتعاركون على الماء أو على الكلاً فإذا واحد منهم شيخ له قيمته يقول: كفوا يا «هاذول» وكفوا يا «هاذول» . . فإذا الجميع يثوبون إلى الرشد فهكذا كلمة (مقاريع) وكلمة (كفوا) تصنع السلام بين المتعاركين. فأود أن ألبسها الآن أدافع عن القيم

وإن لم أكن من أصحاب المقامات، ولكنها الشيخوخة والتجارب المرة التي لبسناها تدعوني أن أقول: صونوا المودة بينكم، اعملوا للمحبة، فالدكاترة أخوانكم، وقد أصبحوا في مراكز عليا، وزراء مديري جامعات، أساتذة في الجامعات، مديري مؤسسات، فكيف نضع هؤلاء كلهم في موضع التندر، وأعوذ بالله أن أقول في مواضع «الشتيمة».

أعرفون كيف يعاملنا جيل قبلنا؟ حتى كاد يقع الفصام بيننا وبينهم . . يقولون عنا (الأدبائية) سخرية وتحقيراً . . فحمزة شحاته وعبد الوهاب آشي ومحمد حسن عواد، وحتى محمد سرور الصبان كانوا في نظرهم «أدبائية» فلما تبوأوا المراكز العالية عدلوا عن «الأدبائية» إلى الشببية، انصرفوا عن السخرية والتحقير إلى شيء من النكير، فكلمة الشببية عندهم تعني التحلل من القيم، والتفسخ من المجتمع، وصبرنا على ذلك حتى رأينا اليوم كلمة «الدكاترة» تلبس حيناً معنى «الأدبائية» وحيناً معنى «الشببية».

. . يعني كثيراً من المعرفة والثقافة والعلم، فلما أمسكنا بهذا الرعيل من الجامعيين نعدل عن الشكر والفخر إلى ما تكتبه بعض الأعلام في صحافتنا الآن . . إني لا أرفض الخصومة حواراً عن الفكر، فالخصام في هذا الحوار يكون بعده الوثام، فالخصومة في إيضاح الفكر أو عن الثقافة أو التبصير بالأخطاء لا أرفضها. أما التجريح والتحقير فسيأتى منه الفصام كما وقع بيننا وبين جيل سبق، وكما أعرفه عن بعض جيلنا يتنكر للشباب . . أما أنا فقد احترمت المستقبل، فجندت كل ما أصنعه في حاضري رفقا بالشباب حتى الرعاية والحضانة لكثير منهم فإن القلوب التي اسودت من عقابيل الجيل السابق لم تبيض بأن تصنع في حاضرها التخلي عن الموجدة، والتحلي بالمحبة والصفاء.



حين جاء الدكتور يوسف عز الدين في مكة وجاء الدكتور الخاشقجي في المدينة، ووصل عبد الله منديلي بالطائرة إلى هنا، رحبت مكة، وازدهرت المدينة، وتزينت الطائف واحتضنت الرياض فرحاً بهؤلاء، وحين منّ علينا الله، ثم الذين تعهدوا الابتعاث فجاءت كثيرة من الجامعيين والدكاترة، وانتشرت الجامعات يصبح المثقف حامل القلم حرباً على ذلك؟

أدعوكم إلى الوثام لئلا يكون الفصام، ولئلا تتكوّن شلل من الدكاترة والجامعيين تدافع عن نفسها ثم تدفع بنا إلى تعصب يصنع الفصام.

فلماذا نحن نحارب النجاح؟ فما رأيتنا يوماً نشرع أقلامنا بالثناء، وإنما أراني نشرع ألسنتنا بالنقد والتجريح، أهى طبيعة في العربي يجتر الهجاء وينفر من الثناء؟ هل أقول كلمة جمال عبد الناصر عن المصريين وهم فريق من العرب لا يبتعد عن هذه الكلمة كل الفرقاء من العرب حتى نحن؟

قال جمال عبد الناصر مرة يرحمه الله (كم أتمنى أن أجد مصرياً يذكر مصرياً بخير) فهل أقول: كم أتمنى أن أرى عربياً يذكر عربياً بخير وأخاً سعودياً يذكر أخاً سعودياً بخير؟

## - مدرسة الفلاح

وزرتها مغرضاً فكان من حقها أن أزورها متشرفاً، فمدرسة الفلاح ليست تراثاً من التاريخ، فلو أهملتها الحكومة لكانت كذلك، ولكن وزارة المعارف تعدتها فإذا هي جريدة جديدة للتاريخ، في حفل تكريم لمؤسسها الحاج محمد علي زينل، يرحمه الله، في مدرسة الفلاح بمكة، ولم أكن من أحد تلامذتها لأنها لم تكن إلا في مكة وجدة، ألقى كلمة. قلت: إن الفلاح كل الثناء عليها من هؤلاء الرجال الذين تخرجوا منها، فالكلام يعجز

عن الثناء، فالسكوت عن الفلاح هو الثناء لأن هؤلاء الرجال هم الثناء، وأعجبت عبد الله عريف وكان حاضراً هذه الكلمة لأنه فلاح، ولأنه كان كثير الرضا عما أقول، فرواها إلى أستاذنا إبراهيم النوري وكفلاحي فيه بعض الخوف على الفلاح من الفخار بها. . قال: إن الزيدان أراد أن تسير كلمة السكوت عن الفلاح ثناء مسيرة المذمة لها، كأن العريف لم يشرح له السباق والسياق، هكذا كنت أحب الفلاح فقد قلت لمن حارب مدرسة العلوم الشرعية (إن مدرسة فيها مائة تلميذ. . وتلميذ. . أحب من مدرسة فيها مائة تلميذ. . فلقد جعنا كثيراً).

وعن الفلاح اليوم فقد علمت من مديرها الأستاذ علي السكري أن جلالة الملك خالد أيده الله وأطال بقاءه، قد تفضل بإعطائها أرضاً كبيرة تبنى فيها المدرسة عوضاً عن المكان الذي هي فيه سواء بما تحويه من الفصول أو بطريق الوصول إليها، فالدعوة الآن - وسيبدأ الشروع في البناء - إلى الخيرين من الأثرياء أن يتبرعوا عوناً لهذا البناء. فبعضهم كان منها وبها، وبعضهم - وقد أعطته جدة الخير - ألا يُبخل بالخير.

إن العون للفلاح سواء من وزارة المعارف أو من أهل الخير هو الفلاح، فما من محسن إلا ويرزقه الله النماء والفلاح.

## قمة القمة . .

يا أيها الملك: علوت قدراً، وقهرت نكراً، ودحرت كفرأ، حين أنعم الله عليك، تقود المسيرة المسلمة في مؤتمر القمة حول بيت الله، فأنت كنت لحظتها (قمة القمة) لا بالرئاسة تكسبها من سلطان منحه الله إليك فحسب، وإنما كسبتها بسلطان هذبت به نفسك، وأمنت به روحك، فكنت في استقبالك للضيوف ليس عضلاً في جسد وإنما أنت روح الإيمان في البيت الحرام حتى كأنما مكة باسمك على اسم الله قد فتحت ذراعيها أخشبيها، الخندقة وقيقعان، وأبو قبيس عليه قيس من نور، كل يستقبل هؤلاء الذين حملتهم أجنحة الطائرات أمين البيت، مؤمنين يستجيبون لدعائك، ليستجيب الله لهم دعاءهم بالنصر ذوداً عن حمى الإسلام كلهم مشاركة ومغاربة، قد اتحد لهم نور سعى به حراء كأنه يريد الالتحام بقيقعان، كأنه جزء منه، وكأن نوراً في حمى الغار قد كلل بالغار يريد أن يلتحم بالخندقة، وكأن بشيراً أصبح غير المغير وإنما هو المنير . . بنور لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أيها الملك: علوت قدراً بإيمان من التراث والميراث الذي لم يشذ عنه أسلافك ونسأل الله أن يدوم عليه كل خلف لك؛ وكل خلف فينا ومنا، فهذا البلد لن يكون فيه دينان.

أيها الملك: لقد كان خطابك يوم افتتحت به المؤتمر صحوة للصحة، ويقظة لليقظة، لا عوج فيه، كان جماله ليس في جمال ألفاظه، وإنما من جلاله إيقاظه حين أردت أن توقظ مشاعر كل من يسمع الخطاب تقول لهم: لن تكون في هذا البيت إلا الكلمة المؤمنة والكلمة الصادقة وكأنك بهذا الخطاب تعالج الصبر في المؤتمرين يحتذون حذوك في جمال الكلمة، وجمال البلاغة. لقد كان خطابك البلاغ عن البلاغ، والمقدمة للميثاق، فإذا أنت به توضح الطريق لنا جميعاً. استقبلته الشعوب المسلمة بالترحيب وبالتصديق فأنت بالكلمة لا ترسلها إلا ومعها صدق العمل بها.

أيها الملك: لقد قال بعضهم أن هذا المؤتمر أصدر قرارات مائة ولكن التاريخ سيقول لهم: أن هنا القرارات ليست مائة. ولكنها - وبالرغم من كل الأوضاع العالمية - خير من قرارات ضائعة أضاعت، وما أغنت، خير من قرارات تفرق بها الأشياء فأصبحوا كأنهم في الضياع. . لينظر هؤلاء الذين عابوا هذه القرارات إلى ما هم فيه. . نسأل الله أن يحميهم مما هم فيه.

أيها الملك: عشت صادق النية. حسن الطوية، تقود المسيرة بالصبر والتراحم، ولك ولولي عهدك كل هذه النعمة. نعمة الاحترام والوقار، فقد كنتما في هذا اليوم الأغر، يوم ألقى أخوك الخطاب نيابة عنك، فإذا فهد بن عبد العزيز تشرب إليه الأعناق بالحب والعناق حتى جاء خطاب ابن عمك الحسن الملك يذكر ما خفي علينا من جمال الموقف وجلاله. . موقف الأمير ولي العهد فهد بن عبد العزيز كيف صبر وصابر. ولا أدري كيف يكون التعبير بالصبر إجلالاً للأمير. . أما عن الآخرين فأسأل الله أن يرفع عنهم كل العقابيل التي كانت السبب في كلمة الصبر يثني بها الملك الحسن على ابن عمه الأمير فهد بن عبد العزيز. .

## وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا

وهذا البلد الأمين فيه القبلة يقبل عليها المصلون في كل مكان كأنما النفس المسلمة والفؤاد المسلم والعقل المسلم حين يستقبل المسلم القبلة يشعر بروحانية أن الأرض قد طويت له. فإذا البيت الحرام قبلته أمامه مجسداً وكأنما التلفزة كانت هي هي بهذا التجسيد للقبلة أمام الركع السجود. فالاستحضار الروحي كصورة من الإحسان يعبد الله المؤمن وهو يعرف أن الله يراه. فالإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فإشراق الروح راحة ساجدة هو رؤية ليست بالبالصرة ولكنها الأعمق بالبصيرة.

من هنا زاد الله البيت العتيق رفعة حين أضاف إلى القبلة في الصلاة أن يكون حجة الركن الخامس في الإسلام. فهل هناك ميزة وتعليم للاحترام لهذا البيت المسجد الحرام أكثر من أن تكون الصلاة عماد الدين المسلمة تقبيلًا. إقبالاً منها عليه. واستقبالاً منه لها؟

فقد جاء الإقبال من المسلم إلى البيت مرتين. مرة في الصلاة ومرة في الحج. ولماذا أحصر الإقبال في الصلاة مرة واحدة وهي خمس مرات في اليوم الواحد فريضة تؤدي وأكثر من خمس مرات تطوعاً يؤدي؟

أيها المسلم.. الصلاة الطاعة حبت إليك الحج. والحج الطاعة حبب

إليك أن تكون مكملاً لأركان دينك. فهل لا نراك بعد إلا الأمن به والمؤمن على أمنه والحارس لوقاره «لا رفث ولا جدال في الحج» فما بال بعض المسلمين اليوم. لا تنهاهم صلاتهم عن العبث ولا تنهاهم صلتهم بالحج عن الفسوق.

ما بال بعض المسلمين اليوم وهم تحت راية التوحيد ورؤية الحق والارتواء الروحي بالأمن والسكينة، نرى بعضهم أقل احتراماً للبيت. واحترازاً بالأمن. من الجاهليين المشركين؟ فما أكثر هؤلاء المشركين احتراماً للبيت. وما أقل بعض المسلمين قياماً بحرمة البيت الحرام. يفد المسلم طالباً الرحمة، فكيف تأمره نفسه أن يسلط النقمة عابثاً ومشاعباً؟ ألا ينكر المسلم على نفسه بعض ما يراه من غيره؟ لأن في إنكار المسلم لكل سيئة يسوء بها أمن الحج طاعة يتعبد بها الله حين يصون عباد الله.

أيها المسلم. ألا تعرف كيف عاش هذا البيت الحرام في أمن الجاهلية. وكيف عاش في عهد الإسلام أول أمره مثابة للناس وأمناء؟ فالمسلم أولى من الجاهلي بصون الأمن وحراسة الأمن. لأن في ذلك الأمن له، فالمسلم الواحد في هذا الحج ينبغي أن يكون لجميع الحاجين وأن يكون الحاجون لكل واحد منه. ثم في عبث العابثين. وفي نومة التاريخ مضت سنون وسنون كان الحاج لا يأمن على حياته. تفرض عليه الخفارات والإتاوات، حتى إذا تجلى الله بتوفيقه على هذا الكيان الكبير يرسخ فيه الأمن صنعه الله بيد عبد من عباده هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناءؤه الملوك بعده وأبناءؤه الأمراء مثلهم، وكل من تشمله البنوة من أبوه هذا البلد الأمين وأمومة هذا الكيان الكبير، ذلك توفيق الله فإذا مشاعرنا جميعاً ملكاً وأميراً وجيشاً وحرساً ورجال أمن وكشافة ومطوفاً

ودليلاً وباعة. كل هؤلاء يحيطون الحاج بالأمن. بلا إتاوة ولا حفاوة بل وبجرة قلم حين أفاض الله الخير على هذا البلد اهتزت عواطف عبد العزيز ليزيد الأمن سلاماً وليجعل من السلام سلامة حين أضاف إلى الأمن ما ترتاح به النفوس جاءت الإضافة بأنه ألغى كل رسم كان يؤديه الحاج فقد كانت الرسوم تؤخذ ضرورة للقيام بما يسعد الحاج. فلما أغناه الله أعطى للمسلم أن يكون غنياً لا يؤخذ من جيبه إلى جيب الدولة شيء.

أيها المسلم لا تظن أن حراسة بئر من البترول أعلى عندنا من حراسة الأمن للبيت الحرام، وفي هذا الكيان كله، فالكيان الكبير سياج البيت «لا يتخطف الناس من حوله».

أيها المسلم، عجب كل العجب أن يكون هناك مثل أسوقه تأتي بعده أمثولات تسوقنا لأن نكون الرحماء الأشداء على كل عابث (فالمثل الأول تجمعت في مكة وإبان عهد بن الزبير جيوش ثلاثة كل منها حرب على الآخر، ابن الزبير ثائر على بني أمية، والأزارقة الخوارج ثائرون على بني أمية وابن الزبير وجيش أمية قد جاء حرباً على ابن الزبير وحرباً على الأزارقة فتجمعت هذه الجيوش إبان الحج، فأرخت السيوف، وأخفت الرماح، لا يتحرك كل جيش ضد الآخر، صانوا بذلك أمن الحجيج وأمنهم، فرغم أنهم خاضوا فتنة قد حجبهم احترام البيت أن يكونوا إبان الحج فتانين قتالين.

أما الأمثلة الثانية فقد جاءت أكثر من مرة تريد العبث بالأمن أو أنها تريد التظاهر بالهتافات أو أن بعضهم يمارس التطلع لينال امتيازات، كأنما يظن أن حسن العلاقة بين حكومة المملكة وحكومته تعطيه امتيازاً أكثر. لا امتياز ولا نقمة ولا الصداقة مع دولة ننحاز بها إلى معاملة يفضل بها المسلم التابع لها

على المسلم الآخر . . ولا الخصومة تحملنا أن نسيئ إلى شعب مسلم حج أبناؤه إساءة تجعله يحس بغضاضة، فالجميع الجميع كلهم سواء .

ولعلي أقص خبراً، فحين تحسنت العلاقات بين المرحوم الملك عبد العزيز والمرحوم الملك فاروق جاء الحاج المصري فرحاً بهذا الوضع الذي أراح مصر من عنت الخصومة وارتاحت له المملكة لأنها ترفض كل خصومة . . فبعد اجتماع رضوي كنت أدير الحج في جدة وكان لدينا شح في السيارات ننتظر قدوم الراجع من المدينة فإذا بجماعة من الحجاج، الأخوة المصريين يأتون، ويصرخون بهتافات يصلون إلى إدارة الحج وكانت هذه الإدارة في بيت البلدية القديم في جدة، كثر مجتمعهم يهتفون «ليحيا فاروق . . ليحيا أبو السعود» ارتفع الهتاف فإذا أحد الموظفين من الزملاء يقول لي «ورينا شطارتك حلها» كأنما هو يتحدى ويسخر. فوقفت على دربزان الشرفة أقول: (ليبك اللّهم لبيك. لا رفث ولا فسوق في الحج. الحج لا يقبل الهتافات. حكومتنا ترفض الهتافات. الهتاف الوحيد هو الدعاء. هو التلبية والتكبير. فإذا هم يثوبون إلى رشد. فتطلق التلبية من أفواههم، قلت اذهبوا إلى بيت الوكيل أبو زيد. وكان هو وكيل المطوف الذي سألوا عنه وحضر الوكيل، فإذا السكينة وإذا السيارات تحضر فقد تلفن إليّ محمد سرور الصبان، يرحمه الله، من الحويه. وقد كان المرحوم الملك عبد العزيز في الحويه، تلفن إليّ يقول: الآن أمر الأمير منصور بن عبد العزيز، يرحمه الله، بخمسين سيارة من سيارات الجيش حملوا الحجاج فيها رديفاً لما يأتي من سيارات الشركة. وقد وصلت السيارات فلم يبق في ليلة التاسع بعد مغربها حاج من ثلاثة عشر ألف حاج كانوا يوم الثامن فيها.

وللذكرى اتصل بي الشيخ يوسف ياسين، يرحمه الله، فتلفن إليّ يقول: «زيدان. قدم السوريين».



قلت: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لا أستطيع أن أنتقي شامياً من بين المصريين والمغاربة وغيرهم من حجاج الشمال. دع الأمر بتوفيق الله وأعدك أنه لن يتأخر أحد، فقد أرسل الأمير منصور السيارات وإذا الشيخ يوسف يقول: شكراً شكراً على هذه الإجابة. وتأصلت لي بعد ذلك صداقة مع الشيخ.

أذكر هذا لأن الهتافات والمنشورات والصور عبث من الفسوق والدولة والله الحمد لا يمكن أن يفكر أحد في أنها تجامله تتركه يعبث بالأمن. ولا يفكر أحد أن الدولة تتحامل عليه. فلا تعطيه الأمن والسلامة.

عجيب للمسلم. زعيماً و غير زعيم، ألا يشكر الله أولاً على هذا الأمر. وألا يشكر الذين تم على أيديهم بشيء من حفظ الجميل.

وليست هذه الكلمة خاصة بأحد. ولكن مقالها في مجالها فعلينا جميعاً. وعلى كل حاج أن يكون حارس أمنه. فالحكومة تثق بأن المسلم في عرفات وفي منى وفي الطواف عين لها يرفض العبث ويقصي العابثين.

إن هذا البيت المثابة للناس والأمن يحرم على كل مسلم أن يتنكر للمثابة فلا يناله، وأن يتنكر للأمن ليغتاله الخوف قبل أن يغتاله غيره. فهو إن لم يخف الله. فإن عصا الدولة بالمرصاد. وإن الله لا يستحي من الحق.

## من حفيد للشيخ الألفا هاشم

### بسم الله والحمد لله

ما أنعم الله عز وجل على عبدٍ نعمة فقال الحمد لله إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ، وإذا كان في هذا القول شطحة فهي شطحة قلم «أستغفر الله» وبعد هذه المدة الطويلة أي بعد وفاة الشيخ «الألفا» هاشم نراه بين السطور عجيب؟ وهنا تنتابني بعض التساؤلات. كيف يولد الإنسان من جديد؟ أو كيف يظل بين حين وآخر وذكره بين الناس؟ فأجد نفسي بين هذه الكلمات «الأخلاق - العمل» ومن ناحية الأخلاق قال الرسول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فالأخلاق ذات علاقة وطيدة بالدين وبها يسود المرء على الحيوان، أما العمل فهو ضرورة بشرية يشير إليها التركيب الإنساني. حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١١) صدق الله العظيم فالدين عمل والقراءة عمل والبحث والسعي في طلب الحلال عمل وهكذا ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التوبة ١٠٥).

وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل إلى جريدة البلاد الغراء والتي أتاحت كتابة أسطر عن أحد شيوخنا الأكابر الشيخ «ألفا» هاشم وكان ذلك في عددها ٦٨٣٤ المؤرخ في يوم الأربعاء «١١» ذو القعدة بقلم المؤرخ

الكبير محمد حسين زيدان.

والكلام عن زيدان يطول ومن خلال أحاديثك التلفزيونية والتي أحرص على سماعها أقول أنا قريب الصلة بك. لما نجد في صوتك من رنة موسيقية وحلاوة وأسلوبك من اشتياق فضلاً عن الفائدة والاستنتاجات الجمة التي تقدمها للمستمع جاهزة، فكلامك أو حديثك تقرير يعتمد عليه، فأنت بذلك تسجل حالة أو حادثة لها ارتباط وثيق بزمناها فتنبثق منها العبرة والحكمة التي تكون بمثابة كبسولة نافعة للجيل الصاعد. فأنت بذلك علم من أعلام التاريخ وأنت غني عن التعريف، وما ذكرته آنفاً كان الدافع له طريقتك الفريدة في تقييم وتسلسل الأحداث وليس للمدح نصيب في ذلك فأنت في غنى عن ذلك.

وما كتبته عن الشيخ «الألفا» لدليل على معدنك ووفائك. ونحن نشكر لك اهتمامك بهؤلاء الأشياخ، تغمدهم الله برحمته، (وأنت تتكلم عن التاريخ وسيتكلم التاريخ عنك لأنه من عطائك له).

والدي الشيخ محمد حسين زيدان.

لقد قرأت مقالتك عن جدي (ألفا) هاشم عدة مرات فوجدت جوانب شتى عن تلك الشخصية، فعلى سبيل المثال لا الحصر المسجد - شخصيته وهيبته وزهده عن الطعام والصوم واحترامه للناس - تكريم واحترام الصغير وكلها ونهايتها يوم توديعه كان وقود تلك الشخصية الإيمان.

أيها الشيخ، وجدت في المقالة بعض الأخطاء، وأنا على يقين عن حسن نية وقصد وإليك الحقائق:

١ - ذرية الشيخ «ألفا» هاشم باقية والحمد لله ويعجز لما قمت به نحوهم وكان الدافع له إحياء ذكرى لشخصه وهذا شيء جميل.

٢ - الشيخ «ألفا» هاشم خلف ابناً وهو إبراهيم وابنه رحمه الله .

٣ - ابنه إبراهيم خلف ولدين وستاً من الإناث وهن بعضهن في المدينة وجدة والرياض .

٤ - الشيخ أحمد باقد والمعروف أخ لمحمد إبراهيم وأخت له من والدتهم .

٥ - الفنان عمر كدرس يلوذ بصلة قرابة أو رحم حيث متزوج بإحدى بنات المرحوم إبراهيم ألفا هاشم وهكذا ﴿وَجَعَلْنَكُمْ سُوءَ بَآئِلٍ لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ (الحجرات: ١٣) صدق الله العظيم فجعل التقوى مجال السبق والنسب كما الفتى ليس من يقول كان أبي وإنما الفتى من يقول هاأنذا .

أيها الشيخ ، حمداً لله ، فقد رأيت الناس في ذاك العصر وهذا العصر ، فأنت مخضرم إن جاز لي التعبير ، فالناس في ذاك العلم والأدب والمعرفة شغلهم الشاغل وحلبة سباقهم وزينة حياتهم وبهجة مجالسهم وقرة عيونهم فعمرت العلم وكثر الارتحال لطلب العلم أو البحث عن نسخة من العصر ، فقد امتزجت المدنيات وانتقلت إلى المجتمع عوائد هذا العصر عصر التلفاز والفيديو فأقبل الناس عليه فأصبحت المادة المرئية أكثر طلباً من المادة المقروءة لأن ما يقدمون في تلك الأفلام قد يضيع بعضها وقت الإنسان شيء في الحياة ، وفي الختام أدعو بدعاء أبي بكر الصديق .

«أسأل الله تمام النعمة في الأشياء كلها والشكر عليها وبعد الرضى والخير في جميع ما تكون الخيرة به جميع كلها لا بمعسورها يا كريم» .

عنهم محمد إبراهيم

## طشقند من حقها أن تنفصل وليس من حق برلين أن تعيش

وبدأ انفعال موسكو ضد ما فعلته بون وبرلين، كأنه ليس من حق ألمانيا الشرقية العضو في حلف وارسو شكلاً والمستعمر للاتحاد السوفياتي موضوعاً أن تحارب الجوع، وأن تحافظ على التنمية، وأن يعيش أحفاد «بسمارك» إخوة في وطن واحد وعرق واحد ومطالب متحدة.

كأنه ليس من حق ألمانيا الشرقية أن ترفض الهوان، بينما دستور الاتحاد السوفياتي شكلاً قد أباح لكل جمهورية في هذا الاتحاد أن تنفصل، وهو لا يبيح للمجر أن تدير شؤونها، فكل أوروبا الشرقية طوال هذه السنين قد قصّر بها استحواذ الاتحاد السوفياتي عليها أن تصل إلى حياة فيها رغيد العيش لينتصر الرغيف على الصاروخ. بينما أوروبا الغربية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي قد تفوقت، فإذا الرغيف فيها هو القوة المنتصرة على حلف وارسو أكثر من الصواريخ متوسطة المدى. حيث أصبح الرغيف هو صاروخ الصواريخ.

إن بون قد منحت قرضاً لبرلين، تشتري به الخبز، تنظف به الحياة،

فإذا موسكو تغضب، كأنه إمبراطورية الكرملين قد نقلها شح الرغبة والدولار من موقف الفعل إلى موقف الانفعال، فإذا هي وقد صبرت على ما يجري في بولندا تفاجأ بما هو جارٍ في بون وحتى بودابست قد أقرت حق بون في استقلالها الاقتصادي.

إن نقطة الضعف في الاتحاد السوفياتي هي في أنه لا يستطيع أن يساهم في تنمية دول حلف وارسو. ما زال الاتحاد السوفياتي في حاجة إلى القمح، رغيفاً يأكله الشعب، ودولاراً من ثمن القمح ويبيعه لدول حلف وارسو بالعملة الصعبة.

حتى البترول أصبح حين لم يف بترول سيبيريا بحاجة الأسواق كما خطط الاتحاد السوفياتي، أصبحت موسكو تبيعه لكل أوروبا الشرقية المستقطبة بالعملة الصعبة.

من هنا أصبحت شعوب أوروبا الشرقية مستغلة كخط أول للدفاع وشعوب تدفع قيمة ما تستهلك للدولة لرئيس حلف وارسو. بينما أوروبا الغربية تصل إلى فوق وبينما ألمانيا الشرقية تبقى في الحضيض.

إن ألمانيا الشرقية شعبها البروسي هو مفخرة الشموخ الجرمانى، فكيف فرض عليه أن يبقى في نقاط الجوع والخوف والخراب المتدرج؟ حيث تحتاج الشعوب إلى الرغبة لا تستطيع أن تنظف الرصيف.

إن موقف الانفعال ضد ألمانيا الشرقية لا أحسبه إلا عاجزاً عن الفعل. فلم يعد الوقت يبيح للاتحاد السوفياتي أن يفعل في ألمانيا الشرقية ما فعله في المجر وتشيكوسلوفاكيا، وما هو واقع في بولندا الآن هو برهان على ذلك.

إن أول الشذوذ قد استرخى أمامه الاتحاد السوفياتي حين شد الماريشال «تيتو» قال :

- أنا صديق لا عبد .

وحين تبعت ذلك ألبانيا ، قالت :

- أنا نديم ماركسي لا رفيق ستاليني ، وعندما انتصبت رومانيا قالت :

- من حق الاتحاد السوفياتي أن يكون الصديق ولكن من حق الشعب الروماني أن يكون صديق نفسه .

لم أكن أبالغ إذا ما قلت أن الرغبة أصبح هو الصاروخ الذي استيقظ على رائحته ومن خلال الحاجة إليه كل شعب في حلف وارسو .

ولا يبعد أن تكون هزة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي إذا ما جاءت الشعوب أن تستعمل بعض الجمهوريات ما أباحه لها الدستور من الانفصال .  
وعند ذلك لا تصبر موسكو على ما يجري ..

فليسقط الرغبة .. ولينطلق الصاروخ !

ولعلي لم أنس صورة كتبتها من قبل توضح ما عانته الشعوب من سلطان الأباطرة . قلت : «لقد تكلنز الإنسان للذهب فاستعمر وتأمرك بالدولار فجن وتبلشف للرغبة فجاع» .

صورة لخصت بها تاريخ الاستعمار وسلطان الدولار وسلطان الرغبة .

\*\*\*

- الحل العسكري

المطهر للدولة الإسرائيلية أنها ديمقراطية تعيش أزمة صنعتها

الديمقراطية. حيث لم ينل أحد الحزبين الكبيرين في إسرائيل الأصوات التي تؤهله لأن يؤلف وزارة من حزب واحد.

ومرة أخرى فالمظهر أيضاً يزعمون أن هذا التعثر في تأليف الوزارة أمر عادي. وهو كذلك في دولة ديمقراطية حقبة ولكن إسرائيل اليهودية ليست دولة بقدر ما هي عصابة.

أفلا يصح لمن يستكنه المخبر أن يقول إن هذا التعثر جلبته الانتخابات بينما يصح القول بأنه المخطط أمرت به إسرائيل ليكون هذا التعثر التنفيذ الفعلي بالحل العسكري. فاليهودي «رفائيل جدعون» حين تكلم عن الانتخابات وبما أذاعوه على لسانه قال: إن هذا الوضع بعد الانتخابات في إسرائيل قد يصعب حله ديمقراطياً، فلا بد من أن تلجأ إسرائيل إلى الحل العسكري. يعني إيقاف الديمقراطية وإعلان الديكتاتورية.

يصح لي أن أزعم أن قيام الديكتاتورية في إسرائيل تحت حكم عسكري هو المطلوب. تقتحم به إسرائيل ما تريد في فلسطين إذا ما صح لنا أن نقول أنه ديمقراطي، ولكنه قد يكون مأخذاً لدى الديمقراطيات التي تحافظ على أمن إسرائيل ولا تحافظ على أمن العرب.

إن قيام ديكتاتورية في إسرائيل أمر مخطط لا يحاربه أي حزب، فكل حزب يعتذر بالفشل وهكذا تخطيط العصابات وعمل الكهنوت اليهودي ليحصل على ما يريد من شعوب لا تستطيع أن تحقق جزءاً مما تريد سواء بالأسلوب الديمقراطي أو بأي أسلوب آخر.

فالعبرة ليست بالأساليب وحدها وإنما باستثمار الأساليب، فالأسلوب طريق وفرض السلطات غاية والأسلوب طريق ورد العدوان غاية.



## - تشرشل

ولعلّي كنت أحد الغافلين. فقد أطريت مهندس النصر «ونستون تشرشل» حين حاز النصر على النازية فلم يبطره ذلك. قبل الهزيمة في الانتخابات تولى إجراء الانتخابات فلم يفز حزبه وفاز حزب العمال بقيادة «إيتلي».

قلت إن هذا هو برهان الديمقراطية البريطانية، زعيم النصر يهزم في الانتخابات، ويرضى بذلك.

ولكن في هذه الأيام لا أعدل عن هذا الشئ. وإنما أعتدل حين أطرح فهماً آخر.

إن «تشرشل» قال مرة وهو في عز سلطانه:

- لن أسمح بتصفية الإمبراطورية البريطانية في عهدي.

فهو وقد انتصر في الحرب أحب أن ينتصر لنفسه، فرحب بسقوطه من رئاسة الوزارة لئلا يسقط في التاريخ حين تتم التصفية للإمبراطورية البريطانية.

إنه بذلك لبس الأنانية انتصاراً لنفسه بل وحتى على نفسه.

فالأنانية في هذا الموقف هي التصدي لعوامل التحدي التي شعر بها «تشرشل» رضي بالسقوط من كرسي الرئاسة لئلا يسقط في التاريخ.

\*\*\*

## - صورة

حفظنا بيتاً لصريع الغواني. قال:

نفسى التي تملك الأشياء ذاهبة فكيف أبكي على شيء إذا ذهب

إن هذا ليس زهادة في الامتلاك ولكنه عزاء يتطرى به الشاعر في لحظة زاهدة، بينما هو الإنسان يبكي على حياته كما يبكي على معاشه.

وما أحسن قول العامة:

«مُلْك كسرى تُغني عنه كسره»!

كل هذا الكلام تسلية كما يتسلى الجوعان بلب البطيخ!

## الرأي والرأي الآخر

### حوار مع الدكتور بطرس غالي

ولعلي كثيراً ما أتشوق إلى الحوار مع الذي أرجوه وإن تهيبته، وأبتعد عن الحوار مع من أجفوه وإن ارتبته، والأستاذ الأكاديمي الدكتور بطرس غالي ما جفوته لأنني أرجوه ألا يأخذ حوارني معه إلا على أساس أن رائدي الإخلاص بنازع الحب لمصر، العربية من الأزل، المسلمة إلى آخر الأزل.

فلقد سمعت تصريحه الأخير عن انتماء مصر إلى الأمة العربية، إذ قال كما أذيع: «إن انتماء مصر إلى الأمة العربية أو العالم العربي انتماء سياسي واستراتيجي».

فوجدتني ملزماً بدافع الحفاظ على عروبة مصر وفاء لها وحرصاً ألا تكون الشعارات تبتعد بنا عن الدستور، وتبعدنا عن ما يلزم به حتم التاريخ فإن عروبة مصر لم تكن طارئة عليها بموجة الهكسوس، ولم يكن عمرو بن العاص والجيش المسلم العربي هو الذي قسر مصر على أن تكون عربية، ذلك لأن مصر بالفراعين كانت العربية، فلو لم تكن أرض مصر أرضاً عربية لما حملت مصر «هيكل الفصحى، ولما اعتزت بالقرآن» ولما اهتزت تناجح

عن الإسلام، وتفتح للإسلام المغرب كله، فقاعدة الفتح المسلم الأول المدينة المنورة تفرعت منها للفتح قاعدتان، قاعدة في دمشق شرق منه الفتح ولم يعرب، وقاعدة في الفسطاط غرب منها الفتح فعرب، ولئن كانت دمشق عاصمة الإمبراطورية الأموية فإن الكوفة كانت عاصمة العاصمة، شرق منها الفتح العظيم، فما عرب، لأن كل الأرض التي فتحها لم تكن أرضاً عربية، ولئن كانت دمشق عاصمة الإمبراطورية الأموية فإن الفسطاط كانت عاصمة العاصمة غرب منها الفتح فعرب؛ لأن أرض «أفريقية» أرض عربية، فالبربر كالفراعين كالفينيقيين عرب شرق من شرق وغرب منهم من غرب بالموجات التي توالى، لعلّ من أولها موجة ذي القرنين «المصعب بن الحارث» اليماني، ولعلّ آخرها موجة بني هلال وسليم.

إن مصر كما قلت يوماً لرامي - يرحمه الله - «ما من أمة أراد الزمن أن يبطش بها فبطشت به إلا مصر»، فقد أبت أصالتها وعروبته أن تكون رومانية أو إغريقية أو تركية، فهضمت كل هؤلاء لا تقبرهم بالهلاك، وإنما هي أحيت فيهم مصريتها، فمصر قوية في هضم كل من حل فيها، تأقلمه ولا يأقلمها، تتجنسه ولا تتجنس به، فمصر كجزيرة العرب وكأي أرض عربية الجغرفة والتاريخ ترفض أن تستعجم، فالتار والصليبيون والاستعمار والجهل ما استطاع كل ذلك أن يحيل العربي غير عربي.

إن الظروف التي رزحت تحت أثقالها مصر أنطقت رجالاً كباراً من أبنائها بشعارات حرباً على من حاول أن تكون مصر غير مصر، فالخديوي إسماعيل أطلق هذا الشعار «بلادي قطعة من أوروبا»، والخديوي توفيق أطلق العنان للاستعمار لتكون مصر قطعة من أوروبا.

والزعيم المخلص مصطفى كامل ولم يكن من عرق عربي وإنما كانت

عراقته مصرية أطلق شعار كمبدأ «مصر جزء من دولة الخلافة»، يتمسك بالدولة العثمانية ليحارب الاستعمار الإنجليزي، وأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وقد كان لسان حال حزب الأمة أطلق هذا الشعار كمبدأ «مصر أمة وحدها»، أقصى تبعيتها للدولة العثمانية وصرف بهذا الشعار أن تكون مصر العربية.

وجاء الكاتب المثقف وكان من دعاة الفرعونية يفصل بها مصر عن الأمة العربية، ذلك الكاتب هو أحد طلائع المثقفين في مصر «محمود عزمي»، كان يدعو إلى الفرعونية تنسلخ بها مصر عن العروبة حتى إذا رأى وهو في العراق قيمة مصر في العالم انحرف عن شعاره الأول فأعلن هذا الشعار «قولوا بلاد العربية ولا تقولوا البلاد العربية»، ويعني ذلك أن انتماء مصر إلى اللغة لا إلى العرق.

كل هذه الشعارات أطلقها هؤلاء الرجال مخلصين يحاربون بها ضغط تلك الظروف، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو فإذا هي ترجع بمصر إلى أصلها عرقاً عربياً ودينياً مسلماً كنص الدستور، مصر «جزء من الأمة العربية دينها الإسلام».

\*\*\*

لقد طرحت هذه المقدمة تمهيداً لسؤال أطرحه على الدكتور بطرس غالي، الذي لا يخالجنني الشك في أنه عريق المصرية، فأسأله: أليس في تصريحك الأخير «إن انتماء مصر إلى الأمة العربية أو العالم العربي انتماء سياسي واستراتيجي» تناسياً لنص الدستور ليأخذه العرب على أنه العودة بمصر إلى طرح الشعارات التي سبق أن ذكرتها؟

فالأستاذ الأكاديمي الصوت المضيء من أصوات مصر في السياسة لا

أخاله قد أراد الخروج على الدستور، فمن الحوار مع الرأي والرأي الآخر الشعار الأول في دولة المؤسسات وجدتني أدير هذا الحوار معه، فأیما تصريح مثل هذا التصريح يزيد الجفوة الظالمة جفوة أظلم، فالانتماء السياسي الاستراتيجي جعل مصر بذلك قد وضعت الأمة العربية في الوضع الذي هي فيه مع من تشاء، بل إن أي وضع مع منابع النيل قبل أن يكون سياسياً أو استراتيجياً هو انتماء مصيري للحفاظ على حياة مصر، فمصر هبة النيل، والإسلام هو آية مصر، والعروبة هي التي جعلت مصر إمبراطورية بلا إمبراطور.

ولا أحسب أن الأستاذ الدكتور بطرس غالي يسيء الظن بي حين يخال أنني لا أعرف اسم «غالي» وواصف غالي، وبطرس غالي، اسم له تاريخ في سجل مصر بل وفي سجلات العروبة.

لقد أدت هذا الحوار لأنني أخشى على مصر من أن يؤخذ كلام الدكتور بطرس مأخذاً كأسلوب جديد تتناوله الأفاعي حول مصر التي سال لعاب السموم من أنيابها، تحمل على مصر مع أن مصر «حملت من الأسى واحتملت في سبيل النصر هزيمة التار والصليبيين والاستعمار».

فأرجو ألا ترزح مصر تحت وطأة هزيمة الخلاف، تحت أثقال السأم.

وأخيراً فإن انصراف المثقف المصري عن الرجوع إلى التراث والولع بما يكتبه الاستشراق قد حرم المصري من العودة بمصريته إلى جذورها الأصلية، فهم يؤرخون لمصر على أنها أمة وحدها، ولهم عذرهم حيث أمسكت مصر بالحفاظ على آثارها الماثلة، وعلى أوراق تاريخها، مع أن وثنية مصر الفرعونية لم تكن إلا هي من وثنية العرب كل العرب في شرق السويس، فعبادة الشمس عادية سبئية، وأسطورة العنقاء يمنية مصرية،

وأسطورة «الرهق» الأسود التي جاءت في ملحمة سيف بن ذي يزن أسطورة مصرية نوبية حيث فجر الصخر لينساب النهر إلى الشمال، فالفراعين لم يكونوا إلا ساميين ولن يكونوا عبرانيين أو حبشيين، بل كانوا من الفرع المنتشر، فرع العربيين الخيريين.

وحين ذكرت الدكتور محمد حسين هيكمل بما جره الإستشراق أو طلب العلم في الغرب اعترف بذلك فقال كلمته يجب على خطابي: «لقد رانت على أفئدتنا ثقافة الغرب، فكأنها الرمل قد تراكم على الصخر، وحين عدنا إلى تراثنا كانت العودة إلى التراث كأنها الريح أبعدت الرمال فانكشف الصخر صليداً كما كان»، يعني أن وجدان المصري قد تطرأ عليه ظروف تصرفه عن تراثه، لكنها ظروف الوقت، أما الزمن السرمدي فإنه مع مصر يكشف لها حقيقتها.

ومعذرة للدكتور بطرس إن أدت معه هذا الحوار، فمصر الغالية ينبغي أن لا يعلو فوق صوتها العربي صوت يبعده عن العروبة، فالرئيس نيكسون قال يوماً ما «إن مصر ليست عربية»، ينكر عليها نصرتها لأمتها العربية.

## ولأبي الفتح جواب

وسرني أن قرأ الأستاذ «أحمد أبو الفتح» مقالي .. أجريت فيه حواراً مع الدكتور «بطرس غالي». وسرني أكثر أن أحتفل بهذا المقال .. أتخذ منه موضوعاً تنفس به عما أكربه، فلئن شكرته إن أطراني، فإني شاكر لنفسي أن أتحت له فرصة التنفس!

فمصر - الرباط والمتنفس - صعب أن تضيق فيها أنفاس كاتب! لقد قرأت مقال الأستاذ، يطريني به في المقدمة .. كأنما مصر في حاجة، ونحن نعيش غواية التاريخ، إلى واحد يحبها!

ثم هو أغراني أن أكتب الجواب على العتاب .. أضعه مرقماً هكذا:  
أولاً: ليس هناك عربي، ولا مسلم ينكر على مصر عروبتها، أو يتنكر لإسلامها .. فمصر العربية من الأزل، بل إن فراعينها هم البرهان على عروبتها .. هم ساميون، ويعني ذلك أنهم ليسوا أحباشاً أو عبرانيين .. فلم يبق إلا أنهم «الساميون» ويعني ذلك - مرة أخرى - أنهم العربيون الخبيريون .. أخوة الكنعانيين والكلدانيين، وما قبل هؤلاء من العاديين والشموديين!

وما أحلى هذا القرآن في القرآن الكريم: ﴿إِرم ذاتُ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ



مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ . وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ (الفجر: ٧ - ١٠).

فهل يكون هذا النسق المتسق إلا خبراً تاريخياً عن وحدة الأرض، ووحدة الشعوب التي نبتت على الأرض العربية؟!!

فالقُرآن الكريم تعلمنا منه تاريخ الأولين من الأمة العربية، في «سبأ الجنّتان» وفي «الكلدان بابل».. أما مصر، فقد ذكرت في القرآن أكثر من مرة، صراحة وكناية.

ثانياً: حين أدّرت الحوار مع الدكتور بطرس.. أردت أن أضّعه أمام الدستور.. الذي هو أصبح وزيراً مسؤولاً عن تطبيقه، فالشعار حين يطلق مخالفاً للدستور، ينبغي أن لا يكون.

ثالثاً: بعد الحرب العامة الأولى، وفي نور الإشعاع الذي أحدثته ثورة ١٩١٩م، صنعت مصر لنفسها الدساتير الثلاثة: دستور سنة ٢٣ الذي عارضه الوفد بزعامة سعد حين عابه، يسميه «الدستور الأعرج» أو هو عمل: لجنة الأشقياء.. هذا الدستور ليس فيه نص على عروبة مصر.

أما دستور إسماعيل صدقي سنة ٣٠، الذي حاربه مصر كلها.. فلم يكن فيه نص أيضاً على عروبة مصر، بل إن واضعه - إسماعيل صدقي يرحمه الله - قال بعد ذلك، وحين اتجهت مصر فيما مارسته من سياسة، قال:

- (ما لنا ولشرق السويس)!

يريد مصر أن تكون وحدها! ولعلّي لا أغضبك إذا ما قلت: إن اتجاه مصر نحو شرق السويس ما كان ذلك من مبادئ الأحزاب ولا من سياستها،

وإنما كان ذلك من سياسة القصر ومطامعه في الخلافة أيام الملك فؤاد.

رابعاً: لا أنكر أن الأكثرية الساحقة من الشعب المصري، لا ترضى عن عروبتها بديلاً، ولا ترضى إلا أن يكونوا المسلمين.. فالحوار لم يكن تجديفاً على الأكثرية الساحقة، وإنما كان إسقاطاً للشعارات التي تجاوزت عن عروبة مصر.. كأنما كل هذه الشعارات يجفوها الشعب المصري قبل الشعوب العربية، وهذه الجفوة من الشعب المصري، ومن الشعوب العربية، أعطت لمصر صحوه حين جعلت في الدستور نصاً على عروبة مصر وإسلامها!

ولا أغضبك إذا ما قلت: أن من بعض المثقفين الذين لا زالوا يعيشون انفرادية التاريخ، ينادون بأن مصر أمة واحدة!.. ولعلك تعرفهم وقد قرأت لهم.

خامساً: وأنت حين عاتبت العرب، بدأت تؤرخ لمصر من خلال تاريخك للوفد، مع أن حق مصر على كل مؤرخ أن يؤرخ للوفد ولكل حزب من خلال التاريخ لمصر!

إن الوفد له مزاياه، ولا تنكر - كوفدي - أن عليه بعض المآخذ، ولو من خلال الخصومة الحادة التي كالهيا للأحزاب، فتولدت أحقاد، وحل الفصام عن طريق الخصام محل الوئام الذي تجلى في الجبهة الوطنية، والذي نالت به مصر معاهدة الشرف والاستقلال سنة ١٩٣٦! فلولا الوئام لما كان الشرف والاستقلال!

إن الوفد أنكر تصريح ٢٨ فبراير.. فاز به عبد الخالق ثروت وإسماعيل صدقي، اللذان - بهذا التصريح - أعطيا لمصر العرش والعلم والتمثيل السياسي، وهما بهذا قد فتحا الطريق لمعاهدة سنة ١٩٣٦.

أنكر الوفد ذلك، مع أنه قد تمتع في ظلاله، حيث وجد الفرصة للمفاوضة وإدارة أسلوب الحكم.. فالوفد يؤخذ عليه حين لم يرض عن دستور ٢٣، وحين لم يرض عن تصريح ٢٨ فبراير.. مع أنه بذل التضحيات بعد ذلك، يجاهد طالباً عودة دستور ٢٣!

ولعلّي أذكر ملمة، نعرف بها قدر عقول الرجال:

فحين وصل الدكتور محمد حسين هيكل - أحد الرجال من الدستوريين خصوم الوفد - إلى المدينة المنورة، كنت أنا والدكتور سعيد مصطفى، أخو الضابط يوسف بيك مصطفى قائد الجيش المرابط، وكان الدكتور سعيد حزب وطنياً، فطرح سؤالاً على الدكتور هيكل:

- «ما بال الوفديين ييكون على الدستور الأعرج»؟!

- فأجابه الدكتور هيكل بالعبارة المجنحة التي يفيض منها الحب لمصر: «زرعنا فأكلوا، ويزرعون فنأكل»!

سادساً: إن من حسنات الوفد، بل ومن عزائمه، أنه قد مثل الأنموذج للثورة الإنجليزية بقيادة «كرومويل» حيث رفع رجالاً من الطبقة الدنيا إلى الطبقة الوسطى: وزراء، ونواباً.. فالوفد لم يجحف بالطبقة العليا، بينما حركة الجيش كانت تمثل الثورة الإفريقية!

إن «سعد» كـ «كرومويل».. أعطى الإنجليز أن تكون فيهم الطبقة الوسطى التي هي عماد المجتمع.. فثورة الإنجليز رفعت ولم تضع، والثورة الإفريقية وضعت ولم ترفع!

إن هذه المقارنة بين سعد - الثورة، وجمال عبد الناصر - الثورة..

أدعي فاحراً أنني لم أقرأ لمصري أرخ لهاتين الثورتين بهذا الأسلوب الذي أرخت به الآن!

سابعاً: لقد ذكرت الكثير من عون مصر لأمين الحسيني، والحبيب بورقيبة، ومحمد ابن يوسف.. فلماذا نسيت إنقاذ بطل الريف عبد الكريم، ولماذا لم تذكر عون مصر للجزائر، وعونها الأخير.. تحول به أن لا تقع الحرب بين الجزائر والمغرب؟!

إن في التاريخ - إذا ما وجد من يفقهه - عطاء كثيراً فيه كل الثناء على مصر.. كما وجدت أنت أخطاء على بعض المصريين!

ثامناً: وهذا الجواب لعتابك أراه كافياً، وإن لم يف بالتمام من حيث أن تجدني مؤيداً لك على ما أخذته على العرب.. فالكاتب اليوم في سعة لأن يحمل على سياسة الإمبراطوريات وعلى إسرائيل، ولكن التضيق عليه أنه لا يستطيع أن يكتب عن بعض العرب، وعن الحال الذي هم فيه.. كأنما الكاتب اليوم، والرزايا تحيط به، يحمل أسرارها، كما حملها الكاردينال.. لا يبيع بسر الاعتراف فالكاردينال حرص على الأمانة التي حددت عليه من تعاليم الكنيسة.. أما الكاتب العربي فقد تحدد عليه أن لا يبيع بالأسرار، لا بدافع الأمانة، وإنما بدافع الخوف!!

وأخيراً، لقد ذكرتكم بما نسيت، حتى إذا انتهيت من إملاء مقالتي هذا ذكرت لك ولي ما نسيناه معاً، لقد نسينا موقف مصر ضد الغزو الإيطالي لليبيا، لا بدافع الخوف على حدودها وإنما بدافع الخوف على أخوتها عرباً مسلمين ليبين فهؤلاء الثلاثة من شباب مصر حينذاك قد اشتركوا فعلاً في الجهاد.. عبد الرحمن عزام، سيد كامل، حافظ عفيفي، فلئن طار ذكر عبد الرحمن عزام ولئن صمت التاريخ عن سيد كامل وحافظ عفيفي فإن في

الجمعية رجالاً عرفوا عن دور حافظ عفيفي وعن دور سيد كامل، طار ذكر حافظ عفيفي عضواً في الوفد - وفد سعد - ثم طار ذكره في الأحرار الدستوريين كبيراً من كبراء الحزب ووزيراً لخارجية مصر ولسان مصر في هيئة الأمم والمنقذ لبنك مصر، أما سيد كامل فالجفوة لمحمود عزمي لحقت بهذا القريب له، وإلا فسيد كامل ومع مدحت يكن وفؤاد سلطان كانوا الأعوان لطلعت حرب في تأسيس «بنك مصر».

لم أقصد الإشادة بهؤلاء وإنما ذلك حق مصر على من أخلص لقومه من الخليج إلى المحيط.

وأذكرك بشيء آخر، فلقد أثنت في مقالك على أنور السادات، يرحمه الله، كما أثنت على الرئيس حسني مبارك، ويعني ذلك أنك لم تكن جافياً لحركة الجيش وإنما كل ما لديك هو أنك تأخذ على جمال عبد الناصر ما ذكرت، فالوجه البشع في الثورة لديك هو جمال عبد الناصر، ولعلك لم تنس أنك قد ساهمت في إنقاذ حركة الجيش يوم قتلت حسين سري عامر في الذروة والغارب بالإشاعة التي طبخوها وهو تعيينه وزيراً للحربية، فأغريت أهله كما أغريته ليسافر إلى الإسكندرية ليكون بجانب القصر ينتظر أمر التكليف، وترك مقر قيادته في سلاح الحدود، ولقد قال لنا أصدقاؤه أنه لو بقي في قيادته لسالت دماء ولربما تعطلت حركة الجيش.

وإليك تقديري، ولست أرغب العودة إلى هذا الموضوع، فمجال القول ذو سعة، ومجال الأدب أجمل وأكمل.

## عبد العزيز يمثل علاقة رجل عظيم بعصره

### الفهد يسير بالمملكة قدماً نحو التطور والبناء

وفي تقديرنا أن الدور العظيم الذي قام به الملك عبد العزيز بإزاء العقيدة السلفية التي جردها الإمام محمد بن عبد الوهاب، يمثل تجديد عبقرية الشخصية الإسلامية في العصر الحديث؛ لأنه حمى العروبة والدين وحارب البدع والمنكرات والضلالات بكل ما أوتي من قوة، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وجاهد في الله حق جهاد، ذلك أن العقيدة السلفية بكل مقاييس العبقرية إنما تجسد عبقرية الفكر الإسلامي.. ومن دراستنا لعبقرية المكان ذهبنا إلى أننا بإزاء شخصية من الشخصيات النادرة في التاريخ الإنساني بوجه عام والتاريخ الإسلامي بوجه خاص فالملك عبد العزيز هو الذي قال:

«لا نهوض للمسلمين بغير الرجوع إلى دينهم والتمسك بعقيدتهم الصحيحة والاعتصام بحبل الله، والطريق إلى ذلك واضح معبد لمن أراد سلوكه وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد الخالي من الشرك والبدع، العمل بما يأمرنا به الدين لأنه لا فائدة من قول بلا عمل»..

## القدوة للعالم كله

وقائل هذا الملك عبد العزيز قاله والعالم من حوله يبحث وما زال عن حضارة جديدة فقد أدرك الأوروبيون أنفسهم أن الرخاء المادي ليس هو الحضارة.. المنشودة ومن هنا قدم الملك عبد العزيز القدوة والمثل للعالم كله..

وبهذه الرسالة الحضارية تنهض الدولة السعودية اليوم في ظل الملك فهد بن عبد العزيز لتواصل دور الملك القائد الحكيم عبد العزيز، والذي استمد هذا العبء من ماضي دينه القويم ليضيء هذا العالم كله، بنعمة الحق، المنبعث من القلوب.. وإذا كان الاجتماعيون الأوروبيون يذهبون إلى وصف أمة العرب بأنها أمة تاريخية فإننا من خلال دراسة عبقرية الزمان.. نتعرف كيف قاد عبد العزيز الشخصية الإسلامية المعاصرة إلى حل المعادلة الحضارية الصعبة على النحو الذي لا يجعلنا نذهب وراء القديم فيصدنا عن محاسن الحديث ولا يصدنا عن محاسن القويم..

## القدرة والعظمة

قلت لهم: الملك عبد العزيز «القدرة والعظمة» وفي اعتقادي أنه مهما كتب عنه ومهما تحدث المؤرخون والباحثون والكتّاب فإنهم لا يوفونه حقه كاملاً، ولا أقول ذلك لكوني سعوديًّا ولكنني أقرر الحقيقة والواقع..

الأستاذ محمد إبراهيم شعبان، هل لكم أن تحدثونا عن بعض جوانب هذه الشخصية في إطار مفهوم القدرة والعظمة؟

- ونحن نستقبل القرن الهجري الجديد لا يسعنا إلا أن نؤكد أن الشخصية الإسلامية التي جسدت عبقرיתי الزمان والمكان في القرن الرابع

عشر إنما هي شخصية الملك عبد العزيز الذي قال عنه الإنجليزي «وليامز» منذ خمسين عاماً:

«هل بين ملوك الشرق الحاضرين من يضارع ابن سعود؟ لا اذكر حاكماً قوياً وصل إلى مكانة هذا الملك الذي لا يعدله ملك في العالم الإسلامي، فهو الجندي البطل، والمصلح الكبير، والمخلص لدين الله والإنسان الظريف الكريم الصريح الثابت الذكي الشجاع المتواضع إلى حد بعيد.. . وقال عنه الأمريكي جون جنتر في كتابه في داخل آسيا منذ نحو نصف قرن تقريباً إن ابن سعود رجل ذو خلق قوي وإرادة نافذة استطاع بهما أن يؤسس الوحدة والنظام في مملكته الواسعة!». .

ومن دراستنا لشخصية الملك عبد العزيز خرجنا بنتيجة هامة تتلخص في أننا أمام طراز نادر من الرجال يجمع بين القدرة والعظمة.. .

وفي شخصية منفردة المزايا والسمات والأقوال تصدر في ذلك جميعاً عن عبقرية منفردة متميزة وهي التي أطلقنا عليها عنوان كتابنا عبقرية الشخصية الإسلامية.. .

ولم نذهب هذا المذهب من منطلق أننا نكتب عن شخصية نحبه ونقدرها فحسب، ولكننا ذهبنا إليه كذلك انطلاقاً من ميزان البحث العلمي والأخلاقي.. .

والفرق بين القدرة والعظمة كما يقول العقاد، رحمه الله، يوضحه الاصطلاح ولا توضحه المعجمات اللغوية هذا التوضيح الذي نعينه.. .

فقد يقال عن العظيم إنه قدير ويقال عن القدير إنه عظيم، ولا يخطيء القائل من الوجهة اللغوية في هذا الترادف المقبول ما لم يقيد الاصطلاح إنما الاصطلاح الذي نعينه وننظر فيه إلى أحوال الطباع أن القدرة غير



العظمة في أشياء على حد تعبير العقاد «فكل عظيم قدير ولكن ليس كل قدير بالعظيم والعظمة قدرة وزيادة»، والملك عبد العزيز عظيم ولا ريب، ولكنه قدير كذلك، سواء إذا نظرنا إلى كل جانب منهما نظرة منفردة أو إذا ذهبنا مذهب العقاد في القياس حينما قال، كل عظيم قدير..

### عبقريته العسكرية والإسلامية

العالم العربي أنجب قادة عسكريين عظماء وذلك منذ فجر التاريخ الإسلامي.. هناك العديد أمثال خالد وسعد وغيرهما فهم كثير.. سؤالي للأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف أن يوضح الجوانب الإيجابية في عبقرية الملك عبد العزيز العسكرية؟

- قال في تقديرنا إن الذين ذهبوا إلى تشبيه عبد العزيز آل سعود بنابليون قد جانبهم التوفيق، ذلك أن الملك عبد العزيز هو امتداد لعبقرية العسكرية الإسلامية، وتلميذ في مدرسة النبي عليه الصلاة والسلام، والتي خرج فيها قبله بقرون خالد بن الوليد، حيث نجد للمقارنة بين عبد العزيز وخالد، الذي كان كما يقول أستاذنا العقاد «يحارب بالقريحة الملهمة أناساً رثت عقائدهم كما رثت ملكاتهم العسكرية فكانوا يرتبون كتائبهم وأسلحتهم في الميدان على نحو مرسوم كأنهم قائمون في مراتبهم بديوان التشريعات.. وعبد العزيز أشبه بخالد حينما كان يلبي الضرورة عضو الساعة في ترتيب كل كتيبة وكل سلاح..».

ويقول أستاذنا المفكر السعودي الكبير محمد حسين زيدان «فتى العشرين كما قال عنه المؤرخون يتحرك بفكر جديد ورأي جديد نتج عنه توحيد الجزيرة وتنظيم لوائها تحت راية التوحيد.. هذا الفكر الجديد من

أجل استرجاع الرياض بلده وليس لغزو الغير أو إثارة الذعر بين الذين يجب لهم الأمان والأمن من قومه أو البحث عن احترام كاذب ترويه الدماء...».

### تطبيق الشريعة الإسلامية

ويضيف أستاذنا محمد حسين زيدان إلى ذلك قوله الذي يفيدنا في التعرف على عبقرية عبد العزيز العسكرية «ويسجل المؤرخون والمحللون العسكريون حقيقة نذكرها بالفخر والاعتزاز، وهي أن مجرد نجاح الملك عبد العزيز في تحقيق الوحدة والاستقرار لبلده نبذ أسلوب الحرب نهائياً واتجه لتطبيق الشريعة الإسلامية وإرساء دعائم العدل والأمن والطمأنينة في كل ربوع الجزيرة العربية وكان الملك عبد العزيز يستطيع أن يوسع ملكه ويسيطر على الكثير من الإمارات المجاورة.. ولكنه كان صاحب فكر استراتيجي ملهم لا ينخدع بظواهر الأمور، فأوقف الحرب واتجه للبناء والتعمير وتنمية قوى البلاد البشرية والإصلاح الاجتماعي والديني»..

وهذا ما ساقه المؤرخون والمحللون كحقيقة تميز بها الفكر الاستراتيجي للملك عبد العزيز، رحمه الله.

### سر المعجزة

وهناك العديد من الجوانب العسكرية الهامة في حياة موحد الجزيرة ومؤسس هذا الكيان الكبير تقتضي الدراسات العديدة التي يجب أن يعني بها الباحثون والمؤرخون والمحللون..

وإذا كنا قد وجدنا شبيهاً بين عبقرية عبد العزيز العسكرية وعبقرية خالد بن الوليد العسكرية كذلك فإن من وجوه الشبه أيضاً هذا الإسهام في القيادة

العسكرية الذي يمثل سر المعجزة التي أذهلت المؤرخين والباحثين العسكريين على حد تعبير أستاذنا محمد حسين زيدان.. فكثير منهم كما يقول تناول جانب اهتمام الملك عبد العزيز بالنواحي المعنوية والاقتصادية لجنوده كما تناول آخرون اختباره للوقت واستغلاله الدعائي والإعلامي لما شهدته معركة «روضة مهنا» من تعد على الشيوخ وكبار السن حتى أن كثيراً من الخبراء الألمان كانوا يقارنون أسلوبه بما حققه مصطفى كامل في مصر حين استغل حادث دنشواي لوصف بشاعة الاستعمار الإنجليزي..

### العدل أساس الملك

قلت لهم: عندما حمل الملك عبد العزيز راية التوحيد لم تكن لديه أطماع سياسية ولم يكن يريد توسيع رقعة نفوذ إدارية ولكنه حمل راية التوحيد عن إيمان مطلق..

أستاذ محمد إبراهيم شعبان ما هو تصوركم حول عبد العزيز وعبقريته الشخصية الإسلامية - عنوان كتابكم؟

- قال الأستاذ شعبان:

- حينما نتحدث عن عبد العزيز وعبقريته الشخصية الإسلامية، فإننا نجد أنفسنا بإزاء شخصية استهدت بهدى القرآن، لتحقيق للشرق حاجته إلى القائد الذي يهتدي بنور الله وينتفع بسابق تجارب الإسلام..

ولذلك أجمع المؤرخون أنه، كان متواضعاً ولم يكن مغروراً، نشر العدالة والأمان، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأيقن أن العدل أساس الملك واستطاع تحضير البادية وتعميم أحكام الشريعة وإقامة الحد فتمكن من ضبط الأمور وبناء الدولة بإعجاز يدعو إلى الإعجاب..

وفي تقديرنا أن سر هذه العبقريّة الإسلاميّة في شخصيّة الملك عبد العزيز إنما يرجع إلى التقوى أم الخصائص في الشخصيّة الإسلاميّة، وفي هذا قال الكاتب الإنجليزي «وليامز»: «من النادر أن تجد رجلاً تجمعت فيه المزايا التي تجمعت في ابن سعود، فهو جندي موفق ظافر ومصلح مبدع مبتكر وتقي ورع صالح، وجواد سخي سمح، وراسخ وطيد متين وذكي حاذق لبيب وشجاع جريء مقتحم وإنسان لطيف مهذب نبيل في تواضعه جليل في احتشامه»..

وقد سبر المستشرق المجري المسلم الذي رحل عنا مؤخراً الدكتور عبد الكريم جرمانوس، رحمه الله، أغوار شخصيّة الملك عبد العزيز رحمه الله حين قال عنه إنه «الملك الذي جرد السيف في سبيل دينه وعقيدته يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم، لا يقاتل الناس ولا يعتدي عليهم، إنما يحارب الجهل ويقاتل الجمود ويكافح التأخر»..

## ينبوع الدين الإسلامي

ومن هذا ينبوع العظيم ينبوع الدين الإسلامي والشخصيّة الإسلاميّة نهل الملك عبد العزيز مقوّمات عبقريته فأصبح في عداد القادة الذين يمتازون بأنهم مصادر عقيدة ومنبع إيمان، ولذلك كانت لقوة تأثيره أثرها في توليد القوة الهائلة في النفوس لبناء الشخصيّة الإسلاميّة من جديد وإننا اليوم ونحن نواجه تحديات القرن الهجري الجديد ننظر إلى المثل الأعلى في عبقرية الشخصيّة الإسلاميّة في القرن الرابع عشر عند الملك عبد العزيز ونتوجه شطر المملكة العربيّة السعوديّة لنجد فيها الحاضر المشرق والمستقبل المرموق للشخصيّة الإسلاميّة التي يوكل إليها بناء الحضارة الإنسانيّة من

جديد بقيادة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود والذي يسير  
بالمملكة قدماً على طريق التطور والبناء بأسرع ما يمكن نحو أهداف الأمة  
الإسلامية التي تأخذ طريقها نحو أهدافها في التقدم بإيمان وقوة واعتداد،  
بما وهبها الله من إمكانيات وقدرات..

## الملك عبد العزيز كان يحمل صفات الزعامة وكان تكسوه هبة هامات العرب

وأعطاهم الأمن في الصحراء أن لا تتجاوز على من كان على الخليج  
وحين استعمرت فرنسا سوريا لم يثر عليها ثائرة وإن كان قد أوى في  
حدوده مع الشام الكثير من الثوار، ذلك أنه لا يبدأ عداء، له شيمة تدعوه  
لأن لا يضام عربي لجأ إليه، كما فعل ذلك مع رشيد على الكيلاني . .  
والشيء الذي لم يعرفه كثير من الناس أنه كان ضد ثورة الحسين بن علي  
علناً وكما كان معه إعلاناً فاكتمسب تهنئة الدولة العثمانية لأنه لم يباشر  
العون لثورة الحسين واكتسب طمأنينة الإنجليز لأنه لم يثر على ثورة  
الحسين ثائرة وجاءه من ذلك كسب آخر على صورتين، فالصورة الأولى  
التي حجزت القبائل عن الغارات في نجد هي أن «نجد» كانت مربعة وإذا  
ربعت القبائل استقرت في هجرها ونجوعها والصورة الثانية هي أنه أباح  
لقبائل نجد فجل حرب وجل عتية ومن إليهم أعانوا ثورة الحسين وفدوا  
عليه فكثرت العطايا لهم فأغتنوا ووجدوا الفرصة سانحة من كثرة السلاح  
تركه فخري باشا والسلاح الإنجليزي في يد الأشراف فاقتنوا السلاح حتى  
عشقوا «أم خمس» وهي من أنواع البنادق.

واقتنوا الذخيرة فلقد كثرت العطايا لهم من صناديق الذخيرة فإذا قبائل

نجد التي ربت واخضرت واقتنت السلاح والمال جند مطيع تحت راية عبد العزيز وأكبر عون لعبد العزيز لثورة الحسين أنه حجز بالرشيد أن يكون مدداً لفخري باشا؛ لأنه خاف على إمارته فلا يتجاوز حدودها ليعين فخري باشا. عبقرية الموهوب عبد العزيز والتوقيت حالفه التوفيق.

ولكن ماذا كان موقف القوى العظمى المؤثرة في العالم في ذلك الوقت ومواقف الدول المجاورة؟

- سبق أن قلت موقف الإنجليز وموقف فرنسا.. فلم تأت ثائرة عليه من العراق تقلق راحته ولم تكن عليه مثله من سوريا.. أما اليمن بقيادة الإمام يحيى فقد انتهت المشاكل معه لطول المدى والصبر من عبد العزيز وبمعاهدة الطائف.. ولم تبق إلا مصر.. فقد كان الملك فؤاد على جفوة له كما كان جافياً لثورة الحسين فما كان هناك اعتراف ولكن رجالاً في مصر لم يعبأوا بموقف السراي فإذا هم الأصدقاء الذين دأبوا على العمل ليكون الوفاق بين مصر وبين عبد العزيز..

أما الشمال الإفريقي فكان بعيداً وتحت الاستعمار الفرنسي ورغم كل هذا فإن عبد العزيز كان ذا عاطفة مسلمة قد دعتة حين حانت الفرصة أن يكون لتونس وللجزائر وللمغرب ولسوريا ولكل العرب، ولقد قال لمحمد نجيب وجمال عبد الناصر حين زاره في الطائف قبل وفاته يرحمه الله «أنا لا يهمني أن يحكم مصر فاروق أو أنتم.. إنما تهمني مصر».

كان لجلالة المغفور له الملك عبد العزيز رأي ثاقب.. وكلمة قيلت تخص مشكلة العرب الأولى «فلسطين» ما هو هذا الرأي وهل عمل به ولماذا؟

- كان رأي جلالته أن لا تكون حرب حكومات وجيوشاً نظامية أن

تكون حرباً شعبية يخوضها الفلسطيني والسوري والأردني والمصري والسعودي والمغربي لأن الحكومات في رأيه ستكون خاضعة لضغط الحكومات، أما الحرب الشعبية فمواطنون يحاربون عن وطن، وقد قال مرة هذا الرأي للملك عبد الله بن الحسين، يرحمه الله، فأجابه الملك عبد الله إن هذه حرب ولدى العدو ألغام وأسلحة ليست للشعوب التي ستقاتل فقال الملك عبد العزيز الألغام تربط الجمال وندفعها تنفجر بها الألغام فإذا الجيش الشعبي يجد الطريق مفتوحاً وإذا العدو يؤخذ بغرة الاعتماد على الألغام.. . وفعلاً فإن الجيش السعودي في حرب ١٩٤٨م قد أقدم على الهجوم يهاجم قرية فحسب حساباً للألغام ربط بعض الكلاب ودفعها نحو الألغام فتفجرت الألغام واحتل الجيش السعودي تلك القرية.

رحم الله جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ذلك الرجل الفذ العملاق الذي وحد لنا كل هذا الكيان الكبير بقوة العزيمة الصادقة والإيمان الكبير وجعل لهذا البلد المقدس الكريم مكانة عالية بين أمم العالم شتى استحققت على مر التاريخ وبجهود أبنائه الغر الميامين المظفرين كل تقدير وحب واحترام.. .



## اليوم الوطني للمملكة

ونحن نستنشق عبير صباح هذا اليوم.. لا بد أننا نشعر وأن صدورنا قد امتلأت عن آخرها زهواً وفخراً وحماساً وتقديراً.. حتى إننا من فرط غبطتنا وامتناننا ونحن نهني بعضنا البعض بذكرى اليوم الوطني للمملكة.. نحمد الله تعالى كثيراً الذي وهب جلالة المغفور له الملك عبد العزيز كل هذه الشجاعة والهمة والعزيمة والإصرار.. ليقوم مع نفر قليل من جنده المخلصين بتوحيد كل هذا الكيان العامر الكبير، وفي هذه المناسبة الطيبة استضافنا الأستاذ الموسوعة التاريخية والأديب الكبير محمد حسين زيدان.. ليجيب على أسئلة «المدينة» التي طرحناها عليه في مناسبة اليوم الوطني للمملكة..

الأستاذ محمد حسين زيدان.. في مناسبة اليوم الوطني للمملكة.. ماذا تعني هذه المناسبة بالنسبة لوجدان المواطن السعودي؟

الوطن كما قال ابن الرومي:

ولي وطن آليت ألا أبيعـه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعماً	كصحه قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم	مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهموا	عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو هو كما قال شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهذا الكيان الكبير.. المملكة العربية السعودية هو بيضة الإسلام والعروبة مكة سياج الحرمين الشريفين.. فالحرمان الشريفان هما بيضة البلد، «فالدفاع عن بيضة البلد والحب لهذا البلد والعمل لصالحه تدعو إليه الوطنية وتختلف الوطنية لهذا البلد عن غيره من بلدان أخرى، فوطنية هذا البلد هي الإسلام، ووطنية هذا البلد هي العروبة في نطاق الإسلام.. وكما قلنا من قبل إذا قالوا الإسلام فنحن على الذورة وإن قالوا العروبة فنحن على السنام ويعني ذلك أن بين الإسلام والعروبة في هذا الكيان الكبير تزواج لا ازدواجي.. وقد بلغني أن الجزائريين كانوا لا يعرفون عن العربي إلا أنه المسلم.. فلما اتسع نطاق الاتصال عرفوا أن بعض العرب غير مسلمين والاحتفال بذكرى اليوم الوطني تذكير بقيمة الوطن والوطنية.. معاملة بالمثل للدول الشقيقة والصديقة.. كأنما هو إعلان عن الوجود ليس وجوده هو بالذات وإنما عن وجود الشقيق لشقيقه والصديق مع صديقه»..

فالذكرى ليست عيداً.. فللإسلام عيدان ولكن التذكير لتشبع القلوب من الحب ولتلتئم القلوب ولينتصب القوم ولتثبت القيمة ولترتفع بالقيم.

إن هذا الوطن المملكة العربية السعودية كان ومازال مشرق النور، حمل أجدادنا وأبائنا مشاعل الهداية للعالم كلها، على حراء سطع نور النبوة وعلى الصفا أعلنت الرسالة، ومن دار الهجرة كان النصر والفتح المبين والفتح العظيم.. أتحدى التاريخ أن يأتيني بخبر عن قائد قاد الجهاد للفتح وعن جندي حمل السلاح للفتح من غير هذا الوطن جزيرة العرب ميراث محمد عليه الصلاة والسلام.

فلن يجد واحداً من هؤلاء القادة الفاتحين والجنود الفاتحين إلا من بلدكم هذا. . فالكوفة ما كانت عاصمة العاصمة دمشق إلا بقواد من هذا البلد، وفتح المشرق ما كان إلا بقائد وجنود من هذا البلد، والفسطاط عاصمة العاصمة دمشق ما كان قائد الفتح في الشمال الإفريقي إلا من هذا البلد.

وما كان جنوده إلا من أبناء هذا البلد، بلدكم عظيم. . لا أدعوكم للفخر وإنما دعوتي لأن يكون كل واحد منا يحمل مسؤولية العمل ليكون فخر الوطن به أجزى وأجزل من فخره بالوطن.

إن وطنكم هذا كما قلت أكثر من مرة قد ضاع مئات السنين في عتمة التاريخ وظلم التاريخ حين «خربه» بنوه وهدمه بانوه. . أموي وعباسي وعلوي. . فاسألوا أنفسكم كيف أصبحتم الآن في كيان كبير في دولة واحدة كأنما عدتم إلى عصمة العقيدة الواحدة والقيادة الموحدة. . أنعم الله بكل ذلك على عبده الإمام السلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن تغمده الله برحمته. . وحد جزيرة العرب في كيان كبير.

إذن. . ما هي أبرز مقومات شخصية جلالته المغفور له الملك عبد العزيز التي ساعدته في تحقيق هذا الإنجاز الهائل العظيم المتمثل في توحيد المملكة العربية السعودية.

الملك عبد العزيز يحمل صفات الزعامة وموهبة الزعيم. . صدقاً في تحقيق ما أراد وهيبة متعه الله بها، فقد كان الرجل الطوال تكسوه هيبة هامات العرب فما قابله واحد إلا هابه. . ومن وسائله التي هي جالبة النصر له أنه ما كان يستهين بخصيم، لو قالوا له إنه ضعيف لا تصرفه عنه هذا القول واستعد له باعتباره القوي، وقد سخر الله خصومه إذ كانوا على وهن وعلى غير استعداد فقد طغى عليهم أيضاً أنهم كثيراً ما استهانوا بقوته، فهو

إذ لم يستهن بهم وقد استهانوا فكان ذلك المزيج هو النصر له والهزيمة لهم، وكان واسع الصدر طويل المدى قرب البعيد ولم يبعد القريب، إذا ملك ناصية الخصيم قال له ارفع رأسك وإنه ليرفع رأسه حين يجد الإكرام والمنعة فلا يهان، فكم هم الذين كانوا في كنفه أصدقاء بعد أن كانوا خصوماً.

وسأبشع لنفسي أن أذكر قصة سمعتها من أمير كريم قال:

«بعد أن استرجع الملك عبد العزيز الرياض أخذت القبائل تترى وافدة عليه كأنما القدر يسوقها لتكون من جنده وكان من هذه الوفود وفد أزمع الرحيل إليه من قبيلة عتيبة، فاستشاروا شيخاً من عليتهم ومن أصحاب الرأي فيهم عن تصرفهم حين يفدون على الإمام عبد العزيز فقال هذا الشيخ الأمي المحنك علمته التجارب وارتفعت به قائلاً له إنكم ستصلون إليه فإن أخذ سيفاً من «خوياه» أو بندقاً أعطاهما لكم وإن وعدكم بالعطاء أو أعطاكم بعض المال فشدوا رحالكم وعودوا لا شأن لكم به.. وإن قال لكم لا شيء عندي أعطيكم «رزقي ورزقكم على الله» غايتنا الجهاد في سبيل الله وجمع الشمل فكونوا له ومعه فهذا الصدق كانت الداعية لأن تكون القبائل معه وله».

هل ساعد جلالته قوى أجنبية أو خارجية في تحقيق هذا الهدف الكبير؟

نعم.. كان حصيفاً في مواجهة الإنجليز وجلب صداقتهم.. وكان أكثر حصافة في تهدئة الدولة العثمانية، فاكتمب من صداقة الإنجليز وقد كانوا القوة حيث كانوا إمبراطورية الهند آمن من تحركهم.

## عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية

ولعلّ هذا الكتاب يلزماني أن أدعو له على صورة من الإعلان عنه تعريفاً بالبطل، ولا أحسب أن أحداً يتهمني أو يتهم جريدة «عكاظ» بأنها قد تقاضت قيمة الإعلان بالإشارة بالكتاب لا تعني إلا أنها الوفاء للبطل الملك «عبد العزيز بن عبد الرحمن»، تغمده الله برحمته.

ولست أجد وسيلة لهذه الإشادة إلا أن وضعت هذا العنوان أنشر باسمه المقدمة التي كتبت تعريفاً به وتقديراً لجهد الكاتبين، فالمقدمة هي كما يلي:

«وقرأت الكتاب»: «عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية»

وقد كلفت به كلني بالبطل، كما كلفت به لأبعث لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ما رأيت مما قرأت، فقد بعثه إلي تكليفاً لبس ثوب التشريف، فإذا بي أجد الكتاب قد عنى به المؤلفان عناية لم تكن عن سرد التاريخ استقراراً للحوادث، وإنما كانت عن فهم البطل، فالبطل تاريخ لأنه قبل أن يصنع من الأحداث تاريخاً، تحدد معالم حاضره ومستقبله، فإن الأحداث التي مضى بها تاريخ قومه هي التي تصنع البطل فإذا لم يكن الزعيم قد تأثر بماضي أمته وقيم شعبه ومكانة أسرته فإنه قد يطول به الزمان أن يجد نفسه ليصنع تاريخ مجده. أو مجد تاريخه.

لقد نهج المؤلفان النهج الذي تعرف به كيف أصبح البطل بطلاً لم يخضعا للمدرسة الحتمية التي تجعل الحدث وليد الحدث قبله، وإنما هما قد أخضعا وبالتحليل كل حدث جاء على يد البطل إلى الوازع النفسي والدافع القومي.

وحين استمرت أن أقرأه تذكرت «توماس كارليل» لم يذكر أحداثاً، فقد كان البطل هو الحدث عنده، حتى أن نظافة الأسلوب جعلته وهو المسيحي ألا يرى البطل كنبي إلا في شخصية «محمد» ﷺ وكما جاء، إميل ليدفيج.. . فيما كتب عن البطل «نابليون» وعلى نفس الصورة قد حذا حذوهما المؤلفان وهل أقول إن «برنارد شو» عن «جان دارك» قد أسبغ صفة البطولة على «جان دارك» بأسلوب أنها مصنوعة الحدث.

من هنا قرأت فأمثعت، وأبدت رأيي لسمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز، أرجوه أن يتم طبع هذا الكتاب، حتى أنني لم أحجب في نفسي أن حب العرب غرب السويس لا يبخل بأن يزيده ويزيده كلفاً منحتة جزيرة العرب إليه، إسلاماً ولغة، وأنسلاً، فالعرب غرب السويس من شاطئ القنال وأرض البرزخ - وطأة عمرو بن العاص - إلى ساحل بحر الظلمات «الرباط» - وطأة القدم - قدم عقبة نافع - كل هؤلاء الناس العرب المسلمون - بهذا التحديد الذي حددت - يحبون أرضنا وإنسانها.

وبهذا الحب كتب المؤلفان الأستاذ محمد إبراهيم شعبان والدكتور عبد العزيز شرف كتابهما عن «عبد العزيز آل سعود وعبقريته الشخصية الإسلامية».

وقد وثقت أنهما لم يهملأ أي تعديل قد أشرت به إليهما، آملاً أن يكون هذا الكتاب موضع الرضا من القارئ والناقد وما إلى ذلك.

والكلمة الأخيرة عن البطل التي لا يجادل فيها أحد أنه قد رد الاعتبار لتراث محمد - المسجدين - وسياجهما جزيرة العرب، بعد أن أهدرها العبشمي والهاشمي، فمن اليوم الأول الذي خرج فيه علي بن أبي طالب من المدينة، قد أصبحت جزيرة العرب التي هي كياننا الكبير «المملكة العربية السعودية» في غيبة التاريخ، وغواية التاريخ، وظلم التاريخ، وجاء عبد العزيز فصنع الوحدة الأنموذج.. إنه بهذا الرد للاعتبار ينبغي أن يكون له كل الدّين في عنق المسلم العربي، يرحمه الله.

### - الأخضر والأحمر -

وقبل أن اشرح العنوان عن الضوء الأخضر والأحمر، فقد أستملح أن أضع أمام ما أود شرحه هذا المثل، سمعناه من أشياخنا في المدينة المنورة، وهو على قساوته أو حتى وقاحته اعتبره يمثل واقعاً قد انغمست فيه وانطمست به قضية فلسطين فقضية لبنان.

إن المثل هو هكذا: «زوّج بنتك على ولدك.. كلام الناس ثلاثة أيام».

أي وقاحة وأي فظاعة أن يزوّج أب لبس الضلالة الأخ على أخته، ومع هذه الفظاعة والوقاحة والشر المستطير فإن الناس يعيرون ذلك ويكرهونه وربما حاربوه بالكلام، ولا يمضي على ذلك من كراهيتهم وإنكارهم ومعاتبتهم له إلا أيام قليلة، فإذا الكلام يسكت وتنتهي المسألة بالتناسي ثم بالنسيان، وهكذا ذهبت مذبحة «صبرا وشاتيلا» فلم يعد هناك كلام عنها، كما ذهب غزو إسرائيل للبنان، إسرائيل تجني ثمرات الانتصار، وإذا العرب تكلموا أياماً وسكتوا عن ذلك ليبدأوا كلاماً جديداً عن لبنان أيضاً، وعن

الحرب الأهلية القائمة فيه، وعن الطغيان الإسرائيلي الذي يريد نشر القوات وتوزيعها.

وإذا ما تكلم العرب عن هذه الأوضاع وعن ما يجري من فوضى داخل منظمة التحرير، وضع كل فريق الخطأ على الفريق الآخر، بينما الأمر لم يعد في وسع العرب أن نخضعهم إلى أن يخطئ بعضهم بعضاً، أو أن ندعو البعض بآلاً يكون السبب في بقاء إسرائيل تحتل لبنان، سواء بالتحدي غيرها من العرب أو بممارسة التعدي منها على الفلسطينيين واللبنانيين، أو بتكوين الحرب الأهلية مؤيدة من إسرائيل، مؤيدة من الآخرين عرباً داخل الحدود أو من خارج الحدود.

وإنما الذي يدعونا هو أن يتسع فكرنا إلى موقف الإمبراطوريتين، إمبراطورية «البيت الأبيض» وإمبراطورية «الكرملين» فالصراع حول لبنان هو الصراع من أجل فلسطين، فما اشتعل ولن يشتعل إلا بالضوء الأخضر منحتة الولايات المتحدة لإسرائيل، لتطغى في فلسطين ولتغزو لبنان، وما اشتعل ولن يشتعل إلا لأن الضوء الأحمر لم تشعله إمبراطورية الكرملين.

فالضوء الأخضر في لبنان كان يقابله الضوء الأحمر لم يوجه إلى إسرائيل وإنما وُجّه إلى غير إسرائيل، وأحسبني غير مخطئ ولا متجاوز الحد حين أزعم أن الضوء الأخضر «المزدوج» يشعله الاتحاد السوفيتي سرّاً أمام إسرائيل وجهاً أمام سوريا، وبذلك يكسب الاتحاد السوفياتي، ما أراد، وتتورط الولايات المتحدة لأنها أصبحت تحت سلطان اليهود، بدأوا يخربون سياستها وقوتها في العالم العربي وفي مواطن أخرى، لأن رغبة اليهود هي تدمير الإنسان، ولن تجده إلا حينما يتصاعد الصراع بين الإمبراطوريتين، فلئن بدأ في أوروبا وتصاعد في الشرق الأوسط واعتلى



تأثيره على الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى فإنها الفرصة لدفع الولايات المتحدة إلى موقف لا خلاص منه إلا بالرضوخ لخطرسة الاتحاد السوفياتي أو بإشعال الفتيل، لا في الصواريخ متوسطة المدى، وإنما بالصواريخ عابرة القارات.

ولكن.. لعلّ الشعب الأمريكي تأتية صحوة ليتجنب الكارثة حين يعرف ما يصنعه اليهود.

وهناك الضوء الأصفر.. ما زال مشتعلًا في يد السوق المشتركة يتسم حيناً للضوء الأخضر، ويكفهر حيناً للضوء الأحمر!

## - صورة

وهذه الصورة نشرناها من قبل:

«المنّ من القوي استعلاء، ومن الضعيف استجداء، ومن القرين بلاء».

وما أرق الاستجداء في قول جرير لعمر بن عبد العزيز، نسج هذا البيت من الشعر صورة بيانية ارتفع بها إلى فوق:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر

فهل يترمل الذكر؟!

أم هي بلاغة الفحولة في جرير؟!

## مع الرئيس جعفر محمد النميري

- وادخر لي الصديق الأستاذ عبد الله عبد الرحمن جفري المقال! كتبه الرئيس جعفر محمد النميري ونشره في جريدة «الأخبار» المصرية في أواخر شهر رمضان ١٤٠٣هـ وما أحسب الجفري إلا أنه أراد وبحسن الظن منه أن أكون أهلاً احتفي بالمقال موضوعاً وأسلوباً..

ووجدتني أستقرؤه فإذا الموضوع يستأهل الحفاوة ولكن الأسلوب هو الذي أخذني أصفق له، وليس ذلك جفوة للموضوع وإنما هي الصفوة مع الأسلوب، فقد قالوا الأسلوب هو الرجل، ثم إن الموضوع أي موضوع، تصوير لحدث أو استنارة من فكر، وذلك مشاع، أما الأسلوب فما اقل الذين تطرب لأسلوبهم، وهكذا كنت مع النميري أسلوباً..

فالرئيس قد أعطى اللغة الشاعرة رئاسة السؤدد في السودان، وليس ذلك بالكثير على الأعراق العربية وما أكثرها في السودان، حتى أن نسبة العرق العربي الذي ما زال قليلاً لم تمنح أسماء القبيلة عنه، بل هم الفاخرون بهذا الانتساب، فالعرق العربي قد وصل إلى نسبة كبيرة تتوازي أو تتساوى مع أقاليم عربية لا ينكر أحد عليها أن تكون ذات النسبة الكاثرة في أعراقها العربية.

فالعرب في السودان أعراق، والعروبة لمن التف حولهم استعراق.

إن أسلوب النميري سأحدث عنه بعد أن أتناول طرفاً من الموضوع،  
لأنني لا أريد أن أستكثر عليه حمده لنعمة من الله عليه بها إذ أنقذ ياسر  
عرفات مرتين، فذلك موضوع معروف، سوف لا أتعرض لذلك لأنني  
سأستعرض ما أشرح به إنقاذ السودان لمصر مرتين فهكذا تعودنا من السودان  
أن يكون منقذاً..

ولكن.. كيف أنقذ السودان مصر مرتين..؟

يتضح ذلك فيما يلي..

- أولاً: وكانت مصر أحد ميادين الحرب في الحرب العالمية  
الثانية.. كل خيراتها كل مصيرها، والكثير من عمالها والنمير من مائها  
وما إلى ذلك كان عوناً للحرب خاضها الحلفاء ضد المحور، ويعني ذلك  
أنهم كانوا - أعني المصريين - في صف البريطانيين.

لقد كانت مصر ميداناً للحرب وحجزوها أن تكون معلنة للحرب،  
زعماؤها أطلقوا شعاراً «تجنب مصر ويلات الحرب» لا زعيم واحد، فقد  
دعا لدخولها الحرب، فعصاه الزعماء وجفاه الإنجليز، فلو أن مصر دخلت  
الحرب لجندت كتيبة أو كتيبتين بالسلاح كما جندوا كتيبة إسرائيلية، لو أن  
مصر فعلت ذلك لما كانت هزيمة العرب سنة ١٩٤٨م.

- ثانياً: وبينما الحرب مشتعلة وضعت بريطانيا وزيراً من وزرائها في  
مصر كضابط اتصال بين السفارة والجيش من ناحية أخرى، ليكون كل  
الوضع في يده ممثلاً لمجلس الوزراء، واسم هذا الوزير «لورد موين».

وخطط اليهود أن يضعوا مصر في مشكلة مع بريطانيا تكون أشد من  
المشكلة التي أمسكت بها بريطانيا فأصدرت أوامرها على مصر تدفع ضريبة  
وتسقط سعد زغلول ويجلو الجيش المصري عن السودان.

كان ذلك حين اغتال البريطانيون السردار، فأخذ اليهود هذا الوضع السابق ليضعوا مصر في وضع يماثله، فإذا يهوديان «إلياهو حكيم» وآخر يتربصان اللورد موين فاغتلاه.

فلقد ظن اليهود أن اغتيال لورد موين ستقسو بسببه بريطانيا على مصر قسوة شديدة، تتهم رجالاً وتصدر أوامر على صورة أشد مما فعلت يوم قتل السردار، فإن الوضع في الحرب كحياة أو موت يبيح لها ذلك.

- ثالثاً: ولكن، وبفضل من الله على مصر، شاهد مجند سوداني اليهوديين المغتالين فأمسك بهما، فإذا مصر تنجو من مؤامرة اليهود، بينما اليهود وقد ظهر القاتلان منهم لم تحرك بريطانيا ساكناً ضد اليهود، وليس في ذلك تناقض وإنما هي سياسة بريطانيا مع اليهود على طول الخط وليست مع العرب إلا في ظاهر التخطيط إذا ما دعت مصالحها لذلك..

- رابعاً: أما المرة الثانية التي أنقذ السودان فيها مصر فهو موقف ابن السودان «ولد النجومي» الضابط قائد الحرس الملكي لحماية القصر في الإسكندرية ومن هو؟

هو عبد الله النجومي.

فلقد قاد زكريا محي الدين جيش الثورة يحاصر القصر، يطلب من الملك التنازل عن العرش، فوقف النجومي موقف ابن النيل لحماية النيل.

فلم يأمر بإطلاق قنبلة من مدفع أو رصاصة من بندقية، فإنه لو فعل ذلك لرد عليه زكريا محي الدين ولكانت معركة دموية قد ينهدم بها القصر ويهلك الملك وتقتل الثورة في حينها، أو توصم بالثورة الدموية، فقد أعطى النجومي الشعار النظيف للثورة بأنها ثورة بيضاء ولو قامت المعركة فلربما

يتحرك جيش الاحتلال لإجهاض الثورة، وتسفك الدماء، فتكون النكسة مثل  
نكسة عرابي.

فعبد الله النجومي أنقذ مصر والثورة والملك وحال دون جيش  
الاحتلال.

- خامساً: وماذا جرى لعبد الله النجومي؟

كان من حقه أن يحمد له هذا الموقف، ولكن من حقه أن ينشد بيت  
أبي فراس:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلقد رأيته في مكة يلبس سترة وبنطلوناً من خلق ملون كأنه رقع رأيته  
في أحد مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي، وكنت جالساً والملك فيصل  
ينتظر افتتاح المؤتمر، فإذا عبد الله عريف، يرحمه الله، يمسك بي، يهزني  
من الخلف: أنظر: فهذا عبد الله النجومي!

وكان عريف على علم بتقديري لموقف النجومي، فقامت أصافحه  
وأحييه، ولم أره بعد ذلك، ولعلّ الكبار عندنا قد أكرموا عزيز قوم ذل..

وهكذا السودان أنقذ مصر مرتين..

وقد استعرضت الأسلوب أسمعته، فوجدتني أقول للصديق وهو يقرأ  
لي.. إن هذا الأسلوب نزع به إلى عرق فدعني أنتزع الوصف من واقع  
الذي كان من قبل، جرى به بيان على لسان الذين كانوا من صناع البيان.

ويحسن بي أن أجعل ذلك كما يلي، كظلال لخلفيات إن احتفت  
بالأسلوب فإنها لا تجفو الموضوع.

- أولاً: كأنما الرئيس النميري قد نزع إلى كلمة علي باشا شعراوي يوم قابل شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي باشا وسعد باشا السفير البريطاني في يوم ١٣ نوفمبر في أوائل العشرينات الميلادية، يطالبونه بالاستقلال، وفي خلال الحوار معه قال السفير البريطاني «سير وينغت».

«إن مصر كانت تابعة للدولة العثمانية، فماذا يضيرها أن تكون تابعة لبريطانيا؟».

فانتفض العرق الحميري في علي شعراوي يقول له: «قد أكون عبداً للسير وينغت، أو عبداً للجعللي، ولكن كل العبودية أرفضها».

ولقد ظننت يوم كنت أجهل ماذا تعنيه النسبة للجعللي، حسبته يذكر النسبة للجعلل، أي الجعران الذي آلهته مصر في جاهليتها الأولى.. غير أنني عرفت بعد أنه أراد النسبة إلى «الجعليين» قبيلة كبرى في السودان جاء اسمها من قولهم «قد جعلناكم منا».

- ثانياً: والأسلوب البياني قد يفعل بالكلمة الواحدة أكثر مما تفعله المقالات الطوال افتراه قد أنتزع إلى عبد العزيز فهمي حين أرجف بالسراي بكلمة هي: «حنانيك يا نشأت» فاسقط نشأت من سلطانه المتغطرس..

- ثالثاً: أم هو قد قال لنا التوضيح حينما اختزن كلمة سعد «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز»، ليقول لنا في تحوير عن هذه الكلمة وتدوير لها على الواقع، «لقد خسرنا فلسطين، وكسبنا صداقة الإمبراطوريات والسوق المشتركة.. لقد خسرنا لبنان لنكسب خسارة أكبر هي في الشقاق والفرقة.. لقد خسرنا التضامن لتكسب إسرائيل كل ما تريد».

ذلك ما ذقته من مقال النميري، ولا شيء عندي غير أن أذوق حلواً  
ومراً، والليالي من الزمان حبالى!!

والكلمة الأخيرة عن هذا المقال، قاله المعجبون به، فالذين تواضعوا،  
أطلقوا عليه «مقال السنة» وأما الذين زاد إعجابهم به.. فقد أطلقوا عليه  
مقال السنوات بعد العبور..

يرون فيه العبرات الجافة، والعبر من خلال التعبير، بالأسلوب البياني.

## - صورة

الذين يملكون قوتهم الذاتية بالزعامة الصادقة والقاعدة الملتفة حولها،  
لا يتوقعون، أما الذين يستمدون قوتهم من ساداتهم، فهم الذين يتبجحون  
بالوقاحة ويتوقعون حتى على شعوبهم..

## الهجرة طريق النصر

إن الهجرة إلى المدينة المنورة [يثرب] كانت في صورة الاختيار توفيقاً من الله.. هذا المظهر للتوفيق هو المخبر للتوفيق، أعني أمر الله سبحانه وتعالى كان رسول الله ﷺ يحسب أن الهجرة ما دامت لأرض ذات نخل يحسب أنها لهجر أو نجران أو اليمامة أو يثرب.. ولكن توفيق الله حدد مكان الهجرة.. المدينة المنورة.. فمن الاستنباط الذي استحسنته أن هجر ما كانت تصلح لنشر الدعوة ولا اليمامة ولا نجران.

وإنما التي صلحت لنشر الدعوة وانتشر منها الإسلام هي المدينة المنورة لأنها لم تكن محصورة لقبيلة واحدة كغيرها بل كانت تجتمع حولها كل القبائل.. إضاعة أعني جهينة وبلي، الأنصار الأوس والخزرج غطفان بقضها وقضيضها.. خزاعة، مزينة - تتناول القربى إلى المدينة تميم، فالمدينة تجمع القبائل.. كانت بيئة النصر.. موطن النصر..

إن الهجرة لم تكن تعذيباً للنفس المهاجرة وإنما كانت تهذيباً للنفوس التي هاجرت.. كما هي التهذيب للأنصار الذين استقبلوا المهاجرين.

إن المؤرخ لا يستطيع أن يستقصي فضائل الهجرة والنصر الذي حصل بها ومنها.

كان المهاجر فرداً فإذا هو في المدينة جمع.. كان الجمع نواة الجيش



المسلم . . ينتصر في بدر . . ينتصر في مواطن كثيرة . . حتى من الله بالفتح الممين . . فتح مكة . . فإذا النبي يقول لا هجرة بعد الفتح . . فلقد هاجر صفوان بن أمية بعد الفتح يتبع طريقة المهاجرين الأولين . . . صفوان بن أمية كان العدو الألد فأصبح الحبيب الصدوق . . هداية الله . . وصل إلى المدينة صفوان فاستقبله ذو الخلق العظيم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقال له . . على من نزلت يا صفوان . . قال نزلت على العباس بن عبد المطلب [المهاجر نزل على المهاجر] وتلك لم تكن الطريقة المأمور بها .

فقال له الرسول ﷺ :

نزلت على أحب قرشي لقرشي . . أو كما قال . . ولكن ارجع إلى مكة، فلا هجرة بعد الفتح .

إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الحادث وأحداثاً أخرى ليتم التشريع بها، أحسبني أستنبط من هذا أن النبي ﷺ ما أحب لصفوان أن يكون المهاجر يستضيفه مهاجر . . لئلا يستوحش الأنصار فيشعروا بشيء من التغيير .

وأحسب قبل ذلك ألا تكون مكة موطناً يهاجر أهله منه بعد أن فتحها الله للإسلام .

... وحين نكتب عن الهجرة إنما نذكر بما أفاء الله بها على رسوله من النصر، ومن ناحية أخرى يعرف القارئ كيف تحمل النبي ﷺ الصبر والأذى ثلاثة عشر عاماً فمن الله عليه بالنصر في عشرة أعوام . .

ولنقرأ قوله تعالى . . ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَابًا﴾ (النصر: ١ - ٣) .

## خطاب مفتوح إلى الإمام الخميني

وهذا الخطاب أرسله على القرطاس في صحيفة يومية إلى الإمام الخميني الزعيم لشعب إيران المسلم، أدير به حواراً عن أمن الحجيج، لأضع هذا الزعيم أمام مسؤولية المسلم نحو أخيه المسلم، «لا يظلمه ولا يحرمه ولا يسلمه».

ففي ذلك الحث والإلزام لكل مسلم من أي طبقة نحو أخيه المسلم، وأنت - أيها الزعيم - قد أطحت بإمبراطورية أراد صاحبها أن يعيد إمبراطورية الأكاسرة التي مزقتها الله كل ممزق، فإذا أنت اليد التي أتمت التمزيق، حين اهتمت يدك باسم الإسلام أن تعيد لفارس مجد الرجال الذي لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناولوه «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناولوه رجال من فارس».

فحظنا كلنا نحن المسلمين أن نحفظ للفرس حظها الوفير في بناء الحضارة الوسيط المسلمة، وليس هناك من يجهل أن بصمة سيويه مطبوعة في حلقات الدرس في كل المساجد والجامعات إسلامية على الأخص وأكاديميات عالمية على العموم.

وما هناك أحد يجهل عن بصمة أبي حنيفة طبعها على الفقه في كل حلقة درس وفي كل جامعة، فالإمام الشافعي المطلبي بن عبد مناف هو

الذي قال عن بصمة أبي حنيفة هذه .

«الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه»!

يعرف كل ذلك من تفقه عارفاً كل مذهب، سواء كان حنفياً أو غير حنفي . كل هذا المجد صنعه الإسلام لفارس، لا ننكره ولا نتنكر له، ولكن القومية في عهد أمية زرعت الشعوبية فيكم، فإذا أمة الإسلام نهياً بين القومية والشعوبية، بين الخلاف العميق بتمذهب كل فريق إلى مذهب جديد .

إن هذه المقدمة لا أجاملك فيها، ولا أتوارى خلفها، وإنما أضعها أمامك وأمام كل مسلم حين أسألك . . كيف ترضى للحاج من قومك وهو يؤدي الركن الخامس من الإسلام أن يمارس الفسوق بالشغب، وأن يلج به الجدل، يعكر بكل ذلك أمن الحجيج وصفاء الإسلام والأخوة في الدين، يضع هذه المهانة بهذا التعاون منكم، يمارسها في المسجد الحرام وفي المسجد النبوي وفي المشاعر العظام .

فهل ذلك من الإسلام في شيء؟!

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧) .

ولعلي أذكرك ببعض ما حدث في أيام مضت، أضعها مادة مادة .

أولاً: إنكم تذهبون فيما تعتقدون إلى كره شديد للخوارج، فهل ترضى أن تكون أقل من نافع بن الأزرق وأبي حمزة وجيشهم الخارجي، فإن الجيش الخارجي قد وصل إلى مكة للحج وفي مكة جيش ابن الزبير، وفي مكة جيش أمية، فاحترموا إسلامهم واحترموا الكعبة والمشاعر، فتهادنوا، ولم يسلم أحد منهم سيفاً على الآخر، ولم يشغب أحد منهم على الآخر:

فلماذا تسمح لشعبك المسلم أن يكون أقل من هؤلاء الذين هم في موطن الكراهية، فلا زلتم الحاقدين عليهم.

ثانياً: وأن تعرف أنه حين انعقد المؤتمر الإسلامي الأول في بيت المقدس رضي العالم الأباضي إبراهيم إطفيش، والزعيم الأباضي سليمان باشا الباروني أن تأخذهم الوحدة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، والصدقة للمؤتمر، أن يصلوا وراء، إمامكم المجتهد محمد حسين كاشف الغطاء، كما صلى وراءه السلفي والسني والشيوعي، خضوعاً لوحدة الكلمة وطاعة للإسلام، فكل ما كانوا يعبأون به الدفاع عن كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فصرفوا النظر عن الحب لفلان والبغضاء لفلان، لأن الحب للإسلام قبل كل شيء.

ثالثاً: وأنت تعرف أن الأباضية اليوم قد خضعوا لعدول أبي حمزة عن ذكر ما يسيء إلى الإمام علي كرم الله وجهه حين جلس أبو حمزة يتلقى الدرس والعظة من إمام دار الهجرة مالك بن أنس، تلميذ إمامكم الوسيط بين الأئمة الإثني عشر الصادق جعفر بن محمد الباقر، وتلميذ المرتضى لديكم وإن لم يكن إماماً عبد الله المحضي بن الحسن المثنى. حبيب إلى أبي حمزة الحب وبغض إليه البغض.

ذلكم ما تلقيته عن أحد علماء الأباضية، فالعهدة في هذا الخبر عليه.

رابعاً: وأنت تعرف أن الإمام جعفر الصادق إمام المذاهب لديكم أنتم الإمامية قد أبى أن يكون موضوع فتنة أو صانع فتنة حين رفض دعوة أبي مسلم الخراساني التي دعاه بها إلى أن يبايعه إماماً خليفة، فهو في عقيدة الخراسانيين حينذاك الرضي من آل محمد قبل بني العباس، لأنكم وفي

عقيدتكم قد رفضتم ميراث العصبية لتحصروا الإمامة في أبناء فاطمة رضي الله عنها .

إن جعفر بن محمد يعتقد ذلك فهذا مذهبه ، ولكنه لم يذهب إلى قبول البيعة من أبي مسلم لئلا يكون فتاناً سفاح دم .

فهذا الإمام مالك تلميذه كأنه قال الكلمة التي هي من عمل جعفر فتنة ساعة شر من استبداد سنوات . . فلماذا لا يكون عمل جعفر، إمامكم، قدوة وأسوة تعلم شعبك أن لا يشغب في الحج وأن لا يحدث فتنة؟

فالمؤرخون في ظاهر ما سجلوا أن قاتل أبي مسلم المباشر هو أبو جعفر المنصور، بينما قاتله غير المباشر هو الرافض لدعوته جعفر بن محمد، رفضها وهو يعتقد أنه صاحبها لأنه أبي أن يكون صاحب فتنة، ولأنه جعل الإمامة فيكم سلطان وجدان لا سلطان إيوان .

**خامساً:** أسألك بحرمة الإسلام سؤالاً هو عن هذا الأمن، وارف الظلال على الحرمين وسياحهما، هل كان منذ أعوام طويلة وبعد عهد الخلفاء أمن مثله، يأمن به الحجيج، لا يدفع الحاج خفارة ولا إتاوة، لا يكلف إلا بما يصرفه على نفسه، لا ضريبة ولا رسوم؟ فقد ألغى كل ذلك من أنعم الله عليه بهذا الأمن الإمام السلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن .

**سادساً:** وأنت تعرف أن الحجيج الإيراني قبل أن تتم وحدة هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» وقبل نعمة هذا الأمن، كان يخرج من النجف أمناً بين قبائل نجد لأن دويلات المماليك والطوائف ومحمد علي لم يفرضوا على الحاج إتاوة لكل قبيلة من النجف إلى حائل، حتى إذا وصل الحجيج الإيراني إلى جبلي طيء كانوا في خفارة خلف بن ناحل

وصلب بن الحريين السالمين الميمونيين الأحمديين، تدفع لهما الإتاوة، وقبل أن يدخل الحجيج الإيراني إلى المدينة من الباب الشامي يدفعون الخفارة والإتاوة إلى الحربي السالمي الميموني الأحمدي «الصميد»، فرض ذلك لهم محمد علي باشا.

فهل ترى اليوم خفيراً يأخذ إتاوة؟ فلماذا ترضون بالشغب والإرجاف بالحجيج؟

**سابعاً:** إن حكومة المملكة العربية السعودية تملك كل القوة والقدرة والكفاءة أن تمنع الشغب وأن تقضي على الفتنة في داخلها حفاظاً على الحجيج وتقديساً للبيت الحرام والمسجد النبوي، وهي أشد قوة وقدرة وكفاءة إذا ما أرادت وبجرة قلم أن تمنع كل من يشغب عن الحج، كما أنها تملك الرضى عن العالم الإسلامي إذا ما فعلت ذلك، ولكنها أبت إلا أن تكون صاحبة المنة بدون إعلان لتضيف إلى الأمن قوة الأمانة في خدمة الحرمين الشريفين.

وأخيراً أدعوك أن تفكر قليلاً، تعلم شعبك أن يحافظ على الأمن وهو يؤدي الركن الخامس من أركان الإسلام، وإذا لم تفعل ذلك فالحجة تقوم عليك لأن العالم الإسلامي هو الشهيد على من يصون الأمانة والأمن، وعلى من يسرف على نفسه حين لا يفعل ذلك.

## - صور

وقالوا للإمام علي رضي الله عنه: هل تقاتل الخوارج على الكفر؟ ذلك يوم النهروان.

فقال الإمام بكل السماحة والصدق: «هم من الكفر فروا».

وحين أعد نفسه لقتال أهل النهروان وقف لا يسحب سيفه «ذو الفقار»، فقال: «فتشوا عنه».

فرجعوا إليه يقولون: ما وجدناه، وهم يعنون بذلك ذراع فتنة الخوارج.

فقال الإمام: «فتشوا عنه، والله ما كذب ولا كذبت» يعني رسول الله ﷺ.

فرجعوا إليه لا يجدونه، فقال: «فتشوا عنه، والله ما كذب ولا كذبت».

وفي المرة الثالثة وجدوه «حقوصة بن زهير» الذي قال لرسول الله الكلمة الكافرة الفاسقة النابية «اعدل يا محمد».

فقال النبي: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل».

ثم أعلم الرسول أصحابه بعلامات زعيم الخوارج وهو «حقوصة بن زهير».

فالإمام أراد التثبت ليعرف الحق، فلا يخوض الباطل.

وهكذا ينبغي لكل إمام، ألا يرزأ الناس بشهواته ونزواته.

## الأشداء . . الرُّحماء

لا أكتبه ترجمة موسعة لسيف الله أبي سليمان خالد بن الوليد، وإنما هي تصور لبعض ما افقه من فقه السيرة عن هذا الشديد الراحم صاحب رسول الله قاهر الردة قائد اليرموك فاتح دمشق حرباً وإن أطاع لأبي عبيدة أن تأخذ دمشق من رحمة الفاتح العربي الراحم بإسلامه أن لا يسجل التاريخ على ذات الربوة والمعين والمنازة البيضاء إلا أن تفتح سلماً حين فتح الأبواب خالد وحين دخل الأبواب أبو عبيدة أدخلوه مسالمين فمنح دمشق أن تفتح سلماً وخالد بن الوليد بن المغيرة أبوه الوحيد أمه لبابة الصغرى فهو ابن خالة الحبر فأم الحبر عبد الله بن العباس لبابة الكبرى خالته أم المؤمنين ميمونة خالته أسماء بنت عميس زوج جعفر الطيار بن أبي طالب كلهن الأخوات التسع الأمهات وخالد بن الوليد مرة وألف مرة سيف الله لقب حلية.

منحها الله له على لسان نبيه رسول الله سيدنا محمد حين فرج الكرب عن جيش الإسلام في مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب فأخذها عبد الله بن رواحة فأصيب فأخذها جعفر بن أبي طالب قطعت يدها فاحتضن الراية فرفعته الملائكة يطير كما رفعت عامر بن فهيرة إنهم من خيرة خلق الله نسيح وحدهم أنعم الله عليهم بالنصر فهم كما قال عاصم بن عمرو أخو



القعقاع قال لكسرى كنا مفترقين جياً نأكل من خشاش الأرض وأعشابها فمن الله علينا أرسل رسوله فهدانا وجمع شملنا ثم قال ما انزعج منه كسرى وأراد الإمبراطور أنوشروان أن يهزأ بوفد العرب فقال أعطوهم كيساً من التراب، فحمل الكيس عاصم فخر تميم من مفاخر المسلمين وحمل الكيس يقول كأنما الله فتح عليه ليقولها ابشروا.. ابشروا فقد منحكم الله تراب أرضهم.. أهذا قول البشر ذكاء البشر أم هو إلهام من الله لو أحد من البشر انعم عليه أن يكون من أصحاب ليلة الهرير في القادسية وبعد هذه المقدمة أكتب صورتين عن القائد خالد وعن الخليفة عمر فخالد بعد أن انتصر في ذات الخنافس على الفرس أنامهم على موعد إفطارهم فإذا الخبر يصل إلى الصديق، ألا وهو أبو بكر رضي الله عنه وعنهم أجمعين، وصل الخبر عن النصر فخرج الصديق مشرق الوجه لا يلبسه تيه عضل وإنما لبسه زهو الإيمان في وجدان أول المؤمنين الصديق أبي بكر خرج على الجمع المسلم في المسجد مهاجرة وأنصاره يقول كأنه يبشر المسلمين عدا أسدكم على الأسد فأجلاه عن خراذيله.. أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد وبعثه أبو بكر مدداً إلى جيوش الشام كقائد خامس ولكن بتوفيق الله والرضى من إخوانه القواد الأربعة يتولى القيادة قال له واحد ما أكثر الروم وما أقل المسلمين فنطق الإيمان في وجدان خالد يقول:

ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر ويقل عديدها بالهزيمة ولوددت أن الأشر بريء من توجيه يعني حصانه صديقه في الجهاد وى.. حتى الحصان يشارك في الجهاد ولماذا؟ أفليس قول الله تعالى حقاً: (وإن من شيء ألا يسبح بحمده) وانتصر الإسلام في اليرموك بالكلمة دليل السيف فهو حين رأى الروم وقد اهتزوا بحملة عكرمة ومن معه نادى عمرو بن العاص وهو على الميسرة (افرجوا لهم) فإذا الروم ينهزمون في ساعة من

نهار وإن لم تقرأوا في تاريخكم معنى هذه الكلمة فاقروها في تاريخ العسكرية الألمانية فهم يرون أن نصر اليرموك كان بالكلمة وهم يرون أن خالد بن الوليد جندي بمعنى الكلمة انضباطي بمعنى الكلمة..

وفي إبان المعركة حين بدأت خرج قائد من جند الروم فارسهم المرجى يطلب أن يبرز إليه خالد وى.. هل طار صيت خالد حتى سمعه هذا الرومي وخرج خالد لا يتأخر عن المبارزة فإذا القائد الرومي يقول لخالد بن الوليد: (أمعك سيف من السماء؟) قال خالد: لا وإنما هو لقب سماني به رسول الله، فقال الرومي: إن معك تعويذة، قال خالد: ما معي ذلك، قال الرومي: لا إنها معك وطمع خالد في إسلام الفارس فرفع خالد قلنسوته ليقول له هذه الناصية رسول الله حين حلق تخاطفنا شعره ف وقعت في يدي هذه الناصية، فاقترب الرومي وقد أرخى سيفه: أخبرني عن الإسلام، فأخبره فأسلم سيدي جورج سيودور يقاتل بجانب خالد فقتل على الإسلام، لم يصل ركعة، ولكنها الكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله آمن بها، فنطقها فقتل في سبيلها فكان من الشهداء.. ولماذا لا نفهم أن قتاله بجانب خالد كان أول الهزيمة للروم ولا أريد أن أطيل هذه الحلقة فإلى حلقة أخرى أكمل فيها عن عمر وخالد لا نصف التاريخ أما عمر فهو غني عن الإنصاف من بشر مثلي.

## زينب صدقت العرافة!

ولست مولعاً بمشاهدة الأفلام التي يعرضها التلفاز أو الفيديو لأن الشوق والتوق لم يعودوا في وجدان الشيخ وسيطاً في إشباع الوجدان لإقصاء المجاعة الفكرية حتى الطموح بالنظرة إلى فوق قد خامرها الخوف من النظرة إلى الد تحت! ولكن المصادفة وحدها استوقفتني أن أسمع حلقة من حلقات المسلسل التلفازي «زينب والعرش» لم أحفل بكل ما شاهدت ولم أستمع لكل كلمة في الحوار الذي يجري في هذا الفيلم.

لكن كلمة واحدة كأنما هي الخلاصة المصفاة لمغزي هذا المسلسل فقد قالت زينب لزوجها الثاني يوسف منصور «إني سأتزوج» قالت ذلك لزوجها الذي أحبها وأحبته وما دامت وما زالت هي في عصمته فعجب وأخذ يسألها: كيف؟ من قال ذلك؟

قالت: لقد أخبرتني العرافة بأني سأتزوج ثالثاً أكون سعيدة معه.

فقال الزوج: أو تصدقين العرافة؟ فأذاقته المرارة حين أجابته: لقد صدقت العرافة كما صدقت أنت رئيس التنظيم، إن زعيم التنظيم قال لك: سنسحق العدو خلال ثلاثة أيام وكان قول زعيمك هو كقول العرافة، إنه لم يصدق الإعداد والاستعداد فإذا الهزيمة قد حاقت بنا!

إن زينب رمز لبلدها لقومها وزوجها رمز قد تحرك وفي زعمه أنه قد

ينتصر على القهر، لقد كان يصدق قول الزعيم، فأحبت التي هي الشعب أن تعلن ما ذاقته من المرارة بالهزيمة لتجعل ما قاله الزعيم نبوءة كذبتها الأحداث حين حققت الهزيمة، كما أن الأيام تكذب تنبوءات العرافين.

إن الحوار الذي طرحته زينب وهي لم تستقر على حال حيث لم يسعدها زوجها الأول، ويعني ذلك الزعامة الأولى، وحيث أشقتها مزاعم زوجها الثاني زعم لها أنه المسعد والمغيث فإذا الهزيمة هي التي أشقت!

فالزوج الأول كان الشقاء منه، الخطرسة بالنفوذ والسيطرة بالمال، والزوج الثاني الذي صهره القهر لم يستطع إلا أن يشقى ويشقيها بقهر جديد، فالقهر يطغى به سلطان العدو، قد تنمو به المقاومة، ولكن القهر بهزيمة الشعب قد تضحل به المقاومة، تموت تحت وطأة المأساة ولكن وارث المأساة قد يعيش إذا ما حقت الكارثة ليضع من صدقه الكارثة على الكارثة.

ومالي قد استوقفتني هذه الكلمات من زينب والحيرة من الزوج إلى هذا الحد؟

ذلك أني أعلم مما لم ينشر عن بعض هؤلاء الذين أحبوا أن يقاموا القهر فخضعوا إلى قهر جديد، يلتمسون منه أو به التفريج على الكرب فألجأهم ذلك إلى تصديق السلة وقارئ الكف وقارئة الفنجان!

ولئن أراد أن يلمز الذين أغضبوه بأنهم كانوا يصدقون العرافين وتحضير الأرواح وما إلى ذل فإن تعرضه إلى هذا الأمر سيحرجه، فإما أن يؤدي أمانة الكلمة وصدق التاريخ يكتب عن الجميع وأما أن يخون الكلمة فيخص واحداً دون الآخرين.

إن ضعف الإيمان وقسوة القهر قد ألجأت هؤلاء إلى تلمس التفريج عن

الكرب لتصديق العرافين، كثيرهم وبس!!

## - أرض الفيروز

في احتفالات الشعب المصري فرحاً بعودة سيناء سمعت أغنية أو هي النشيد بعنوان «أرض الفيروز» غنتها ياسمين الخيام يشاركها مطرب اسمه أسامة.

لقد أعجبني هذا النشيد وما زلت أطلبه فلم أجده، لكن الذي لم يعجبني أن تمحو الفرحة ليتوالى محو الأيام، ينسى الناس بهما اسم سيناء فهي ليست أرض الفيروز تاريخياً وجغرافياً وعربياً مصرياً إنها «سينا».

اكتسبت هذا الاسم من عبادة إنسانها الأول للقمر فهي أرض القمر والقمر سناء في ارتفاعه وسني بنوره فقد كساه الله السناء يضيء به الليل كما سخر الله الإضاءة في الشمس نهاراً.

حتى أنني لأحسب أن اسم الشمس في لغة الفرنجة «سن» ما هو إلا مأخوذ من كلمة سناء أو سنى بمعنى النور.

إن سيناء أقف أمامها ما وصفت به في القرآن الكريم ﴿أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه: ٢٠) ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢) ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ (الأعراف: ١٤٣) ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءً﴾ (الكهف: ٩٨) ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين: ٢ - ٣).

والشجرة الزيتون ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور: ٣٥)، ﴿وَالطُّورِ. وَكُنْتِ مَسْطُورٍ﴾ (الطور: ١ - ٢).

كل هذا يعطينا تاريخاً لسيناء وجغرفة لها وذكرها تترطب به الأفئدة.

إن سيناء حين فتح الله البحر الأحمر تفضل جل جلاله بأن تكون سيناء

البرزخ والمعبر تلتئم به الأرض العربية والأمة العربية، كأنما برزخ السويس هو جزء من سيناء، قد أصبح الصلة بين مصر العربية من الأزل والجزيرة العربية من الأزل.

إن هذا المجد لـ «سيناء» عطاء الله لها فلماذا تكون أرض الفيروز؟ بينما هي سيناء أرض الزيتون والنخل والعربي الذي ما زال عربياً كأنه من بادية الصحراء العربية.

إن سيناء تاريخياً هي من مصر، أما جغرافياً فهي من جزيرة العرب، وليست هذه الجغرفة إقصاء لمصر عن سيناء فمصر عربية رغم أنف الذين يتنكرون أو الذين شربوا كأس المخدر من المستشرقين!

## - صورة

وليست المرة الأولى أنشر فيها هذه الصورة ولكن الشيء بالشيء يذكر فحين احتل الفرنسيون البلد المسلم العربي «الجزائر» وهزم الأمير عبد القادر الجزائري يخرجونه من أرضه أخذ الإنكليز كنوع من الحرب على فرنسا التي كانت مشتتة بين الإنجليز والإفرنسيين حينذاك.

فعرضوا على الأمير المجاهد أن يتوجه ملكاً على سيناء. فلم يجدوا في الأمير المجاهد إلا كلمة الإيمان ونظافة العقل.

لقد قال لهم: هل أنتم تملكون سيناء؟ أهى أرض بريطانية تمنحونها لي؟ إني أرفض هذا العرض!.. وهكذا ما زال استعمار الأباطرة الأوروبيين يفعل بنا الأفاعيل إن زال اسم الاستعمار فقد بقي الاستغلال والاستقطاب.. فهل كانت زينب إلا صادقة حين سخرت بالعرافين والذين يصدقون العرافين.

## عن القصيمي ومع الباقوري

الكاتب الكبير الأستاذ عبد الله القصيمي كتب كثيراً وطبعت مؤلفاته، لم تلق قبولاً عند الذين عرفوا أنفسهم وعرفوا أمتهم واحترموا تراثهم وفطموا أنفسهم عن اللجاجة، استعرض بها الكاتب عضلات فكرة. وما كنت معنيًا بمجافاته أو مصافاته حتى أنني لم أذكره فيما كتبت مع أن كثيراً مما طرح يلزم من لا يصبر على فكر سلبي لبس أسلوباً مغريباً يخشى منه على من يعجبه التزويق أن لا يعبأ بالتلفيق، لأن التزويق زخرف التلفيق فأغرى حتى كان طري الثقافة مخدراً بما يقرأ لهذا الكاتب.

فالأستاذ القصيمي ظهر له كتاب بعنوان «العرب ظاهرة صوتية» فوجدتني معه وعليه، أكون معه لو خص طوراً من أطوار العروبة، وما كنت إلا عليه حين وضع العروبة كلها عادية وشمودية وكنعانية وفرعونية وعدنانية تحت هذا التعريف الجائر الذي حصر نفسه في هذه الجفوة لقومه، حتى أنه قد طرد نفسه من العروبة، بما جاء من تلك الهرطقة التي هرطق بها على أمته العربية، فإذا به يهرطق أكثر على كل مقدس من عقيدة وكتاب وتاريخ مجيد.

إن العرب ظاهرة صوتية في الطور العدناني، وذلك كان إرهاباً وصلت به الأمة العربية كلها إلى مكانة الرشيد العقلي، كأنما الأستاذ أحمد حسن

الباقوري حين تحدث عن الطورين في الإنسانية كلها قد وضع أمامي الرد على الأستاذ القصيمي، فالطور قبل رسالة محمد كان يمر بعهد الطفولة العقلية، والطور الثاني برسالة محمد عليه الصلاة والسلام قد وصل إلى طور الرشد العقلي، فالأستاذ الباقوري اقتبست هذا منه، سمعته يتحدث في الإذاعة، وحين حفظته ما كنت قد علمت بهذا التعريف الجائر ألف به الأستاذ القصيمي كتابه «العرب ظاهرة صوتية».

إن الأستاذ القصيمي حيث عاب هذه الظاهرة الصوتية جاء بها الطور العدناني قد انحرف عن هذا العطاء للظاهرة الصوتية، ذلك أن اللغة العربية قد وصلت إلى أوج الفصاحة، حتى أصبح الوضوح فيها ومنها منسقاً منسقاً فتيسر لعالم اللغة أن يضع قانون النحو دون سابقة، وأن يجمع قوانين اللغة، فإذا بهذه الظاهرة الصوتية أعطت للعقل رشده، علماً وفهماً عز على لغات كثيرة أن تصل إلى ما وصلت إليه اللغة العربية.

يقول الأستاذ الباقوري وهو يفرق بين الطورين إن معجزات الأنبياء قبل رسول الله ﷺ وعليهم الصلاة والسلام كانت حسية مجسدة، عصا موسى، انحسار البحر، النار برداً وسلاماً، إبراء الأكمه والأبرص إلى آخر ما هنالك من المعجزات، فهي معجزات حسية يسترشد بها عقل طفولة الإنسانية، أما معجزة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام فهي القرآن، يخاطب العقل، يثير الفكر، فليس هو معجزة حسية وإنما هو معجزة روحانية وصل بها الإنسان إلى الرشد العقلي.

فالظاهرة الصوتية في اللغة كانت المقدمة والإرهاص لهؤلاء العرب، يتلى عليهم القرآن باللغة الفصحى والبيان المشرق فيفقهونه حين خاطبهم باللغة التي تفصحت بهم، فالظاهرة الصوتية في الطور العدناني منقبة لا



مثلية، يؤمن بها الذين تذوقوا البيان وإن لم يكتبوه، وينحرف عنها كاتب البيان يقذفه قذفاً دون تذوق، فبعض الأطفال وبعض المجانين يرسلون كلاماً مبيناً، لكن أصحاب العقول الرشيدة إذا ما أبانوا استبانوا، أنصاراً للحق وحرماً على الباطل.

فالعرب ظاهرة صوتية في الطور العدناني، أما في الأطوار قبل العدنانية فإن التاريخ المتزاج مع العقل والعاطفة يعلن على الدنيا كلها ومن إليهم يعطي هؤلاء كلهم أنهم المظهر والمخبر علماً على أنهم صناع الحضارة، لم يسبقهم سابق بنى هذه الشوامخ من الحضارة، وأعطى الإنسانية جغرفة الفلك وفلك الجغرفة، وأعطى الطب والعلوم عطاء هو الذخر للإنسانية، فاليونان اقتبسوا من هؤلاء العرب، والرومان ما استطاعوا وكانوا قوة مدمرة للحضارة أن ينالوا من هذه الشوامخ الحضارية عربية في كل طور قبل الطور العدناني، ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ . وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (الفجر: ٧ - ٩)، الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فرعون ذي الأوتاد، فلم يكن العرب في هذا الطور القديم متفرقين في قبائل، وإنما كانوا أصحاب تجمع سلطان أمة تحت قيادة سلطان، عرفنا الملوك في حمير، والأقيال في كل اليمن، والملوك بين الرافدين والملوك الفراعين على النيل.

فالظاهرة الصوتية حقيقة في العدنانية، لها مزاياها الباقية بقاء هذا القرآن، وصنّاع الحضارة في الأطوار الأولى ما زالوا في سمع التاريخ نشيد مجد، وعلى لسان التاريخ حضارة لم تسبق حتى الهند والصين لم يصلوا بحضارتهم إلا بعد هؤلاء العرب القدامى، كما أنهم - أعني الصين والهند - لم تكن لهم هذه الشوامخ من الآثار، فإطلاق الحكم سلبياً على الظاهرة

الصوتية كحكم عام على العرب جميعاً من عهد القحطاني والعادي حكم ليس له سند من التاريخ، كل ما له وسادة توسدها فكر لا أحسب إلا أنه أحب العرب حين أبغضهم، أو أبغض العرب إذ أحبهم، لم يتحمل ضيم المأساة فإذا هو بفكره الآن مأساة.

إن الأستاذ القصيمي لم أكن أعرفه ولم أحظ بأن يعرفني، غير أنني رأيته مرتين خلال أسبوع، يوم كان زائراً لمحمد سرور الصبان، يرحمه الله، في بيته في المعادي، رأيته صامتاً يسمع ما يتحدث به إليه «الحوماني» الشاعر الشامي الشيعي، كان «الحوماني» يتحدث والقصيمي قد صك أذنيه، فإذا بي أراه يلبس الكبرياء كأنما هو قد أحاط نفسه بكهنوت صنعه لنفسه لا يرى إلا من يريد، ولا يسمع إلا ما أراد.

والأستاذ القصيمي قد غضبت من أجله مرة، حين خرج على الناس، صلاح الدين المنجد بكتيب يرد فيه على القصيمي، نسبته إلى القصيم، فهو في التحقيق المنجدي ليس قصيمياً، وإن كانت أسرته قد سكنت القصيم أيام محمد علي باشا، فصلاح الدين المنجد يرده إلى صعيد مصر، يستكثر عليه أن يكون قصيمياً، ذلك تعسف ليس له قيمة تاريخية، فهل نفيت المخزومية القرشية عن أبي جهل؟ كان مشركاً نعم، ولكنه بقي في سمع التاريخ مخزومياً من علية قريش، وأبو لهب نزلت فيه سورة يصلى النار مشركاً كفر بالإسلام وعق ابن أخيه، بقي مشركاً كافراً نعم، ولكنه بقي ابناً لعبد المطلب عمّاً لرسول الله محمد ﷺ، فهذا رسول الله ﷺ يقرب ابني أبي لهب اللذين طلقا بنتي رسول الله وقد كان أحدهما زوجاً للسيدة رقية والآخر زوجاً للسيدة أم كلثوم، عفاً وانشقاً حتى إذا هداهما الله للإسلام أدناهما رسول الله ذو الخلق العظيم يجلسان عن يمينه وعن شماله فيقول بنور

الرحمة: «لقد استوهبت ربي ابني عمي فوهبهما لي»، فكيف يصلح أن يبرأ كاتب ينفي نسبة القصيمي إلى القصيم بينما لم تنف نسبة أبي جهل وأبي لهب إلى مخزوم وهاشم؟

غضبت من ذلك، فما وجدتنني إلا وقد تحدثت إلى كثيرين أزيف هذه الضلالة التاريخية المنجدية.

غارة من مأجور، وأخيراً فإن الظاهرة الصوتية، اللغة الشاعرة قد احتضن قومها حضارة الدنيا، علموها وترجموها، وأرسلوها الحضارة الوسيط، أم حضارة الغرب اليوم.

## - القرصنة الجوية!

والطغاة الذين احترقوا القرصنة في البر أصبحوا قراصنة في الجو، يسقطون طائرة كورية، تابعة لكوريا الجنوبية تحمل عدداً كثيراً من بني الإنسان، وسقطوها في البحر فهلك ركبها، وإذا الدنيا كلها تنشطر ثلاثة أشطار، فالاتحاد السوفياتي ومن إليه لا يتبرأون من القرصنة، بل يحاولون أن يضعوا التبعة على الطائرة، حاصروها حتى ضاع رشد قادتها، واتهموها بأنها طائرة تجسس، مع أنهم يعرفون أن طائرات التجسس وأقمار التجسس في الأجواء روسية على أمريكا وأمريكية على روسيا.

والولايات المتحدة وأنصارها غضبوا من هذه القرصنة فأقاموا الدنيا وأقعدوها إرجافاً بالكلام وعملاً بشيء من المقاطعة، كأنما هو تدليل للاتحاد السوفيتي ليس فيه شيء من العقاب، لأن القوة التي يملكونها لم تعد شجاعة لأنها تدمر مالكة كما تدمر عدوها، فالسيف كان شجاعة في يد الشجاع، أما السلاح المدمر فجبانته يتجانب بها الشجاع.

أما الشطر الثالث فإسرائيل، لم أسمع أن إسرائيلياً قال كلمة عن هذه القرصنة، لأنه لا يريد أن تنتصر أمريكا وإن كانت هي النصير لها، ولا يريد أن يهزم الاتحاد السوفياتي لأنه مستودع التموين للقوى البشرية تقوى بها إسرائيل لا أدري كيف سكتت الصحافة الأمريكية عن كلمة تقولها لإسرائيل؟ تسأل عن موقف الصمت ضد غزو الأفغان، عن هذا الصمت المطبق ضد القرصنة الروسية، لم يسألوا إسرائيل، لأن إسرائيل فوق الجميع بقوة هؤلاء الجميع، الحبل من الناس.

ثم إن إسرائيل لا تحارب القرصنة، لأنها لا زالت تمارسها في فلسطين وفي لبنان، ولأن إسرائيل قد سبقت الاتحاد السوفياتي بهذه القرصنة الجوية حين أسقطت الطائرة الليبية فوق سيناء.

كل الفرق أن قرصنة إسرائيل كانت مقبولة ضد الذين يرفضون قرصنة الاتحاد السوفياتي.

إن هذه القرصنة قد وضعت الولايات المتحدة في حومة الغضب، لأنها تحمي كوريا الجنوبية، كما أن الاتحاد السوفياتي يحمي كوريا الشمالية، فالإمبراطوريتان قد كسبتا بهذا التقسيم أن تكون كوريا الشمالية كوبا الشرق الأقصى، وأن تكون كوريا الجنوبية بعض ذلك أو مثل ذلك، فاضطرت الولايات المتحدة أن تغضب حتى أن إذاعة لندن قالت بحقدها الصهيوني «إن الإدارة الأمريكية أصيبت بالهستيريا».

## - صور

وتعجبني هذه الصورة للمهلب بن أبي صفرة، قال:

عجبت لمن يشري العبيد بماله ولا يشتري الأحرار بحسن فعاله

ترجم العرب كلمة قالها هتلر بكلمة قالها عبد الملك بن الزيات:  
«الرحمة خور في الطبيعة».

ولم يكن ابن الزيات فيلسوفاً وإنما كان أديباً، ولكن هتلر قال هذا  
المعنى عن فلسفة روزينبرج ونيشه.

وهكذا نسبت الكلمة إلى هتلر بعد ابن الزيات: «الرحمة خور في  
الطبيعة». فقلبناها على هتلر.

## القرية الشمسية

وافتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض مشروع القرية الشمسية، ولم يكن ذاك إعلاناً يستهلك به الوقت وإنما كان إصراراً على مسيرة التفوق بخطوات التطور في كل مجال عمراني إن سموه قد زُفَّت له البشري فإذا هو يزفها لنا.

وكم حاول الإنسان من قريب أو بعيد أن يسخر الشمس يستخلص منها الحرارة طاقة لا تقتصر على الاستعمال الفردي وإنما هي وبهذا التطور العلمي أصبحت طاقة تستمد منها المصانع الضخمة بتكنولوجيا العصر، فأصبحت قوة مصنعة تدار بها المصانع ترسل النور، كما هي قوة في ذاتها أعطت للإنسان أن تكون القوة لذاته فالشمس الإله الآن أودع الله فيها هذه القوة وهذه الطاقة فإذا الفتنة التي كانت لها في مشاعر الإنسان القديم أصبحت تفتناً في عقل الإنسان الحديث، تلك هبة الله إن خفيت عن الإنسان في عهده الأول فإن عطاء الله لهذا الإنسان قد ابرز خفاياها.

إن المملكة العربية السعودية بهذه الخطوات المتطورة التي إن لم نصفها بالتغيير فإنها قد غيرت الكثير من مفاهيم المغرضين علينا، فلئن كان النور والنار اللذان نستمدهما من الطاقة الشمسية ينقشع بهما ظلام الليل وتنقشع بهما سحب التخلف: فإنهما قتلا الظلم الذي صبه علينا الجاحدون

المعرضون، إن الاتهام بالرجعية قد قتله هذا التفوق، فإذا نحن الفاخرون بأننا رجعيون، وإذا الزاعمون علينا بأنهم التقدميون لما يصلوا بعد إلى إرسال النور في القرى في الصحراء فلئن كان المال نعمة صنعت به الدولة هذا التفوق فإن الأمن والتوفيق هما النعمة الأولى فإذا لم يكن الأمن أيمن أن نبني هذه المصانع في قرى بعيدة عن الرياض تعانقها الصحراء؟ وإذا لم يكن التوفيق فهل يتم ذلك؟

إن واجبنا أن نشكر الله، وكما قلت من قبل «الشكر لله ثناء ودعاء والشكر للدولة تهنئة وثناء».

والموعظة أمرنا الله بها أن نجعل الشكر عملاً والثناء أملاً. «وقل اعملوا آل داوود شكراً».

والخلاصة فلا أجد مزيداً من القول حيث لا أستطيع وإنما المزيد هو أن أزخرف كلمتي هذه بمقتطفات من كلام الابن الصديق ابن العم الدكتور رضا عبيد رئيس المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا ابن محمد سعيد عبيد، ذلك الرجل الذي كنا نقبل يديه، كما أزخرف بقطوف من كلام الفتى الجهنني المهندس فهد بن حريب مدير مشروع القرية الشمسية، وما أحلى أن أضع قبلة على جبين ابن المدينة المنورة وابن الأصدقاء الدكتور حمزة بكر خشيم مدير برامج الطاقة الشمسية بالمركز لقد قال الدكتور رضا عبيد في كلمته التي ألقاها في حفل افتتاح المشروع:

حتى عهد قريب كان استعمال الطاقة الشمسية مقصوراً على تجفيف المحاصيل الزراعية وبعض الاستعمالات المنزلية البسيطة، ولكن مع التطورات التي شهدتها سوق الطاقة الدولي في العقد الأخير.. ولأن الملكة

تأخذ بأحدث الأساليب العلمية في تنفيذ خططها التنموية الطموحة.. كان تبنيتها لمشروعات الطاقة الشمسية أمراً طبيعياً.

### - كما جاء في كلمته :

«إن المملكة لا تشتري التكنولوجيا الجاهزة وإنما تشترك في تطويرها وتطبيقها، وتلك هي أفضل سبل التقدم في تقديرنا».

لقد عايش المهندس السعودي هذا المشروع منذ كان فكرة على الورق. وقام بدور فعال في ترجمة هذه الفكرة إلى مشروع قابل للتنفيذ، وعاصر كافة مراحل تصميمه وتنفيذه وتشغيله، كما استعانت إدارة المشروع ببعض أساتذة الجامعات السعودية في مختلف مراحل التشغيل.. فكانت فرصة لا تتكرر كثيراً لنقل المعرفة واكتساب الخبرة.. وذلك فضلاً عن إفساح المجال لتدريب الفنيين السعوديين على الأعمال المختلفة المتعلقة بهذا المشروع وفي رأينا أن هذا هو السبيل الأمثل لتدريب القوى البشرية الوطنية وتطويرها.

### - أما الدكتور بكر خشيم فقد ذكر في كلمته بنفس المناسبة :

«إن المملكة تسعى إلى استغلال الطاقة الشمسية لتغذية مواقع عديدة تحتاج للطاقة الكهربائية على طرق المملكة حتى في ساعات النهار».

وأكد عزم المسؤولين على المضي في التجارب التطبيقية الرائدة تحت إشراف أيدٍ سعودية لتخريج أيدٍ متدربة جديدة عالمة بالتكنولوجيا الحديثة.

### - وفي معرض شرحه لمشروع القرية الشمسية قال المهندس فهد بن حريب مدير المشروع :

«إن نظرية المجمعات الشمسية هي أن تقوم تلك المجمعات وعددها



مائة وستون مجعاً بمتابعة الشمس على محورين في حركة دائرية وأخرى رأسية».

فعند شروق الشمس تقوم وحدات تحكم إلكترونية موجودة في كل مجمع شمسي بإرسال إشارة ضوئية إلى العقل الإلكتروني أوامره إلى المجمع الشمسي بالتحرك حتى تصبح أشعة الشمس متعامدة على سطح العدسات اللامعة التي تركز بالتالي أشعة الشمس العمودية إلى ثلاث وثلاثين مرة على الخلايا الضوئية.

ويوجد في كل مجمع اثنتان وثلاثون وحدة تجميع في كل واحدة منها ثمانية خلايا ضوئية وعدستان لامتان تحتويان على ثماني نقاط تركيز.

عند سقوط تلك الأشعة المركزة على الخلايا الضوئية ينتج عنها تيار كهربائي مستمر تزيد كميته بزيادة معدل الطاقة الشمسية وبملاءمة معدل الطاقة الشمسية وبملاءمة الظروف الجوية وتجمع الطاقة الكهربائية الناتجة من جميع المجمعات الشمسية والتي تقدر في المتوسط بـ ٢٥٠ كيلووات وتمرر على محول يقوم بتحويلها من طاقة كهربائية مستمرة إلى طاقة كهربائية مترددة تلائم حاجة المستهلكين.

أما الطاقة الكهربائية الفائضة عن حاجة القرى فيتم تخزينها في بطاريات حامضية سعتها ألف ومائة كيلو وات ساعة تكون مصدراً للطاقة الكهربائية عند احتجاب ضوء الشمس.

ويعتبر مشروع أبحاث القرية الشمسية نموذجاً علمياً من الدرجة الأولى وذلك لعدة مزايا تكنولوجية أدخلت في تصميمه، منها استخدام العدسات بصورة أساسية لتركيز أشعة الشمس على الخلايا الضوئية فتضاعف من قوتها أكثر من خمس عشرة مرة وبالتالي ترفع من كفاءة النظام الشمسي هذا.

«إن هذا المشروع هو مشروع تحدٍ حضاري، سيسهم بإذن الله في تطوير تكنولوجيا الطاقة الشمسية ليس في المملكة العربية السعودية فحسب بل في جميع أنحاء العالم».

## - فرنسا وإفريقيا -

وبدأت علامات تطرح أسئلة.. هل فرنسا بدأت تتحرك في إفريقيا أكثر من التحرك الأمريكي لشن الحرب الصامتة ضد نفوذ الاتحاد السوفياتي في إفريقيا؟

فهناك موقفها في تشاد قوي مثير، وهناك حرصها على علاقاتها المستمرة مع الشعوب الإفريقية التي كانت تحت استعمارها، حرصت ألا تهملها كما صنعت بريطانيا وكما أهملت الولايات المتحدة، وكما تركت المستعمرات البرتغالية دون عون من الولايات المتحدة وبريطانيا.

وهناك موقف فرنسا مع جيبوتي، فليس من الصواب أن نهمل ذلك الموقف أو أن نتغاضى عنه، وأخيراً وبعد غارات جنوب أفريقيا على موزمبيق التي تكررت دون رادع بريطاني أو أمريكي وعدت فرنسا الرئيس الموزمبيقي بالعون.

إن كل هذه المواقف من فرنسا في إفريقيا حرب صامتة ضد النفوذ العنصري والسوفياتي، ولا أدري هل نجد الولايات المتحدة ترضى عن الجهد الفرنسي أم أنها لا تعبأ به، مع أن قوة فرنسا في إفريقيا لم تكن إلا في صالح غرب أوروبا والولايات المتحدة.

## - حوار مع طبيب مثقف -

وسمعت هذا الطبيب في أحد برامج «صوت العرب» ليلة الأربعاء ١/ ١٢ أعني اليوم الذي أُملي فيه «مع الأيام» تحدث عن دراسته في إنجلترا وفي «كامبردج» بالذات فأعجب وأطرب، وكان الوفاء خلقاً يشرف به صاحبه، وأخذ يتحدث عن بريطانيا وما ساهمت فيه كشعب له اليد الطولى في خدمة العلم ونشر العلم فإذا هو يقول كأنه يصف مفاخر الإنجليز بأن «مخترع الدورة الدموية إن لم يخني السمع هو دكتور هاردي فأخذت عليه أنه نسي أو تناسى أو تجاهل أن مكتشف الدورة الدموية هو العربي «ابن النفيس».

وفي غفوة التاريخ أدعى اكتشافها إنجليزي وإسباني وإيطالي، حتى تسنى للمستغربين من الألمان وغيرهم أن يعثروا على مخطوط أوضح لهم أن أول من اكتشف الدورة الدموية هو ابن النفيس، فإذا الموسوعات تؤرخ ذلك، فكيف نسي الطبيب المصري هذا؟!

ثم إن قوله «مخترع» الدورة الدموية ليس صحيحاً، لأن الصواب هو «اكتشاف» الدورة الدموية لا اختراعها، وقد أخطأ مرة ثانية حينما قال إن مخترع البنسلين هو الدكتور «الكسندر فيلمنج» مع أنه يعلم أن البنسلين لا يمكن أن يخترع وإنما اكتشف بالمصادفة وصُنِّعَ بالممارسة.

## - صور

- قال لي أحدهم: إذا لم يتفق اللبنانيون على مكان يعقد فيه اجتماع المصالحة فكيف نأمل أن يتفقوا على لبنان المكان الكبير وطناً للمعايشة؟

والعجيب أن لا يتفقوا على أرض عربية كتونس أو أرض محايدة  
كسويسرا!

\*\*\*

- ومات معاوية وعبد الملك والقيصر واليوسف والجزار والشهابي  
والجرامقة وذات الهمة ومعروف بن جمر، كما مات بشارة الخوري ومحمد  
الجرير وعبد القادر الجزائري وعبد الحميد كرامي.

مات هؤلاء وعاش لبنان كما هو قبل الآن حيث بدأ استغوال القياصرة  
واستفحال الفرقة كأنما التاريخ يعيد نفسه فما وقع في ١٨٦٠م تتكرر الصورة  
كأنها هي!

## مع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري!

إن الحوار مواكبة أريد بها أن يتسع النشر لأي موضوع ثقافي، لتكون الفائدة لا تقتصر على من سمع المحاضرة التي ألقاها الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في «نادي جدة الأدبي» مساء يوم الأحد ١٤٠٤/٨/٥هـ، وكان موضوعها عن بعض القضايا التاريخية قبل الإسلام فقد أجاد وأفاد، حتى قال بعض السامعين من المثقفين: إنها لمحاضرة قيمة يعتز بها «نادي جدة الأدبي».

وحين انتهى الدكتور الأنصاري من الشرح والإيضاح، وبما أفاض به عن حضارة «ثمود» و «الأنباط» و «عاد» وأكمل ما شرح بإيضاح مشرق.. حين عرض بالفانوس السحري الآثار التي كان له حظ وافر في اكتشافها يوم نشطت جامعة الملك سعود بالرياض.. تخرج لنا الكنز الحضاري الذي دفتته الرمال!

كان الإعجاب كبيراً بهذه الآثار صفقنا حين رأينا في مدينة «الفاو»، وفي أحضان «طويق» آثاراً أثبتت وحدة الأثر، تقويماً لوحدة الأرض بالقيم التي عرفنا منها وحدة الأمة العربية في كل اقطارها حول الرافدين، والنيل، وفي سبأ، والأحقاف، والحجر، وما إلى ذلك.

ونهضت، ألقى التحية له، ولم أشأ أن أستطرد في التعليق على

المحاضرة، فقد عزمت أن أتأخر به، أدير الحوار، يتسع به المجال لأكثر من باحث!

إن الدكتور سرنى حين وافقني على أن وحدة الأثر دليل على وحدة الأمة.. ويسرنى أكثر أن أخالفه في بعض ما ذكر عن «عاد» وعن وحدة «ثمود والأنباط».. لا حباً في الخلاف، وإنما تنشيطاً للبحث، فما أسعدني أن يكون الصواب معه لا معي، أو أن يكون التصويب لي وله، يتحقق به الوضع الصحيح لما أخطأنا فيه جميعاً، أو لما أصبنا من شرح لحقيقة أن الأمة واحدة.

وقد سبق لي أن نشرت افتتاحية العدد الثاني - السنة التاسعة من مجلة «الدائرة» ناقشت فيها عالم الآثار الأستاذ في جامعة الملك سعود «جمال مختار» أحد علماء مصر.. فقد سمعته يتحدث في إذاعة عربية، يزعم أن «الجعارين» التي وجدت في حفريات الدمام كانت مجلوبة من التجار! وقد كان هذا افتراضاً منه، شعرت أنه ينزه العرب عن عبادة الجعلان (الجعارين) أو أنه ضمن على العرب الوثنيين أن يكونوا في وحدة مع مصر!

وكتبت مناقشاً.. أنفي الافتراض، وأثبت الفرض، فالشعوب العربية كلها، حينما كانت وثنية، أتحدت في عبادة الشمس وعبادة القمر وتآليه الكواكب.. فلئن سمي العرب شرق السويس بـ «الصابئة» فإن غرب السويس كانوا «صابئة» وإن لم يطلق عليهم الاسم!

والعرب القحطانيون عاديون وفراعين، ومن إليهم.. قد اتحدوا في عبادة الهر «الأسد».. فـ «عاد» عبدت الهر، وأصبح الهر في كل اليمن السعيد هو الاسم الذي يطلق على «البس» أو القط والفراعين عبدوا «البس».. أليس ذلك فيه الدليل على وحدة الوثنية بين الشعوب العربية؟!!

ولقد أيدني في ذلك الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في محاضراته آنفة الذكر، لقد قلت في كلمة ألقيتها في ندوة عين شمس «سمينار»: إن إدعاء الانفراد بحضارة واحدة يعني فرض الانفرادية على شعوب الأمة العربية كلها.. فالذين «جابوا الصخر بالواد» هم آباء أو أخوان فرعون ذي الأوتاد، والذين نحتوا من الجبل بيوتاً في حجر ثمود، وفي البتراء، هم العطاء لإخوانهم أو أبنائهم الفراعين الذين بنوا الأهرامات جبلاً، حيث لا جبل في مصر تنحت منه البيوت!

وضاق بهذه الكلمة أستاذنا «عزيز عبد الكريم» العالم المصري، فأسكتني وأنا على منصة الخطابة، فهو إن كان صاحب المقام الكبير في جامعة عين شمس، فلم يكن في هذه الندوة هو المقرر أو الرئيس، وإنما كان أحد السامعين.

فقد أسكتني بخطرسة الأستاذ وعقدة الانفرادية في الحضارة، ولكن احترامي له كان شفيحاً يدعوني أن أحبه وأحترمه، وقد فاتني أن أحدد تاريخ هذه الحكاية.. فقد كان في أواخر الثمانينات!

وبعد هذه المقدمة.. أدير مع الدكتور الأنصاري الحوار عن مواضيع عدة:

أولاً: أعجبني تخريجه عن وحدة ثمود، والأنباط.. فقد جعلهم شعباً قبيلاً واحداً، ودل على ذلك بأن ثمود مشتقة من «التمر» والأنباط من «أنباط الماء».. فالتمر حفنة من الماء، والنبيط هم الذين استنبطوا الماء!

ولكن.. رغم إعجابي بهذه المقارنة، فإني أضع أمامه أن الثموديين أقدم عهداً من الأنباط، فهم ما زالوا، وبألفاظ من لهجتهم العربية يعيشون في العاطفة العربية، واللغة العربية.. أما ثمود، فقد اندثر كل شيء عنها في

العاطفة العربية واللغة العربية، ولولا أن القرآن الكريم ذكرها لما عرفناها، وما بقي منها إلا هذا الذكر، وإلا ما نحتوا في الحجر.. فلعل الأنباط الذين انساحوا من الشمال، فحفروا في طريقهم الآبار، قد وصلوا يستحذون على منازل ثمود.. حتى أن البتراء (سلع) في الأردن أجد من الحق أن أفترض أن الأنباط استحذوا عليها بينما هي من عمل ثمود.. فقد ذكر الدكتور نقوشاً بلغة الأنباط، وأثبت أنهم يكتبون بالآرامية.. بينما قلت النقوش الثمودية!

ثانياً: وذكر الدكتور أنه يفترض عدم وجود «عاد» في الأحقاف، أي أنه ينفي وجودها في جنوب جزيرة العرب، ويدلل على ذلك بأن الوصف الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿إِرمَ ذاتِ الْعِمَادِ﴾ (الفجر: ٧) أطلق اسم «إرم» على «عاد»، وقد انتشر هذا الاسم في شمال الجزيرة العربية، أي حول منازل ثمود، والأنباط، وما قاربها.. مع أن انتشار الاسم في مكان، أو في أكثر لا يدل على أن هذا المكان، كان هو موطن من تسموا بهذا الاسم.. فالعرب في تاريخهم الطويل - قديماً وحديثاً - ينقلون اسم المكان إلى أماكن أخرى، فعندنا اسم «ميسان» و «بيسان» انطلق بهما العرب إلى أماكن أخرى، فكم من مكان سمي بهذين الإسمين، واسم (سلع) يوجد في أمكنة ثلاثة: في البتراء، وفي المدينة المنورة، وفي هذيل - حول مكة المكرمة، ولقد أخطأ «حسن الكرمي» حين سئل عن قائل هذا البيت:

إن في الشعب الذي دون سلع لقتيل.. دمه ما يطل

فقال: البيت لـ «تأبط شراً» و «سلع» هو سلع البتراء، وعقبت عليه في زمن غير بعيد، أزعم أن «تأبط شراً» بدوي لم يصل إلى «البتراء» فهو قد أراد «سلع المدينة»، حتى إذا لقيت أستاذنا «حمد الجاسر» وسألته عن



ذلك، قال: أخطأ الكرمي، وأخطأت أنت.. فـ «سلع» الذي أراده «تأبط شراً» هو «سلع هذيل» الذي عاش حوله الشاعر!

ومعنى «سلع» هو: الشق في الجبل.. فحين نحتوا الجبل في البتراء: سلعوه، ولعلّ هناك شقوقاً في «سلع» المدينة، أو «سلع هذيل» تعرف بعد الحفريات.

إن «عاداً» كما هي في الرواية المتواترة، تعلق بها عاطفة العرب.. أنا على يقين أنها في جنوب جزيرة العرب، أما لحضارة سبأ، جدة لحضارة الفراعين، أو أن (الفاو) ورثت حضارتها من «عاد».

**ثالثاً:** وأتحفنا الدكتور الأنصاري بهذا الاسم «رقوش» وجده مكتوباً على شاخص بلغة الأنباط لسيدة ثمودية، فأخذت أجتر هذا الاسم، فوجدت في لغتنا الآن: رشق بمعنى نقش وبمعنى: حسن النقش، ثم وجدت أن عندنا هذا الاسم (المرقش) يطلق على شاعرين عرييين: المرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، وفي السراة من يكنى بـ«أبي الرقوش». وهناك «الحية الرقشاء» جلدها مرقش، وغير ذلك مما اتسع له الاشتقاق لهذه المادة، وعلى هذا.. أظن أن السيدة «رقوش» كانت جميلة ومليحة.. مرقشة بألوان الملاحاة والجمال.. فـ «ثمود» جعلت من البنت رمز الجمال، فالقصر الأكبر في الحجر هو قصر البنت!

من هنا.. أزعّم أن في العرب القدامى، وفي الجاهلية كانت تتمتع بسلطان من النفوذ أكثر من السلطان الذي يطلبونه الآن لحرية المرأة.. فالتاريخ حفظ لنا أسماء ملكات.. كـ «الزباء» و «بلقيس» و«كليوباترا» و«نفرتيتي» وعظيمات كالسيدة مريم، وامرأة فرعون آسيا بنت مزاحم.

## الميثاق لم يبعد مصر

وكانت صدمة اهتز منها وجدان العرب، كأنما تاريخهم في حاضرهم قد انحرف عن مواجهة إسرائيل إلى السلام مع إسرائيل، كان ذلك حينما وافقت مصر بقيادة أنور السادات (الله يرحمه) فإذا قادة العرب يصدر منهم قرار لم يكن إجماعياً لأن بعض القادة من العرب قد تحفظوا ضده، أو أنهم لم يوافقوا عليه، وصدر قرار أبعد مصر عن الجامعة، فبعض القادة اتخذ من القرار قطيعة بكل معنى الكلمة، وبعض القادة وإن سايروا الوقت فقد احتفظوا بنوع من الاعتدال آملين أن الزمن كفيل بأن يعدل الوضع بين مصر العربية وبين العرب جميعاً.

فالقطيعة ما زالت مشتدة، والاعتدال يسير الهويماً حتى جاءت اللحظة الحاسمة بالوقف الحازمة تعيد مصر إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن قرار بغداد كان رد فعل، وكان انفعالاً لا بد منه، لكن الميثاق لم يكن معه، وإنما كان تصميم الذين وافقوا عليه أعطى القرار قوة التنفيذ، فإذا الجامعة تنقل إلى تونس الخضراء.

ومضت سنوات، فإذا الوضع في شرق السويس تشتعل فيه النار في لبنان حريق كأنما هي التجربة لأن يكون ميدان حرب عامة ثالثة، لأن إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض أرادت الابتعاد عن بلقنة

أوروبا، فأحبوا أن يتبلقن شرق السويس كتجربة يكون الصراع وعليها مجلبة لتقسيم الغنيمة استقطاباً، كل إمبراطورية تفوز بمنطقة نفوذ.

إن قرار بغداد وليس معه الميثاق ما زالت مصر وبحكم الميثاق عضواً في الجامعة العربية، فالأمر إذا سميناه تجميداً أو تعليقاً فلا زال الميثاق ليس مع التجميد، ولا مع التعليق، وبالأحرى ليس مع القطيعة، لأن ميثاق الجامعة لا يعتبر نافذ المفعول إلا بإجماع أعضاء الجامعة جميعاً، فلو أن مصر وحدها رفضت القرار لتعطل القرار عن التنفيذ ومصر لم ترفض وإنما كان التوقف أو التحفظ ضد القرار من حكومات عربية هي السودان وسلطنة عُمان والصومال وجيبوتي، ويعني ذلك أنه لا قرار.

ولكن مصر لم ترفض هذا القرار بل طاولت تنفيذه لأن أنور السادات في حالة من الاعتزاز قد تقمص موقف إسماعيل الخديوي «بلادي قطعة من أوروبا»، أو لبس كلمة إسماعيل صدقي باشا «ما لنا ولشرق السويس».

ومضت سنوات، فإذا اثنان كانا أشد انفعالاً وغيظاً من إطار «كامب ديفيد» وهما ياسر عرفات وصدام حسين يرفضان الرفض، ويرسلان النداء بعد النداء لعودة مصر إلى قوميتها العربية وجامعتها العربية، فهما حين جربا القطيعة وما أساءت، وحينما تجاوزت مصر بقيادة حسني مبارك الذي لبس شرف عبد العزيز فهمي وخلع عن وجدانه غضبات عبد العزيز فهمي يمد يده عوناً للعراق واحتضاناً لياسر عرفات، وتجاوزاً عن الغضب، فإذا أصوات من المغرب ومن الأردن ومن غيرها تنادي.. أعيدوا مصر إلى عروبتها.

فالأمر لم يعد قبلياً أو إقليمياً، وإنما هو عودة العرب ليكونوا أمة واحدة في موقف واحد وأمام سعار الاستقطاب.

إن مصر أعلنت ما اعتقده الذين قاطعوها أن ما فعلته جريمة، والآخرون قد اتهموا مصر بأنها أخطأت ولكن كان الإعلان جرأة عرف العربي بها الجريمة أو الخطأ، بينما هناك ما أحسبه مستوراً قد يكون هو الجريمة فعلاً بما صنع، وتستراً صمت عنه العرب الآخرون، فالإعلان مواجهة مواجهة، والتستر خذلان للمواجهة.

إن الميثاق ما زال يضع مصر في مكانها، وإن الأكثرية من القادة العرب يريدون أن تعود مصر إلى مكانها، فعروبة مصر أزلية من العصر السحيق، فلئن خفت صوت العروبة فيها قبل الإسلام فإن الإسلام واللغة والمواقف أكدت أن مصر عربية، عربية مسلمة ما أكثر ما أعطت لإسلامها البر والخير.

في بداية هذا العصر كان العرب يصرخون ويتوافدون، يتحدثون إلى زعماء مصر.. عودوا إلى العروبة.. أنتم عرب، يفرحون إذا تغنى شوقي بدمشق.

وعادت مصر إلى عروبتها بنص دستورها، وما كانت يوماً ما بعيدة عن إسلامها وعن عروبتها، فإن كانت دمشق الحاضنة الولود لصلاح الدين وقطر والعز بن عبد السلام فإن مصر الحاضنة الودود، منشأ هؤلاء، ففي كل التاريخ إن وحدة مصر والشام في رد العدوان كان فيها النصر، وإن أي فرقة بينهما كانت منها الهزيمة.

إن «حطين» و«عين جالوت» كانتا مصريتين شاميتين، ما بخلت عليهما جزيرة العرب، فلقد اختفى في التاريخ أن القبائل من هذه الجزيرة وفي طليعتها «جهينة» كانت رديف النصر لصلاح الدين والملك المظفر قطز، مع

أن استقراء التاريخ بدقة يعطي أن الشام ومصر وجزيرة العرب كل هؤلاء إذا  
اجتمعوا كان النصر حليفهم.

ولا ننسى مدد المغرب في أكثر من موقعة.

هذا التجمع العربي المسلم مصداق حديث الإمام مسلم، وهو أن أمتنا  
إذا ما كانت في عصمة العقيدة الواحدة والاعتصام بالقيادة الموحدة لن تهزم  
من عدو، إن هزيمتها لن تنزل عليها إلا حين يكون بأسنا بيننا، فما أصدق  
هذا الحديث، حين كنا الأمة الواحدة انتصرنا، وحين أصبحنا الشعوب  
المتجاورة انحسرت نخشى الهزيمة تلو الهزيمة!

إن قرار بغداد إذا ما حسبناه قرار الجامعة فإنه يعتبر سابقة عدلوا به  
الميثاق، أعني أن الأكثرية أصدرت القرار حكماً نافذاً يضع الأقلية في طاعة  
التنفيذ.

فالنداء الآن بتعديل الميثاق قد يجد في هذه السابقة سنداً قوياً.

## أبو خلدون ساطع الحصري وجمال الدين الأفغاني

وما زلت أحمل على الذين ينبشون قبور الموتى، حتى أصبح رجال الفكر والدعاة وكثير من العلماء والشعراء مضغة بين أشداق أغيلمة، أو هدفاً لفحيح الأفاعي من هؤلاء المغرضين: طرقيون بين فترة وأخرى ينبشون قبر جمال الدين الأفغاني، وطورانيون أو شعوبيون ينبشون قبر ساطع الحصري..

إن هؤلاء تقدموا إلى ما أسلفوا، فكذبة كبرى أن نعلم عن دخائلهم، وصدق لا غبار عليه إن عرفناهم من خلال ما كتبوا وما ألفوا، وبما كانوا عليه يطرودون من بلد إلى بلد.. كانوا حرباً على الاستعمار، نصبوا أنفسهم للتوعية، فجمال الدين الأفغاني كانت الكنانة (مصر) تراه باعث النهضة فيها، فهو لم يكن سادن ضريح، ولا إمعة مع سلطان وإنما كان هو السلطان على نفسه، ولكن، جامع المتناقضات، أبو الهدى الصيادي، الطرقي، سلط عليه المأجورين، يسبونه لأنه وهابي، مع أنه داعية الجامعة الإسلامية، يدعو لأن تكون نقية من الخرافة والبدع.

فعجيب أن يكون أبو الهدى الصيادي، أحد الذين أفسدوا الدولة العثمانية بالشعبذة والطرقية، شاهداً حكماً على جمال الدين.

وساطع الحصري، هو على نقيض جمال الدين، لأنه أستاذ القومية العربية ومعلمها، لقبوه (أبو خلدون) لأنه ناقض المؤرخ الأستاذ الأول في علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون.. ساطع الحصري وجمال الدين نقيضان، ولكن الفكر الحر في أي بلد عربي لم يتخذ من ذلك سبة على واحد منهما، لأن القيم في كل عربي أن يكون مسلماً، ولا قيمة من غير ذلك.

بلغني أن أحد نباشي القبور خرج علينا يتهم ساطع الحصري بأنه (من يهود الدونما) أي أن أجداده من يهود الأندلس، فروا من محاكم التفتيش والقتل، فأواهم السلطان سليمان القانوني، يوم كان السيد الوحيد في البحر الأبيض وعلى البلقان كله، حتى وصل بجيشه إلى فيينا، يطلق إمبراطور فرنسا من أسر النمساويين، إكراماً لحبيته الفرنسية.

إن يهود الدونما، لا ساطع الحصري ولا جمال الدين الأفغاني، ولا مؤتمر باريس، ولا الذين شنقوا في عاليه، هم الذين أسقطوا الخلافة، فالذين ثاروا على السلطان عبد الحميد أترك، حين تسلطوا أصبحوا قوميين تحت شعار الطورانية، وفيهم من يهود الدونما كثيرون.. لا أريد أن اصدق بعض ما سمعنا من أن مدحت وجاويدهما من يهود الدونما، ولكن الكاتب الكبير حسين جاهد يالدشين كان من يهود الدونما، فالسلطان سليمان هو المسؤول الأول عن ترسيخ قدم اليهود في الدولة العثمانية، تستروا بالإسلام حتى كادوا الكيد الكبير للإسلام، ولعلي أكون مع هذا، أصدق أن ساطع الحصري من يهود الدونما، بل أفرض أكثر من ذلك، فأزعم أنه يهودي لم يظهر الإسلام، لأقول، بعد، لا داعي لأن ننظر إلى دخيلته، وإنما ننظر إلى أصله وفصله وما كتب عن القومية، وكيف ناضل عنها؟ فكراً يحاور

فكراً؟ ما سل سيفاً، وما دعا إلى ثورة، وإنما جابه الشعوبية بالقومية.

ليكن يهودياً، ينبغي أن ننظر إلى عمله، إن كان خيراً فأنعم وأكرم، وإن كان شراً فلتكن الحملة على الشر، إن الصحابي الجليل عبد الله بن سلام كان حبراً لليهود، آمناً بصدق إسلامه لأن رسول الله صدقه ومخيريق اليهودي الذي ذهب يقاتل عن الإسلام في أحد، فقتل، رسول الله ﷺ يقول: مخيريق خير يهود، يعني أنه تقدم عبد الله بن سلام.

فعمل ساطع الحصري ينفي عنه العداوة للعرب، فلو كان من يهود الدونما لما كان قومياً عربياً.

إن ساطع الحصري شامي من حلب الشهباء، لا نصدق فيه إلا الكيالين والجابريين.. نشأ طفلاً في صنعاء، فأبوه كان قاضيها، واستترك لسانه في اسطنبول، وشمخ بعروبه في العراق، وتشامت الكنانة تكرمه حين وصل إليها لا يحمل تأشيرة دخول، كانت التأشيرة عند ضباط المطار قوله جمال عبد الناصر، فإذا هذه التأشيرة كانت التأهيل به، إن ساطع الحصري ليس كأبي الهدى الصيادي، ولا يوسف النبهاني، اللذين كال كل منهما الشئام على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وعلى آل سعود، حيث قال: (إن ثورة محمد بن عبد الوهاب وآل سعود في نجد، أنقذت الدولة العثمانية من ثورة في الشام كانت تدبر ضدها، فقد اجتمع في عكا اليوسف حاكم دمشق وبشير الشهابي حاكم لبنان، والجزار حاكم عكا، اجتمعوا يتآمرون يقودون ثورة ضد الخلافة العثمانية، وبينما هم مؤتمرون سمعوا أن قبائل عربية من نجد وصلت إلى حدود الشام، فهرع كل واحد يعود إلى مكانه خوفاً على مكائتهم فلم ينجحوا في هذه المؤامرة..

إن ساطع الحصري ينظر إلى آل سعود وإلى شيخ الإسلام محمد بن



عبد الوهاب على أن نهضتهم هذه نهضة قومية عربية، فهو كمؤرخ للقومية لم يجف السعوديين وعقيدتهم السلفية، وإنما نظر إليها نظرة قومية.. فساطع الحصري يكذب عليه من يدعي أنه من يهود الدونما، وما أكثر ما كذبوا على جمال الدين الأفغاني.

## إسرائيل ليست وحدها وراء الفيتو الثامن!

ورفضت الولايات المتحدة القرار الذي تقدمت به حكومة لبنان، ولا أقول شعب لبنان، فقد صوتت على هذا القرار الدول الأربع عشرة تؤيده، لكن مندوب الولايات المتحدة رفض القرار، ولم يسع الذين تقدموا بهذا القرار إلا أن يغضبوا، وهكذا دأب العرب: انفعال دون رد فعل!

إن الذين غضبوا لن يكون لغضبهم تأثير، لهذا لست من الغاضبين، لأنني أنظر إلى هذا القرار على أن كل ما فيه استجداء وتسول، يطلب من المحتل - وهم اليهود - أن يخففوا من القيود المفروضة على الجنوب، وأن لا يمارسوا الضغط الشديد على اللبنانيين هناك، ويستعطفهم القرار أن يفتحوا طريق المرور للبضاعة، من الفواكه والخضر، تمويناً للجنوب، وتمويلاً للفلاحين، فالاحتلال لم يذكر، حيث لم يتعرض له القرار، وبعبارة صريحة، فإني أفهم من ذلك أن القرار قد اعترف بالاحتلال، وإنما يريد منه حسن المعاملة!

إن إسرائيل والولايات المتحدة لم تفتهما هذه الميزة في القرار، لا يفرض على إسرائيل الخروج من جنوب لبنان، وما كان الرفض إجابة لطلب إسرائيل وحدها، وإنما كانت الاستجابة لفريق من اللبنانيين، لا زال الصديق لإسرائيل، ليس أول هذه الصداقة مكتب الاتصالات الذي ألغي، وليس آخر

الصداقة، الجيش اللبناني تحت قيادة أنطوان لحد الذي يعين إسرائيل، ويرسخ احتلالها لجنوب لبنان، فهذا الفريق، سواء كان عن طريق أنطوان لحد، أو عن طريق أحد آخر، هو الرديف لإسرائيل، يطلب من الولايات المتحدة أن تستخدم حق الفيتو، وذلك لحرمان رشيد كرامي من القوة التي قد يطول بها حكمه، فلقد خططوا لهزيمة رشيد كرامي، ولهزيمة نبيه بري، فجنوب لبنان أكثرية شيعية، ولا يريد الفريق اللبناني المتعاون مع إسرائيل وإسرائيل إلا القضاء على أهل صيدا والنبطية ومن في عين الحلوة، فحين يذوب سكان الجنوب بهذا الضغط اليهودي والعون الطائفي، فإن الأكثرية المسلمة تنخفض لها الامتيازات التي تطلبها، فلا يكون الإصلاح الدستوري إلا لصالح الأكثرية السابقة، أعني الكتائبين ومن إليهم.

## - لا داعي للغضب

من هنا لا داعي للغضب من الرفض لهذا القرار، بل إن فيه ما يدعو إلى الرضا، وهكذا:

- أولاً: لقد اتضح كل الوضوح موقف الولايات المتحدة، عدواناً على العرب، مباشراً حيناً بهذا العون لإسرائيل وبهذا الحلف معها، وغير مباشر حين تستخدم حق الفيتو ثماني مرات، مما دعا مندوب الاتحاد السوفيتي أن يعلن ذلك، فرحاً به، لأن الاتحاد السوفيتي، بكل ما فعلته الولايات المتحدة مع العرب، يكسب كل يوم موقفاً جديداً، وما أكثر ما كسب.

ولعلّ في هذا الرد الصريح على أسلوب الدعاية الذي طرحه الرئيس ريجان، حيث قال: إن الحلف الاستراتيجي مع إسرائيل يردع الاتحاد السوفياتي أن تكون له قدم في الشرق الأوسط، مع أن الواقع أن كل ما

فعلته أمريكا قد اتسع به الطريق للاتحاد السوفياتي!

- ثانياً: إن هذا القرار كما أسلفت مريض، كأنما ولد بعملية قيصرية، يدعو للرفق، ولا يدعو للجلاء، ومع هذا الاستجداء وقفت هولندا وبريطانيا ترفضان فقرة من القرار، عن إرسال لجنة دولية تحقق فيما يفعله اليهود في جنوب لبنان، احتراماً لحقوق الإنسان!

(رفضت بريطانيا وهولندا إرسال هذه اللجنة، لأن الإنسان اللبناني في الجنوب ليس له حقوق، وإنما الحقوق للمنشقين في روسيا، للأستاذ زخاروف بصفة خاصة! أما العرب فلا حقوق لهم!).

- ثالثاً: إن حكومة لبنان لو أن سلطانها على الشعب اللبناني كله، لوجدت في هذا الرفض قوة، لكن حكومة لبنان قوية بسلطان طائفتين، وتتآكل ما أضعف من سلطان طائفة أخرى.

- رابعاً: إن الحرب في لبنان لم تعد أهلية، لأنها دولت، هي قائمة بين مثلثين: فالمثلث الأول الكتائبون وإسرائيل والولايات المتحدة، والمثلث الثاني: المسلمون والسوريون والاتحاد السوفيتي، وحرب هذا شأنها أصبحت صعبة الحل.. فلا حاجة إلى مجلس الأمن، وإنما الحاجة إلى لحظة شفاء من مرض الخنادق، والإشارة تغني عن العبارة!

## القيصر نقفور من أولاد «جفنة»

القيصر الرومي إمبراطور بيزنطة لا بد لي قبل أن أكتب السبب الذي دعاني لذكره - وهو نقفور هكذا اسمه في تاريخنا - أن أذكر التعريف به والشر الذي كان منه .

فقد تحدث إلي من احترامه معلماً لي في كثير مما عرفت الدكتور معروف الدواليبي عن هذا الإمبراطور، فلا ترك حديث الدكتور معروف أكتبه بعد التعريف .

فالقيصر نقفور كان حرباً على الإسلام يريد أن يعيد سلطانه على الشام بل وحتى على العراق، فشن الحرب على بغداد ولكن كان فيها الخليفة ميمون النقيبة هارون الرشيد، فجهز الجيش يكيل الضربات لنقفور يحصره في أرض الروم، لا يتجاوز بأي خطوة منه نحو الشام نحو العراق، فقد حفظنا هذا البيت :

نقض العهد الذي أعطاكه نقفور فعليه دائرة البوار تدور

كان نصرانياً يحارب الإسلام وكان عربياً يرد المذمة على العرب ولعلّه كان يجد نصيراً من العرب الذين كانوا نصارى أبقت عليهم أمية، ففي عهد عبد الملك بقيت تغلب وكثير من غسان وبهراء وكلب على نصرانيتها حتى

أن شاعر تغلب الأخطل يهجو الأنصار ولكن جريراً والفرزدق كانوا من تميم سلوا سيف قسوتهم على الأخطل .

إن نقفور، كما علمت من أستاذنا الدكتور الدواليبي وبما علم من بحثه الدؤوب عربي صليبة جدّه جبلة بن الأيهم من أولاد «جفنة» ملوك الشام غسانيين أزديين قحطانيين، ارتد جدّه جبلة عن الإسلام في عهد عمر بن الخطاب لأنه ما أراد أن يخضع لعدالة الإسلام فهرب ينتصر لاجئاً إلى هرقل فوجد الملجأ نصرانياً عند نصارى تابعاً عند سيد فإذا هو الجد للقيصر نقفور .

فقد وجد الدكتور الدواليبي الخبر عن عروبة نقفور فيما كتبه المسعودي المؤرخ الواسع الاطلاع فقد اتسع للمسعودي بما يحفظ من اللغات أن يعرف الخبايا في الزوايا .

ذكر المسعودي أن أحدهم في مجلس نقفور أخذ يهيب العرب بما كان يطلق عليهم «ساروقين» سواء بالقاف أو الكاف . فقد كان هذا الاسم يطلق على العرب عند الإغريق، ويعني ذلك أنهم السراق أو السارقون فانتفضت العروبة في عرق نقفور فقال:

- ليس هم السراق ولا السارقين وإنما هذا الاسم أطلق عليهم نبذهم به اليهود «بنو إسرائيل»، ومعناه أنهم عبيد سارة زوج أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

فاليهود أنكروا على إسماعيل لأن أمه غير عبرانية فهي جارية «عبدة» قنّاً للسيدة سارة فإسماعيل كان في نظرهم القنّ فأجروا الاسم على بني العرب جميعاً، أي «قنّ سارة» وبالإضافة الأعجمية انقلب هكذا «سارة قنّ» .

إن غضبة نقفور أعطت الصواب للتاريخ نصر القومية العربية وحارب الإسلام وهكذا التاريخ يعيد نفسه، فكم من عربي اليوم يرفع رأسه بالقومية ويسل سيفه على الإسلام.

لقد كان نقفور إمبراطوراً مسؤولاً عن إمبراطورية هي روما الشرقية ملزم بالدفاع عنها وعن عقيدتها النصرانية، ولكن ما شأن عربي صعلوك أن يفاخر بالعربية وينشق على الإسلام.

### - قسم الزوجة!

إن قَسَمَ الزوجة ما دامت في العصمة واجب على الزوج وحق لها فإحالتها إلى التقاعد كلمة غريبة لا ينبغي أن يكتبها كاتب، لقد تلفن إلى أكثر من واحد يستغربون كيف جرأ «ابن بنيان» أن يكتب هذا.  
أيها الابن حاسن البنيان..

إن كنت من ولد بخيت بن بنيان وأبوك بخيت من بنيان وجدك ناصر بن بنيان أقول لك بلغة حرب بلهجة مسروح بلسان اللهبة: «واعيابه»!  
هل ترضى لجددة من جداتك أن تحال إلى التقاعد وهي في عصمة زوجها، فرض الإسلام لها قَسَمَها أو إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان!  
إن الفقه ينبغي أن يترك لأهله.

إن الزوجة في العصمة لها حقها، وأشرح لك الدليل برهاناً ساطعاً من سنة رسول الله، فلتعلم أن أم المؤمنين زوج رسول الله تزوجها بعد السيدة خديجة وهي سيدتي «سودة بنت زمعة» علت بها السن وكان له زوجات غيرها كما تعرف، فما حرّمها قَسَمَها أي الليلة التي يبيت عندها وإنما هي جاءت تسأله قالت:

يا رسول الله.. بلغني أنك تريد تطليقي - وما قالت تحيلني إلى التقاعد! - فأرجو أن تبقيني في عصمتك وأنزل عن قسَمي لعائشة لأني أحب أن ابعث زوجاً لك يوم القيامة، فما طلقها وبقيت في عصمته ولكنها تنازلت عن حظها تريد رضا زوجها ليكون قسمها إضافة إلى قسم عائشة.. رضي الله عن سودة ورضي الله عن عائشة.

إن رسول الله ﷺ لم يبخسها حقها وإنما هي تنازلت بإحالة الزوجة إلى التقاعد معناه الهجر، معناه الإعضال وما كان هذا من فقه الإسلام، الهجر أيام محددة والزوج لا يصح أن يأتي بالنشوز، فإن غضب هجر أياماً، وعليه الواجب أن لا يمتد الهجر.

إن أي كاتب ينبغي أن لا يجعل الأمهات مجالاً لكلمات سوقية فالأم ليست موظفة وإنما هي شريكة.

فلا تجزع يا ابن أخي إنك لا تعرف مكان أهلك عندي ولو أنصفت نفسك وكنت شجاعاً لأعلنت جرأتك تنادي بتعدد الزوجات كما جرؤه أنا على ذلك يوم تلفزت عن الأمهات المؤمنات.

## - صورة:

والشيء بالشيء يذكر ينبغي لنا أن نضيف معلومة يعرفها الكثيرون ونريد أن يعرفها الأقلون فأولاد «جفنة» هم الذين مدحهم حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث قال:

لله درّ عصابة نادماتهم      يوماً بجلق في الزمان الأول  
أولاد جفنة حول قبر أبيهمو      قبر ابن مارية الزعيم المفضل



إلى أن قال هذا الشطر الحبيب :

«بردى يصفق بالرحيق السَّلِيل»

وجلق من أسماء دمشق كما جيرون .

\*\*\*

ألقيت محاضرة في أواسط الخمسينات وفي جماعة المحاضرات التي  
أسسناها في المدينة عن التعليم في المدينة المنورة، وانتقدت أن يكون  
التعليم بقصد التتريك، فأثار المستركون عليّ ضجة، وبينما أنا خارج من  
المسجد قابلني رجل فقال :

كيف تسب الأتراك؟

قلت :

لم أسبهم وإنما أرخت لمرحلة .

قال :

«أنت ما تعرف أن جدتي تركية»!

قلت :

بل أعرف أن محمد الفاتح كان من الأبطال الفاتحين .

## هذي المكارم

وسمعت بأذن صاغية وفرحة واعية ما تحدث به وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز، فقد تحدث سموه عن العتاد سلاحاً جديداً متطوراً اشترته من مصانع فرنسية، وكنا قد سمعنا هذا الخبر عن هذا السلاح تقنيته المملكة العربية السعودية لا تتعامل به فُتْيَةً في متحف العرض وإنما تفعل به بأسلوب التقنية كأنما شبابنا المجند وقد تخرج من الأكاديميات قد استوعب العلم ليعطي قوة العلم كفاءة فالتقنية ليست إلا علماً يُستوعب وعملاً في يد الأكفاء تتحقق به أغراض السلم والحرب كعامل بناء من تعامل الأبناء في مراحل النماء سلماً كما هو لا يعني إلا الدفاع فالسلم المسلح هو دفاع ضارب بالردع وإن لم يضرب في أي مواجهة.

وقف الأمير سلطان وكأنما رأيته قد لبس قوة الإيمان وقدرة العمل وكفاءة التعامل كأنما هو وإن لم يقلها «لست أنا الأمير الآن.. ولا الوزير وإنما أنا جندي من جنود الشعب العربي السعودي حماة الوطن المقدس».

وأنما قال إن نعمة الإسلام ونعمة الاستقرار والأمن لا يحق لنا أن نرتع في ثمراتها غير واعين لصيانتها فالإسلام هو السلم لمن سالمه والحرب على من حاربه.

ومن عجب أننا قد سقطنا في غواية المخذّلين الذين جرّعونا في عماية التاريخ والاستكانة إلى دُعاة التخاذل إن الإسلام لا يدعو إلى القتال.

قالوا لنا دعوكم من ملاحم الأبطال، حتى كتب القراءة قد جانبت زرع الحماسة في الشباب، فإذا أرضنا العربية قد فرغت من السلاح وأفرغت نفسها إلى التواكل، لأن الحرب مكروهة.. لأن الحياة جديرة بأن تُصان..

إن هذا التخذيل لم ينخذل به وفي جزيرة العرب الأئمة من آل سعود والقبائل في نجد والأئمة في اليمن والقبائل في اليمن، فإذا جزيرة العرب مسعر حرب، تعاملوا مع السلاح الذي كانوا يملكون، فإذا الثمرة أن تمت الوحدة في هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية».

واليوم، وإن تمتعنا بالأمن والسلامة فإن من حولنا ومن كل الجهات استغوالاً ينبغي أن لا نثق بأحد، بل الثقة يجب أن تكون في أنفسنا نادى بها «سلطان بن عبد العزيز» يدعو الشباب إلى أن يندفعوا نحو الجندية في كل فرع من فروع القوات المسلحة والحرس الوطني والأمن العام، ونص ذلك في كلمته المجنحة التي قالها:

«وكلي أمل في أن ينخرط الشباب العربي السعودي في قواتنا المسلحة البرية والجوية والبحرية».

إن خبر هذا السلاح الجديد من فرنسا - صواريخ «شاهين» - قد سمعناه، أذاعته وكالات الأنباء من قبل بنص حرصت أن لا يكون فضفاضاً كأنما هو قد حُدّد عليها أن لا يكون إلا على هذه الصورة فلم يكن هذا الخبر من صنع صحفي ولا من صنع وكالة، وإنما هو تقنين من جهة مسؤولية تحترم سرية السلاح وتحرص على دقة التعامل مع المملكة العربية السعودية.

من هنا كان عجز الخبر إن التفصيلات عن هذا السلاح هو من شأن المملكة العربية السعودية فلم يترك لفرنسا حرية التفصيل، دقة وحصانة أعطاهما الأمير سلطان بهذا التفصيل الذي اقتضبه أنه صاحب الحق في ذلك وهو لم يعط إلا ملامح احتفاظاً بالسرية وإن أعلن اسم الصاروخ «شاهين».

والشاهين طير جرح أخو الصقر، اللون أخو الباز، كأنما العرب من عشقها للفروسية والافتراس أعطت الشاهين قيمة البطل في الطيور.

إننا اليوم على مفترق الطرق ولكن موقف المملكة العربية السعودية بقيادة جلالة الملك فهد القائد الأعلى للقوات المسلحة يعانقه ولي عهده رئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز مؤتمراً بأمره كما هو عناق أخيه الأمير سلطان وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.. ما أذاع ذلك عن السلاح إلا مسترشداً بأمر الملك.

وهل انتهى من الكلمة وما أتقدم بالتحية والحب لهؤلاء الشباب الذين أطربنا وزادنا حماسة حين ذكر أسماءهم العقيد ركن خالد بن سلطان قائد الدفاع الجوي بالنيابة وأعيد ذكرهم تياهاً بهم داعياً لهم بالتوفيق مكبراً ما وصلوا إليه كأنما أتخيل أن الخوارزمي محمد بن موسى وجابر بن حيان ومن إليهما تنطق أرواحهم.. هؤلاء أبنائي كما تنطق بها أرواح الفاتحين الذين لم يكن قائد فتح أو جندي فتح إلا من آباء هؤلاء الشباب يوم كان الناس ناساً..

هؤلاء الشباب.. النماذج من رجال الدفاع الجوي الذين برزوا في عدد من الميادين العلمية هم:

عقيد مهندس/ماجد طلحاح العتيبي.

مقدم مهندس دكتور/عبد الله رشاد جستنية .

الملازم أول/ياسين عبد الحميد البغلي .

الملازم/عمر علي الغامدي .

مهندس/ عبد العزيز صالح المقبل .

نشر أسماءهم إكباراً واستبشاراً أحسبهم سيكونون قدوة لأنشد البيت  
أنشده عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس في يوم فرح بشباب أجادوا  
وأفادوا فقال :

هذي المكارم لا قعبان من لبن      شيباً بماء فعادت بعد أبوالا  
ولعلي أنشد قول الرصافي :

فخير الناس ذو حسب قديم      أقام لنفسه حسباً جديداً  
وشر العاملين ذوو خمول      إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

والخاتمة في هذا البيت :

نبني كما كانت أوائلنا      تبني ونفعل مثلما فعلوا

## - المكسيك

- والشيء بالشيء يذكر فقد قالوا إن المكسيك أعلنت أنها لن تشتري  
السلاح ولن تستعد للحرب فالدول حولها من الجنوب دول صغيرة لن  
تجتمع في حرب ضده، وإن فعلت فما لدينا من سلاح يكفي لردعهم .

أما شمالنا فدولة عظمى (الولايات المتحدة) فمهما اقتنينا من السلاح لا  
نستطيع به الانتصار عليها .

هذه الصورة لن يكون شأنها معنا له أي قيمة فنحن نقتني السلاح ولا نزعم أننا نصد به حرب الإمبراطوريات فالإمبراطوريات لن تباشر الحرب ضدنا، وإنما من حولنا كإسرائيل مثلاً وما أشبه هم الذين يباشرون الحرب نيابة عن الإمبراطوريات.

وهؤلاء هم الذين يجب أن نستعد للدفاع عن أنفسنا ضدهم ولصدهم.

\*\*\*

### - سيف محمد

- وحفظنا هذا البيت لإيليا أبي ماضي يخاطب به سلطان الأطرش أيام كان الناس في الشام يحاربون الفرنسيين:

فيا لك أطرشاً لما دعينا لثأر كان أسمعنا جميعاً

وعقب عليه بقوله:

فاضرب بسيف محمد وأترك يسوعاً..

إن سيف محمد هو الإسلام عقيدة وقرآن وجهاد وسيف ومسجد وأرض ودولة بينما دعوة المسيح عليه السلام التي عناها أبو ماضي هي:

إذا ضربك الروماني على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر!

كانت دعوة للصبر حيث لا طاقة للإسرائيليين لحرب الرومان المستعمرين، وانعكست الآية، فإذا اليسوعيون الآن هم حملة السلاح الذين يشعلون الحروب.

\*\*\*

## - صورة

- إذاعات الفرنجة استعربت فهي تنطق اسم رئيس نيجيريا الآن الجنرال «محمد بخاري» أما الإذاعات العربية فتذيع نص الوكالات كما هو فإذا هي تستعجم، تنطقه هكذا: الجنرال «محمد بُهاري»!

مع أننا نعرف أن المسلمين الأفارقة والمسلمين في جزر الهند الشرقية وما إليها يحبون أن يسموا أبناءهم بأسماء علماء المسلمين فكثير من الأندونيسيين يحملون أسماء: الغزالي والنواوي والمناوي ومالك.. إلخ.

وحتى الرئيس السابق لنيجيريا هكذا اسمه، «الشيخ الشجري» وينطق بلهجتهم «شيخو شاجاري».

فابن الشجري من علماء المسلمين.

وكثير غير هؤلاء.

\*\*\*

- المستشار كول زار إسرائيل فأعدوا له استقبالين.. أن يكون توقيت زيارته في غياب رئيس إسرائيل في إفريقيا وأن يأخذه إلى القدس تستقبله مظاهرة حاقدة يذكرونه بعقدة الذنب مع إن في إمكانه أن يقول لهم.. إن النازية التي تحقدون عليها قد ذهبت أما أنتم وفيما تفعلونه بالفلسطينيين فالنازية الثانية أتذكرون العذاب عليكم لأنكم أردتم تخريب ألمانيا طابوراً خامساً ولا تنكرون تعذيبكم للعرب؟

وأخيراً.. فقد أصر المستشار الألماني على بيع الأسلحة للمملكة العربية السعودية دون أن يعبأ باعتراضات إسرائيل.

صرح بذلك في إسرائيل حتى قال:

إن سياسة ألمانيا توضع في بون وليس في تل أبيب.

## ما الخليج . . ومن الخليج؟!

ما الخليج؟! سؤال لا نطرح الإجابة عليه تعليماً نجغرفه وإنما نؤرخه، الإجابة هي التي قالها التاريخ.. تاريخ العرب من فجر الوجود لهم إلى دهر البقاء لهم. قال التاريخ إنه اليسر مصدر صيد، لحماً طرياً نأكله وحلية نلبسها وجواهر نتجر بها، ابنتى العربي الأول حضارته، وفي مرحلة ثانية شعت على جبهة العربي نصارته، في الساعة الأولى في محراب المسجد كأول مسجد على الخليج استطار به فخر عبد القيس، من تلك اللحظة التي سطع فيها نور الإسلام على إنسان البحرين إنسان الخليج.

وبعد يُسر الماء وحلية جاء يُسر الأرض في ظلال النخيل وتمر النخيل تلال هجر والقطيف وعُمان، وحتى إذا سارت مسيرة الفتح كان الخليج اليسر يخوضه العلاء بن الحضرمي بالمجاهد المسلم من كل جزيرة العرب، قحطانياً وعدنانياً وإذا اليسر في الخليج كان فيه قتل العسر حين نصر الفتح إذ أصبح الخليج الرديف للنهرين، كأنما «القادسية» حطمت أبعاد الأرض، وإذا الخليج قد حطم أعماق الماء.

وفي العصر الحديث أصبح الخليج أرضاً وبحراً مصدر الرزق الوفير ينبع من الأرض والبحر النفط الوفير.



## - ومن الخليج؟! -

هم العرب الذين حطموا العسر حين حطموا الفرقة، واعتنقوا كلمة التوحيد وتعانقوا في توحيد الكلمة، فإذا شرق الأرض يبتسم الإيمان فيه شاكرًا للخليج وإنسان الخليج.

إن خليجكم هذا عطاء فلا تبخلوا عليه بالعطاء، فأباؤكم أشبعتهم يسره فأشبعوا كل العسر تقتيلًا وطرْدًا، واليوم يشبعكم عطاء الوحدة لكم في قمة الخليج ليس هو إلا العطاء لأنفسكم حماية لأرضكم وعرضكم، حماية لمسجدكم، حماية لأمجادكم.

وإني لعلّى يقين أنكم يا أقبال العرب المعرقين في العروبة والعريقين في الإسلام لا تجدون أنفسكم في لحظة الاجتماع الأولى إلا وأنكم قد حذفتم من أنفسكم أن يذوق الواحد منكم «طعم نفسه» ليذوق كل عربي منكم انتصار نفسه على الفرقة، على كل عدو متربص بكم.

إن يوم اجتماعكم في «الدوحة» الواحة الخضراء لهو يوم له ما بعده في التاريخ، فانتصفوا من طعم النفس لتطعمونا فرحة كفرحة العرب يوم هانيء بن مسعود، وما فيكم إلا ابن عم له، اسمعوا كلمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام حين انتصر الشيباني هانيء بن مسعود في يوم «ذي قار» فقال عليه الصلاة والسلام:

«اليوم انتصف العرب من العجم وبني نُصروا».

كان نصر هانيء إرهاباً، أما نصركم اليوم فالحقيقة لأنكم أتباع محمد، لأنكم، ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧).

ولا أريد أن أتزيد، فليس ما قلته كلمة ثناء وإنما نفحة رجاء، وأنتم قد وهبكم الله من القوة قوة لن تنتصروا بها إلا بقوة الإيمان، إلا بقوة كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

## - عكاظ الجديد -

ولئن كان سوق عكاظ القديم إرهاصاً للنبوة حين تفصح اللسان وتوحدت مشاعر الوجدان، وبدأ الإنسان يستقبل طوعاً أو كرهاً نور الإيمان، فعكاظ الإرهاص كان السجل لديوان العرب ومآثر العرب، فلم يكن عند العرب قرطاس، فلقد قرأت الأمية فيهم بحفظ الرواية ما امتلأت به القراطيس كتباً أمهات، فالإسلام قد حفظ للرواية قيمتها، فتلقين القرآن كان رواية، تلقنها طلاب العلم من الأئمة الرواة، وديوان الشعر ديوان العرب ما وصل إلينا إلا بالرواية، فهل وصل شعر المعلقات إلى الأندلس مطبوعاً؟! وهل أشرقت السنة في المشرق على الواحد الوحيد سيدي محمد بن إسماعيل البخاري إلا بالرواية؟ فالرواية السجل.

من هنا حين عرف الكافر بالإسلام والحاقد على العرب قيمة الرواية أخذ ينال من صحتها، يزخرفون القول باطلاً وزوراً، فعكاظ السجل للرواية قد عاد جديداً أمس على صورة ما أكبرها حين تواضعت، لقد عاد عكاظ القديم إلى عكاظ جديد في حجر الإمامة.. الرياض.

إن الإمامة يوم كان عكاظ القديم كانت ميرتها وكان شعراؤها حاضرين في عكاظ، تجارة وأدباً ورواية، فلم تنقطع الصلة.. صلة الوجدان بالوجدان.

واليوم حين تأصلت الصلة في وحدة الكيان الكبير كان المهرجان تحت رعاية جلالة الملك فهد وولي عهده صورة من عكاظ، لبث الدعوة إليه جموع من أمتنا العربية، قد طرح العالم والأديب منهم بالإقليمية وجاء لتحضنه الأرض الأم جزيرة العرب، فهل هناك عالم أو أديب في دنيا الإسلام والعروبة لم يتحل وجدانه ببسمة البصمة طبعها المسجدان

والمريدان.. المسجد الحرام ومسجد النبي ومريد البصرة ومريد الكوفة، وحتى كل جامعة جاءت بعد لم نكن إلا الباسمين نفرح ببصماتها لأننا أمة واحدة.

إن حجر الإمامة قد اشمخت ساعة أن تفضل المليك يسلم الجائزة لمن استأهلها، ولم يقتصر فضله على ذلك بل اصدر أمره بتأسيس مجمع اللغة العربية في المملكة العربية السعودية يبشر به ابنه الأمير فيصل بن فهد الذي أعرف أن عكاظ القديم والجديد قد أشرق في وجدانه، وكان التصفيق من الأعماق تحية وإكباراً لهذا العطاء.

لقد كان حجر الإمامة بالأمس مهرجاناً، كما قال الشيخ:

يا عكاظا تجمع الشرق فيه من فلسطينه إلى بغداده

أو كما قال:

في مهرجان هزت الدنيا به أعطافها واختال فيه المشرق

\*\*\*

## - صور

- وقلتها كلمة أسرع بها حين مازح موظف كبير صديقه الفقيه العالم،

قال له: مالك كبرت علينا؟!!

قلت: العلم والفقه كبرياء والوظيفة تكبر، إلا لمن أحسن لنفسه فاتخذ

منها الإكبار بتواضع الكبار.

وعهدي بهذا الموظف الكبير كان ذلك.

\*\*\*

- وقالوا: لقد انتقل غازي القصيبي من صحة العمران إلى صحة الأبدان.

فقلنا: صحة العمران تنمية، وصحة الأبدان تنمية التنمية.

- وخشيت أن يسخر مني بعض الذين يحترفون السخرية حين وضعت عنواناً في جريدة «الشرق الأوسط» عن «بيرل هاربر أخرى».

ولكن الصديق الأستاذ كمال جمعة قد جاءني فرحاً يقول لي إن الجريدة الإسرائيلية «دافار» قد حذرت من «بيرل هاربر» أخرى، وإن السيناتور الأمريكي إدوارد كيندي قد حذر منها أيضاً كما حذرت بالالفاظ نفسها.

## لمسات

ما نقبل .. ما نقبال ..

وحين استعرضت الرفض يتبرقع تحت اسم الصمود بينما هو واقع التاريخ اليوم لا يمكن إلا أن يكون الجمود، يتجمد الموقف العربي بالرافضين، فيعجز المتحرك عن المسيرة لأنه يكفي لأي عضو رافض في الجامعة يتمتع بهذا الحق بحكم الميثاق قد وضع عمداً لإزاحة الخوف من الجامعة من أي قرار تصدره الأكثرية فكأنما الميثاق قد صيغ على هذه الصورة يضع الذين دعوا إلى الجامعة في موقف المؤلفة قلوبهم.

فلقد تمادى العرب بالرفض بأكثر من مشروع فرفضوا حتى أخذ النقب. ورفضوا حتى احتلت فلسطين كلها، كأنما كل موقف رافض يعطي الفرصة لإسرائيل أن تكسب نصراً جديداً وأرضاً تتسع فيها.. فلو لم يكن الرفض لما بقيت قضية فلسطين تحتلها المأساة ليكون بعد احتلال الكارثة تحيط بالامة العربية جمعاء.

حين استعرضت كل ما أحدثه الرفض تذكرت رجلاً اسمه «طاهر التونسي» هو من أهل مكة ومن عامة الناس. لديه موهبة التمثيل وفي إحدى المرات جلسنا نستمتع إليه يمثل صورة بعد أخرى إن أضحكنا حين ساعة إن

مثلها فإننا نتأسى بها حين يفرغ الواحد إلى نفسه فالجماعة تسرق تفكير الواحد إلى نفسه، وفي إحدى الصور مثلنا مظاهرة عن فلسطين، فقد قال الخطيب لنا رددوا كلمة «ما نقبل».

فقال: وعد بلفور.. ما نقبل، إسرائيل.. ما نقبل، تقسيم فلسطين.. ما نقبل، يسقط وعد بلفور.. ما نقبل. القدس عربية.. ما نقبل. الجهاد ضد اليهود.. ما نقبل هكذا تحدث طاهر التونسي، يضحكننا بهذه التمثيلية. فالقدس عربية رفضوها. كما رفضوا تقسيم فلسطين. لم يفرقوا ليفهموا كلام الخطيب. أفليس هذا التصوير هو تجسيد لما هو واقع.

لقد أعلنوا قبول المقترحات السعودية ولكنهم اضمروا تعكير جو المؤتمر كأنما هو تكتيك جديد لأسلوب الرفض فوضعوا أنفسهم مع إسرائيل في موقف واحد. بينما الأكثرية من العالم حتى برونو كرايسكي وهو يهودي تخلص من أن ينقاد لإسرائيل لأنه يقود النمسا، فقد رحب بهذه المقترحات. كما أن الأكثرية من الرؤساء والملوك قد اعتنقوها وأيدوها وجعلوها رغم الراضين على رأس جدول أي مؤتمر يعقد بعد.

إن فلسطين عربية أول الأمر وإسلامية بكل الأمر فإذا ما وقع التلاعب على أساس من حق الرفض منحه الميثاق. فلعلّ خطوة جريئة تدعو المؤتمر الإسلامي لطرح هذا المشروع عليه فقرارات المؤتمر الإسلامي نافذة المفعول بقرار الأكثرية.

وهل أقول كلمة جريئة سمعتها من واحد فقد قال ساخراً: إن الراضين أرادوا أو لم يريدوا.. قد أدوا التحية.. لأنور السادات وكامب ديفيد.

قلت له: لو لم يسلكوا هذا المسلك وهم أشد المعارضين لأنور السادات وكامب ديفيد لاستطاعوا أن يسقطوا كل ذلك. ولأداروا رأس دول

السوق الأوروبية المشتركة. وحتى الولايات المتحدة يفكرون أكثر من مرة في إسقاط كامب ديفيد.. ولا أدري كيف لم يحترم الرافضون إشادة الاتحاد السوفياتي بالمقترحات السعودية.

هل استطاعوا أن يستقلوا أم هو التكتيك الليالي من الزمان حبالى.

## - صورة:

ولم أقرأ الصحف. ولم أستقرئ الأخبار ولكنني علمت ب وفاة صديقي وابن بلدي سواء كان من القصيم أو استعرق في المدينة المنورة فهو ابنها البار بها ذلكم محمد العبد الكريم الخريجي كان جلس المسجد.. لا تكاد تفوته صلاة فيه حتى حين شاخ وحين أصبح بصيراً، كان شديد العارضة. له حاسة سادسة. يعرف بها طريق الكسب الحلال. فالعقل في خاله عبد العزيز الخريجي، يرحمه الله، والكرامة في أبيه عبد الكريم، يرحمه الله، قد مهدت له الطريق أن يكون التاجر الناجح. كان هو وأبوه وخاله وحتى أخوه عبد الله اقرب الناس إلى الخير وأبعدهم عن الشر. فمحمد الخريجي لا يطيق الاعوجاج ركب الصعب. شاباً في الحرب العامة الأولى. يسير بتجارته من القصيم وكان معه في بعض هذه السفرات من القصيم إلى الشام السيد طه محمد حسين عثمان والد السيد ياسين طه. فعبد العزيز الخريجي ومحمد الخريجي كانا يعتبران السيد طه والدهما لأن له تربية تعليمية على عبد العزيز. وصداقة متينة مع عبد الكريم. ومن الكرامة التي أحاطت بهم أن سلموا من بعض العسف فحين حام صالح بن عزل حول المدينة يمهد الطريق ويرجف بالقبائل ليتم الكيان الكبير استطاعوا أن يخرجوا من المدينة بما يملكوه وكان ذلك بعون الصديق لهم الشريف شحات بن علي قائم مقام المدينة حينذاك إكراماً لعبد الكريم ولعبد العزيز فخرجوا إلى رابع يستقبلون

المدد الوارد من الهند عن طريق إبراهيم الفضل صدقاً وصدقة للملك عبد العزيز . .

عزائي للأصدقاء الخرايجة ولخالد ولأحمد أبناء عبد الله السليمان في جدهم محمد الخريجي .



## الزهري لا المري

وأقبل عليّ طالب لعلّه عرف بعض ما عندي من التعلق بسير الصحابة يسألني هل الصحابي الجليل صاحب الوقفة البيضاء في أحد القائد في نصر القادسية وأحد العشرة المبشرين بالجنة والذي اعتصم عن الفتنة ألا وهو سعد بن أبي وقاص. قال الطالب، ألقى علينا أستاذ الدرس يعلمنا أن سعداً هذا مُرِّي ولم يوضح لنا من هي مُرّة التي نسبته إليها أهي مرة غطفان التي منها الحارث بن ظالم أم هي مرة يام؟ فترثت قليلاً أسترشد معرفتي فإذا بي أجد أن الأستاذ ما كان خاطئاً في اسم مرة وإنما كل الخطأ أنه لم يتوسع في الشرح. فالصحابي الجليل سعد جده زهرة فهو زهري كعبد الرحمن بن عوف ابن عم أمنة أم محمد رسول الله ﷺ. جده مرة بن كعب بن لؤي فاسم مرة اسم واحد ليس اسماً لقبيلة في مكة. وإنما هو من قريش ولم يتأت اسم رهط قرشي ينسب إلى مرة. وقد جاء في الإصابة لابن حجر هذه الخلاصة من النسب له - سعد بن مالك بن أهيب ويقال وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحق بن أبي وقاص أحد العشرة وآخرهم موتاً.. إلخ. فهذا النص عرفنا منه أن زهرة جد سعد هو ابن كلاب (حكيم جد رسول الله ﷺ) فعلى هذا يكون زهرة بن عبد مناف أخو هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل كلهم أبوهم كلاب الملقب بحكيم. وزهرة هو ابن مرة بن كعب بن لؤي ويعني ذلك أن مرة على

الصورة الصحيحة هو جد رسول الله ﷺ لأنه الأب لكلاب فالنبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن كلاب بن مرة فمرة جد قرشي لا علاقة له بمرة غطفان أو مرة يام. مرة غطفان بادت فإذا هي بالذين هم مطير، ومرة يام ما زالت في منازلها في شرق الكيان الكبير. إن هذا الأستاذ أسرع حين اختصر على التوسع في الشرح والطالب أخذته الريبة أو هي أكربته فأحسن الله إليه ليسأل. ولا أدري كيف لم يجرؤ على سؤال أستاذه؟ أهى سرعة النهاية من الدرس؟ أو هي بطء العلاقة بين التلميذ والأستاذ؟ وتامماً للبحث فإن قريشاً تنسب إلى جدّها فهر على قول أو إلى النضر على ما أحسبه الصحيح لأن رسول الله ﷺ وهو القرشي قال: أنا من ولد النضر. ومن يرجع إلى النسب يعرف ذلك، ثم إن بطون قريش أخذ كل رهط منها ينسب إلى جد من قريش بعد فهر أو بعد النضر فتجماً بهذا البحث وكماً له نذكر هذه البطون وكل رهط سمي باسم جده. هكذا. هاشمي. عبّسمي، أموي. عبدري. زهري. تيامي. جمحي. عدوي. سهمي. عامري. فأبو بكر تيامي كطلحة كعبد الله بن جدعان. وعمر عدوي وعمرو سهمي ومعاوية أموي وأبو عبيدة عامري كسهيل كأبي جندل. والعبدري صاحب المفتاح عثمان بن أبي طلحة والجمحي عثمان بن مظعون كل رهط امتاز بالنسب إلى جد لكن النسب الأعلى إلى قريش إلى إلياس إلى مضر إلى عدنان. شرحت ذلك للطالب فإذا هو يفرح فليت كل طالب لا يأخذ الدرس بضيق الوقت مختصراً وإنما لديه من يسأله. المكتبة أولاً والأستاذ المعلم له يقترب منه ليسأله فلا يضطر إلى رحلة من بعيد ليسأل عن ما غمض عليه إننا الآن نتمتع بالجامعات بنشر العلم ولكن وأقولها صريحة أنه ينبغي للأستاذ أن لا يكون موظفاً لأجده الصديق الأب لكل طالب. فعلاقة الصداقة والأبوة يعظم ويحلو بها التدريس.

وما دام الشيء بالشيء يذكر فقد كنا في عرفات. يوم الحج الأكبر شباباً. أتحدث إلى صديق شاب الأستاذ حسن إسماعيل عن عظمة الموقف ووحدة اللباس، وتوحد الحاجين لا كبير ولا صغير كلهم في واسع من الأرض تحت الشمس في لباس واحد، على عقيدة واحدة، يسترحمون الله في يوم يرحمهم فيه كنا نتحدث وأمامنا أستاذان مديني وفلاحي مكّي. يتحدثان عن الطرق والصوفية وكان بجانبني رجل أسدي الطلعة هندي فإذا هو يرفع صوته يسمى الأستاذين أفلان أفلان. ويقول هذان الشابان يتحدثان عن عظمة الموقف. وأنتما تتحدثان عن تعظيمكما لفلان وفلان لا أحسبكما إلا وأنتما تعلمان الطلبة المنهج الدراسي وكله خير، ولكنكما في البيت لا يعلم أحدكما ابنه أو ابنته شيئاً من النهج الصحيح. من رأيي أن الأستاذ المعلم لا ينبغي أن يكون موظفاً يلقي المنهج في المدرسة ولا يعلم أبناء النهج السوي. وعظم الرجل في نفسي فسألته من أنت فقال ويا لعظمة ما قال (أنا عبید الله السندي) احترمته لأنني كنت أسمع أنه كان هندوسياً بوذياً فأسلم شاباً فإذا هو أحد أشياخ الهند المسلمين بل وأحد الأشياخ في مكة. أسلم ليكون الأستاذ على النهج يلقي درسه يتعلم منه الكبار لأنه كبير. وهكذا يفترق الأستاذ فيما ينتهج من طريق ويرحم الله أياماً كان أستاذنا الأب والصديق والمعلم لا يتقاضى راتباً ثمانية وعشرين شهراً لأنه موظف ولكنه لا ينقض قعدة بيت بل كان لا يتأخر عند الدرس يعلمنا وثوبه مرقع. فالأستاذية أبوة ورحمة وحرص على الحقيقة. والله ولي التوفيق.

## مع الحكمة عاقلة

ولا أدري من هي الحكمة عاقلة.. أهى امرأة أسطورية اتخذوها حلية في القصة الواقعية التي كثيراً ما سمعنا اسمها على لسان شاعر الربابة، أو لعلها كانت امرأة حاكمة فزهدت في السلطان وجعلت نفسها حكيمة.. تبذل الرأي صواباً ولا تبخل بالنصح.

وتذكرتها.. فإذا هي قبل أن أسألها تسألني:

كيف تأتى للعرب أن يخلعوا لباس السباب.. يتهم فريق الفريق الآخر بالرجعية، ليلبسوا السباب بالطعنة النجلاء.. يتهم العربي أخاه العربي بالتخلف، حتى أصبح صاحب الثبات يتهم بالتخلف، بينما أخذ الذين يتهمونه يتأرجحون بين ادعاء التقدمية أو ممارسة مذهب (القعدية).. فلماذا تركوا الرجعية إلى التخلف؟!

- قلت لا أدري.. أنت الحكمة العاقلة!

- قالت: لأنهم عرفوا أن الرجعية أسلوب التقهقر إلى الوراء، وهم هؤلاء قد عرفوا أنهم حينما يتمذهبون يعتنقون مذاهب شتى.. يوماً مع هذا المذهب، ويوماً بهذا المذهب. وحين ارتكسوا في الرجعية الصحيحة: الفخار بالإقليم، والانحياز به ضد الإقليم الآخر.. فلم تكن الرجعية إلا تراجعاً نحو شعوبية القبيلة، استغلوها حين لا قبائل لديهم.

لتكون لديهم وبهم شعوبية الإقليمية.. فاسقطوا السباب بالرجعية، واحترفوه بالاسم واللقب الجديد: التخلف، بينما التخلف لا ينبغي أن يكون سبة، وإنما السبة على الأسباب التي رسخت هذا التخلف حتى أنه هو صانع الرجعية ولا أعني بـ «الرجعية» التخلف في ميدان العلم، وإنما هي: التخلف في ميدان الوفاق.. يمد العربي يده، يأخذ بذراع أخيه إلى فوق، أما السباب والانعزال والإقليمية، فلن تزيد التخلف إلا تخلفاً.. كأنما العربي قد شغل بأوضاع شتى، يريد الوثام فلا يجد إلا الخصام، يريد القوة حرباً على العدو فإذا هي مشروعة كأنما قد استعدوا بكل العدة أن يكون العربي خائفاً من أخيه.. فسلطان الخوف لا يفرضه عدو وإنما قد فرضه الأخ على أخيه!

وسكتت الحكيمة، ثم أبصرت بعيداً، وقالت:

أليست دمشق حرباً على بغداد.. أليست الصحراء في المغرب بؤرة حرب بين الأخوة العرب هناك؟!

- قلت: سحابة صيف عن قليل تقشع!

- قالت: إنها سحابة هاطلة، كأنما هي طوفان من الطوفان، أتعرف أن دماً فلسطينياً سفكه سلاح يهودي، انساح على الأرض يضحك، يعلن البشارة.. بينما دم الفلسطيني إذا ما سفكه سلاح عربي تقاطر على الأرض يبكي، يعلن الخسارة؟!

دمشق.. كانت عرش الإمبراطور، كانت العاصمة. لكن «الكوفة» كانت هي العاصمة للعاصمة، فلولا «الكوفة» التي سار منها الفاتح العربي إلى الشرق، لما كانت إمبراطورية «أمية» في ذروة التاريخ!

ومرة أخرى: «دمشق» كانت العاصمة، لكن الفسطاط - مصر - كانت

عاصمة العاصمة.. فلولا مسيرة الفتح إلى الغرب منها، لما كانت:  
القيروان، وفاس، وقرطبة!

أما عاصمة العواصم هذه، فهي: مكة المدينة، كل جزيرة العرب.  
دمشق كانت العاصمة، ولكن جزيرة العرب هي «الكوفة» هي  
الفسطاط. لم يكن قواد الفتح، وجيش الفتح من هاتين المدينتين إلا من  
أبناء جزيرة العرب. ليس منهم غساني ولا كلبى وبهرائي.  
- اسألوا: من هم قادة الفتح؟!

- ثقفي. شيباني. باهلي، وقرشي. كل هذا المجد لبسته «دمشق».. ما  
أكثر ما هننا بذلك. كان ذلك من عطائنا، فكيف تكون دمشق - ظئر  
الإسلام - على حال لا ترضاه دمشق في كل تاريخها القديم؟!  
وقهقهت «الحكيمة عاقلة» وقالت:

- إن شوقي قد أخطأ عليكم حين قال:  
«وعز الشرق أوله دمشق».. لقد تناسى أن عز الشرق: «أوله حراء»،  
فمن الظلم أن يزهر عربي بما أعطاه «حراء» على حراء!!

\*\*\*

## - القذافي في واشنطن

وكانت مفاجأة.. دعوة الدكتور كرايسكي - رئيس حكومة النمسا - التي  
استعجل بها زيارة «معمر القذافي» بعد أن تأخرت طويلاً، وتلتها المفاجأة  
الأخرى حين أعلن معمر القذافي في مالطا - حيث هبطت طائرته - يصلح  
رئيس مالطا «مونتوف».

كانت هذه المفاجأة، هي قول القذافي: إنه سيذهب إلى واشنطن، أو قال: إلى أمريكا! وحين سمعت هذا الخبر لم آخذه على صورة أنه خطرقة أو تجديف، بل أنا على يقين أنه أن عاجلاً أو آجلاً، قبل الستة أشهر التي يجري فيها الأسطول السادس الأمريكي مناوراته حول سواحل ليبيا سيذهب إلى الولايات المتحدة!

فمن أين جاءني هذا اليقين، أو بعبارة أخرى: سوء الظن؟!

لقد جاءني: من أنني أعتقد أن زيارته للنمسا كانت بضغط يهودي صهيوني، يرادفه إغراء للنمسا يسيل لعابها على البترول، وهناك في فيينا تم إعلان القذافي بأن اليهود والصهيونيين بدأوا يمارسون الضغط على الإدارة الأمريكية لتلاينه أو تصالحه.. لأن بقاء القذافي على ما هو عليه، هو من صالح اليهود والصهيونية.. لأن أي فرقة عربية هي السلاح في يد إسرائيل، ولا تخسر الولايات المتحدة أية خسارة إذا ما أعطت للقذافي فرصة المصالحة معها، بل إن بقاءه على هذا الوضع في العالم العربي هو العامل المنشط لبقاء مصر في حوزة الصداقة الأمريكية، لأن موقفه ضد مصر يجذب إلى مصر أكثر من معاهدة السلاح مع إسرائيل على أن تبقى في حيز الصداقة الأمريكية، والليالي من الزمان حبالى يلدن كل عجب!

\*\*\*

## - صور

في برشلونة - مدينة طيب العيون في إسبانيا - رأيت وأنا في المستشفى شاباً فلسطينياً عميت عيناه من شظايا قنبلة. أصابته في «تل الزعتر»!!

وعرض نفسه على الطبيب، فقال له الطبيب لا أمل!

وخرج يبكي، أسمع نشيجه.. يصرخ بصوت عالٍ: أنا لا أريد أن

أبصر، يكفيني العمى أن لا أرى الدمار في «تل الزعتر» مرة ثانية.. كل ما أريده أن أبصر لحظة واحدة، دقائق معدودة.. أرى ابنتي - بنت الشهرين - خرجت للحياة فلم أر لونها، شكلها.. أحب أن أراها لحظة ثم لا أبصر بعد ذلك!

كان هناك عرب قلة، بكى بعضهم، ولكن البكاء ليس فيه العزاء!



## وإني أتهم

إني أتهم: عنوان فرضه «إميل زولا» الكاتب الفرنسي على ما كان يكتبه دفاعاً عن اليهودي الخائن (دريفوس) وهو ضابط في الجيش الفرنسي خان الأمة والأرض.. فقد اكتشفوا جريمتهم، ومن حق أي شعب أن يعاقب كل من خان الأمانة.. لكن اليهود جعلوا من هذا الضابط قضية، زعموا أن شعب فرنسا يشن حرباً على السامية، مع أن «دريفوس» وأكثرية اليهود في فرنسا وفي أوروبا ليس لهم عرق يتصل بإسرائيل (يعقوب عليه السلام).

وكبرت هذه القرية حتى استرقوا عواطف الشعب الفرنسي. سرقوا من شعب فرنسا أن يعاقب مجرمًا يحمل الجنسية الفرنسية، فأخرجوا هذا الفرنسي من الخضوع لقانون الدولة، فصنعوا منه ضحية سامية!

وهكذا اليهود، وهم في إسرائيل لا ينتمون للعرق السامي، وبأسلوب النازية الجديدة يقتلون العربي السامي.

هذه المقدمة أطرحها، لأن تعاملي مع هذا العنوان يعطيني الفرصة من حيث.. أن تقمص الاتهام كما يلي:

أولاً: لقد احتلت إسرائيل سيناء مرتين، فأجبرتها الولايات المتحدة الأمريكية على الجلاء عنها، بموقف إيزنهاور الصريح الواضح، وبموقف

رونالد ريغان الذي تبرقع تحت ثنائه على إسرائيل بأن جلاءها الثاني عن سيناء كان تضحية عظيمة!

ويعني ذلك أن الولايات المتحدة إيزنهاور ريغان - ملكت أن تفرض أنها على إسرائيل! وليس ذلك دفاعاً عن العرب، أو حرباً على الاستعمار، وإنما هو الاندفاع لحماية مصالحها، ولترسيخ قدم لها في أي أرض.. تصبح رديفاً لحلف الأطلسي.. تسبق الاتحاد السوفييتي لأن تكون صاحبة النفوذ لدى الحكومة الصديقة، وعلى أي صورة كانت الصداقة.

إن الولايات المتحدة قد جعلتني أستريب في ما كنا نزعم من أنها لا تستطيع كبح جماح إسرائيل التي تمارس به طغيانها في فلسطين المحتلة، وفي كل أرض جاورت فلسطين.

كنا نزعم أن الإدارة الأمريكية خاضعة للنفوذ اليهودي الصهيوني.. ولكن ما فعله «ريغان» بالأمس القريب أثبت بلا مواربة أن كل ما تفعله إسرائيل لم يكن إلا عن مخطط أمريكي بعيد المدى.

ثانياً: إن الجلاء عن سيناء، وبكل الفرحة التي شبع بها الشعب المصري، لم تكن، ولن تكون إلا برزخاً عازلاً مصر عن الشرق الأدنى المحترق بطغيان إسرائيل، كما أنها وبهذا الجلاء أصبحت البرزخ الذي يحجز إسرائيل - ليس بمعاهدة السلام - وإنما بالقوة المتعددة الجنسيات، التي تعزل الفريقين كظاھر الأمر بينما هي وبلا شك قوة تعويض عن ما يفاجأ به حلف الأطلسي في اليونان!.. فهذه القوة سند في الجناح الأيمن لحلف الأطلسي، وهي بصورة أخرى أيضاً: غطاء استعاضت به الولايات المتحدة عن ما يسمى قواعد.. لأن مصر كدولة من دول عدم الانحياز ترفض القواعد، وهي إن أعطت فرصة للتسهيلات، فإن الأنفع للولايات

المتحدة أن تكون القوة سريعة الانتشار في مكان توجد فيه المستودعات ويصان فيه العتاد.. قريب يمكن من سرعة القفز!

**ثالثاً:** ومصر قد استجابت لذلك، وهي تعرف ما صنعت. قبلته - لا بالإختبار - وإنما بدوافع الاضطرار.

**رابعاً:** والولايات المتحدة - مرة أخرى وبالحرب المقبلة تشنها إسرائيل - ما كانت، أعني الولايات المتحدة، إلا المخطط لها.. لأنها تريد تصفية المنطقة مما تتصور أنه الاستقطاب للاتحاد السوفياتي، فهي كما اعرف من الاستقراء أو الاستنباط أنها لا تخشى عدوان الاتحاد السوفياتي عن طريق إيران أو العراق على الخليج، وإنما هي على يقين بأن الاتحاد السوفياتي يمكن أن ينال الخليج عن طريق سوريا أو عدن!

هذا ما تراه الولايات المتحدة، ومن أجل ذلك.. فقد سبق لها أن تحركت ضد سوريا بحجة «سد الفراغ» حين أنزلت جنود الأسطول في لبنان كما هو معروف، واضطرت أن تسحب جنودها فأرادت أن تستبدل العمل على سد الفراغ بعزلة مصر أولاً، وثانياً: بأن تبيح لإسرائيل أن تشن حرباً على لبنان وعلى سوريا!

إن هذا الاتهام لم يكن مجرداً من براهين سبقت تؤيده.. فالسلام بين مصر وإسرائيل هو باعث الحرب من إسرائيل على العرب.. أنارت له الولايات المتحدة الضوء الأخضر!

**خامساً:** ويأتي دور الاتحاد السوفياتي، فلقد اذاع أن مصر استبدلت احتلالاً بدلاً عن احتلال، ويعني ذلك: أن الاتحاد السوفياتي كثير الإشفاق على الاحتلال الأمريكي في سيناء والاستعمار البريطاني في جزر فولكلاند.. فلماذا يحتل شرق أوروبا كله ويشعل نار الحريق في بولندا،

ويستقطب كوريا الشمالية وفيتنام، وأخيراً يحتل الأفغان؟!  
فالإمبراطوريتان العظيمتان قد وضعتا الدنيا كلها كرة يلعب بها صولجان  
إمبراطورية الكرملين، وإمبراطورية البيت الأبيض.  
إنني لا أريد بهذا الاتهام إلا أن أضع أمريكا في الموضع الذي اتخذته  
لنفسها.. . تستطيع أن ترغم إسرائيل حين تريد، وتتظاهر بأنها مرغمة لليهود  
كل ما أرادت!

## - صور

- ينبغي أن لا نغفل حين نتمادى بالغضب على الولايات المتحدة يوم  
أن مارست استعمال حق «الفيتو» في مجلس الأمن ضد أي قرار يدين  
إسرائيل.. .

إنها بذلك لا تدافع عن إسرائيل، وإنما هو دفاعها عن نفسها، وقد  
يكون هذا الذي أرفض الغضب منه فرصة يعطينا الرضا عنه لأنه قد أوضح  
بكل جلاء أن الإدانة لإسرائيل ليست إلا إدانة للولايات المتحدة!

وعن هيئة الأمم.. . فأني وضع للولايات المتحدة تمتاز به كعضو في  
هذه الهيئة؟.. . إنها صاحبة صوت واحد كنص الميثاق - الأنشودة المزغردة  
في سان فرانسيسكو والوضع المتوج بالامتياز حين أصبح مقر هيئة الأمم في  
نيويورك - فالصوت الواحد من حقها أن لا تعطي صوتها لأي قرار من  
الهيئة، ولكنها خارج الهيئة قد سلطت غضبها عليها وأعلنت التهديد تلو  
التهديد.. . كأنما هي تستطيع، وقد عطلت هيئة الأمم، أن تنسف هيئة  
الأمم!

ولا شك أن هذا أعطانا الصورة المجسدة التي عامل بها الزعيم الفاشي

والزعيم النازي - موسوليني وهتلر - عصبة الأمم . فالتاريخ قد أعاد نفسه!  
إن القوة لا تحجر على طغيانها . . فلقد ذهب الميثاق، بل أصبح  
الدفاع عن حقوق الإنسان كذبة سوداء، فأى حق للإنسان سيبقى بعد إهدار  
الميثاق ونسف هيئة الأمم، وتعطيل مجلس الأمن؟!  
إن حقوق الإنسان - كل الإنسان - هي أن تبقى هيئة الأمم قوية لا  
يعطل لها قرار، وأن يبقى مجلس الأمن أشد قوة تسانده قوة لتنفيذ  
قرارات . . بدل أن تمارس «قوة» تعطيل قرارات!!

## أي القمتين أولاً؟!

دعت منظمة التحرير الفلسطينية إلى عقد مؤتمر القمة الإسلامي ، وتلك ظاهرة تطرح السؤال تلو السؤال ، فيتأتى الجواب من السؤال نفسه .

فأي سؤال مكرب يعطي الجواب عنه؟

فلماذا دعت المنظمة إلى عقد هذا المؤتمر ، ولماذا لم تدع إلى مؤتمر الجامعة العربية؟ . فقضية فلسطين عربية ، كل ما تتمسك به مما يرتبط بمسيرتها ومصيرها كان من عطاء الجامعة العربية .

إن هذه الدعوة من المنظمة قد انصرفت بها عن الجامعة العربية ، لأن هذه الجامعة لا يمكن في ظل التناحر العربي ، والحروب الأهلية العربية شرق السويس حرباً باردة أشد وأنكى من الحرب الساخنة ، فعدن تحالف إيران . . ترتبط معها بعلاقة وثيقة ، وليس ذلك إلا حرباً على عمان وسوريا الحليف لإيران والتي تشدد النكير على العراق حتى القطيعة هي في حالة حرب أهلية مع العراق . . لم يستخدم فيها السلاح الناري وإنما أستخدم فيها سلاح التدمير لاقتصاد العراق ، وسلاح التعمير لإيران!

أما غرب السويس ، فمصر قد شغلت بنفسها . . تريد الخلاص من كبوة التاريخ ، وأما الآخرون بعدها فيخطون بأنفسهم خطوات إلى كبوة تاريخ!

فاذن أصبحت الجامعة العربية غير ذات موضوع بل إن انعقادها يضيف

إلى عوامل الفرقة عاملاً أشد وأنكى، ألا وهو: أن يكون موضوع القمة لا يرتفع إلى تحقيق مطلب جماعي، وإنما هو سيصل إلى تحت بالرفض، كما وقع في مؤتمر فاس.

ومن هنا فطنت منظمة التحرير إلى أن تلجأ.. تطلب عقد مؤتمر القمة الإسلامي، ولعلي في مقال سبق قد ذكرت أن قضية فلسطين ينبغي أن تكون في مؤتمر القمة الإسلامي من ناحية اتخاذ القرار بالأكثرية التي تفوق فيها هذا المؤتمر على ميثاق الجامعة العربية.. فعلى أقل تقدير يمكن طرح المشروع العربي السعودي على هذا المؤتمر، كما أعتقد أن منظمة التحرير أرادت بهذه الدعوة أن تجعل من مؤتمر القمة الإسلامي هو صاحب القرار الذي يمكن تنفيذه ولا مشاحة في ذلك لأن أغلبية الدول العربية من أعضاء الجامعة التي تبنت المشروع العربي السعودي أعضاء في مؤتمر القمة الإسلامي، كما أنه يضاف إليهم الكثرة من الدول الإسلامية التي أعلنت تأييدها لهذا المشروع، وقد أعلنت هذه الدول استجابتها إلى دعوة التوقف عن العمل أنها أصبحت مع العرب وللعرب وفلسطين، فالوقت قد حان لأن تسفر الوجوه عن رفض الرفض، وفرض الإيجاب، وإلا فسنبقى جميعاً (مكانك سر) وبعبارة أصرح: سنتهم جميعاً بأننا لا زلنا نسير على موقف أمين الحسيني وكلمة أحمد الشقيري (سنلقي إسرائيل في البحر)!

لقد تبرأنا من أن نقول هذه الكلمة خشية أن تعاب بها أمام الرأي العام العالمي، بينما نحن نقولها عملاً، فهل تستجيب القمة الإسلامية إلى هذه الدعوة لينعقد مؤتمرها في مكان يمكن أن لا يتغيب عنه عضو من أعضائه، وعلى مستوى القمة.. إلا من أقصى نفسه، فالواحد أو الاثنان لا يؤثران على المؤتمر الإسلامي، لأن قراراته تنفذ بالأكثرية!

ولعلي لم أسمع بعد من استجاب لهذه الدعوة متريثاً أن توجه إليه رسمياً.. ذلك من حسن الظن في القمة المسلحة، فهذا أوانها وكل ذلك من شأنها!

ذلك ما يحتمه الوضع الذي تمارس به إسرائيل كل التعذيب للأرض المحتلة.. تعذيب الأرض وإنسانها ومقدساتها.. فمنظمة التحرير في حاجة إلى عطاء أكثر من عطاء مؤتمر الرباط، ليكون العطاء منها أن تقول للأمة العربية والإسلامية: لم أعد وحدي أتخذ القرار، أرفض كل ما يأتي منكم، وإنما أنا بكم وعلى ما نتفق عليه جميعاً لا أصدر القرار وحدي، وإنما أستصدر القرار من إجماعكم، فالجامعة العربية قد استنفذت أغراضها.. حيث عطّلها المعطلون لها، ولن أكون عندما أستصدر القرار الجماعي منكم سبباً في التعطيل أو سلماً يرقى به على أكتافي المعطلون!!

## - صور

في الحديث الشريف الصحيح: (من أعان ظالماً سلط عليه).. فقد أعان ياسر عرفات وهو رجل قد عرف بأنه غير دموي: «كميل شمعون».. أنقذه من الموت يوم ضيقت عليه المقاومة الحصار، فإذا هو الآن الذي يصب العذاب على الفلسطينيين وحلفائهم من اللبنانيين، بل وعلى كل لبنان، بل إن النار التي أشعلها يتساقط شررها على سوريا!

وأعان الجنرال «ناجي جميل» الضابط اللبناني: سعد حداد.. أنقذه من السيف المسلط على عنقه يوم تكالب عليه ضباطه، أرادوا قتله، فأنقذه ناجي جميل.. فإذا هو اليوم المنشق بالعبارة المهذبة، والخائن المرتد كواقعه الصحيح.. يكلف سوريا أن يقول رئيس وزرائها: إن سوريا ستدافع عن جنوب لبنان وعن الأردن، إذا ما هاجمتها إسرائيل.. كأن لبنان



والأردن الطريق إلى تحرير الجولان! تضحية حمله أن يقولها صديقهم القديم سعد حداد الذي صرح بالأمس أن يكون في مقدمة الجيش الإسرائيلي إذا ما هاجم لبنان.. بل لربما أن إسرائيل لا تهاجم لبنان إلا بدعوة من سعد حداد يتستر وراءه: كميل شمعون والجميل وفرنجية.. الذين قتل من في تل الزعتر من أجلهم، ومن أعان ظالماً سلط عليه!

\*\*\*

ظاهرة قديمة الفعل، وإن اتضح بها الانفعال الآن، وهي أن أوروبا كلها - شرقها وغربها - ومن تناسل من أوروبا في الأمريكتين والأراضين الأخرى كلهم لا يريدون كتلة واحدة ذات مبادئ متحدة في شمال إفريقيا، وغرب إفريقيا، وشرق آسيا.

استعمروا كل ذلك، وزرعوا التفرقة بين كل تلك الأقاليم.. فسقاطهم للدولة العثمانية كان قضاء على الكتلة الواحدة، ومعاودة «سايكس - بيكو» كانت عملاً للتفريق وترسيخاً للشتات.. فقد اقتسموا تركة الدولة العثمانية وقسموا العرب إلى دويلات، وحتى إسرائيل ما زرعوها في الأرض العربية إلا كإسفين.. حاجزاً يحجز التكتل العربي.. يمنعه أن لا يكون، كما هو الواقع الآن.

وهم الآن أشد ما يتمنونه: أن يتسرمد هذا التفريق، فوجود إسرائيل عامل مهم يحقق مطلبهم.. سواء كان صليبيًا، أو استعماريًا، أو استغلاليًا، فهم لا يرضون عن التضامن ويحاربون الوحدة، كما حاربوا الخلافة، كما حاربوا أية دعوة لجمع الكلمة، ولعلّه سيكون له موقف مع التجمع الإسلامي، فالفرصة سائحة أن يكون لدينا الآن مؤتمران إسلاميان: مؤتمر القمة، ومؤتمر معروف الدواليبي!

## البصرة والكوفة

الأحداث التي تراكمت على الأمة العربية، والأمصار التي أصبحت عواصم الإمبراطوريات.. أشغلتنا عن بعض المعاني ذات القيم، فقد كانت الغفلة في الغالبية العظمى من الأمة العربية استغفلاً من إمبراطور، أعطى لعاصمته كل القيمة.. بينما هناك عواصم العلم هجرناها، لا عن عقوق، وإنما من غطرسة العاصمة الجديدة!

فهل هناك «مربد» كمربد المدينة.. أصبح المسجد النبوي الجامعة التي تعلم فيها ومنها الإنسان العربي إماماً في الفقه.. إماماً في السنة، وهل هناك مسجد أعطى عطاء المسجد الحرام.. عطاء «ابن عباس» ومن إليه، نجماً هو عطاء المسجد النبوي.. عطاء «ابن عمر» ومن إليه؟!

فالمسجدان في هذا الحجاز صانهما الله، فلم ينسهما العربي، ولكن «مربد» البصرة و«مربد» الكوفة أين هما كجامعتين أعطت اللسان العربي قانونه نحواً وصرفاً وميزان شعر، وأعطت العراق فقهه وعلومه؟!

أين مربد البصرة والكوفة.. هل يليق أن تظل الكوفة الجامعة، والبصرة الجامعة في عماية التاريخ؟.. لا تجد كرسيّاً في أية جامعة اسمه: كرسي الكوفة، ولا معهداً اسمه: معهد البصرة، كأنما الغفلة، أو النسيان أو العقوق قد أدرك الخليل وسيبويه والكسائي والفراء والأصمعي، وأبا حنيفة

وإبراهيم النخعي، وابن العلاء ومن إليهم!

الآن البصرة والكوفة أصبحتا عراقيتين في حدود الإقليمية، انصرفاً عن الأممية؟.. مع أنهما الجامعتان.. أتحدى بهما أي جامعة في الأمة العربية، والأمة الإسلامية أن تقول إنها لم تتلمذ على البصرة والكوفة والمسجدين، فلا الأزهر والزيتونة والقرويون وعليكره وديوبند، وما إلى ذلك من الجامعات تستطيع أن تقول: إن أستاذاي الأول كان من مريد البصرة والكوفة!

\*\*\*

فلماذا لا تذكر البصرة والكوفة في ثبوت الجامعات؟!

ولا يغني أن يذكر اسم «الخليل» كشاهد، أو سيبويه، أو الكسائي.. وحتى إشراقة العلم في بغداد أثار لها الطريق الكوفي والبصري.  
ما البصرة.. ما الكوفة؟!

إنهما حين بناهما الصحابة: سعيد - الكوفة، وعتبة بن غزوان - البصرة.. لم يفعل ذلك إلا عن دراية تعرف معنى الجغرفة وقوة القرب من جزيرة العرب، كقوة القرب من فارس.

إن البصرة بنيت بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كأنه فقيه تاريخ، كأنه أستاذ جغرفة، قال العتبة بن غزوان:

- «بصر البصرة على الأدنى من حدود العرب».

أراد لها القرب من جزيرة العرب، تعانق «كاظمة»، حتى يصلها المدد.. لا يفصلها بعد. وكان قربها من فارس، ليصل المدد إلى الفاتحين.

وأغرت الشعوبية العباسية أن لا تكون الكوفة عاصمة، لأنها كانت العاصمة لعاصمة «أمية»، ولأنها القريبة من جزيرة العرب: «يبغذووا فكانوا في بغداد» فجاء الهجر للمريدين تدريجيًا، حتى كدنا أن ننسى هاتين الجامعتين، فلماذا لا نعيد للتاريخ بهجته في هذا الديجور السياسي الذي نعيشه؟!

ولكم أود أن تسبق جامعاتنا لتكون قدوة حين تسمى كرسياً في كلية الآداب باسم: البصرة أو الكوفة. وكرسياً في جامعة أخرى باسم: فقه العراق، وليس هو إلا فقه الكوفة!

\*\*\*

## - اليهودي عدو السلام

أصبحت الدعوة إلى السلام على صورة من التحذير، كقولهم: إن مشكلة الشرق الأوسط تهدد السلام العالمي، فلو انصرف أحد الهواة وجمع البيانات المشتركة التي أعلنوا فيها أن إسرائيل تهدد السلام العالمي، لوجدنا موسوعة كبرى قد ملئت بهذه الأضحوكة.. كأنما الدعوة إلى السلام على هذه الصورة تمثل على مسرح الدنيا كوميدياً عالمياً، فكلما دعوا إلى أن إسرائيل تهدد بطغيانها السلام، نجد اليهودي قد صفق ليزيد الطغيان طغياناً، والعصيان عصياناً.. لأن التلمود والبروتوكولات والضمير اليهودي كل منهم حريص على تدمير الإنسان وخراب الحياة.. فاليهودي يعيش ليدخل المسرة على نفسه حين يهلك إنساناً، فكيف إذا ما عرف أن الإنسانية كلها تسير بخطى واسعة نحو الدمار بما صنعه اليهود، وبما يحرص عليه اليهود؟!

فالتهديد لإسرائيل على هذه الصورة، ما هو إلا إغراؤها بأن تزيد من

طغيانها، لأنها لا تريد إلا الدمار. والشعوب الأوروبية في ما كتبه الله عليها تخضع لرغبات اليهود، فالذين قالوا: إنا نصارى وهم الكثرة الكاثرة في أوروبا والأمريكتين قد أخضعهم تركهم الحفاظ على ما أوتوا من حظوة بالتعاليم الصحيحة عن المسيح، استحفظوها فلم يحفظوها، فكتب عليهم الله أن لا يخرجوا من حرب.. إلا إلى حرب.. لا يدوم السلام بين النصارى إلى يوم يبعثون، واليهود يستثمرون هذا الوضع لأنهم يعرفونه، فيعملون على أن لا تنتهي الحرب بين أتباع المسيح.

إن أوروبا ومن إليها، ما أكثر ما عمرت، وما أجمل ما دمرت! وكلما زاد طغيان إسرائيل على الأمة العربية.. كلما كان ذلك الخير غير بعيد لهذه الأمة.. غفت طويلاً وصحت أخيراً حين مسها صوت الطغيان اليهودي، فلتفعل إسرائيل ما تفعل.. فسيتحول انفعال العرب من ردود الفعل إلى فعل.

إن إسرائيل النعمة، قد تجود بالنعمة، كما قال الشاعر:  
قد ينعم الله بالبلوى، وإن عظمت      ويبتلي الله بعض الناس بالنعمة  
فلئن تفرق العرب اليوم، فالضيم سيجمعهم.. إذا ما من الله عليهم أن يمنحوا لأنفسهم الرشد.

لا تخشوا زيادة الطغيان، فدموع الفواطم والعواتك والزينات والرقيات والعائشات في بيت المقدس، في كل فلسطين، ستقول لمنظمة التحرير وكل الزعامات: جففوا الدموع بإراقة الدم، حينما يصبح كل العرب ثورة. فحرام أن يصبح بعض العرب جامع ثروة.

## - لورد كارنيجتون

ورثيت لـ «لورد كارنيجتون» حين حمل الحقيقة، يسمح له مناحيم بيغن بالمقابلة، ويسمع من وزير خارجية إسرائيل ووزير دفاعها أشد مما سمع مناحيم بيغن.

رثيت له أن ذهب إلى إسرائيل، كأنما هو يسترضي قاتل الضباط البريطانيين، قتلة لورد مويه، وبارنادوت.. يصرف ذهنه من أنه يزور يهودياً كان بالأمس محكوماً عليه بالإعدام من محاكم بريطانيا.. يسترضيه وقد تناسى أنه الخليفة لـ «بلفور» الذي أعطى أرضاً عربية وطناً قومياً لليهود، وأباح لهم الدم العربي ليؤسسوا دولة يهودية.

أفليس أن الوضع الذي فيه وزير خارجية بريطانيا برهان على المأساة التي تعيشها بريطانيا الآن؟

لم يسمعوا له، بل أسمعوه موقف العناد، ولعلّه أراد بهذه الزيادة أن يكون نقيضاً لمواقف وزير خارجية فرنسا التي تغيرت اليوم من سلوك (جي موليه) إلى بصيص من سلوك (ديغول).

\*\*\*

ولعلّي أتهم أن هناك بعض الأسرار أعطاه «لورد كارنيجتون» لإسرائيل. ولئن كان ذلك، أو لم يكن.. فالواقع أن كلاً من فرنسا وبريطانيا ومن إليهما يمتعون أنفسهم بازدواجية السلوك.. يتظاهرون بأنهم مع العرب في بعض المواقف، بينما هم لإسرائيل في كل المواقف!!

## أخلاق السراة «الجتلمان»!

استقال اللورد «كارنجتون» من وزارة الخارجية البريطانية، لأنه قد خضع لتهمة الفشل.. يتنادى الشعب البريطاني، يقول له: «عد إلى بيتك أيها اللورد».

وليست استقالة هذا الوزير خبراً يمر دون تعليق يضع التاريخ لسمعة التاريخ، فلئن كانت استقالة هذا الوزير هزيمة شخصية له، كما هي الصورة الظاهرة، فإنها في الوقت نفسه الانتصار له. لقد كانت هزيمة الفعل، فأعطته الاستقالة انتصار الخلق.. خلق «الجتلمان»!

وأي خلق أسمى من طاعة الشعب!.. يخضع لهذه الطاعة وزير منح ثقة الشعب، ومن حق الشعب أن ينزع هذه الثقة، إذا ما ركب الفعل المنهزم كاهل الشعب البريطاني، فحين غزت الأرجنتين مستعمرة بريطانية لم يتحمل الشعب البريطاني هذه الهزة، تنال من بقية الهيبة البريطانية.

إن انتصار الخلق في الشعب البريطاني قد جاء على صورتين:

- الصورة الأولى: إذا ما بلغ سياسي قمة النجاح، وأعطى لشعبه النصر العظيم، قالوا له: «عد إلى بيتك أيها الدوق» فقد كان الدوق

«ولنجتون» قد جاء عائداً إلى وطنه يحمل النصر على نابليون، وهذا النصر بعد هزيمة «الأرمادة» هو الذي أعطى لبريطانيا «ملكاً يطاول ملك الشمس».. لكن الشعب يخشى التفوق لقائد انتصر هذا الانتصار، فتأخذه رغبة من نشوة النصر إلى أن يطغى على الدستور، أو ينحرف بالمؤسسات الديمقراطية.. فإذا الدوق يطيع فيخضع التاريخ أن يدون ما سبق له من فعل كبير، ونصر عظيم، وليس لتاريخ بريطانيا حاجة في أن يبقى هذا القائد يتسرمد به زمنه، لأن الشعب البريطاني، ولأنه هو أيضاً يخشى كل منهما أن يخطئ هذا القائد، فإذا تاريخه المجيد قد لطخته الخطايا، وهم لا يريدون، كما هو لا يريد إلا أن يبقى المجد ناصع البياض، بلا نقاط سوداء!

وكذلك - وعلى هذه الصورة - ما تصرف به «مستر بالدوين» رئيس حزب المحافظين، وقد كان رئيساً للوزراء، فاقتحم الأزمة، وتلك هي التي حدثت يوم أنكر الشعب البريطاني على الإمبراطور «إدوارد الثامن» أن يتزوج امرأة مطلقة من زوجين «مسز سامبسون».. أمسك بالأزمة حتى استقال الإمبراطور من العرش «لأنه لا يستطيع أن يقوم بأعباء الحكم دون معونة المرأة التي يحبها» وحين تم ذلك عاد إلى بيته «مستر بالدوين» فقد توج تاريخه بعمل عظيم.. حدد نوع العظمة فيه: الشعب البريطاني!

لقد استقال «بالدوين» لأنه يخشى أن يتعكر تاريخه بعد هذا الفوز.

- أما الصورة الثانية: فتأتي من موقف الفشل - يقع فيه زعيم - كما «تشرشل» بعد هزيمة الأسطول البريطاني في حرب الدردنيل، فقد توارى «تشرشل» حتى أجبرت الحاجة الشعب البريطاني لمقاومة هتلر أن يصفق في الشوارع (لقد عاد ونستون).



كما هذه الصورة في استقالة «لورد كارنجتون».. فشل فتخلى يفتح الطريق للذي يستطيع أن ينقذ بريطانيا من هذه الأزمة.

إن «كارنجتون» لا بد وأنه تصرف بأسلوب بريطاني قديم كأسلوب نواب الملك في الهند، كما أسلوب «كرومر» و «كليرن» في مصر.

لقد انتهى زمن العجرفة.. كان ذلك يوم كانت الكلمة (إن هذا لا يرضي بريطانيا) أقوى من قطع الأسطول التي تمخر البحر.. تذهب إلى معركة مع الأرجنتين!

وبقيت الملاحظة في ما جرى في العالم العربي: فلو أن «عبد الحكيم عامر» بعد جريمة الهزيمة للوحدة قد عاد إلى بيته، لربما أن نكسة ٦٧ لم تكن على الصورة، لكن ليس في طبعنا أن يتخلى الناجح إلى غيره حين يخاف على نجاحه من الفشل، وأن يتخلى الفاشل إلى غيره لئلا تستمر نكسات الفشل.

وكم كنت أتمنى لأنور السادات، وسعد الدين الشاذلي أن يسلكا هذا المسلك حين وصلا إلى قمة النجاح، فحاز كل منهما نصر العبور. كنت أتمنى لأنور السادات بعد نصر العبور أن يعود إلى بيته، كما عاد «الدوق ولنجتون»، فلو فعل ذلك لما تجرع الحسرات وهو حي، وقتلته الرصاصات.. يموت، فسجل عليه قاتله الفشل، فلقد أضاع النجاح حين استمر في السلطان، يتعثر سلطانه في ما عده الشعب فشلاً وجوراً لم يعد في طاقته أن يتحملة.

أما سعد الدين الشاذلي، فلو عرف نفسه واحترم مجد الانتصار، وحصن السمعة التي كانت كل مجده في الأمة العربية لعاد إلى بيته جندياً متقاعداً ولكنه أخطأ حين قبل الوظيفة، فضاعت سيادة الجندي في عبودية

الموظف، وأوضاع وطنية الجندي في هذه المواقف التي ظن أنه ضد أنور السادات، بينما هي الجريمة على شعبه.

إن أخلاق السراة.. توجب على الفاشلين أن يتخلوا، فسرمدية الزعامة جور على الشعب.. جور على الثورة، وإياك أعني فاسمعي يا جارة!  
أو كما قال الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى من يستطيع؟

## - صور

إفريقيا تجوع؟! تلك عجيبة العصر.

إن حيوان الغاب في إفريقيا يموت من التخمّة، خصوصاً الحيوان النباتي، يشبع من الغابات.. بينما الإنسان الإفريقي يشكو من المجاعة، مع أن بلاد إفريقيا بلاد الأنهار، بلاد الأراضي الخصبة، لكن العجز هو من فعل الإنسان.. فما أقوى الإنسان الإفريقي على احتراف العجز.

إن نهر الكونغو، والنيجر، والزمبيزي، والنيل يعطون إفريقيا كلها انتصاب القامة بالتحدي لأوروبا، حين تزرع إفريقيا القمح والذرة واللوب والكركي. لئن كانت إفريقيا في حاجة إلى ما تصنع أوروبا وأميركا، فإن هؤلاء أشد حاجة إلى ما تنتج إفريقيا.

إن البيت في أوروبا وأمريكا يتلمظ على الكاكاو، فلو زرع إفريقيا لأخضعت معدة الغربيين الذين ما استعمروا إفريقيا إلا من حاجتهم إلى الزبد والرغيف، وما أكثر الزبد والرغيف لو كان الإفريقي كالياباني، كالأسترالي، إن اليابان ليست أرضاً مدرة لأي إنتاج، ولكن إنسانها قد أخضع إنتاج الدنيا كلها لقيمة ما يصنع، وكل ما يصنعه من إنتاج الآخرين، لا من إنتاج اليابان!

إن ألمانيا بعد الحرب العامة الثانية، ورث شعبها الخراب والدمار لكل شيء فيها، ولكنه الإنسان الألماني قد استطاع أن يرتفع إلى فوق بما يصنع. وحين تلقى العون من الولايات المتحدة لم يشتر الألماني خاتماً من الألماس، ولم يلبس بدلة الصوف المستورد من لندن، ولم يتحل بربطة عنق وارد باريس، لأنه كان في ثورة على الدمار، والشائرون لا يعبأون بالزينة، وإنما كل احتفالهم بأن يتزين تاريخهم بالتضحية في سبيل أن ينقذوا شعوبهم.

## حوار مع عزيز ضياء

أخي العزيز.. أبا الضياء.

تعليقك المجنح بعد أن أخبرني السيد ياسين طه عنه، كأنما استقرأت  
كان يزغرد بكلماتك فوجدتني أكتب إليك.

أخي..

لقد أوفيت لنا الكيل وزدتنا حمل بعير، فأنت بهذا الشناء قد فتشت  
عن دفاترك القديمة وأنت به بعد قد وضعت السقاية في رحل أخيك  
فسرقتني بعواطفك الجمّة ولم تسترقني.. فالندادة بيننا كفاءة المساواة..  
أما أصحاب اليوم فإرادة المساءات.

فتشت دفترك القديم فأرجعتني إلى ذلك اليوم الذي قرأت رسالتك،  
تسيل منها العبرات فإذا أنا وأنت قد تأثرنا يوم كنا نقرأ العبرات للمنفلوطي  
فإذا بنا نعشق (مرغريت جوتيه) (غادة الكاميليا) فقد كنت أنا وأنت لا نبحت  
عن الجمال لأنه في أنفسنا.. ولأنه - وما أكثره - حول عقيقنا.. بل كنا  
نبحت عن (الكمال ثقافة نحارب بها الذين كادوا ينتقصون من أقدار  
الرجال).

فأنت أيها العزيز لم تجدني قاسياً على أمريكا حين قلت في كلمتي ما  
معناه: إن الولايات المتحدة تخوض حرباً ضد العرب لم تعلنها وإنما

تفعلها.. فأني فرق بين هذا وبين ما أردت في تعليقك.. لكنك امرؤ أصبحت من بقية الناس.. أعني الناثرين، فلم يبق من جيلنا من يجيد النثر إلا أنت والسرحدان ومحمد عمر توفيق.

أما الأجيال بعدنا ففيهم الكثير، ويرجو أن يكونوا الأكثر والأكمل.

ولقد ذكرت أنك كنت «محمورياً» ذلك أنك الطفل أبو الرجل، فقد كانت طفولتك حين أهلك - فاخرين بأنهم العثمانيون - قد اتلفوا مع ألمانيا واحترزت حين قلت ألمانيا فقط، فأنا وأنت - قبل أن تكون هذه الحرب في حرب على موسوليني - من أجل ليبيا ومن أجل الحبشة.

وقد كنت - أنا - حلفائياً.. ولا أقول ديمقراطياً، فقد أصبحت الديمقراطية في نظري (سامجة) بما تصنع الديمقراطية الأمريكية.

لقد كنت متحمساً لينال الحلفاء النصر، ذلك قد فعله بي وبك تزواج الثقافة وازدواجيتها. فنحن كعرب، كآسيويين، كأفريقيين، قد ذقنا الأمرين من بريطانيا وفرنسا.. فبريطانيا تحارب بالآسيويين والأستراليين، وفرنسا حاربت بالأفارقة.. وكل الآسيويين والأفريقيين قد نزع ثروتهم الاستعمار، لكن تزواج الثقافة وازدواجيتها أنسانا طغيان الحلفاء. نحاذر من أن نستبدل طغياناً بطغيان.

وقد كنا نصفق للولايات المتحدة حين دخلت الحرب الثانية لأمرين: لأننا نفرح بنهاية الحرب، ولأنني أفرح بانتصار الحلفاء.

ولعلي أذكرك فقد طرقت بابي في قروة (بالطائف) أنت وأحمد قنديل تسألاني: هل عندي علم عن القنبلة النووية التي ألقتها أمريكا على نجازاكي وهيروشيما؟!

كان ذلك في ليلة أن أُلقيت.. فقد تساءلتما عنها فقلت أنت: تعال نذهب إلى الزيدان.. ولم تكادا تسألاني حتى رجعت إلى قاعتي أحضر لكما عدداً من مجلة المقتطف فيه مقال كتبه فؤاد صروف شرح فيه بعض ملامح انشطار الذرة والقوة التي تدمر بها وأخذت المجلة ولم تعدها إلي ولم أطلبك بها فلعلي أقلد شيخ الشيوخ عبد الحي الكتاني، يرحمه الله، في جواز الاستحواذ على الكتاب بأي صورة.

فقد استحوذ على نسخ ثمينة من مكتبة الفاتيكان يقطعها صفحات صفحات يوماً بعد يوم ليبقي الجلد فارغاً في مكتبة الفاتيكان.

أو كآني أستاذنا أبو تراب، فله قصة لا يجوز لي أن أذكرها حين استحوذ على كتاب من مكتبة في غير هذا البلد ما أصعب أن يقتنص منها كتاب.

أتعرض لهذه الذكريات لعلك تعيش في كفاءة الندادة، ولعلي وأنت تطرح عن كاهلنا رداء التبعية، وقسوة السيادة. سلامي عليك.. والله يركاك.

سمعت تمثيلية في صوت العرب كتبها الأستاذ جمال أبو رية.. وضع هارون الرشيد يرسل مناراً تابعه.. يجلب رجاء بن حيوة من دمشق ويضع عمر بن عبد العزيز في بغداد.

ذلك خيال الروائي.. لكن التاريخ لا يرضى بهذا «التقحب»، ذلك أن عمر بن عبد العزيز قد توفي سنة ١٠١ هجرية.. ورجاء بن حيوة توفي سنة ١١٢ هجرية.. وهارون الرشيد ولد سنة ١٤٩ هجرية، فالسامع لهذا الخيال الروائي.. يكرهه أن يرى عمر بن عبد العزيز يستجوبه هارون الرشيد وأن يرى رجاء بن حيوة تحت نعمة الرشيد، بينما الكاتب قد أراد بذلك أن يمضي بالرشيد إلى زمن قبله ليضفي عليه أنه السماع للنصيحة الخاضع لرحمته.. لهذين الصالحين: عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة رضي الله عنهما.

كما سبق لتمثيلية أذيعت في تلفازنا جاء فيها نص: على أن هارون الرشيد قتل سعيد بن المسيب، بينما سيدي سعيد بن المسيب قد توفي سنة ٩٤ هجرية.

ذلك يكرب السامع ويجور على التاريخ.. ولو أن الأستاذ جمال وضع الرشيد في الموضوع الصحيح مع الفضيل بن عياض.. فيكفي بياناً لعظمة الرشيد وصلاحه أن سمع نصائح الفضيل حتى دمعت عيناه. فكل ما أورده عن رجاء بن حيوة وعمر بن عبد العزيز قد جاء على صورة أخرى في نصيحة الفضيل بن عياض، وموقف الإمام مسروق حتى قال مالك - أمام دار الهجرة - لقد كلم مسروق الرشيد كلاماً جعلت ألملم ثوبي خشية أن ينالني بعض من دم مسروق.

## - صورة

- وقف رجل أمام عمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فأخذته رهبة تلجج لا يتكلم فقال له عمر: تكلم.. تكلم.. فقال: أنا من موالي بني هاشم. قال عمر: من أيهم؟ قال: من موالي علي بن أبي طالب. فقال عمر بكل الحب.. بكل الإقصاء للأُموية والحفاظ على العمرية.. عمرية جده عمر بن الخطاب: أنت مولى علي؟ قال: نعم.

قال: علي مولاي قبل أن يكون مولاك.. رضي الله عن عمر بن عبد العزيز.

## الحرب بين الرأي والرؤية

الفكر رأي يطرحه فيلسوف أو مفكر أو حتى رجل عادي، والمؤرخ لا يطرح من عند نفسه شيئاً يستوحيه من فكره، وإنما الرؤية للأحداث والوقائع واستكمال الاستقراء لما سبق والقراءة لما هو حاضر والتكهن بما هو مستقبل .

إن هذه المقدمة تحتاج إلى شرح لا أزعـم أنني كـفيل بإيفاء حقها من الإيضاح، لكن الرؤية لما هو واقع تتسع لأكثر من توضيح، فالفكرة التي أعلنها الفيلسوف البريطاني «برتراند راسل» قبل سنوات مضت لعلّ الموت قد انتزعها كما انتزعه فإنه يقول «لن تقوم حرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وإنما الحرب ستكون بين الصين والاتحاد السوفياتي»، ويعلّل ذلك بأن الخلاف بين الدولتين العظميين، إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض ما هو إلا خلاف على المصالح، وفي الإمكان التفاوض ووضع التسويات لأن ذلك لا يؤدي إلى الحرب بينهما. أما إمبراطورية الصين وإمبراطورية الاتحاد السوفياتي فالحرب بينهما قائمة وستشتعل لأن المعركة بينهما معركة عقائدية إيديولوجية، فالصراع بين المبادئ والعقائد والأيديولوجيات يسبب الحرب بينهما.

ذلك رأيه ولكن الرؤية اليوم للواقع قد قلبت هذه الفكرة لأن ماو تسي



تونغ قد انتهى، وحرفية الماركسية في كلا الدولتين قد بدأت تبعد بكثير من التغييرات، حتى أن التحرك الصيني والسوفيياتي الآن أصبح كل منهما يود التقارب من الآخر، واستحال الخلاف بين المبادئ إلى خلاف على المصالح. فغزو الأفغان ليس من مصلحة الصين، والوجود السوفيياتي في فيتنام وما إليها ليس في الشمال ضرب من المصالح يمكن التفاوض لحلها كلها كما يقول راسل. فالفكرة إذن هي أنه لا حرب من أجل المصالح بين هذه الدول الكبرى.

لكن الرؤية تقول أنه لا مناص من الحرب ولن تكون من أجل المصالح ولن تكون من أجل المبادئ وإنما هي أن القوة داخل هذه الإمبراطوريات هي التي تصنع الحرب سواء داخل الإمبراطورية أو خارجها. إن ترسانة «البتاغون» ومخازن موسكو وبكين والجنود تحت سلاح قوة لا بد أن تفتح الطريق إلى الحرب، فالأباطرة قد لا يريدون الحرب ولا يسعون إليها وحتى الجنرالات لا يسعون إلى الحرب وإنما السلاح والجندي هو الذي يتفجر بالحرب على نفسه إن لم يفجرها على الآخرين.

لقد ضاقت الشعوب بالتسلح، أهلك مواردها، ففي الولايات المتحدة مثلاً بدأت صناعة الأسلحة وتطورها تصنع للشعب مجاعته على صورة من الخوف وصورة من الأزمات الاقتصادية. وفي الاتحاد السوفيياتي شعب أعطوه الوعود بأن يكون أغنى الشعوب بالرغيف فإذا هو لا يريد الرغيف وحده الآن وإنما يريد أرغفة من نوع جديد، حتى إذا استقبل السائحون أخذ هذه الأرغفة الجديدة أنواعاً من اللباس والسجائر، فيما أن يدفع الروبلات وإما أن يعفى من دفع القيمة لما استشرت نفسه عليه، يريد شراءه فيريد بعض السياح إعطائه ذلك، لأن هذا العطاء أشعار للشعب الروسي بحاجته الملحة إلى هذه الأرغفة الجديدة.

فكل هذه الصواريخ تنصب في أوروبا إنما هي موجهة للأميركي قبل أن توجه إلى الاتحاد السوفياتي، لا كسلاح نار وإنما هي ومضات من نور جديد يشرق على شعب الولايات المتحدة يقول لماذا مئات الآلاف من الصواريخ بينما مئات الأطنان من القمح تحجزها الإدارة كوسيلة من وسائل الحرب الاقتصادية لا نأكلها أرغفة وإنما تأكلها النار أو الأسماك، حتى أن بعضهم فكر أن يصنع منها الكحول، إنها لغريبة في بلد كأميركا كان بالأمس يحرم الخمر فأصبح يحيل غذاء الشعوب إلى كحول!

أليس ذلك حرب القوة ضد نفسها؟!

أما الاتحاد السوفياتي فيمنعه كبرياء القادة أن يطور العلاقة، ولكنه حين يستريح مع الصين سيستريح فعلاً مع أوروبا بطريقة أو بأخرى هو يبدوها وأوروبا تقول له «أهلاً وسهلاً»!

أنا لا أنفي الحرب عمداً أو خطأ ولكني أؤكد أن القوة داخل هذه الإمبراطوريات هي حرب على مالكةا قبل أن تكون حرباً على الآخرين.

\* \* \*

### الهنود الحمر

لما يجف بعد دم الفلسطينيين المراق في لبنان، لا أسأل عن من أراقه.. اليهود أم الميليشيات؟! فالذي أراقه فعلاً هو السلاح الأميركي والضوء الأخضر الأميركي. إن مجزرة صبرا وشاتيلا غضبت من أجلها الإدارة الأميركية وغضب من أجلها خطباء «هايد بارك» على كل منبر. لكن الإدارة الأميركية قبل جلاء إسرائيل عن لبنان وقبل إدانة اليد التي لطخت بالدماء تقدمت إلى مجلس الشيوخ بما تبذله من عون لإسرائيل، ذلك فرض

الوقت على الإدارة بحجة تقديم الميزانية، لكن مجلس الشيوخ الذي غضب بعض أعضائه من سفك الدماء واحتلال لبنان قد أضاف إلى عون الإدارة عوناً منهم يبلغ أكثر من ٤٠٠ مليون دولار يتحمل ثقلها الشعب الأميركي دافع الضريبة. فلم يفكر أي شيخ من هؤلاء الأعضاء بحجب هذا العون عن إسرائيل ولو مؤقتاً، لا ليعاقبها على ما فعلت وإنما لتتخلى عن لبنان يصبح صديقاً للولايات المتحدة.

لقد فعلوا ذلك لا يسألون عن إحراج أصدقائهم من العرب ولا يسألون أنهم يرضون إسرائيل أيضاً، وإنما الحقيقة أن الأميركي كان لشفاء غليلهم يشربون به الدم الفلسطيني واللبناني كأنما الفلسطيني هو هندي أحمر في الشرق الأوسط. فالذين قتلوا الهنود الحمر قد أباحوا لأنفسهم أن يعينوا إسرائيل على قتل الهنود الحمر.

ويظهر أن وزير خارجية إسرائيل إسحاق شامير عرف بعض تلك الإدارة لا تطيع ما طلبه مجلس الشيوخ فأمر سفيره في واشنطن بأمر لا أدري كيف تقبله الإدارة الأميركية، فقد قال لسفيره «خاطب الرئيس ريغان وحذره بالأمر يربط بين السياسة وبين المعونة!!»، كلام يوجهه إمبراطور على الولايات المتحدة.. الإمبراطورية الكبرى في العالم، والصغرى المطيعة أمام إسحاق شامير!!

لا.. لإسرائيل لا يمكن أن تكون إمبراطورية على الولايات المتحدة، وإنما هي كوبا ثانية تؤيدها الولايات المتحدة وتفتح لها الطريق وتعطيها الأسلحة المحرمة.

## صورة

قال أحدهم:

- لقد قتل سعد حداد ومن إليه الفلسطينيين ليجلوا عن لبنان ففتح الطريق لتحتل إسرائيل لبنان.

هذا اتهم إسرائيل له ولكن المتهم أكثر من ذلك، وفي فمي ماء!!

\* \* \*

قال واحد من مؤيدي «الصمود والتصدي»:

- إننا لن نحارب الآن إسرائيل، ولكن حربنا لهم كانت وستكون بآخر جندي مصري وآخر برميل نفط عربي وآخر فدائي فلسطيني!!

## ملتقى الآراء

مصاير الشعوب ينبغي ألا تدور في حلقة مفرغة تجتر الماضي وسيئاته وتتناسى حسنات الماضي وأمجاده فعلاقة الشعوب التي انتظمت في الإسلام، كان ماضيها خيراً، أعطى اللسان العربي، والحرف العربي، والمسيرة المسلمة الحضارة الوسيط، فما من حضارة قبل حضارة العرب المسلمين إلا وكانت مستقلة بذاتها، صينية ولا غير هندية، ولا أكثر، يونانية، ولا أبعد، حتى فتح الله الأرض لدينه الإسلام، دخل المسلمون من الأعاجم في دين الإسلام وأبوا أن يستعجموا، فتعربوا، وأعربوا، حتى أصبحوا يشملهم، هذا التعريف به (العرب أعراق، والعروبة استعراق) فالذين تناولوا النجم المعلق بالثريا من الخراسانيين، والترك ومن إليهم، لم يكونوا العرب العراق، وإنما يبتسم التاريخ ليثبت أنهم في العروبة «استعراق» فهل كان سيبويه إلا عروبة مستعركة، يؤلف الكتاب قانوناً للغة العربية؟ وهل كان الإمام البخاري إلا من شوامخ العروبة المستعركة لأنه، وبإجماع المسلمين إمامهم المصدق، فلئن كان تركي العرق، فهو عربي الاستعراق.

رسالة من قتيبة بن مسلم إلى عبد الله بن عبد العزيز

هذه المقدمة تجردت من العنصرية العربية التي استشرت هذه الأيام..

كل قبيل وما يفرح به ولم يدر هذا القبيل أنه يصنع المأساة لإخوانه العرب، ولا يدري أنه صانعها لنفسه.

تجردت من شخصيتي، ألبس تاريخ قتيبة بن مسلم الباهلي، وأتلحف بتاريخ محمد الفاتح لأستنير بكل خطوة مباركة خطاها عبد الله بن عبد العزيز تحت شعار التضامن الإسلامي يدعى لزيارة تركيا المسلمة، فلبى النداء، هي ليست دعوة للضيافة وإنما هو نداء التركي للعربي (أنا أخوك) في ظل كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.. أضع الطورانية تحت قدمي، ليكون الإسلام فوق رأسي، كما أنك قد وضعت الإقليمية، لا تتنكر لعروبتك وإنما أنت تُنكر على قوميتك العربية أن تكون ضد إسلامها فإذا ما أنا التركي، وأنت العربي تصافحنا على نصرة الكلمة المسلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن من عقد به حقد فيما مضى تنحل عقده، وتذوب تعقيداته..

ولو أن قتيبة بن مسلم فاتح التركستان وما كان قوله رحمه الله التركستان، وإنما كان يقول (هالني جمع الترك).

إن قتيبة بن مسلم فقداه الفتح فلئن مات مقتولاً بيد قومه فإنه ما زال حياً يذكره الإسلام بكل خير..

قتيبة بن مسلم يقول لعبد الله بن عبد العزيز (قد تعطلت أن أتكلم حياً، ولكن تاريخي مع الترك أنت بزيارتك تعطيه حياة جديدة)..

إن الترك في بخارى وسمرقند وطاشقند وكل ما جازه النهران (سيحون وجيحون) كان منه العطاء للإسلام، وبلغة العرب فقد أعطى الأئمة صوان السنة حفاظ اللغة، قادة الإسلام أفليس من العقوق أن ينسى عربي ذلك العطاء؟ ولكن جزيرة العرب الأم الفاتحة، فما من قائد فاتح ولا جندي

مجاهد إلا منها، فإذا هي تعرف ذلك لها وللترك فتبدأ دعوة التضامن الإسلامي، ولم تكن المملكة العربية السعودية، حين دعت إلى هذا التضامن تتنكر على قوميتها العربية، وإنما هي تعود إلى قومها العرب يوم أعزهم الله بالإسلام ويوم أعز الله الإسلام بهم..

إن قتيبة بن مسلم فاتح أرض الترك يماثله السلطان محمد الفاتح، أنه تركي استوطن الأناضول، حين جاء جدة عثمان حليفاً للسلاجقة الأتراك فأورثه الله ملك السلاجقة، ولم يكن الأناضول أيام أمية، وبنو العباس وملوك الطوائف، وحتى السلاجقة الذين كانت عاصمتهم (كونياً) لم يكن كل الأناضول أرضاً مسلمة، فلا زالت روما الشرقية في بيزنطة (استنبول)، فلئن أجهز قتيبة على الوثنيين في التركستان فقد أجهز محمد الفاتح على إمبراطورية روما كأنما أبقي الله ذلك له ليكون محمد الفاتح، فلم تستطع أمية إبان عنفوانها أن تفتح القسطنطينية انسحب يزيد بجيشه يترك حصار القسطنطينية عاصمة الروم، وترك علامة برهاناً على وصول الجيش المسلم هناك شهيد الإسلام سيدي أبا أيوب الأنصاري ما أخذه عقوق أمية للأنصار، وإنما أخذه وفاء الإسلام، وحاصر مسلمة بن عبد الملك عاصمة بيزنطة القسطنطينية، فلم يتم له فتحها، ادخر الله الفتح لمحمد الفاتح، وهناك أثر قرأته من زمن بعيد في كتاب اسمه «فتوح الأنام» يقول لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها لنعم الجيش ذلك الجيش، فقد كان الشيخ أمد شمس الدين يحرض السلطان محمد.. يتنبأ له أنه صاحب نصر مسلم كان معه شيخ قيادة معلم الشيوخ.. سيدنا محمد وفي اليرموك والقادسية كان المجاهدون هم الشيوخ، فالصحابة كلهم شيوخ.. أعني أن بركة الله تحفهم.. نصرروا الله فنصرهم، وقتيبة بن مسلم كان معه شيخ اسمه محمد بن واسع، فقد اصطف قتيبة يقود جيشه المسلم تجاه جيش الترك فقال لقد

هالني جمع الترك.. في الميمنة.. فاردأ إصبعيه إلى السماء فقال قتيبة الفاتح العظيم.. قتله الظالمون.. قال الله أكبر.. تقدموا فتلك الإصبعان أحب إليّ من مائة ألف سيف، وانتصر قتيبة حتى إذا جلسوا بعد النصر قال: أين محمد بن واسع؟ قالوا هو ذاك، فقال قتيبة.. ماذا كنت تصنع بإصبعيك فاردين إلى السماء..

قال الشيخ وقد امتلأ إيماناً (كنت آخذ لك بمجامع الطرق) والمملوك، الفارسي العبد مرتين.. الملك مرتين.. الملك المظفر قطز ساعة أن نادى وإسلاماه في عين جالوت كان معه الشيخ.. سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام، فهو الذي رباه، وشجرة الدر الجارية المملوكة أسرت لويس التاسع فأزاحت الصليبيين وكان معها الشيخ أحمد البدوي الذي أفرطوا فيه حتى فرط فيه آخرون يرحمه الله.

ولعلّ قتيبة يقول للأمير عبد الله إنك لعظيم تنسى بعض ما جرى في الماضي لتعمل للحاضر والمستقبل، فالعثمانيون يوم تم لهم السلطان حجزوا الصليبيين عن الشرق وحصروا التشيع لا يمتد إلى كل العرب، ولئن أسرف الأتراك بالقومية الطورانية أخيراً فقد أسرف العرب بالقومية التي لم يتحدوا تحت ظلها، فهم قوميون، كل إقليم قومية وحدها، فالتحية من قتيبة بن مسلم إلى الأمير عبد الله يهدي إليه وئام الترك مفتاح بيزنطة، كأنما التاريخ أصبح مقاضياً.. كان العرب في مكة إذا تأمر أحدهم أرسل المفتاح إلى استنبول رمزاً للطاعة ولكن استنبول أهدت المفتاح إلى عبد الله بن عبد العزيز برهان أخوة..

وما أحوج العرب اليوم أن يتآخوا مع أنفسهم، وأن يتآخوا مع إسلامهم..



## الوطنية . . استعراق . .

ولعلّي ابتدعت هذا التعريف «العرب أعراق والعروبة استعراق»، فكم من مستعرق في العروبة أعطاها الكثير والعظيم أكثر من عطاء صاحب عرق، فعطاء بلال يسمو باستعراقه على أمية بن خلف المتعاضم بعرقه العربي. ولكن ما الذي يحملني على أن أكتب هذا؟

### مثل وحملة :

فالمثل ما أكثر وجوده في الولايات المتحدة، وقبل الولايات المتحدة وجد في الأمة العربية، وفي مصر وفي المغرب العربي فكم من عظيم بطل لم يكن من عرق عربي ولا من عرق أمريكي ولا من عرق مصري ولا من عرق مغربي.

ولن تأخذني الشمولية. فالذي يدفعني إلى ذلك هو ما درج عليه بعض المؤرخين في مصر ينكرون مصرية صلاح الدين الأيوبي وينكرون مصرية المماليك. وما أحسبهم في ذلك إلا دعاة الإنكار لعروبة مصر ومكانتها المسلمة. فلم يستطع الدكتور حسين مؤنس أن ينال من عمرو بن العاص أو من عبد الملك بن صالح أو عبد العزيز بن مروان فاسترخص أن ينال من المماليك. مع أن المماليك صنعوا لمصر عظمتها الفنية وعظمة الانتصار في «عين جالوت» بقيادة «وإسلاماه» الملك المظفر «قطز» كما الانتصار في

«فارسكور» أو «بالمنصورة» كان جيش الانتصار المماليك وقائد الانتصار المملوكة الجارية «شجرة الدر» فهل كان ذلك إلا تاريخاً مصرياً عظمت به مصر حين أبادت التتار وأغلقت الباب أمام الصليبيين؟

إن تجريد «صلاح الدين» من المصرية والمماليك حين يجردهم حسن مؤنس لم يكن ذلك إلا هدماً لعظمة مصر وتجريحاً لتاريخ مصر. فعظمة مصر كما قلت من قبل إنها ليست مقبرة الغزاة فحسب. بل إنها البوتقة تصهر كل طارئ عليها. كل لاجئ إليها كل من رضع لبنانها. لبنان الأم التي حين يدركها الوحم تمضغ حبة من التربة السوداء.

إن تجريد هؤلاء يجرد شوقي من مصريته. أمير الشعراء الذي أعطى مصر إمارة الشعر العربي، هل قال مصري كما قال شوقي في مصر، يصف النيل . .

وتسود ديباجاً إذا فارقتها وإذا حضرت اخضوضر الإستبرق

إنني أتحدى أي مصري الآن . . حتى لطفي السيد نفسه، أن يصل نسبه بنسب فرعون، إن لطفي السيد أستاذ الجيل انتصبت يوماً للدفاع عنه أقول لتاريخه - يرحمه الله - إن كلمته التي قالها لجمال عبد الناصر «إن مصر من عهد «قمبيز» لم يحكمها مصري إلا أنت فافعل ما تشاء» أنها كلمة عميت عن التاريخ، أضاء لها نور أخضر من الاستشراق، فالغريون ما أشد كيدهم للعرب وللإسلام حين أجمعوا أمرهم على أن مصر غير عربية.

مع أن فرعون، ومن ينكر ذلك يريد أن يكون إفريقيا فليذهب إلى أبوة حام حين انتفى من أبوة سام.

إن أستاذنا لطفي السيد - رحمه الله - كان صاحب المبدأ «مصر أمة وحدها» فجره ذلك إلى نفي المصرية عن كل من حكم مصر بعد «قمبيز»

ويعني ذلك التنكر لعمر بن العاص والأيوبيين والفاطميين والمماليك ومحمد عليج.

لقد بخلتم على «شجرة الدر» أن تكون مصرية، وشرفتم أنفسكم أن جعلتم السيدة العظيمة زوج سعد العظيم «صفية زغلول» أما للمصريين بيتها بيت الأمة، وما الفرق بين صفية زغلول بنت مصطفى فهمي التركي الذي حكم مصر ثلاثة عشر عاماً في ظل الخديوي و «كرومر» وما الفرق بينها وبين «شجرة الدر»؟

كلمة فضفاضة قالها لطفي السيد وكلمات جارحة تجرد مصر من عظمتها التي تمصر كل من حل فيها يقولها أستاذنا الدكتور حسين مؤنس.

إنها حملة جهلت التاريخ وتتجاهل على العروبة وعلى تاريخ مصر، غير أنني لا أستطيع أن أعود بالدكتور حسين مؤنس إلى ترك هذا التحامل على المماليك والعباسيين والآخرين. إني أشفق عليه، لهذا أدعوه أن يخلع عن نفسه اللقب والإسم اللذين يذكرانه بالمستعمرين فهو «الأستاذ حسين» فالأستاذ لقب يذكره بقمبيز، والدكتور يذكره بكرومر، ولا أقول «كليبر» فهو من عشاق الحملة الفرنسية، والإسم «حسين» يذكره بالعرب أو بعمر بن العاص، و «مؤنس» يذكره باسم أحد المماليك فاسمه خليط من كل هذا.

لهذا أدعوه أن يظهر علينا باسم جديد ولقب جديد.. هكذا.

«سنودة بن ويصة بن أخنوخ بن خوفو». ليكون مصرياً كما يريد.

## أدب المكسرات

واستقرأت ما كتبه رئيس تحرير جريدة «الرياض» تركي عبد الله السديري عن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري يرحمه الله، فإذا بي أعجب به، وأكرب منه. فالطرب كثيراً ما يكون اغتيالاً للوقت، والكرب كثيراً ما يكون حياة لسرمدية الزمن. وكيف كان ذلك؟

لقد كان حين قسم الكم في الأديب والكيف عند الأديب إلى قسمين.. أدب المكسرات، وأدب البحث. فالإعجاب طرحه هذا التقسيم، والكرب فعله هذا التقسيم ولست - وأنا من المعجبين - أضع نفسي في منطقة الكرب.

إن الأدب والأديب هما دائماً صانعا المكسرات والهدايا من المكسرات. فالأدب ليس بحثاً، والأديب ليس باحثاً، العالم هو الباحث والعلم هو البحث، ولقد كان سبقنا - أنا وتركى السديري - العلامة عاشق اللغة الشاعر إسعاف النشاشيبي فوضع بدلاً عن اسم المكسرات اسماً آخر أو هو الاسم الأول للمكسرات في لغتنا الشاعرة، لغة الأباطرة في الصالونات والمترفين في الباهات والعاشقين في الزوايا إذا ما اختبأوا أو على غدير البنات أو على عدوة «العقيق» أو في إحدى الردهات، فلم يقل إسعاف المكسرات وإنما قال «النقل» بضم النون والقاف، يكتب مقالات في

«الرسالة» تحت عنوان «نقل الأديب». يتنقل بها من طرفة إلى طرفة، يضع التليد أمام الوليد، وليس غريباً أن يبقى هذا الاسم باقياً على أصله في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، فبائع المكسرات يحمل اسم «النقلي»، أي بائع النقل، كأنه قد امتد بنا عرقٌ تحت ظلام تلك الشجيرات في وادي «وج» ووادي «العقيق».

إن الأديب لا يمكن إلا أن يصنع المكسرات، فلو زرعناه باحثاً لأسقطنا عنه كلمة «الأديب» فالجاحظ في «البخلاء» وفي «البيان والتبيين» تنقل بنا من طرفة إلى طرفة وحتى حين كتب عن الحيوان أحال البحث إلى أدب. وقد يكون الأدب حلية الباحث، ولكنه لن يكون حيلته، ولا حولة ولا طوله.

وهل الصحافة، ومنها جريدة «الرياض»، إلا موائد نُقل؟!

وما كان لي أن أقول «موائد»، ولكنني احتترزت من غضب الصحافة فلم أقل «معالف نقل» فالأحداث التي تحيط بالأدب والأديب قد جعلته مرهف الحس، أبعدته عن تقبل الحوار، عن السماحة، وإن لم يفقد الرجاحة. فالحوار يصنع المكسرات التي قد لا توجد في مقلاة الحمص واللوز ودجاج البر، لأن الحوار يأتي بالجديد، ولو كان من المعلبات التي لم نستحي يوماً ما فنشتري معلبات التمر ونحن أهل التمر، معلبات «اللوز البحري» ونحن أهلها، وعريكة الفول السوداني المعلبة في أمريكا ونترك هذا النقل وهو من نبات النيل.

أنا لست غاضباً ولا متعباً من أن أكون أديب مكسرات، فقد أَرْضاني الكاتب حيث وضع الأديب والأدب على الطريق، فعلى أقل تقدير أنه قد جعل منا تحفة لا تمزقنا الهدايا، وإنما نحن نلتئم مع الهداية.

فالهوى والشباب والأمل المنشود ضاعت جميعها من يدي، كما هو

قول بائع المكسرات الأخطل الصغير بشارة الخوري، فهل أضع التكملة أمام  
القارئ نُقْلاً يتفكه بها حين تكرب من أحداث الوقت ليبقى مع مسيرة  
الزمن؟!!

فبشارة الخوري قال أبياتاً غناها محمد عبد الوهاب:

الهوى والشباب والأمل المنـ شـود تـوحي فتبعث الشعر حياً  
والهوى والشباب والأمل المنـ شـود ضاعت جميعها من يدياً  
لم يكن لي غد فأفرغت كأسـي ثم حطمتها على شفتيـا  
أنا العاشق الوحيد لتلقى تبعات الهوى على كنفـيـا

ما أحلى أيامنا التي مضت. يوم جاءت هذه الأغنية أسطوانة واحدة،  
سمعناها في يوم واحد سبع عشرة مرة ونحن على حافة «العقيق».  
فسكرنا سُكْرَيْن سكر غرام ورحيق يحل عقد النطاق.

## لماذا المفاوضات؟!!

تمنيت أن يتم الاتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية والعاهل الأردني،  
فعلى أقل تقدير صعب الوصول إلى النتيجة «تحرير فلسطين» حين سلكنـا  
الطريق المستقيم، الذي لا زالت منظمة التحرير تتشبث به، فلماذا لا نسلـك  
طريقاً فرعياً هو إجراء المفاوضات مع الولايات المتحدة ما دامت الولايات  
المتحدة تريد ذلك؟ لا لنطرح عليها فهماً جديداً، وإنما لنضعها أمام واقعها  
الذي خاطرت فيه بسمعتها، حتى أن إسرائيل لم تفعل شيئاً طغت به على  
العرب إلا بعلم الولايات المتحدة بل وبعملها، حين نضعها أمام واقعها فإننا  
نكسب ولو طوقنا بالخسارة، فإما أن تكون الولايات المتحدة صادقة في

صنع السلام أو أن كل مطلبها هو السلامة لإسرائيل، ولا شأن لها بالعرب. حينئذ يصبح اليأس منها مكسباً، يعرف العربي فيه قبل الفلسطيني أن واقعه الآن من هذه الفرقة هو الذي يجعل إنسانه وأرضه نهباً للطغيان حتى الإبادة.

أقول لماذا المفاوضات؟ فإذا ما أصبح الرئيس ريغان جادا فإن لديه قرارات مجلس الأمن، في إمكانه أن يصر على تنفيذها، يرغم إسرائيل على ذلك ويكسب الأكثرية في العالم العربي.

إن المفاوضات يراد منها أن تفرض على الفلسطينيين، وقد عز الافتراض يوضح أن إسرائيل تقبل المفاوضات.

إن مبادرة الرئيس ريغان ليست إلا شرحاً للشق الثاني من إطار «كامب ديفيد» ولست بهذا أضع منظمة التحرير في موطن الصواب مائة في المائة، وإنما لنضع الخطأ ولو بنسبة أقل على الإفراط من الولايات المتحدة والتفريط من كل العرب بهذه الفرقة وبهذا الشتات.

إن إسرائيل تملك التأييد الفعلي من كل الأطراف التي تعطي العرب الكلام ولا تعطيها الفعل.

إن الذين يرفضون المفاوضات من غير الفلسطينيين لم يكونوا الراضين لها إلا بضغط من غير العرب، فقضية فلسطين بين المطرقة والسندان، أعني بين الإمبراطوريتين، كلاهما يريد الاستحواذ على الأمة العربية عن طريق إسرائيل، فكلهم حرب على العرب، والعرب حرب على أنفسهم!

## صورة:

متعة أن ترى الجمال، وشقوة أن لا يراك الجميل، ولكن المزيج من

المتعة والشقوة يصنع لك متعة جديدة، فالشقوة ألم، والألم متعة حين تمتد به الذكرى إلى بعيد.. من رؤية هذا القريب الذي تكلم أمامك فإذا وجناته تضحك، وإذا عيناه تبتسم وإذا أنت تسير على عكازك قوياً عضل نفسك، يشدد به عضل جسمك.

ما سألتها ولا سألتني، وما عرفتها ولكنها عرفتني، فالمعرفة منها زادت المتعة متعة، وملائتني شقوة حين ضاعت فلا أراها مرة أخرى، وإن كانت ماثلة في الرؤية الحاملة.

\* \* \*

في القاهرة تذكروا إبراهيم عبد القادر المازني، صديق العقاد، ومن ميزاته أنه لم يكن مسخراً لحزب، وإنما هو سخر مجلة «السياسة» الأسبوعية ميداناً لقلمه.

قلت مرة لحمزة شحاته: سننسى المازني، لأنه كاتب مصري بحث ليس كالعقاد، عربي مصري أو مصري عربي، قال: وسننسى الكثيرين.

ولكنني وإن نسيت العقاد كاتباً فلم أنس له أن مجيئه مع خير الدين الزركلي وأحمد زكي باشا لا يسأل عن موقف القصر مع المملكة العربية السعودية، فقد جاء وهو المصري يحضر الاحتفال بذكرى جلوس الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته في يوم السابع عشر من شهر الجدي عام ١٣٤٩هـ.

لم يسأل إلا عن الوفاء بصحبة صديقه خير الدين الزركلي يرحمهما الله، فمن الوفاء له أن نذكره بخير ولو على طريقة «أذكروا محاسن موتاكم».



## أسقطوا ماك آرثر وأقاموا ييجين!

- وليس هناك حدث جديد لأن الأحداث تتتابع كأنما الحدث القديم إن لم يكن شبيهاً بالجديد فهو باعته أو هو الدافع إليه، سواء كانت تبعية الحدث الجديد للقديم عليها طابع السلب أو بصمة الإيجاب.. فالأحداث التي تعيشها فلسطين الآن بل والعالم العربي كله، وبالأخص شرق السويس، تدفعني لأن أضع المقارنة على صورة المفارقة بين الجنرال ماك آرثر وبين مناحيم ييجين، من ناحية العلاقة الأمريكية التي أسقطت ماك آرثر وأقامت ييجين.

إن الجنرال العظيم ماك آرثر كان النصر للولايات المتحدة في الشرق الأقصى، كما كان الانتقال الأمريكي من اليابان. أعطى الولايات المتحدة أن تكون السيدة الأولى في الشرق الأقصى حين أجهزت على الاستعمار بالإلحاح، بل وحين أسقط الإمبراطوريتين.. فرنسا وبريطانيا.. والسبب الأول في بروز الإمبراطوريتين الجديدتين.. إمبراطورية البيت الأبيض وإمبراطورية الكرملين فإن اليابان وعن طريق ماك آرثر أقامت النفوذ الكامل لإمبراطورية البيت الأبيض في الشرق الأقصى، التي أخذت منها حرب فيتنام الكثير من النفوذ الأمريكي يستحوذ عليه نفوذ الاتحاد السوفياتي.

إن ماك آرثر كان القائد المطلق السراح لا يقوده البيت الأبيض على

عكس الجنرال إيزنهاور، فقد كان إيزنهاور مقوداً لسياسة البيت الأبيض التي أعطت للاتحاد السوفياتي أن يكون قوة تنافس الولايات المتحدة..

إن سياسة الولايات المتحدة وحين أسقطت الجنرال ماك آرثر قد وضعت أمامنا الطعم نبتله، فاعتقدنا أن إسقاط قائد النصر قد استحال إلى الإمبراطور الأبيض يستذل اليابان بعد أن هزمها، كان عملاً مثالياً أخلاقياً.. ولكن الأحداث حين تكشف أعادتنا إلى اليقين بأن السياسة ليست أخلاقاً.. فالولايات المتحدة أرادت لليابان أن تعود إلى قوتها من سياسة حفظ التوازن في الشرق الأقصى، قوة تنافس الصين وقوة للولايات المتحدة لحجز الاتحاد السوفياتي.. تلك حنكة سياسية من الولايات المتحدة، تركت لليابان أن تكون قوة، وحجزت الاتحاد السوفياتي لينتظر كما هي نظرة الولايات المتحدة إلى التغييرات الجديدة في الصين.

تلك سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأقصى، انتصرت أول الأمر وجرعتها عقدة الفيتنام أن تكون غير كاملة النفوذ في الشرق الأقصى.. فلولا بقاء اليابان على صداقتها لانهى نفوذ الولايات المتحدة من شرق آسيا كله.. فحين أسقطوا الجنرال ماك آرثر قد استحوذوا على حسن الظن فيه أم هم قد استحوذوا على منطق السياسة الحكيمة، حتى أن الشعب الأمريكي والكونجرس قد ودعوا الجنرال ماك آرثر بالدموع.. واليوم يودعون أنفسهم في الشرق الأقصى تحت ضوء الشموع لا تنفع معه الدموع.

وفي أوروبا جعلت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي قوة لحفظ التوازن في أوروبا، ومع اليابان ومع الصين.. فكذبة كبرى أن نظن في هذه المنافسة بين الإمبراطوريتين عداوة تصرخ منها الصواريخ.. بل إنها الصداقة

المستترة تبعث الخوف في العالم ليكون كله منطقة نفوذ لهاتين الإمبراطوريتين .

إن الولايات المتحدة كانت قادرة على أن ترجع الاتحاد السوفياتي إلى حدوده الإقليمية، ولكنها لم ترد ذلك لأنه يلزمها بالجلاء عن أوروبا الغربية، فأصبحت أوروبا قسمة بين الإمبراطوريتين . . ذلك أن الجنرال إيزنهاور ومن معه، وحتى تشرشل واتلى، كلهم قد انقاد لسياسة حفظ التوازن في أوروبا فرضتها الولايات المتحدة حين أمدت الاتحاد السوفياتي بكل القوة . . فهذه الحكاية وفي هذا الخبر تقول إن الزعيم المرشح في انتخابات الرئاسة «ويندل ويلكي» قد زار ستالين، يتعرف على حاجة الاتحاد السوفيتي إلى العون . . فقال لستالين :

- «إنني أرى بينكم كثيراً من الحفاة يحتاجون إلى الأحذية، أفلا يمكن أن نمدكم بكميات من الأحذية؟» .

- «نعم، نحن في حاجة إلى الأحذية. لكن لا نريدها مصنوعة منكم، فلدينا كثير من الجلود، كثير من المواد . . أرسلوا إلينا الماكينات لنصنع الأحذية» .

وأرسلوا الماكينات وأرسلوا التكنولوجيا لتكون إمبراطورية الكرملين وسيلة تستحوذ بها الولايات المتحدة على نصيبها من قسمة العالم . .

إن هذا الاستطراد أ طرح به سؤالاً وهو:

ماذا أرادت الولايات المتحدة بهذا الموقف من إسرائيل، تأييداً وعوناً، حتى أعطتها السلاح المحرم، وأباححت لها أن يكون بيجين في الشرق الأوسط أقوى من ماك آرثر في الشرق الأقصى؟!!

إن الولايات المتحدة قد استحوذت على ساحل البحر الأبيض الجنوبي كله، أي شمال إفريقيا وشمال غرب آسيا، كما استحوذت على الكثير من الشرق الأوسط، بالصدقة التي كثيراً ما تتعثر بهذه العلاقة الأمريكية مع إسرائيل.. إن كل ما أرادته من إسرائيل قد حصلت عليه، فهل لا زالت بقية تريدها الولايات المتحدة؟

لعلّ البقية قد ظهرت بأنها الاستنزاف لثروات الشرق الأوسط، حيث أصبح بيعين سمساراً، يشتري العرب السلاح للوقاية منه.. وحين يشن بيعين حرباً على العرب تمنع الولايات المتحدة أن يستعمل العرب السلاح الذي اشتروه منها للدفاع عن أنفسهم، كما هو صنيع الاتحاد السوفيتي، على هذه الصورة.. ويعني ذلك أن أمام بيعين الضوء الأخضر ليفعل ما يشاء، وأمام العرب الضوء الأحمر يمنعهم من استعمال السلاح ضد إسرائيل.

فالحصيلة من ذلك كله أن إسرائيل فرقة في الجيش الأمريكي وهي في الوقت نفسه داعية التفريق بين العرب ليكون عملها عمل فرقة من الجيش السوفياتي!!

### حقوق الإنسان

إن غرب أوروبا والولايات المتحدة قد زعمت لنفسها أن تدافع عن حقوق الإنسان، وقد برز ذلك في بولندا من أجل حماية حقوق الإنسان البولندي، مع أن الحكومة البولندية وإنسان بولندا بولنديون، تبدل النظام وكانت الأحكام العرفية فأصبح هذا في نظر أوروبا الغربية والولايات المتحدة ظلماً على الإنسان وإهداراً لحقوقه.

إن اليهود في هذه الأعوام الطويلة كلها قد أجحفوا بحقوق الإنسان إجحافاً مرهقاً. . احتلوا الأرض وشردوا الإنسان وقتلوه وأغلقوا الجامعات، وغزوا لبنان، فأحدثوا المجازر. كل ذلك إهدار لحقوق الإنسان وطغيان عليها، فإذا أوروبا والولايات المتحدة يمتنعون عن التصويت الذي ندد بإسرائيل. . ذلك أن لجنة حقوق الإنسان العالمية قد أصدرت قراراً يندد بإسرائيل فإذا الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية يمتنعون عن التصويت. .

إن الامتناع عن التصويت لن يكون حياداً، وإنما هو الموافقة على ما فعلت إسرائيل. . ويعني ذلك أنهم قد أهدروا حقوق الإنسان حين يوافقون على ما تفعل إسرائيل. .

ومعروف أن أي قرار لا تعباً به إسرائيل، ولكن عدم التصويت من هؤلاء أعطى إسرائيل قوة الرفض لهذا القرار. . فهل هناك مفارقة أكثر من هذه؟ وهل هناك وصمة تاريخية طبعت بالسواد ليس على تاريخ إسرائيل وحدها وإنما على تاريخ هؤلاء الذين أتخموننا بالتصريحات بينما هم يحرمون علينا تنفيذ القرارات من هيئة الأمم، فأين إعلان البندقية وأين الموقف الأمريكي؟!

لقد ذهب كل ذلك مع الريح، بل إن جائزة السلام التي منحت لبيجين قد أعطته إجازة الحرب. . كم هي الدماء التي تلوثت بها يده. . ومع هذا منح جائزة السلام. .

لقد كانت جائزة السلام إكليل عار، فأصبحت وصمة عار سقطت بها جائزة نوبل. . حتى أن الجوائز الأخرى قد اهتزت فلم يعد لها التأثير الذي

كان.. كل تأثيرها أنها لم تعد فخراً لحاملها، وإنما أصبحت دولارات  
يتنفخ بها الجيب ويتورم بها القلب بالحق والعار..

\* \* \*

## عن الضفادع!!

وتلفن إليّ الصديق الكريم محمد بن عدل يسألني عن هذا البيت وعن  
الكتاب الذي ورد فيه، فقال إنه في «سقط اللآلي» للعصامي.. وأنشد البيت  
ينسبه لابن ذئبة بن يا ليل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

وشغلت بالبحث وكنت أحسب أن كتاب العصامي عندي من ذلك  
التوزيع الذي يتحفنا به الشيخ الأفندي محمد حسين نصيف يرحمه الله، إذ  
وثق طابع الكتاب جعله وقفا الشيخ علي بن ثاني يرحمه الله، فلم أجد  
الكتاب عندي.

وما تناومت عن البحث.. تلفنت إلى أستاذنا «أبو تراب» فجاءني  
بالخبر اليقين، إن هذا البيت لم يوجد في «صمت النجوم العوالي في أخبار  
الأوائل والتوالي» تأليف العصامي المكي، يرحمه الله، وإنما هو موجود في  
«صمت النجوم اللآلي، أمالي الإمام أبي عبيد البكري» منسوباً لابن ذئبة..  
وتعقب الأستاذ أبو تراب ذلك ليمحص هذه النسبة، كما هو يجد الأستاذ  
الكبير العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي قد حقق أن هذا البيت  
للأخطل وليس لابن ذئبة من قصيدة تحتوي على خمسين بيتاً موجودة في  
ديوانه، ومنها هذه الأبيات:

ألا يسلمي يا هند هند بني بدر وإن كان حيان عدي آخر الدهر  
وإن كنت قد أقعدتني إذ رميتني بسهمك والرامي يصيب وما يدري  
أسيلة مجرى الدمع أما وشاحها فجار وأما الحجل منها فما يجري

إلى أن يقول:

تنق بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت قريش ولا تبري  
ضفادع في ظلماء ليل تجاوزت فدل عليها صوتها حية البحر

وساق أبو تراب حواراً في قصة أوردتها الدميري في كتابه «حياة  
الحيوان» وهي:

«دخل رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي عامل أرمينية  
وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع فقال عبد الله»:

- ما تركتنا شيوخ محارب ننام هذه الليلة لشدة أصواتها.. يعني قول  
الأخطل المذكور..

فقال المحاربي:

- أصلح الله الأمير، أو تدري لم ذلك؟

قال:

- ولم؟

- لأنها احتلت برقعاً لها فهي في بغائه..

أراد قول الآخر:

لكل هلال من اللؤم يرفع ولا بن هلال برقع وقميص

أين هلال وأين محارب؟ لقد فرغت منهم جزيرة العرب إلا بقية من هلال في وادي الصفراء.. أما محارب وأختها أشجع فهناك قول لبعض حفاظ التاريخ أنها قد انتزعت في بني رشيد وهم أكثر ما في الحرة.. حرة خير.. كان ذلك حين عضتهم قبائل الشمال وأعمل القتل فيهم العباسيون فقد تغيرت أسماء ونزحت قبائل..



## وفاء الجبيل . . عطاء طويق

وهل يمر خبر أتاح الفرحة للرياض يصلها الماء الحلو عبر الأنابيب مقطراً ومقطراً بالحب من الخليج العربي من مدينة الجبيل؟ هل يمر هذا الخبر متوجاً برعاية جلالة الملك فهد يفتح المشروع كأنما هو قال للرياض وأهلها. . ليست هذه أول هدية لكم وليست هي بعون الله آخر الهدايا؟ هل يمر هذا الخبر دون شرح التاريخ وإيضاحه. . تاريخ الوحدة للأرض، كل شبر منها عطاء للشبر الآخر، عقيدة ولغة وعيشاً وماء وكياناً ونسباً وصهرًا.

إن الماء الحلو العذب وصل إلى الرياض عبر الدهناء والنفود! كأنه وفاء الجبيل لعطاء «طويق»، كأنه وفاء تهامة نجد لأعاليها، إن الإحساء لا تسمى تهامة ولكنني أسميها بذلك ترفاً في التعبير، وعشقاً للمقارنة. فالأحساء، هذا المنخفض على الخليج لم يسق قطرة ماء إلا من هذه الأعالي في نجد، جعلوا العلماء الجبل طويق، الجبل اليمامة، الأجدال السراة، هي التي ينحدر منها الماء، يمر في جوف الأرض، تخضر به السهباء، تنفجر عيون «السيح» في الخرج والأفلاج، وتنغلق أرض الدهناء على الماء ليصل إلى الأحساء. كأنما الأحساء أحشاء هذا الكيان الكبير!

يسيل الماء تحت النفود، يصبح مادة الضغط لخروج البترول، والري

للنخلة في «هجر» وما إليها. بالأمس كان وفاء الأحساء قلال هجر، وبالأمس كان وفاء الأحساء النفط، فأبت وحدة الأرض إلا أن يتبناها الملك فهد، يرسل شريان النفط إلى ينبع، ويستقبل شريان الماء في سفح طريق، في اليمامة المشمخة، في الرياض العاصمة.

كان عطاء طويق بما ينحدر من الماء بوادي ضيفة، وعطاء القصيم بهذا المنحدر إلى النفود وادي الرمة، وكان عطاء شرق السراة ينحدر الماء إلى النجود، حتى هضبة الدوادمي قالت أنا شريكة في العطاء.

إن هذه الوحدة في الأرض عطاء الجزيرة العربية لكل شبر فيها، صحراؤها عطاء. سهولها عطاء، أو لم نسمع قول الشاعر يصف الذين يمتارون من نجد يشتررون ما يريدون من أرض على الخليج:

يمرون بالدهنا خفافاً عبابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

فالذين يمرون الرجال المحتارون واللاتي يرجعن الإبل ملآنة حقائبهم.. واليوم ترسل دارين حقائب إلى نجد ملآنة بالماء العذب. فما دارين وما الجبيل وما الأحساء وما الدمام وما الخبر والظهران إلا المدن التي أول ما بناها ماء طويق، أول من وحدها الإسلام، والثاني الذي وحدها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، والثالث الذي يحرس وحدتها فهد بن عبد العزيز.

لا تعجبوا من حبي، فكل الأرض أرضي، ولو لم أكن قد ولدت في بعضها. وإنما العجب بل والظلم أن تفرغ أفئدتنا من الحب فاخرين أو متنكرين. إن الوفاء هو مقايضة للعطاء، ومن لا يفي كثير عليه أن يعطي، وكأنما أنبوب الماء صلة جديدة بين الإحساء ونجد.

فالتحية لكل من بذل جهداً في موضع الصلة موضع التنفيذ، الملك أولاً، والوزارة ثانياً، والوزير أخى عبد الرحمن آل الشيخ ثالثاً، والعمال الذين جاهدوا رابعاً. فالكل للأولية صاحب لأنه عون للملك، يحقق رغبته السامية.

ولكن هل أسأل أن هناك حساباً قد وضع الماء الأول في الرياض للصرف على التنظيف وفي المراحيض كما هو الواقع الآن، ليصان الماء العذب للشرب، وليكون ماء الرياض الأول له يتوفر فيه الماء العذب، فهناك تشجير وزرع أحسب أن ماء الرياض الأول قد حسب حسبه ليكون الرديف. فلقد فاتنا في أكثر من بلد وصل إليه الماء أن نجعل في كل بين ماسورتين ماسورة للشرب وماسورة للأغراض الأخرى.

إن التكليف في ذلك قد يستهلك مالا، ولكنه بعد يوفر أموالاً كثيرة، إن التاريخ قد سجل للسيدة زبيدة أن أمدت الحجيج بالماء في العين التي سميت باسمها «عين زبيدة» وأن التاريخ قد سجل لمروان بن الحكم أن مد العين الزرقاء تسقي المدينة المنورة، وأن التاريخ قد سجل للملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن، يرحمه الله، أن جعل من جدة مدينة كبرى، ثغراً إسلامياً، حين أمدّها بالماء بـ «العين العزيزية»، وأن التاريخ ليسجل للملك فهد أن يصل الماء إلى الرياض بحدبه وعنايته ورعايته يفتتح المشروع. وإن التاريخ ذاكرته قوية لا تنسى، فأسأل الله أن يمدنا بصون الأمن، نحفظ كياننا مشرق النور والإيمان أبا اللغة الذي يتحمل الجحود، فلا ييخل بالعطاء.. إن الجحود نحتمله إذا كان نكراناً لجميل، أما إن كان غير ذلك.. فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

## - الوديان :

والشيء بالشيء يذكر، فما دمنا نعلن الفرحة بالماء الحلو، يصل إلى كل مدينة وقرية، ليس أولها الرياض، وليس المدينة ولن تكون آخرها ينبع، فإني لا أتطفل حين أذكر من يهيمه الأمر بما ذكرت به سابقاً عن الوديان، فعندنا وادي الرمة ووادي الحمض ووادي الصفراء ووادي الدواسر، ووادي بيشه ووج ومر الظهران وغيرها، أفلا يمكن أن نجرفها أولاً لنعرف منابعها ومسيلها ومصبها وغورها؟

ومرة ثانية أفلا يمكن بدل السدود أن نجعل على طول المسيل غدراناً أو ترعاً بعمق مناسب توضع عليه مضخات تسقي ما حولها بالرش عشباً وخشاراً ومراع؟.. ثم إن هذه الغدران أو الترع يحبس فيها الماء تشربه الأرض تحبس من الماء مقداراً كبيراً يذهب إن تركناه إلى البحر أو النفود.

إن هذا لا يكلف كثيراً، فحين نصون وادي الحمض ترجع عيون ينبع النخل إلى ما كانت، تزدهر سفوح رضوى، وحينما نصون ماء وادي الصفراء ترجع العيون التي كانت فيه إلى حالها كما ترجع العيون في وادي فاطمة إذا ما ضننا مياه «مر الظهران»، فقبل أعوام رأيت وادي «مر الظهران» قد مر عبر حذاء إحدى عشرة مرة في عام واحد.. وكذلك وادي وج. فالمثناة و«ليا» وغيرها والبساتين الأخرى يمكن أن تعود إلى حالها الأولى.

إن النزاع أو الغدران أحسبها تنفع كالسدود وأكثر، رأي أبديه عن تجربة البدوي لا عن خبرة المهندسين والعلماء.

## - ياسر عرفات :

إن ياسر عرفات كان جريئاً حين أعلن هذه الكلمات.. قال :

«لقد كانت المعارضة الأولى لمشروع السلام العربي الذي طرح في مؤتمر القمة العربي بفاس نكبة على الفلسطينيين، فقد ذهب ضحية هذه النكبة سبعون ألف فلسطيني».

لقد كان جريئاً، ليته قد سبق بهذه الجرأة، يوم كان يلقي بعض ما جرّ لهذه النكبة.

إنه يدعو الآن للسلام، والسلام مع إسرائيل هو الحرب عليها، فإنها لن تعيش إلا بالحرب، فحالة الحرب أعطتها العون الكثير، بالعون الإيجابي من الولايات المتحدة ومن إليها، سلاحاً وتعطيلاً للقرارات، أو إهمالاً للقرارات، أو بالعون الصامت عن أفاعيلها الذين يستغلون ما بينها وبين العرب ليجدوا فرصة لبيع الأسلحة وفرصاً أكثر للاستحواذ على مناطق النفوذ.

إن المواقف السلبية التي عشناها هذه الأعوام الطوال كانت عطاء إيجابياً لإسرائيل، جربوا حرب السلام ضدها، انتزعوا منها موقف الحرب لتفقد بالسلام كثيراً من العون.

إن الحريق في لبنان إن لم نتعلم من التجارب سيأتي بعده حريق وحريق، شرق السويس، لأن إسرائيل بسلاح الحرب وبالحرب الإيرانية - العراقية قد تمكنت من قوة كبرى، فعلى من زعم على نفسه الصمود والتصدي، أن يكون صموده ضد هواه، وأن يكون تصديه بكل الجرأة في معارك السلام.

يكفي لبعض الصامدين أن يتهم السبعين ألف شهيد بأنهم خراف

وأبقار. . لماذا تركوا ليذبحوا؟ تركوا لمواقف السلب ومواقف السكوت. .  
إن ياسر عرفات قد فتح في التاريخ باباً للسلام ستقتل به الحرب التي  
هي حياة لإسرائيل!

### - السودان :

إن الرئيس جعفر نميري حين أعان العراق في حربها ضد إيران كان  
يعرف أن إيران ليست وحدها، فمعها حلفاء يتحركون ضده انتقاماً منه لأنه  
أعان العراق ضد إيران. فالحصيلة من ذلك أن العرب يعيشون حروباً  
ثلاثة. . حرب مع إيران، حرب مع إسرائيل، وحرب أهلية فيما بينهم!

### - صورة :

وكنا في الخرج. . في أوائل الستينات الهجرية، وأزمعت أن أعود إلى  
الطائف في إجازة، فقال لي أحد المهندسين الأمريكان، وكان الوقت صيفاً:  
تريد السفر إلى الجنة الصغيرة؟

قلت: نعم

فقال: إنكم تستطيعون أن تجعلوا نفود الدهناء جنة كبيرة، فتحتها من  
الماء ما يصنع لكم جنة.

قلت: وكيف؟!

قال: بأدوات الحفر الجديدة.

فأياها لم نكن نسمع بكلمة تكنولوجيا. .

## ذكریات جیل

تكريماً لي فقد أقام الأستاذ عبد المقصود خوجه حفل تكريم حضره  
لفيف من رجال الأدب والفكر ووجوه المجتمع وقلت: -

ماذا تريدون مني إلا أنني أمامكم عجوز احتفلت بالقراءة، أتعرفون أول  
من علمني القراءة؟

علمني سوق الحراج وجريدة ألف، باء.. كنت لا أقرأ الصحف ولا  
تأتينا الصحف قبل العهد السعودي، كنا نفتش في الحراج فنجد كتباً يبيعها  
الناس الذين احتاجوا إلى الرغبة وحبة التمر أيام حصار فخري باشا أو أيام  
أي حصار.. بيع الكتاب بقرش وقرشين وربع ريال، أنقب في سوق  
الحراج، أشتري كتاباً أو كتابين، تعلمت القراءة من الحراج.. ثم تعلمنا في  
مكتبة كنت أبيت فيها سنتين فيها أمهات الكتب.. كنت أقرأ لكن كيف  
تعلقت بالصحف والمجلات، السبب جريدة ألف باء، أريد أن تضحكوا من  
هذين البيتين هما بيتان من شاعر عراقي ليس هو الزهاوي وليس هو  
الرصافي يقول:

أنت عندي بمنزل لم ينله غير سلمى وإينها إسحق  
أنا مخربق وغيري عجول ولقد طال في الهوى آخر نباقي

فانخرقت مع نفسي، أفسر أين أخبر وأين افتش.. يعني سعى

وتحفظ.. أنت عندي بمنزل لم ينله غير سلمى وابنها اسحق.. أنا مخربق وغيري عجول ولقد طال في الهوى آخر نباقي.. أنا مسرع في حبك وغيري عجول فكلمة آخر نباق جعلتني أفتش، أقرأ الجريدة كما هي حادثة بسيطة جعلتني أن أقرأ.. ما دام الأستاذ عزيز (ضياء) جاء فأنا أؤكد لكم أنه قرأ قبل أن أقرأ.. أنا قرأت بعض كتب التراث لكنه قرأ كتب التراث لكنه قرأ كتب الميراث.. فأنا مخربق وغيري عجول هذه الكلمة التي جعلتني أراجع اللغة إلى أن توصلت أن أقرأ أن أكتب، أن أخطب، في المدرسة كنا زملاء مع الأستاذ عزيز. تظنون أنني أكبر منه كثيراً وهو يدعي ذلك - يدعي بأنني كنت عجوزاً وكان هو ولداً صغيراً ولا زلت أذكر حادثة لا زلت أفخر بها في المدرسة.

جمع أستاذنا السيد محمد صقر الصفين، الصف الأكبر الذي كان من تلامذته عثمان حافظ، وأحمد العربي، وعبد الحق نقشبندي وعبد الحميد عنبر.. نحن سنة أول راقى.. كان يسألهم، «تفاوت» هل هو اسم أو فعل، فالكبار قالوا كلهم أنه فعل غرتهم التاء.. كل الصف الأول والثاني قالوا إنها فعل، أنا رفعت يدي وقلت لا هو اسم.. هل ترى في خلق الرحمن من تفاوت.. حرف الجر والتنوين.. كتب في الدفتر امتياز.. ثاني يوم أيضاً جمع الصفين السيد أحمد صقر مدير المدرسة فإذا هو يقرأ في وفاء الوفاء عن تاريخ المدينة وإذا فيه خبر أن الشمس كسفت يوم السادس عشر من الشهر. التلاميذ كلهم سكتوا وأمنوا على هذا الكلام.. أنا رفعت يدي وقلت له هذا خطأ.. قال كيف يخطئ.. قلت المطبعة تخطئ.. الشمس لا تكسف إلا والقمر في المحاق في نهاية الشهر، قال لي صحيح وأعطاني امتيازاً، يسأل الأستاذ مرة أخرى «النهر ماء عذب يجري منحدرًا» فسأل واحد من الزملاء إيش الماء، فقلت: الماء العذب هو الحلو..



وأعطاني امتياز، وفي نهاية الأسبوع اجتمع الصفان معنا فإذا الأستاذ يسأل لفظة كرسي أعجمي أم عربي.. هل ممنوعة من الصرف أم غير ممنوعة. كلهم نظروا فخري باشا راجل تركي لابس طربوش وجالس على كرسي. المدينة لم تكن تستعمل الكراسي.. فظنوا أنه ما دام جالس عليه واحد باشا فإنه أعجمي.. فرفعت يدي وقلت لا «وسع كرسيه السموات والأرض» وكنت الوحيد الذي أخذ ٤ امتيازات في أسبوع واحد.

### - تأثره بالرافعي

وتحدث عن تأثره بالأديب الكبير «الرافعي» فقال:

إن كان التأثر تقليداً فأنا أرفضه وإن كان التأثر إمعاناً في فهم ما يكتبه الرافعي أو غيره، وأنا قارئ بالأذن أكثر من قارئ بالعين، وأنا أعبأ بالجرس والرنين، والرافعي صاحب جرس ورنين، فإذا أردت أن تقرأ الرافعي فاقرأه بالأذن أو كما قال ابن الريحاني: إذا أردت أن تقرأ فلا تقرأ واقفاً فإن قراءة المار السريع لا تجدي، فالرافعي كنا لا نفهمه في المساكين ولا نفهمه في أشياء أخرى، ولكنه عندما رقّ وكتبه في الرسالة وغرقنا في الغزل وقرأنا أوراق الورد والسحاب الأحمر يظهر أن الحب الذي كنا فيه أغرانا بأن نفهم الرافعي أكثر وأكثر، ولا ننكر كلمة الحب فقد سأل أستاذ ابناً من أبنائي وهو أصغرهم. في مدرسة الشجر قال له هل تعرف الحب؟ وكان طفلاً.. قال نعم أعرف الحب، قال أليس عيب عليك أن تعرفه؟ قال لا ليس عيباً أن أحب الله وأبي وأمي وبلدي وأهلي.. وأنا من تربة غزله.. قال النبي ﷺ، «زفوا بنات الأنصار فإن الأنصار أهل غزل» أتحدى أي رجل من تلك الأرض سواء كان عزيز ضياء أو ياسين طه أن يقول إنني ما أحببت ولا أنسى غالب أبو الفرج لأنني لا أعرف أخباره، فالحب يجعلنا

تقرأ الشعر غزلاً لا هجاء، وأحياناً يلتمس الإنسان بعض التنفيخ فيقرأ الفخر.. ثم استغرقنا في القراءة فإذا نحن نقرأ الكثير والكثير.

هناك ظاهرة أحب أن أقولها، الأديب متطور دائماً لا متغير.. حتى ما تشعر به أنه تغير هو بدافع التطور والاستزادة.

وأذكر الدكتور طه حسين، عندما كان أزهارياً حمل على الأزهر، سخره عبد العزيز جاويز.

وكان يتلقى من صادق عنبر وهو إمام في اللغة بعض الملاحظات على المنفلوطي وكتب.. كان هذا طوراً من طه حسين وعندما ذهب إلى فرنسا أخذ طوراً جديداً بالتراث الغربي.. ثم عندما عاد إلى وطنه وقرأ تراث وطنه وبلده صار طوراً جديداً طه حسين الشخص الذي كمل.. وكذلك العقاد عندما كان يحمل على شوقي كان يريد أن يظهر هذا طوراً.. وطوره مع الوفد وقد كان لسان حزب الوفد جعله يبعد عن كثير من أساطين مصر وعلمائها كعبد العزيز باشا فهمي وعبد الحميد بدوي لكن عندما تطور وكملت قراءته له إنه يقول: من سوء حظّه أنه لم يلتق من قبل بعبد العزيز باشا فهمي لأنه عالم.. وعندما قدم عبد الحميد بدوي باشا إلى المجمع «اللغوي» قال كلمة فخر بها وأعطى لعبد الحميد بدوي باشا حقه.. طه حسين قدم عبد الحميد بدوي باشا أنه قد نالته بركة المدينة لأنه أول من فك الحرف في المدينة وهذا صحيح عندما جاءت سكة الحديد، جاء محمد بدوي رجل قصير سكن المدينة ودخل عبد الحميد الطفل في الساحة في دار جونه كان يملكه بيت مظلوم باشا، وكان الناظر عليه السيد أحمد صقر وأوَّجَر فشكّلت فيه مدرسة دار المعلمين لأن الأتراك الاتحاديين عندما أغرموا بالترتيك فتحوا في المدينة ١٨ مدرسة ابتدائية، وكمّلوا ما صنعه السلطان عبد الحميد في المدرسة الإعدادية وفتحوا دار معلمين، من أغرب

ما فيه أن السيد أحمد صقر أستاذنا ومدير المدرسة كان تلميذاً في هذه المدرسة، وعبد الحميد بدوي باشا تلميذاً، والسيد أحمد يزامله ابنه محمد تلميذاً في هذه المدرسة، ومن هنا نالته بركة المدينة، أما العقاد فماذا قال: لقد قيل لي إن كتاباً في الفلك قد وصل إلى مصر فذهبت إلى مكتبة الأنجلو لأقرأه فقبل لي سبقك إليه عبد الحميد بدوي فأعجب لقارئ يسبق العقاد إلى كتاب أثنى على الأستاذ وأثنى على نفسه.. هذا الطور.. هذه الذكريات أعني بها أن الأديب يتطور ولا يتغير. إن التغيير نكوص الأديب من التطور والتزويد إما يتسافه على الناس وإما أن يسرق ما للناس.. دكتور عبد الله متاع فاهم.. المعنى في بطن الشاعر.. نهاية سيئة.. أية ذكريات.. لقاؤنا مع أحمد أمين وهيكل.. أولاً لأول سنة أظنه في ٥٥ هجرية زار وفد الجامعة المصرية ووفد الأزهر مكة المكرمة ثم زاروا المدينة المنورة ولم أكن أستاذاً في المدرسة الأميرية وإنما كنت أستاذاً لدار الأيتام وكنت بارزاً فوجدت سيارات قرب الغرب واقفة كفضول ووجدت صديقي محمد سالم الحجيلي وهو من النابغين وكان وكيل المعارف ووجدت أن الموضوع فيه (كلفته).. والناس لم يزالوا بغبار الحج.. فدخلت وقلت السلام عليكم.. أيكم أحمد أمين. لأنني كنت قد قرأت ضحى الإسلام وفجر الإسلام قلت أيكم أحمد أمين؟ كان هو صدر المجلس أمام القبة الخضراء في صالة المدرسة قال أنا أحمد أمين.. سلمت عليه وجلست فإذا الخطباء «كلفته» خطب أستاذنا. ضياء الدين رجب.. كلام، أحد يحييك الوادي يحييك.. قباء يحييك.. العقيق قال.. كذلك سالم داغستاني خطب من هذا المنحنى ولكن زحمني الموقف.. الجامعة والأزهر لا تشكر بهذا الشكل فقلت: إنها حفلة مرتجلة. فلا أقل من أن أقول كلمة مرتجلة.. وإن كان الارتجال يضيق بفحول الرجال ولست من الفحول

ولكنني الساعة سأكون الفحل بينكم لأنني قد تعلمت منكم وقرأت لكم الخ.. فبكم أستزيد وبكم أستمد الفحولة.. وقالوا إن الجامعة أم لندن وباريس والأزهر يوم مكة وإذا مصر الكنانة أبت إلا أن تكون الجامعة والأزهر في إطار واحد يحجون إلى مكة ويزورون المدينة وتلك كنانة الله.. وقالوا إن جمال الدين الأفغاني نهضة الشرق فأين كانت نهضته.. كانت أول نهضته وأبرزها وأكملها كانت في القاهرة في كنانة الله في أرضه.. فقام أحمد أمين، رحمه الله عليه وأمامه القبة الخضراء، وقال ارتجالاً يضيق بفحول الرجال نعم كما قال الأستاذ.. وسماني أستاذاً وأخذت لقب أستاذ في تلك اللحظة.. قال الأستاذ كلمة ما أحبها إليّ وما أحبها أن تكون بين المسلمين جميعاً وبين العرب جميعاً قال: لا أقول كلمة وأنا أنظر إلى القبة الخضراء تقول إنكم تعلمتم منا؟ من علمنا القرآن من هدانا إلى الإسلام إلا أنتم إلا بلدكم هذا.. وثقوا إنني لا أريد لبلد أن يكون أحسن من بلدي وأعز من بلدي إلا بلدكم هذا.. فقام المجذوب عبد الوهاب عزام وبهذا أخرجني وأخرجني من المدينة بهذه الكلمة، عبد الوهاب عزام، رحمه الله، قال: لقد كنت من أوائل المتفائلين بالعالم الإسلامي ولكنني الآن في هذه اللحظة من أوائل المتشائمين لماذا؟ لأن الإسلام لا يعمر ومكة والمدينة خربتان.. لم يكن هناك خط أسفلت وجاءوا بالبر.. كانت هذه الحفلة واتصلت بهم بعد ذلك وذهبت معهم للزيارة وزرنا شهداء أحد وزرنا سيد الشهداء سيدنا حمزة.

## نزاريون ويمانيون

وإذا انتسب عربي إلى جد أعلى قال عدناني أو قحطاني، فالعرب قسمان عدناني وقحطاني، وتفرعت من الجد الأعلى قبائل وبطون، ولكن وفي خراسان بالذات وفي الزعزعة الإمبراطورية أمية في دمشق اشتعلت نار الفتنة القبلية بين العرب الذين كانوا جنود الفتاح في أرض فارس التي كانت تسمى في ذلك العهد «خراسان» إيران والأفغان وحتى التركستان شملها هذا التخصيص أو هو التعميم، فالعرب قائداً ومجاهداً من هؤلاء الفاتحين الذين اشتغلوا في الشرق جد عليهم انتساب آخر لم تعرفه العرب من قبل، ولا يكاد يشمل كل العرب، فإذا هم بعد عهد سليمان بن عبد الملك وقتل قتيبة بن مسلم ونكبة المهلب بن أبي صفرة وموت الحجاج وانحسار الفتاح قد شغلوا بأنفسهم.. فالفتاح كان ملغياً للقبلية، عرب مسلمون، أو مسلمون عرب قد انضم إليهم مسلمون أعاجم، فانحسار الفتاح السائر قد افتضح به تعصب القبيلة في خراسان، فلم ينتسبوا عدنانيين وقحطانيين، وإنما كانوا نزاريين ويمانيين، فاشتعلت نار الفتنة لا يتعصبون بإسلامهم ولا تعصمهم الإمبراطورية في دمشق.

ذلك أن سليمان بن عبد الملك كان في رحلة جديدة في عصر الإمبراطورية الأموية، كأنما قد ركبته عقدة الذنب من ماضي أمية قبله ومن

مركزية عارمة في دمشق لم تأخذ منها اللامركزية التي منحت للحجاج ومن إليه، فالحجاج قائد أبيض له التصرف وألزم بأن يكون كل تصرف منه أو كل قائد عنه يجب أن يكون العلم به لدى الإمبراطور في دمشق، سواء كان عبد الملك أو الوليد «ومات الحجاج قبل سليمان، وقتل قتيبة، ونكب سليمان المهلب بن أبي صفرة، فانفرط حبل القومية العربية في الشرق، فإذا المسلمون العرب الفاتحون أضحوا نزاريين ويمانيين، فاشتعلت الشعوية التي ما كانت إلا رد فعل لطغيان القومية العربية التي بلغت القمة في عهد المروانيين قبل سليمان».

فإذا الشعوية تصبح قبلاً ثالثاً في خراسان تتناوم وهي في صحو، وتنحاز إلى نزاری حيناً وإلى يمانى حيناً، كل ذلك جر سليمان حين أفرغ خراسان من عواصم العاصمة. فالكوفة بالحجاج كانت عاصمة العاصمة، والمهلب بن أبي صفرة كان في خراسان عاصم العاصمة، فقد فتك الأزارقة من الخوارج، وقتيبة في مرو وهو القائد النجيد فاتح الشرق كان عاصم العاصمة، ومحمد بن قاسم الثقفي في السند كان عاصم العاصمة، فلما أن فتك سليمان بهم - أعني بالمهلب ومن إليه ومحمد بن القاسم ومن إليه - قد حرم الإمبراطورية من عواصمها، فرجع العرب إلى القبيلة.

وقد كانت القبيلة في خراسان عوناً للشعوية وهدنة من الخوارج، ولكن لماذا انتسبوا إلى نزاريين ويمانيين؟

هنا مربوط الفرس أو بيت القصيد.

فما أحسبهم إلا أرادوا أن يخرجوا قبائل قحطانية لم يكن منها أحد في خراسان قائداً أو فاتحاً أو مجاهداً «فبالنسبة إلى اليمن قحطانية ولا شك، ولكنها أخرجت قحطانية الشام لئلا يكون حظ في هذه الجولة أو في ما

سبقها من جولات لغساني أو بهراني أو كلبى، وهم القحطانيون في الشام، كأنما النسبة إلى اليمن قد فصلت قبائل الشام عنها وانفصلت هي عنهم، لأنهم لو قالوا قحطانية لشملت الجميع» وهذا الإعلان أو الانتساب فيه الشذوذ كل الشذوذ عن عرش الإمبراطورية في دمشق، وعن القبائل كلها في الشام.. لأن قبائل الشام كانت حرص الإمبراطور وحماته، فشغلوا بذلك عن أن يكون منهم القادة أو المجاهدون الفاتحون، كأنهم سجلوا على التاريخ ما انتقصوا به القحطانيين في الشام.

أما الانتساب إلى النزارية فهو انتساب إلى العدنانية لا يفصل منها أحد، فنزار هو الأب لمضر الحمراء وربيعة الفرس.

أما البقية من أبناء «معد» فلم يتعدوا بل أحسبهم قد دخلوا إلى النزارية، وقد كانوا قلة إذا وضعنا الصحيح في أن «قضاة» قحطانية ليست معدية، أما إن كانت قضاة بن الحاف بن حمير، تعد من «معد» فإن هذا الخطأ في النسب يكثر القحطانية التي أبعدها لأن «قضاة» تشمل «جهينة» و «بلى» و «أسلم» «بهاء» و «كلب».

إن هذا الانتساب الذي حصر وأبعد دلنا على هزيمة التاريخ في العرب أيام سليمان، وعلى اعتزاز التاريخ بهؤلاء العرب الذين فتحوا الشرق فأذلهم سليمان كما أذل فاتحي المغرب موسى بن نصير وطارق بن زياد، فإذا الإمبراطورية قد فقدت قادتها وأضحت بلا عواصم لها. فالكوفة كما قلنا كانت أيام عبد الملك وحتى في أيام معاوية، سواء بقيادة الحجاج وقيادة زياد بن أبيه، عاصمة العاصمة، كالفسطاط فقد كانت في الغرب هي عاصمة العاصمة تسير منها جنود الفتح حتى وطأة عقبة بن نافع على بحر الظلمات، وحتى قفزة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الأندلس.

إن سليمان بن عبد الملك لم يعجبه الماضي فأراد أن يصنع حاضراً بالانتقام من القادة الذين كان يشعر بأنهم من الظالمين، بينما هم وبما ظلموا كانوا الفاتحين وأراد سليمان بن عبد الملك أن ينتقم من المستقبل فاهتدى إلى أن يولي «عمر بن عبد العزيز»، رحمه الله، بعده. فإذا العرش في أمية يكاد يهتز، وإن كانت الطمأنينة في المشرق والمغرب قد سعدت بها الشعوب، وتعس بها القادة، وشق على المروانيين عدل عمر بن عبد العزيز، وكان انتقام سليمان من الماضي وتحديد صورة المستقبل بعمر بن عبد العزيز هو البداية لاهتزاز عرش أمية في الشام بالذين جاءوا بعد عمر بن عبد العزيز، وقد حاول هشام أن يكون كأبيه، فإذا الإمبراطورية تستقيم أمورها بعض الوقت حتى إذا انتهى هشام بالموت بدأ دبيب الموت في عرش أمية.

فالعلويون والعباسيون قد احتضنتهم خراسان وامتد نفوذهم فيها حيث اعتنقت الشعوبية التشيع، فإذا عرش أمية ينهار وإذا العباسيون أباطرة المستقبل.

فلولا أن افترقت كلمة العرب في خراسان، نزارية ويمانية، لما اشتعلت الشعوبية ولما انتصر التشيع ولما نال بنو العباس أن يكونوا الأباطرة يقتلون الأمويين بالجملة، ويقتلون كل علوي ثار عليهم، فإذا الأعاجم هم السادة وإذا العرب ينحسرون، منهم من عاد إلى جزيته ومنه من بقي ليستعجم في خراسان بلا حول ولا طول.

يتضح من هذا أن قائد الفتح في عهد الخلفاء الراشدين وفي كل عهد بني أمية لم يكن إلا من أبناء هذه الجزيرة، وإن المجاهد تحت قيادتهم لم يكن إلا من أبناء جزيرة العرب ومن قبائلها، فالحجاج ومحمد بن القاسم



والمهلب بن أبي صفرة الأزدي وقتيبة بن مسلم كلهم من قبائل جزيرة العرب، نزاری ویمانی، وكذلك الفاتحون في المغرب والمجاهدون كلهم من ولد جزيرة العرب، فعبد الله بن أبي السرح، وقبله عمرو بن العاص، وعقبة بن نافع الفهري، وموسى بن نصير ومولاء طارق كلهم من هذه الجزيرة حجازيون ونجديون ویمانیون أي نزاریون ویمانیون.

ويعني ذلك أنه لم يكن من قادة الفتح أحد نال الفتح العظيم إلا من هو من أهل هذه الجزيرة، حتى يزيد بن معاوية في حصار القسطنطينية وحتى مسلمة بن عبد الملك في حصار القسطنطينية أيضاً لم يكن كل منهما إلا من أبناء البطحاء وإن كان دمشق المولد، فهو مكي العرق.

وما أريد من ذلك إلا التذكير ليعرف أبناء وحدة الكيان الكبير أنهم مدعوون لأن يكونوا في التحرك الجديد على نهج ما بهم تقل الرايات السود كما هو في الحديث يحملها أبناء هذا الكيان في عهد قريب كما حملها الآباء والأجداد.. فكل ما أرجوه أن لا نكون قبلين، وما أحمد الله عليه هو أن قبائلنا في هذا الكيان الكبير لم تعد ذات تأثير على وحدة الكيان الكبير فالأنساب العالية أصبحت تعز بالوحدة والانتساب لغير النسب هو ما أخشاه وأحذر منه وما يوم حليلة بسر!

## الولايات المتحدة وإسرائيل

بدأت أصدق الأخبار التي تقول إن الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل قد وصل إلى حد بعيد، تذيعة الولايات المتحدة ومناحيم بيغن يهز أكتافه يعترف بالخلاف، ولكنه يقول إن إسرائيل لا تقلق من هذا الخلاف فسيحل بالمفاوضات.

فالعبرة المهدبة من بيجن في إعلان هذا الخلاف لا تعني إلا كلمة «لا أعبأ بهذا الخلاف». ولا أدري كيف تصبر الولايات المتحدة هذا الصبر كله على إسرائيل.

حتى ليشك بعض الناس أن إعلان الخلاف ما هو إلا جرعة مخدرة للعرب. غير أنني وقد أصبحت الولايات المتحدة في مواقف كثيرة لا ترضيها من حلفائها ومن الاتحاد السوفياتي ومن الصين وحتى اليابان لا بد وإنها تسد هذه الثغرة التي فتحت شقة الخلاف بين الولايات المتحدة وأصدقائها من العرب الذين صبروا كثيراً.

إن الولايات المتحدة تملك أن تخضع مناحيم بيجن بإعلانها منع العون له وتحذيره من استعمال سلاحها في العدوان لتعطي مندوبها فيليب حبيب قوة الولايات المتحدة التي يعث بها مناحيم بيجن.

إنه لم يغز لبنان إلا بالضوء الأخضر الأمريكي، أفليست الولايات المتحدة تملك الضوء الأحمر، إذا أرادت الولايات المتحدة أن يصدق العرب هذا الخلاف وأن يقتنعوا بالمبادرة أن تحيل الكلام إلى عمل؟

### صورة:

والعجز يرتد إلى الصور، فقد سأل عبد الملك بن مروان الإمام ابن شهاب الزهري عن الذين يسودون الناس في الأمصار، فذكر له الأئمة من الموالى . . عطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومسروق، ومكحول، والضحاك، والحسن البصري، فكلما ذكر اسم واحد من هؤلاء قال عبد الملك . . أهو من الموالى أم من العرب؟ فيقول له ابن شهاب من الموالى: فيضيق عبد الملك القومي العربي ولما ذكر له اسم إبراهيم النخعي في الكوفة قال له:

لقد شرحت صدري أو فرجت عيني، ليسودن الموالي على العرب،  
وليخطبن باسمهم على المنابر، ليكون الموالي فوق والعرب تحت.  
وقد كان حين فعل ابنه سليمان ما فعل. فقام تلك الموالي بالعباسيين.

## الشيوعية تحاول تأويل آيات من الذكر الحكيم لصالحه

عقدت الأحزاب الشيوعية الأوروبية قبل بضع سنين مؤتمراً في برلين (أظنها كانت الغربية) كان من أهم المؤتمرات الموسعة التاريخية للأحزاب الشيوعية حضرها معظم قادتهم. . وتوصل المؤتمر إلى قرارات عديدة، نشرت في حينها، وكان من بنودها أن المتدينين بما يتحلون به من عواطف إنسانية وحب للخير قريبون بطبيعتهم إلى الشيوعية ويجب إقامة صلات وثيقة معهم ومع زعمائهم الروحيين أينما كانوا وحيث وجد إلى ذلك سبيل. . وقد قرأت ترجمة نفس القرارات بصورة كاملة في مجلة عربية مصرية.

وحدث بعد ذلك بفترة لم تكن طويلة، أن التأم شمل مؤتمر سري لحزب توده الشيوعي الإيراني في إحدى بلدان أوروبا الشرقية ونتج عن هذا الاجتماع تطور جذري في أسلوب نشاط هذا الحزب إذ تقرر أن يتعاون مع الفئات الدينية المناوئة لنظام الشاه في إيران وتبنى بعض شعاراتها. . وكان (ايرج اسكندري) الأمين العام السابق لهذا الحزب معارضاً لهذا الحزب معارضاً لهذه الفكرة فتم استبداله بمن يدعى (كيانوري) الذي نفذ الخطة بمهارة فائقة ولا يزال يحتفظ بعلاقات طيبة مع الجهات الرسمية في إيران.

وضرب اليسار يدق على نفس الوتر في أقطار أخرى فلبس كثير من

اليساريين لبوس الدين أو بعبارة أوضح تظاهروا بشعارات لها صبغة دينية.. . وهم باستخدامهم هذا الغطاء يخفون سرائرهم عن الناس لا سيما البسطاء منهم ويتقون اتهامهم بالعمل لمصلحة الأجنبي ويسهل عليهم التستر على خططهم وأهدافهم والتسلل إلى اجتماعات لم يكن من اليسير عليهم طرقها.. . حتى المساجد تصبح أبوابها غير موصدة في وجوههم.. . وفي أفغانستان جرت نفس المحاولة لكن الحيلة لم تنطل على الشعب الأفغاني لأن التزوير كان مكشوفاً مفضوحاً.

ولا نبالغ إذا قلنا أن المكتبات العربية وغير العربية في الأقطار الإسلامية تحوي اليوم عشرات من الكتب انتهج مؤلفوها نفس النهج الذي أشار إليه الأستاذ زيدان في تحوير مدلول ما طالت أيديهم من التراث لصالح مقاصدهم التي لا تخفى على ذوي الفطنة.

ولا نذيع سراً إن نحن قلنا بأن تلك المحالات لم تذهب أدراج الرياح تماماً وأن عدداً لا بأس به من الشبان والشابات في العالم الإسلامي المترامي الأطراف قد تأثر بتلك الشبهات التي ألقيت عليهم.. . واتفق لي شخصياً أن قابلت بعضاً منهم فوجدتهم متحمسين لما ظنوا أنها ضالتهم المنشودة وليس من السهولة بمكان إعادة أمثال هؤلاء إلى الطريق السوي.. . ولا بد من بذل جهد متواصل مستعنيين بالعلم والمنطق والرفق والصبر.

وصادف أن زرت قبل ثلاثة أشهر صديقاً يقطن ميناء (ساوثامبتون) على الساحل الجنوبي من بريطانيا ولفت نظري في مكتبته كتاب عقائدي لمنظمة يسارية معروفة.. . وتصفحته فوجدته يستند إلى آيات قرآنية مما أثار فضولي وجعلني ألقى نظرة فاحصة على الفصول والمطالب التي يشتمل عليها الكتاب فرأيت عجباً.

إن الكتاب شرح الفلسفة المادية الجدلية والتاريخية وآراء ماركس وإنجلز ولينين بطريقة مبسطة يسهل فهمها حتى على طلبة الثانوية ثم يستشهد بآيات عديدة من القرآن باذلاً جهده في تأويلها لدعم تلك الأفكار المادية والشيوعية.

والقارئ الشاب الذي ليس له إلمام باللغة العربية ولا يحمل فكرة واضحة عن مبادئ الإسلام ومراعي القرآن ولا صلة له بأهل الفقه والحديث غير قادر على دحض هذه التلفيقات المنسقة ومقاومة إغرائها.

وهل هناك مطمح أشد حداثة من أمنية الجمع بين الإسلام والشيوعية لفتى يافع ساذج متحمس، يعيش في عالم الأحلام محلّقاً بعيداً عن دنيا الواقع؟ إنه مشدود من جهة إلى بيئته الدينية المحافظة بحكم نشأته العائلية والجو الذي يسود موطنه ومسقط رأسه، وهو متطلع من جهة أخرى إلى مستقبل عبق زاهر، عبقرى المخبر والمظهر يتناسب مع الأمانى الحلوة والرؤى الجميلة التي تستحوذ على عقول أمثاله من الجيل الصاعد وقلوبهم.. وتلفيق الشيوعية مع الإسلام وإن كان وهماً باطلاً لكنه يحل في شطحات الخيال.. كثيراً من المسائل الذهنية المستعصية على الأدمغة الطرية لمثل هؤلاء الشباب.

إن قضية تأويل أي الذكر الحكيم لصالح غايات سياسية واجتماعية وفلسفية تتناقض مع قواعد الإسلام، وهي قضية لها تاريخ طويل يعود أوله إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين.. واصطلاح الباطنية وأهل دليل على أن دعاة مبادئ فكرية متطرفة كانوا يدعون أنهم متمسكون بباطن معاني التنزيل وإن شأنهم أعلى ممن كانوا يلقبونهم بالقشريين.. أي الذين يكتفون بتفسير ظاهر القرآن. قانعين بالقشور دون اللب.. والفرق الباطنية والقرامطة كانت

من هذه الفرق التي تجاوزت العشرات.. لكن الأمر في أيامنا.. عهد المطابع وأجهزة الإعلام المتطورة الواسعة الانتشار والنفوذ لهو أعظم خطورة وأدعى إلى التأمل والقلق البالغ.

وحين انعقد مؤتمر القمة الإسلامي الأخير في الطائف أخذت أسأل نفسي، هل يا ترى أصبحت الحاجة تدعو إلى أن يفكر قادة المسلمين في الاتفاق على تعريف جامع لكلمة الإسلام لا يأتيه الشك والوسوسة من بين يديه ولا من خلفه؟

ويعهدون إلى الأمانة العامة الإسلامية أو إلى هيئة علمية مسؤولة تأليف كتب باللغات المختلفة وبأسلوب ممتع قريب إلى أذهان عامة الناس لا سيما الناشئين منهم.. ثم تبذل قصارى الجهود لنشر تلك الكتب وتوزيعها في شتى الأوساط والبلدان ولا ريب في أن مواسم الحج والعمرة من أفضل المناسبات لهذا الغرض.

ولعلّه من الغرابة بمكان وربما بدا سخيفاً لدى البعض أن يدعو أحداً إلى القيام بتعريف الإسلام رسمياً من جديد.. ولكن ما حيلتنا ومئات الملايين من المسلمين غير العرب ليس لديهم إدراك صحيح لمفهوم الإسلام ولا يعلمون من كتاب الله المبين إلا القليل الذي يلقنهم إياه نفر معدود من أصحاب القلم وقادة الفكر فيهم وليس كلهم مؤهلين لحمل مثل هذه الأمانة وصادقين في مقاصدهم ونواياهم؟

وقد يصدق ما ذكرنا على جمهور كبير من العرب أنفسهم الذين نزل الفرقان بلغتهم ممن لم تسمح لهم ظروف حياتهم وأجواء بلادهم الثقافية باكتساب بصيرة كافية بحقائق الدين الإسلامي وتعاليمه.

ومن المؤكد أن المكتبة الإسلامية العظيمة تحوي نخبة من كتب قيّمة

تتضمن على خير وجه ما نحن في أمس الحاجة إليه ومن الميسور اختيار بعض منها وإخراجه في حلة قشبية تتجاوب مع متطلبات الفترة الراهنة ونقل محتواه إلى السنة أخرى.

وعسى أن يحظى هذا المشروع بما يستحقه من اهتمام لدى الدوائر الإسلامية المعنية ويقدر له أن يرى النور ليجعل حداً لمعظم الأضاليل التي يروج لها باسم الإسلام والإسلام منها براء ويقطع السبيل على من يستغلون اسم الدين الحنيف لبلوغ غايات في نفوسهم أبعد ما تكون عن الدين وأهدافه، فمئات الملايين من أمة محمد ﷺ هم اليوم عرضة للوقوع في حبال الطامعين المتصيديين الذين برعوا في تضليل الأبرياء واستخدامهم لمآرب مشبوهة يذكرها الدين وعلينا أن لا ندع أخواتنا وأبناءنا يقعون فريسة في براثن الأعداء وأنبيائهم وأن لا نألو جهداً في تجنيبهم مواطن الزلل والغواية.

ولقد عرضت هذا المقال على صديق قبل إرساله إلى جريدة عكاظ فأضاف إلى ما ذكر بأن كتباً أو كراسات محدودة الصفحات تعطي فكرة واضحة عن الإسلام وقواعده وتعاليمه لها فوائد جمّة كثيرة، وعلى سبيل المثال يمكن توزيعها على الفنادق في المملكة وغيرها من البلاد العربية والإسلامية فيفيد منها على السواء المسلمون ليزدادوا تفقهاً في دينهم وغير المسلمين ليهتدوا إلى حقائق الإسلام. هذا الصديق الكاتب وهو من الأشخاص الذين يقصون أغلب أيامهم في حل وترحال قائلاً إن بعض الفنادق في البلاد الإسلامية دأبت على وضع نسخة مترجمة من المصحف الكريم في كل غرفة من غرفها ولكن هذا لا يكفي لأن فهم آيات الذكر الحكيم إلا لمن يتمتعون بثقافة تعينهم على ذلك ثم إن نزلاء الفنادق بسبب



ضيق أوقاتهم وأنهم يكونون على عجل من أمرهم عادة لفي حاجة إلى كتيب يتميز بالإيجاز والشمول والتركيز ليخرجوا من قراءته في مدة قصيرة بتعريف عن الإسلام جامع مانع يقيهم الخلط والتحريف.

والفكرة مطروحة للبحث والمداولة لمن يتفضلون مشكورين بأن يعيروها اهتمامهم.

## كاشف الغطاء والخميني

وسماحة الإسلام تحارب البغضاء، وعالة الإسلام رفعت في صفحات التاريخ أسماء المصلحين والمعتدلين والذين إذا ما حكموا بين الناس حكموا بالعدل. من هذا المنطلق المسلم أود أن أ طرح مقارنة بين إمامي الشيعة السابق واللاحق، بين محمد حسين كاشف الغطاء وآية الله الخميني .

فكاشف الغطاء كان الإمام المجتهد لعلّ الخميني تتلمذ عليه، أو لعلّ الخميني لم يكن شاذاً عنه يمارس العقوق ويدعو إلى الانشقاق، إن محمد حسين كاشف الغطاء كان صاحب نفس طويل وصدر متسع، وتمنى لأئمة المسلمة أن تتحد، لا يفرقها مذهب، فسعى بكل جهده إلى فكرة التقريب بين المذاهب، ويعني ذلك أنه يحترم كل المذاهب.. سنة وشيعة.. فسعى إلى الأزهر ووجد الاستجابة عند العلامة المحدث صاحب التعاليق على «المحلى» لابن حزم الأستاذ أحمد محمد شاكر، فتراسلا وكل همهما التقريب بين المذاهب، حتى أثمر هذا الجهد ألا يجفو الأزهر الذي أسسه الفاطميون الباطنيون فأضحى بعده الجامعة السنية، علماؤها على مذاهب الأئمة من أهل السنة سواء كانوا المذاهب الأربعة أو من المذاهب الأخرى التي سبقت أو عاصرت الأئمة الأربعة، فلم يجف الأزهر أن يدرس مذهب

الشيعة مذهب زيد علي وجعفر بن محمد يرحمهما الله.

تلك الخطوة الأولى لم تكن ثمراتها بعد، فالمرونة في الأزهر لم تجد المرونة عند الآخرين.

وجاء الموقف الثاني لكاشف الغطاء النجفي العراقي الذي يتنسم عطر الصحراء في نجد، شذي الشيخ والقيصوم والخزامي كما هي قولة ابن أخت الكاشف الغطاء الجواهري الشاعر المبدع. كان هذا الموقف يوم استجابت العلية من علماء الإسلام وزعماء شعوبه إلى دعوة السيد أمين الحسيني ليحضروا مؤتمراً إسلامياً في القدس في أواسط الثلاثينات الهجرية، فإذا المؤتمر ينعقد في ليلة المعراج تزفهم فلسطين إلى المسجد الأقصى وهم من كل مذهب وكل فرقة، سني وسلفي وشيعي وأباضي، يسرون حتى إذا وصلوا إلى المسجد الأقصى أجمعوا أمرهم يتحدثون به الاستعمار وتفريق الكلمة، يضعون وحدة الأمة المسلمة أمام اليهود، فيختارون محمد حسين كاشف الغطاء إماماً لهم، يصلون وراءه، قد حذقوا ما هم فيه فأبعدوا الفرقة المذهبية، يصلي بهم إمام شيعي كان هو المجتهد في الشيعة.

وصلّى بهم كاشف الغطاء، ثم اعتلى المنبر بعد الصلاة فقال الكلمة التي عشقتها، أريد أن يسمّعها الخميني.. هي كلمة الإسلام نطق بها كاشف الغطاء، لعلّ الخميني إن سمعها ينكشف الغطاء عما ران على قلبه. كانت الكلمة هي:

«إن كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة هما ركننا الإسلام»!

استنار بالمحجة البيضاء أولها كلمة الوحيد برهانها في القرآن والسنة وانهقد المؤتمر، فعقه أناس وانشق عليه أناس من طلاب الزعامة وعشاق الخلافة، وجن الاستعمار، كانت فرنسا في الشام وبريطانيا كانت في

فلسطين وما إليها والعراق ومصر، وكما كانت فرنسا في الشمال الإفريقي تشاركها إيطاليا في ليبيا، فلم يجدوا صيداً إلا أن يلاحقوا عبد الرحمن عزام باشا.

وهل يعرف الخميني أن كاشف الغطاء قد صافحه السلفي محمد رشيد رضا والحنفي شوكت علي كما صافحه المالكي والحنبلي وكما صافحه الأباضيان سليمان باشا الباروني وإبراهيم طفيش، هكذا يصنع الإمام الذي يريد وحدة الأمة، وهكذا صنع الزعماء الذين أخلصوا لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

إن آية الله الخميني حين قام بما قام به استقبله كتاب كثيرون، فرحين به حين أعلن أنه أراد أن يرفع الطغيان عن كاهل الشعب الإيراني، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى وجدوه قد ارتفع بالطغيان يرفعه ليزيده قتلاً وسجناً وفرقة وحرباً يرسل بها قنابله على مقدسات الشيعة حول البصرة والكوفة، كأنه لا يعبأ بأي شيء مقدس لدى الشيعة.

إن الخميني جاء عاكساً لكاشف الغطاء، بدد كل مساعيه الطيبة، ومزق ملك فارس كل ممزق، بهذا أصبح يستحق هذا اللقب آية من آيات الله.

لقد كنت أتذكر لهذا اللقب، أحسب أنه لا يستأهله إلا الخيرون، فوجدتني، بعد، أعرف أن الغيث هو الخير من آيات الله، فهو آية مسلطة بالشر والوبال - وأي شر أكثر من أن يقرر أنه الإمام المعد حتى يخرج الإمام المنتظر، وبهذه الإمامة التي ادعاها قرر أن كل من اتبع القتل والتشريد والتنكيل..

إنه في حربه ضد العراق قد أعطى لنفسه أنه يحارب غير المسلمين..

ولكن ألا يعلم أن حصر الإسلام في فئة أو في شعب معناه انحسار الإسلام عن الآخرين؟! ويتأتى من ذلك أعني الحصر والانحسار - قد بلغ من الإثم أقصاه، فهو إذ ينحسر الإسلام عن كل المسلمين من غير أتباعه قد أبطل الرسالة العامة للناس كافة كأنه أصبح صكوك العفو والغفران، والإسلام يرفض الكهنوت.

والشيء بالشيء يذكر، فقد كنا في صالون المدرسة في المدينة المنورة نستقبل بعثة جامعة القاهرة والأزهر، وكان يرأس بعثة الجامعة صاحب الخلق الكريم المفكر والمؤرخ صاحب ضحى الإسلام وفجره الدكتور أحمد أمين، وقد اتسع الحوار نسمع له ويسمع منا وقد تعلمنا منه أدب الاستماع، فقال: - إن الإسلام فيه نقص، لم يضع دستوراً لنظام الحكم.

فقلت له:

إن هذا من كمال الإسلام، فهل يضع الإسلام نظاماً للحكم عربياً في جزيرة العرب وهو رسالة للناس كافة، يحصرها في نظام واحد.. إن العدالة والكمال هو في ترك أي دستور لنظام الحكم، فهل يصلح النظام الذي تريد ليكون فيه القسر على المسلمين في أوروبا، أو الجبر على المسلمين في أقصى آسيا وفي أدغال إفريقيا؟

لقد أراد الله سبحانه وتعالى وقد تفضل بالمحجة البيضاء، الكتاب والسنة، أن يعطي المسلم في أي مكان حرية نظام الحكم فيه، فما حصر وما حد، وذلك طبيعة الرسالة السرمدية للناس كافة.

فقال الأستاذ أحمد أمين:

- حجة لا أدفعها.

فلم يكن كلامنا عن الخميني إلا نابعاً من عقيدة راسخة برهانها في الإسلام.

والشيء بالشيء يذكر أيضاً، فحين انعقد المؤتمر الإسلامي في القدس كانت تصلني الصحافة التي تنشر أخبار المؤتمر، وتوسعت الإذاعات في أخباره، وكان الملك فؤاد قد شن الغارة عليه، فالمصريون الذين مثلوا مصر في المؤتمر لم يحجزهم موقف الملك فؤاد، ولا خافوا عقاباً من إسماعيل صدقي رئيس الوزراء وبينما كنت جالساً في دكان خياط في المدينة المنورة أقبل على من كان اسمه أسد الله، نمساوي أظهر الإسلام، فقال لي:

- انظر كيف رضي رشيد رضا وكامل القصاب بإمامة هذا الشيعي كاشف الغطاء؟!!

قلت:

- كما رضي بها الأباضي. لقد كان هم هؤلاء الدفاع عن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله.. محمد رسول الله» التي حاربها قومك، فزرعوا في قلب الجزيرة العربية اليهود واستغولوا مستعمرين. لقد أبعدوا أنفسهم عن الخلاف حباً لفلان أو بغضاً لآخر لأنهم في تلك اللحظة كان حبهم لدينهم ووحدة أمتهم.

فانكسر النمساوي يذهب بعيداً عني.. ولقد كنت أراه بعدها لا يقرئني السلام ولا أحتفي به.

**استدار الزمان**

والبرد في جدة الذي استمر قد أجرى على ألسنة الناس كلمة «دار

الزمان».. وهم حين قالوا ذاك ذكروني بحديث رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع، فالحديث كما قال ﷺ هو:

«لقد استدار الزمان في يومكم هذا كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»..

كان ذلك في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة، الذي غالباً ما يوافق شهر فبراير من سنة ٦٣٢م.

ذكرت ذلك. فهل أطمع من أساتذتنا في الجامعات أن يكتبوا لنا بحثاً، إن أحبوا أن ينشر في صحفنا أو أفرح بنشره في مجلة «الدارة» عن استدارة الزمن، وهل تطرق البيروني وابن حيان ومن إليهما فأوضحوا لنا ذلك؟ وهل في علم الجامعات الآن أبحاث حققت ذلك؟ فهناك أخبار متناثرة عن ميلان المحور وغير ذلك لأن الخبر عن رسول الله ﷺ خبر صحيح، وكم هو جميل أن نفتح به باباً لأساتذتنا أن يضعوا بحثاً نستنير بها.

## صورة:

وكنت في القاهرة وفي الزاوية التي كنا نجلس فيها، في فندق (قراند هوتيل) أقبل رجل أبيض طويل، عليه عباءة سوداء من الجوخ، وقد اعتم بعمامة سوداء فجلس في مجلسه أمامي ولم يقرئنا السلام، فأنكرت أن يدخل مسلم على مسلم دون أن يسلم عليه، فأحببت أن أعرفه وما جرأت على سؤاله، فقامت أمشي قليلاً لأعود إلى مجلسي، فنظرت في الورق أمامه فعرفت اسمه، فقلت تدخل علينا ونحن المسلمين أو العرب فلم تسلم، ألت أنت: رضا الشيباني، قال: بلى.

ودار الحوار فأقرني على العتب من ناحية السلام، ثم قلت له: ما شأن

(نور السعيد)؟ فقال: (قد ملّهُ الناس) قلت: تلك كلمة قديمة كأنما كانت اعتذاراً عن فعلة أبي لؤلؤة. فضحك وقال: تمثلنا بها وأرجو أن لا تكون من أمثلتها. وهكذا.. أصبحت الفرقة بيننا حتى أن المسلم لا يقرئ أخاه السلام.



## طعام طعم وشفاء سقم

ولعلي أبتعد عن اللجاجة كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً، ولكن مشاعر الناس في بلدي هذا تحتم علي أن أكون لها ما دام الحق معها، ولقد أثار الأستاذ علي الطنطاوي ثائرة عليه حين قرأوا مقاله عن «ماء زمزم».

إن هذا البلد كله صوان للسنة، حفيظ عليها، فقد انتشرت فيه عقيدة السلف وما أكثر حرصه على الأخذ والتلقي من السنة نأخذ ما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ بلا تأويل ولا تبديل ولا تحريف ولا انحراف، نؤمن بكل ما جاء عن الله وعن رسول الله إيماناً نتبع ما أمر وننتهي عما نهى عنه وزجر.

والأستاذ الطنطاوي قد احتضنته مكة آمناً في حرمها، مكرماً في مدارسها وجامعاتها، وإذاعاتها وتلفازها، فكيف تسنى له أن يجانب الحرمه لهذا الوطن الذي يعيش فيه، يقف أمام الأحاديث الصحيحة التي علمتنا ما تفضل به الله سبحانه وتعالى حين وضع البركة على ماء زمزم؟

إن ماء زمزم كما هو في الحديث الصحيح «طعام طعم وشفاء سقم» وإنها في الحديث الآخر «ماء زمزم لما شرب له».. كل هذا يعرفه الأستاذ الطنطاوي، ولكن لماذا يبعدنا عنه حين أنكر أنه طعام طعم وشفاء سقم؟

لعله استند حين ابتعد عن السنة إلى قول طبيب شامي آخر، كأنما هو

قد ساند الطنطاوي حين يقول إن الإنسان قد يعيش دون طعام خمسة وأربعين يوماً، ويعيش دون ماء أربعة أيام فقط. . هذا التخريج أو التأويل كان فيه الطعن في حديث أبي ذر، فقد عاش هذا الصحابي الجليل صادق اللهجة لا يطعم طعاماً إلا ماء زمزم، عاش أربعين يوماً فلم يظهر عليه ضعف ولا هزل لأنه لم يعيش بالامتصاص من السكريات والحراريات التي في جسمه، بل عاش يبدو في صحة عالية، فقد ربت له عكن على بطنه من الشحم، أي من الحراريات، ولم يفقد السكريات، فلا تتمكن البطن دون الغذاء الكامل.

إن الحديث صحيح، وصادق اللهجة أبا ذر فوق أن يتهم بالكذب، كما أن رسول الله ﷺ والسابقين الأولين رأوا أبا ذر فآمنوا بهذه الصحة التي كساه الله بها إذ بارك في ماء زمزم. لسنا بصدد التحليل الكيميائي، فإن هذا يضع الحديث الصحيح في موضع الشك نتحايل بالتأييد له على نهج الكيميائيين.

إن الأستاذ علي الطنطاوي قد سبقه من تجاوز الأدب على الكعبة وهو يعرف أولئك، كما يعرف من سبقه، أعني الذي أنكر نزول المسيح عليه السلام، فاشتد غضب أهل السنة في هذا البلد، كما سبقه من أنكر شق الصدر، يحبون أن يتعاملوا بإنكار المعجزات، أو هم يحبون أن يجمالوا المنكرين بهذا التحايل، ولعل الأستاذ علي الطنطاوي سمع ما تحدثت به في تلفازنا حين أنكرت على من هو أجل منه بل هو لدينا أغلى منه، ألا وهو السيد محمد رشيد رضا العلامة السلفي صاحب «المنازل» فقد عقبته عليه وأنا أكثر إجلالاً له، ولكن كان عندي الحق أجل منه، فقد قال عن الطير الأبابل والحجارة من سجيل أنها تعني مرض الجدري، أصاب أصحاب الفيل، فقلت:

إن هذا من السيد رشيد لا يقبل، فالطير الأبابل ليست الميكروبات التي حملت مرض الجدري، لأن الحجارة من سجليل قد أصابت أبرهة وجيشه فجعلهم الله كعصف مأكول، ولم يصب الله غيرهم ممن كانوا حولهم، وإذا افترضنا جدلاً أن الذي أصابهم كان الجدري فكيف، وهو الذي ينتشر (انتشار) النار في الهشيم، لم يصب غيرهم ممن كانوا حولهم؟ فما أصاب الجدري أحداً في مكة، وقد كان أصحاب الفيل في وادي «محسر» داخل حدود الحرم، وقد اختلط بهم كثير من أهل مكة ومن الأعراب، فلم يذكر أن الجدري كان قد أصاب أحداً غير أصحاب الفيل.

إنه غضب الله قد صبه عليهم طيراً أبابل ترميهم بحجارة من سجليل.. فلماذا التحايل أو الشك في قدرة الله وقوته؟ أيراد بذلك التقرب إلى المنكرين؟

إن إنكار المعجزة بهذا التأويل عجز في الفكر، وأتحاشى أن أقول عجز في الإيمان (!)، كالذين قالوا إن نجاة بني إسرائيل من الغرق في اليم كانت بسبب الجزر، ونريد أن نسألهم: هل كان الجزر على ساحل برزخ السويس في مد البحر الأحمر إليه؟ فلو كان كذلك لأمكن لفرعون أن لا يخوض البحر بل يلاحق بني إسرائيل على البر فوق البرزخ حين شعر بالمد وهو القريب من ساحل البرزخ.. أم أن بني إسرائيل قد خاضوا البحر بعيداً عن البرزخ ومستحيل أن يكون هناك جزر وسط البحر.. وإنما هي قدرة الله شق في البحر اثني عشر طريقاً فنجا بنو إسرائيل واغتر فرعون فخاض اللجة فأغرقه الله.

وأخيراً فإني أضع أمام الأستاذ علي الطنطاوي هذه القصة وكان صاحبها الصديق السيد ياسين طه، فقد أصيب أياماً عدة بمغص شديد قال الأطباء

أنه مغص الكليتين، ويعالجونه بالمنومات المخدرة فلا يسكن المغص حتى ضاق ذرعاً، فذهبت معه لمراجعة الدكتور صادق الطبيب في التكية المصرية، وقد عرفت الدكتور صادق طالب طب حين حج وزار المسجد النبوي مع بعثة الجامعة في أواسط الخمسينات الهجرية.. وعين طبيباً في مكة.. فأجرى كشفه على الصديق ياسين طه وقال له: لا أحسب أن ذلك مغص كلوي، اذهب واشرب من زمزم ولا تشرب ماء غيره.. وشرب من ماء زمزم أياماً وأياماً، فسكن المغص لا يتتابه إلا قليلاً..

وذهب إلى مصر وكنت معه وكشف عليه الدكتور النطاسي «أنور المفتي»، وأخذ الدكتور أنور ينظر إلى صورة الأشعة فوضعها على المكتب ونظر إلى السيد: مِمَ كنت تشكو؟ قال من المغص، وقد قال لي الأطباء في مكة أنه مغص الكليتين. فأخذ أنور المفتي صورة الأشعة وقال لي وللسيد ياسين:

انظر هنا، خراج في الكبد وقد تكلس فلم يؤثر على الكبد إلا حين كان ملتهباً، هل أجريت عملية في الكبد؟

فقال السيد ياسين: لا.

قال: عجيب أن يتكلس هذا الخراج، ماذا كنت تأخذ من الدواء؟

فقال السيد ياسين: ما أخذت إلا ماء زمزم.

فقال الدكتور أنور المفتي: صدق رسول الله ﷺ، إنك قد شفيت من هذا الخراج.

ولم يكتب له الطبيب إلا دواء تعتدل به حلزونيات الأذنين ليبراً من «دوخة» كانت تعتريه.

إنه ماء زمزم «شفاء سقم» تكلس به الخراج في الكبد.. لو كنت مكانك أيها الطنطاوي لما امتحنت الحديث الصحيح بمحنة التأويل إلى درجة الإنكار، ولما امتحنت عواطف أهل السنة الذين إن لم يغضبوا الآن فسترى غضبهم حين تعود لما جئت به.

وبعد، فأنت عندي بمكان عرفت به قيمتك من قبل، فقد صافيتك فلم تصف، وجفوتني ولم أجف، وكتمت عنك اعتذارك في موضوع تعرفه استجابة لطلبك فلم تذكر، ورثيت لك بحنين وأنين فلم تشكر.

وأيت الآن في هذا التجديف عن ماء زمزم فلم أصبر!.

\* \* \*

## ولادة

وبلغني أن صديقنا أحمد الشريف الرفاعي قد تجنى على السيدة الكريمة ذات الحسب والنسب «ولادة بنت المستكفي» سليلة الملوك الذين عمروا الأندلس، فأشرقت بما عمروا حضارتنا، كما قال شوقي:

قف على الحمراء وإن دب مضر الحمراء فيه  
وأسأل البنيان ينـ بئك بأسماء بنيـه

إن التجني - يا أحمد - على كرائم السيدات أمر لا نطقه بل ونرفضه لأن تشويه التاريخ بهذه المفردات عن كرائم السيدات ضغينة أعرفها من أخزم.

الأنها أموية؟! تحملنا البغضاء على هذا التجني؟

فلقد تجنى قبلك في سنوات مضت كاتب زعم أنه قبلي على السيدة

سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، فقد قال إن نساء قبيلته عفيفات، ونساء قريش متبذلات، وذكر اسم سكينة بتجني عليها بالتبذل، أراد أن يكون قبلياً مع أنه مصري، فقد التمس من الذين أثنى على قبيلتهم أن يملأوا جيبه، وما سأل عن فراغ قلبه، فانتصبت إليه القمة حجراً، فأذاب الله قوله وضاع كتابه.

أريد أن تعرف «ولادة» من غير المصدر الذي كان جناك منه، وكانت جناتك عليها به، أضع أمامك ما جاء من نص في كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام يرحمه الله، فإليك النص:

«قال ابن بسام: وأما ولادة التي ذكرها أبو الوليد بن زيدون في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري، وكانت في نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخير، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعيش أهل الأدب إلى ضوء غرفتها، ويتهالك الأفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة متابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب، وطهارة أثواب، على أنها - سمح الله لها وتغمد زللها - أطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها، كتبت - زعموا - على أحد عاتقي ثوبها».

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتية تيهيها

وكتبت على الآخر:

أمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

هكذا وجدت هذا الخبر، وأبرأ إلى الله من عهدة ناقله، وإلى الأدب من غلط النقل إن كان وقع فيه».

أما البيتان اللذان رفضهما ابن بسام فلعلّي لا أرفضهما لأنه قول شاعرة، والشعراء يقولون ما لا يفعلون، فلم يتغزل أحد غزل بن أبي ربيعة، وقد أقسم وهو صادق أنه لم يكشف ثوبه على أنثى، لم يأت حراماً، لو كان فاسقاً في فعله لما حفظ شعره عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فلم يكن ابن عباس في تزمّت نافع بن الأزرق، فقد قال ابن عباس «الشعر ديوان العرب».

وبعد يا أحمد، فإني أدعوك أن تحترم كريمات قومك ونساء أهلك.

\* \* \*

ولعلّي أضع أمام الأخ أحمد شريف الرفاعي صورة في خبرين يعرف منهما مقدار حرصنا على القيم.. تفرض علينا أن نعانق العفة فلا نهجو ولا نقذع ونحترم كرائم الأحرار.

**الخبر الأول:** هو أن منيرة المهديّة أميرة الطرب في مصر قد حجت تغسل وجدانها بتطهر حتى إذا وصلت إلى المدينة سمعت أن مدرساً في المسجد قد نال منها مقدعاً فأبرقت تشكو إلى جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله.. فأصدر أمره بمنع هذا المدرّس من التدريس.

**أما الخبر الثاني:** فقد كنا على مائدة العشاء نتشرف بالجلوس أمام الملك فيصل، يرحمه الله، فقال كأنه يعلمنا الأدب: لقد كدت أغلق جريدة نالت من سيدة كريمة أيام كانت الخصومة مشتدة بين المملكة العربية السعودية ومصر أيام حرب اليمن.

أفدعت هذه الجريدة فكدت أغلقها لأننا نحب المحافظة على القيم .  
وقد جرى الكثير على هذه الجريدة حتى وصل بها الأمر إلى ما هي عليه الآن . . إنها جريدة عكاظ .



## اكذب واكذب يصدقك الناس

اكذب واكذب يصدقك الناس . . كلام سمعناه حين أذاعوا علينا أنه الدعامة والأساس للدعاية النازية، ونسبوه إلى وزير الدعاية، «جوبلز» ولئن كانت الكلمة قد تشبث بها «جوبلز»، في سلوكه وزيراً للدعاية، فإنها مذمة صاغها اليهود يكذبون بها على «جوبلز»، فالنسبة إليه جائزة.

ولكنها تعني التماذي في الكذب، هي من بهتان اليهود، فتاريخهم مليء بالكاذب.

وإن كذبتهم الأولى كانت على جدهم إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

قالوا إن أم إسرائيل يعقوب سرق الرسالة والنبوة من إسحاق، منعت أن يأخذها الوريث الأكبر «العيص». كان العيص كثيف الشعر كما زعموا، فلكي تسرق النبوة والرسالة من العيص كست ابنها يعقوب شعراً إذا ما لمس به أبوه إسحاق ظنه العيص، فمنحه النبوة والرسالة.

فاليهود كذبوا وكذبوا، فإذا أبناؤهم يصدقون هذه الكذبة، وإذا الذين يخدعهم اليهود يصدقونها. فأى جريمة وأي جرأة أكثر من هذه الكذبة على الله وعلى أبيهم إسرائيل وجدهم إسحاق؟

ولكنهم اليهود «سماعون للكذب»، فهم كما قال حبرهم الصحابي

الجليل عبد الله بن سلام، قال يا رسول الله - يخاطب سيدنا محمداً - إن اليهود قوم بهت، أي أصحاب بهتان.

والكذبة الثانية المزدوجة في أكثر من وضع هي كذبهم على أبيهم يعقوب، انتزعوا أخاهم يوسف بالكذب على أبيهم «يرتع ويلعب» وألقوه في غيابة الجب، لم يقتلوه بأيديهم وإنما وضعه في الجب كان قتلاً فظيعاً، أكثر شراً من قتل قابيل لهابيل، أرادوا أن يموت في الجب، تلدغه أفعى، يغرق في الماء، يموت جوعاً ليكذبوا على أنفسهم بأنهم لم يقتلوه.

وأردفوا الكذب بالكذب، لطنخوا قميصه بالدم يكذبون على أبيهم بأن الذئب أكل أخاهم.

فتاريخهم مليء بالكاذب، قتلوا الأنبياء ليكذبوا التوراة وليرفضوا الإنجيل، ثم هم يخرجون على الناس بأنهم أصحاب التوراة.

وكذبوه مرة أخرى حين زعموا أنهم صلبوا السيد المسيح عليه السلام «واستمروا يكذبون بهذه الكذبة فصدقهم المسيحيون».

إنهم يسخرون من كل الناس، لأنهم لا يرون إلا أنهم هم الناس، حتى كذبوا على أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وإن الله لهم وحدهم، فهم الآن يصدقون ذلك، لا لأنه الحقيقة، وإنما ليسخروا من الناس بهذه الكذبة.

فمن الحماقة بمكان أن نحاربهم بالتكذيب، فإنهم يريدون إعلان أكاذيبهم بالحرب عليها، كأنهم يجزعون خصومهم تصديق الكذب تحت اسم محاربة الكذب.

## يرتع ويلعب

وما دمنا في هذا الصدد، فأستحسن أن أعلن إعجابي بفهم المحقق السلفي العلامة السيد محمد رشيد رضا، فقد قرأت في تفسير المنار قوله أرويه بمعناه، قال إن بعض العلماء من المسلمين يستحسن قراءة «يرتع ويلعب» يفضلها على قراءة «نرتع ونلعب» لأنه يزعم أن أبناء إسرائيل الأحد عشر الذين كادوا ليوسف عليه السلام أنبياء لا يحسن أن يوصفوا باللعب. فنهض السيد رشيد يقول:

- ألم يقرأ هذا الشيخ القصة كلها وفيها الكيد لأخيهم والكذب على أبيهم، وصفهم الله به، فجاز عليهم الكيد والكذب والمكر ولا يجيز هذا الشيخ عليهم اللعب؟

إن هذا الشيخ قد غرق في الإسرائيليات فانغلق عليه الفهم، أما السيد رشيد فعانق الصحيح فانفتح له باب الفهم.

\* \* \*

## جوبلز

والشيء بالشيء يذكر، ولا بد لي من كلمة عن «جوبلز» أتهم فيها الأديب المؤرخ أو المؤرخ الأديب في الغرب كيف لم يكتب عن مأساة «جوبلز»؟

الآن هؤلاء أصبحوا مسخرين لأكاذيب اليهود، أم أنهم المأجورون يتقاضون الأجر من مال اليهود؟

إن الأدباء المؤرخين من الإنجليز، وقد كانوا في حرب ضد فرنسا وصراع من أجل الاستعمار، كتبوا عن الثورة الفرنسية وعن «جان دارك» بل

بعض كُتّاب النمسا الذين تجرعوا الحزن على «ماري انطوانيت» كتبوا عن «نابليون».

إن «جوبلز» انتحر كما انتحر «هتلر» لكن «هتلر» قد انتحر فراراً من الأسر والمحاكمة، أما انتحار «جوبلز» فلئن كان فيه هذا الفرار فإنه أضاف إلى انتحاره أن قتل زوجته وأبنائه، لثلاثين عاماً عار الهزيمة. فـ «جوبلز» لم يسأل عن نفسه وعن مصيره بعد، وإنما سأل عن مصير زوجته وأبنائه. الانتحار لا تجيزه الإنسانية، ولكن إنسانية «جوبلز» قد اجترمت الانتحار اجتراماً أزاح به العار.. عار الهزيمة لا يعيشه أبناؤه.

لقد ذهب حرية المؤرخ وبراعة الأديب تحت طغيان اليهود.

\*\*\*

صور:

قال لي:

- إن فلاناً لا يفوته أن يقرأ ما تكتب، يتعقب زلاتك.

قلت:

- له مني الشكر، لأنه يصبح قارئ الوحيد، يبصرني بالزلات إذا امتلك الجرة أو يغیظه الصواب إذا ملكته الكراهية.

كان الجمل في الغابة، فقد صاحبه، أصابته رصاصة من صائد الأرنب، فانحنى الجمل على صاحبه لعله ينهض ليركبه، ولكنه مات.

وعوت الذئب، فاقترب ذئب من الجمل، لفخه، يدافع عن نفسه يبعده عنه، وعاش الجمل يأوي إلى جبل يتقي الذئب، وسمع نهيق حمار فابتعد، ولكن الحمار وصل إليه، فقال الجمل للحمار:

- إن أردت العيش تأنس بي وأنس بك فإياك والنهيق، لا تفضحنا.

فقال الحمار:

- أنا لا أخشى الذئاب ولا أنت. فقال الجمل:

- ليس هم الذئاب أخشاهم عليك، ولكنها الضبع حين تصل إليك

تستسلم فتفري أمعاءك.

ونهب الحمار فأكله الضبع.

وهكذا عشير السوء.

## إعلان البراءة . . من المشركين في حجة أبي بكر الصديق

الحج إلى البيت الحرام ركن من أركان الإسلام، وكأنما، وهو الركن الخامس، قد أعطى للمؤمن كل البراءة من الفسوق والإلحاد والشرك، وكل مذهب يحارب الإسلام، أو كل متمذهب ينتقص من قدر الإسلام، ولعلي لا أتجاوز اليقين، ولا أتعسف أبرئ نفسي من الخطأ، إذا ما اعتقدت أن في الحج جماع الأركان، فالصلاة الذكر تجد هذا الذكر تلبية وتكبيراً واستغفاراً: هو الإعلان للحج، فالحج ذكر، والزكاة التذكية للمال بالشكر، والحج نفقة مال لأداء الشكر، والصيام الصبر والطهر، والحج طهر من الرفث وصبر على توقيت المنع للحلال، كما الصبر الامتناع عن الفسوق وعن الجدل. أما الشهاداتتان إعلان الإسلام باللسان، فإن الحج إعلان للإسلام وفاء بالأركان.

فإن ما يدعو إليه الإسلام هو أن يكون الحج إعلاناً لسرمدية القبلة: وبرهاناً على أن القبلة الاتجاه إلى الكعبة، فكل هذه النظافة في طهارة البدن واللسان والعمل توجب الطهارة من أي شائبة لا نظافة فيها، من هنا

نزلت سورة التوبة، وفيها البراءة أي التبرأ من المشركين، لأن الشرك بالواحد الأحد ينتفي به الإسلام، لأن الإيمان قد انتفى به.

فالإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، كأنما الإسلام قد تحدد بالإيمان، وكل ما يخالف ذلك من الشرك والفسوق ليس من الإسلام في شيء، وكل أمر جنح أصحابه إلى التشغيب لا يمكن إلا أن يكون هذا التشغيب فسوقاً وجدالاً، فالأمر من الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)..

وينبغي لي أن أتوسع في الشرح هكذا:

أولاً: إن الله قد منّ على المصطفى الرسول النبي خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ بالفتح المبين: فتح الله له مكة المكرمة المسجد الحرام بسلام، فأنزل الله سكينته على المسلمين، وطوع قادة الشرك أن يستسلموا ليسلموا، وكان هذا الفتح، وبعد غزوة حنين، قد واكب أول الأشهر الحرم، فلم يحج رسول الله في عامه هذا (عام الفتح)، لأنني أسترشد بما طبع الله على قلب رسوله من الرأفة والرحمة بالمؤمنين، وما وفقه الله إليه من التأليف للمشركون، لم يأمره الله بالحج في ذلك العام، لم يحج لأنه ما أراد عليه الصلاة والسلام أن يغير على قريش بعض تقاليدهم في الحج تألفاً لهم، فكأنما هو قد أرجأ هذا التغيير بعد.

ثانياً: لقد كان الفتح المبين في السنة الثامنة من الهجرة، وحين استهل الشهر الحرام لم يذهب ﷺ يحج قائداً للحج، بل قلّد صديقه

خليله صاحبه صهره الصديق أبا بكر إمارة الحج، بمعنى آخر قيادة الحج، وأنزل الله سورة التوبة وفيها البراءة من المشركين، وفيها أحكام التعامل مع المشركين الذين عقدوا العهد مع رسول الله، فبعث ابن عمه صهره صاحبه الإمام علياً كرم الله وجهه يبلغ عنه، ليكون المبلغ عنه من أهل بيته فتلى علي هذه الآيات:

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ١ - ٣).

﴿وَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ. كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ (التوبة: ٤ - ٨).



ثالثاً: وبلغ علي حكم الله في المشركين ومن إليهم. ولي وقفة هنا: أستنبط فقهاً فيه علامات تبين لنا ترشيح أبي بكر لإمارة المؤمنين خليفة لرسول الله ﷺ، بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فإمارة الحج لأبي بكر، وأمره يصلي بالناس في مرض الرسول، كل هذا إشارة إلى الأثر (يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أن يكون أبو بكر هو الخليفة). والتبليغ من علي عطاء للمكان الكريم يتبوأه هذا الإمام: معلماً مبلغاً مرشداً عوناً لأمير المؤمنين، ليكون له فيما أنعم الله عليه خليفة راشداً في زمان قدره الله، فالإسلام الذي انتصر بإيمان أبي بكر وتصديق أبي بكر وثبات أبي بكر ما كان إلا من حفظ الله لهذا الذكر، وهل يحفظ الذكر إلا بحفظ الله له وإلا بحفظ المسلم لإسلامه؟ وأبو بكر، بعد رسول الله، أنعم الله عليه بأن يكون الخليفة يجاهد لحفظ الذكر ومن كان معه لحفظ الذكر؟ كل الأخيار كانوا معه، وفي طليعة الأخيار كان الإمام علي.

رابعاً: إن مشركي العرب لا يمكن أن يظلوا مشركين في عهد الإسلام، فكلمة التوحيد تنتصر وتعتز بوحدة الكلمة، وبقاء المشركين لا تتم به الوحدة ولا يتم به النصر، فكان أمر الله أن يحرم المشركين من العرب من الطواف بالبيت وهم يحبونه، حرماناً لهم ليشعروا بوحشة الشرك، حتى إذا حرموا واستوحشوا جاءوا مسلمين أفواجاً، فالبراءة من الشرك والمشركين هي دعوة لأن يكونوا المسلمين المتوحدين، فأیما نحلة وأیما مذهب تشیع لهما فريق من المسلمين،

فإن في ذلك الفرقة، ومنها وبها يتأثر الإسلام: دين الجماعة، وحين منع المشركون من الطواف بالبيت أسلموا، ذلك أمر الله، ومن يتنكب الطريق عن أمر الله، إن لم يكن ذلك عن شرك، فإن ذلك عن عصيان، ولا يستقيم الحج بالعصيان والعصاة، ومن العصيان الجدل ومن العصيان التشغيب.

خامساً: إذا ما تم الحج: حج الجماعة، وكان مبروراً، فإن في عمل الجماعة تحت ظلال عقيدة التوحيد وتوحيد الكلمة، العطاء للنصر على المشركين والملحدين والشيوعيين، إن التشغيب فرقة، والفرقة عطاء ينتصر به كل من حارب الإسلام.

سادساً: وحين أعز الله العرب بالإسلام وأعز الإسلام بالعرب كان من حكم الإسلام ألا تؤخذ الجزية من مسلم عربي: فإما الإسلام وإما القتل: يحفظ من القتل من عاهد إلى مدته، فإذا انقضى عقد العهد دعي العربي ليسلم أو يعرض على القتلى، وإن في هذا التكريم للعربي: يجب عليه أن يكون في الوحدة: وحدة الإسلام. ولئن قال بعض السفهاء يزعمون أن في عدم أخذ الجزية من العرب، فيه جور، فإننا نقول لهم: بل إن فيه العز: يصونهم عن الفرقة ويجمعهم في الوحدة، حتى إذا تم ذلك كان الفتح العظيم.

سابعاً: إن إعلان الحرب على أعداء الإسلام: مشركين وكافرين ومتمذهبين، لن يكون إلا بالمواجهة في وحدة كاملة تحت ظلال السيوف. أما الكلمات في المظاهرات وإعلان السباب فذلك لا يفيد،

بل إن الأعداء يتخذون منه سبة على المسلمين: يقولون إن المسلمين في مسجدهم الحرام وفي حجهم يتناздون بالسباب ويتشائمون، فاللهم أصلح قلوبنا، وارزقنا.

## اليهود . . لا الصهيونية

هزيمة الرأي شر من هزيمة السلاح، لأن السلاح لا يعمل ولا ينتصر إلا إذا ما كان عن رأي صائب، وعقيدة مؤمنة، وعدو واضح.

وقد درج العرب على حذف كلمة (اليهود) من قاموسهم السياسي، فتارة يقولون: الصهيونية، وتارة يقولون: إسرائيل. حتى أضافوا إلى هذين الإسمين اسم: العدو!

كل ذلك يلجأون إليه، لئلا يقولوا: اليهود!

مع أن الصهيونية ليست يهودية التوراة، وإنما هي يهودية التلمود والبروتوكولات.. فقد لجأ اليهود إلى هذا الاسم - أعني الصهيونية - ليبعدوا كلمة «اليهود» عن أذهان أو تفكير شعوب الغرب، والشعب الأمريكي بالذات.. حتى ورطوا العرب حين تعاملوا به، لأن كراهية الشعوب لليهود من خلال ما دمروا من الأخلاق، وما استثمروا من الأموال، وما أحدثوا من الفتن.. عقيدة راسخة، فلا زالت بعض الفتن.. عقيدة راسخة، فلا زالت بعض الولايات في أمريكا تعامل اليهود كالكلاب!!

وإسرائيل في الشرق الأوسط تغطية لهذه الكراهية..

حتى إذا نطق فلسطيني.. يطرح الرأي في قضية الشرق الأوسط،

وسبق ذكر اليهود على لسانه.. تجمجم كأنه يعتذر، ويرفع صوته بالصهيونية.. مع أن قضية فلسطين كما ظهرت في وعد «بلفور» وطن قومي لليهود!

فلماذا نتخطى الصواب.. حتى لنكاد أن نمحو الحقد على اليهود وهم العدو للعرب وللإسلام... سواء كان العرب كنعانيين أو آراميين، أو فينيقيين، أو فراعين، أو عدنانين إسلاميين، فعداوة اليهود عداوة تاريخية نقضي عليها بجرة قلم حين نقول: «الصهيونية»!

فالولايات المتحدة أخضعت نفسها للصهيونية، وهي تعرف أنها تخذع شعبها حين لم تظهر كل هذا العون لليهود.

وبريطانيا التي أعطت وعد «بلفور».. بدأت وهي تلغي كلمة اليهود تفرح بأن تتهم بالعون للصهيونية.. لأن ذلك يخلصها من العمل لليهود أمام شعبها، واحتشاماً مع العلية من اليهود في بريطانيا الذين يفرون من الخطيئة (وعد بلفور).. ولم يكن فرارهم عن إنكار، بل إن تواريتهم تحت اسم الصهيونية يجعله في حرية العطاء لإسرائيل دعماً شتى.

من هنا.. ينبغي أن يكون الرأي واحداً، فلا نسمي اليهود إلا باسم اليهود.

وليس هناك في التاريخ القديم الذي تحاول اليهودية تأسيسه في الشرق الأوسط: (مملكة اليهود.. لا مملكة إسرائيل، ولا مملكة الصهيونية)!

**فهناك دعوتان:** دعوة أبي الأنبياء إبراهيم الرسول النبي عليه السلام، ودعوة سليمان الرسول النبي عليه السلام.

إن دعوة إبراهيم قد منحت أبناءه هذا الملك العريض من النيل إلى

الفرات، ولم تكن هذه الدعوة لإسحاق وبنيه، وإنما كانت لإسماعيل وبنيه.. أي أمة العرب.. أمة الإسلام.

فمن بداية هذه الدعوة التي استجابها الله، لم تتحقق إلا ببني إسماعيل، فهم كعرب قبل الإسلام كان ما بين النيل والفرات ملكهم، وبالإسلام توطد الملك لهم على صورة ثابتة وقوية وفاتحة الفتح العظيم، وصانعة الحضارة الوسيط، وهم حتى الآن يملكون ما بين الفرات والنيل. ويريد اليهود بالعسف والطغيان، والكذب والتكذيب أن يجعلوا هذه الدعوة خاصة بهم!

وتأتي دعوة سليمان الملك.. الذي لم يدم ملكه وملك ابنه داوود عليه السلام إلا ثمانية وستين عاماً، وهذا الملك لم يمتد إلى الفرات، ولم يمتد إلى النيل، بل انحصر في فلسطين.

\* \* \*

إن دعوة سليمان فيها النفي لما يدعيه اليهود من أن دعوة إبراهيم خاصة بهم.

دعوة سليمان (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فاستجاب الله له، فأعطاه هذا الملك، ولكنه لن يكون لأحد بعده.. فلئن كانت كلمة «الأحد» عامة في الناس جميعاً: لا ينبغي لأحد منهم أن يكون له ملك كملك سليمان، فإنها بالأحرى، وعلى أساس من اليقين تحرم اليهود وهم من هذا «الأحد» أول من تحرم من أن يكون لهم هذا الملك.

فلقد رأى أحدهم رؤيا صادقة، رأى حادثاً لم ينتصر فيه العربي على اليهودي، فقد هزم سلاح اليهودي سلاح العربي، فأخذ هذا الذي رأى الرؤيا ينادي في المنام: أبشروا أيها المسلمون.. إنه لن يكون ملك

اليهود.. تتحقق بذلك دعوة سليمان، فهم من الناس، بل هم أول الناس الذين حرمهم الله أن يكون لهم هذا الملك.

إن دعوة سليمان نافية أو مفسرة لدعوة أبيه إبراهيم، فالملك لنا نحن بني إسماعيل، وقد كان وما زال، ولن يزول.

أما ملك سليمان فقد أثبت أنه لا ملك بعده لإسرائيل، فقد سباهم الفرس، وفرقهم الرومان.. فلم يستقيموا بأرض، ولم يدم لهم سلطان.

قولوا: اليهود.. عدوكم التاريخي، ولا تخشوا اتهامكم بالتعصب.  
احرصوا على صواب الرأي، ووحددة الرأي.. وإلا فسيكون الأمر شاقاً  
إلى حين!

## صور:

سمعنا أن عضو الكونجرس الأمريكي «سبول ماكلوسكي» الذي كان رئيساً لبعثة الكونجرس التي زارت لبنان إبان الغزو الإسرائيلي، والتي لم تحاول أن تنال السلام لتنفذ سمعة الولايات المتحدة.. سمعنا أنه اتهم في مؤتمر صحافي أجهزة الإعلام الأمريكية بعدم النزاهة في تغطية أخبار القضية الفلسطينية والتحامل عليها وإبداء قدر ضئيل من التعاطف معها.

وكان بهذا القول نراه من جيل «مورجانتو» و «فورد الكبير».. يحبون أمريكا أكثر مما يحبون الذين ولاؤهم لإسرائيل قبل ولائهم لأمريكا.

إنه قد بصر الإدارة الأمريكية، وبصر الكونجرس على سلطان اليهود الذي فرض على الإعلام الأمريكي.. فهو على العكس من ذلك الذي حمل على الإعلام الأمريكي، فقال: إن التلفاز الأمريكي قد أبرز فظائع الغزو اليهودي للبنان، ولم يبرز فظائع المخربين!

إن هذا العميل لليهود، قد وضعه «ماكلوسكي» في موضع الخارج على الولايات المتحدة.. حتى توقع فسمى المنظمة أو المقاومة بالمخربين!

إن على «ماكلوسكي» قبل أن يدافع عن العرب.. أن يدفع ظلم الإعلام الأمريكي للشعب الأمريكي.. فالشعب الأمريكي يعيش تحت ظلال الدعاية اليهودية في ظلام.

فعسانا نجد أمثالا لـ «ماكلوسكي» يضيئون النور للشعب الأمريكي.. فما نبغي إلا أن تكون قضية فلسطين واضحة.. لا تستحق الظلم من الشعب الأمريكي.. ظلم السلاح، وظلم العون السياسي، وظلم الفيتو، وظلم التلفزيون!!



## حتى أنتم يا مسلمي نيجيريا! . .

وأصابتني الدهشة، وانتابني شيء من الحزن، حين نبغ في نيجيريا، ومن الأكثرية المسلمة، رجال تجرأوا أن يكونوا كغيرهم، يتلمظون، يضغطون على شفاههم، بكلمات تزرع البغضاء، متى كنتم أيها الأفارقة المسلمون من أبناء القارة، الأم الثانية للبشرية، على هذا الحال الجديد، تزرعون به البغضاء، وتضعون أنفسكم موضع الناصر للجميل!.

بل إنكم فيما نشرته جريدة «الديمقراطية» الأسبوعية، النيجيرية، التي زعمت، تحت عنوان «حج عام ١٩٨٤م يقوم على اتجاهات عنصرية» أن المملكة قامت بإنشاء مجلس لمراقبة حركة الحجاج، فقط من الدول الإفريقية وأن سكرتيري مجلس الحج النيجيري في ولايتي (كانو) و(سوكنو) هاجما إنشاء المجلس، وأنه يقوم على اتجاهات عنصرية، إلى آخر ما ورد في المقال المذكور.

إن هذا إلا اتهاماً لا يحتاج إلى تكذيب، ولكن التكذيب ينبغي أن ينصب على الدوافع التي حملتكم أن تظنوا بنا الظنون، تصفون بالعنصرية البلد مشرق النور، بلد إقرأ، بلد القرآن، الذي قضى على العنصرية. ألم تقرأوا في القرآن هذه الآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ (الحجرات: ١٣)، ألم تقرأوا الحديث (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)؟ أنتم

تعرفون ذلك، وما أحسن ما صنعتُم من تأييد الإسلام ونشره، فكم هم العلماء منكم الذين كانوا حرز الإسلام، والذين كانوا لدينا أسيانًا ليس أولهم (الألفا هاشم) و(فلاته مالي)، وليس آخرهم الجمع الغفير من أبنائكم في جامعاتنا، وفي الجامعة الإسلامية على وجه الخصوص، وليس آخرهم من كان مدير جامعة الملك عبد العزيز (الدكتور أحمد علي) وهو الآن رئيس بنك التنمية الإسلامية وليس آخرهم أيضاً الدكتور عبد الله المصري، مدير دار الآثار، فلو تعنصرنا ضد الأفارقة أكان يصبح هؤلاء في موقع الصدارة؟!!

ومثل آخر، فأنتم لا تعرفون أن رجالاً منكم كانوا في قمة الفروسية في نجد، حراساً تلمع في يدهم السيوف، وفرساناً نبغوا في نصرة الدعوة السلفية، كانوا في مكان العزة لدى مؤسس هذه الملكة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

إخواني أهل نيجيريا، لماذا يصبح بعضكم شعوبياً؟ وقد كنتم حرباً على الشعوبية! كنتم الردء لنا والنصير، نعتز بكم حين لم تصبكم هذه الشعوبية، إن آسيا القارة الأم الأولى انتشر فيها الإسلام، ولكن تفريط بعض أهلها وإفراط غيرنا من العرب قد رسخ الشعوبية. فنحن في هذا البلد مكة المكرمة وما حولها ومن حولها، عرب على السنام، مسلمون على الذروة، فالإسلام وطينة هذا البلد، فكل العالم المسلم ممثل بأبنائه في الحواضر والمدن، حتى أصبح كثير منهم من أعيان الناس، من آسيا ومن إفريقيا، وحتى من روسيا البيضاء ومن يوغسلافيا، فلا عنصرية ولا تعنصر، فالرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وكل شبر في هذا البلد يبصق على التعنصر وعلى الشعوبية، فهل دعوة الإسلام شعوبية؟ وهل العون الذي يصل إلى

كل القارة الإفريقية يصدر عن عنصريين! إن الإسلام هو قائدنا، ولا عنصرية فيه، فلماذا تكتبون الاتهام؟ إنها شهوة أخافها عليكم حين ينتصر بها الذين يحاربون إسلامكم..

حين بدأت الإذاعات تحرف اسم الرئيس محمد بخاري تنطقه «بھاري»، كتبت أصحح قائلاً: إن المسلمين الأفارقة يعشقون أسماء الأئمة، فسموه (محمدًا) ولنعم الاسم، ونسبوه إلى (البخاري) ولنعم الإمام. لم يكن ذلك إلا عن حب المسلم الإفريقي لرسول الله ﷺ، يسمون أبناءهم باسمه، وحتى الرئيس السابق كانت نسبته لقباً إلى الشيخ ابن التعنصر إلى أن يتجافوا مع بني هلال وسليم، يقولون إنهم خربوا. فنهض الصنهاجي البربري الإفريقي الأسمر، شيخ الجزائر، بل أحد شيوخ الإسلام، عبد الحميد بن باديس، وهو لم يكن عربياً صليبة، بل كان إفريقياً من نسل الملوك الذين قضى بنو هلال على ملكهم، ولكن ابن باديس الإفريقي الصنهاجي شبع من القرآن فرد على من جفا بني هلال، فقال: (لئن قيل إنهم خربوا، فلنقل إنهم عربوا). ها أنتم أعلنتم فرحتكم بانتشار اللغة العربية فيكم، لأنها دليلكم لفهم القرآن، وترسيخ الإيمان.

ذكرتم، تعيينون، تأسيس مجلس لمراقبة حركة الحجاج، هذا خطأ، ليس هو المجلس للمراقبة، ولكنها المؤسسات للوفاء بالخدمة والرعاية، كل جنس من المسلمين أبناء لغة واحدة لا بد أن يكونوا في مجمع واحد تحت رعاية واحدة، ولم يكن ذلك شيئاً جديداً، فمن القديم، والتقارير التي منحت للمطوفين والدلاء، وزعت الأجناس على جماعة المطوفين كل مطوف مسؤول عن من هو في تقريره، أو من سأل عنه، فهناك مطوفون للعرب تحت رئاسة واحدة، وهناك مطوفون لمسلمي الهند تحت رئاسة واحدة، وهناك مطوفون للأندونيسيين ومعهم الفلبينيون والماليزيون

والسياميون، كلهم تحت رئاسة واحدة، والإيرانيون كان يختص بخدمتهم مطوفون تحت رئاسة المطوفين العرب. فالجديد ليس هو المجلس كما زعمتم، وإنما استبدل اسم رئاسة المطوفين ورئاسة مطوفي الهند ورئاسة مشائخ الجاوا باسم المؤسسات.

وهل يعقل أن يترك المسلم الحاج، يتكلم بلغة لا يعرفها الذين معه من المسلمين إذا ما كانوا تحت مطوف واحد؟ فمن تيسير الخدمة وتتمام الرعاية إن كان هذا التوزيع للمؤسسات، لتكون المؤسسة مسؤولة عن كل الحاجين الذين خصصت لهم، فالأمر مقصود به التيسير، أما من يزعم غير ذلك فهو مغرض يحرض، لا علينا فحسب، وإنما هو يشغب على الحاج، يكدر خواطرهم، كأنما هو أسلوب جديد لمنع الحج وإشاعة الفرقة بين المسلمين.

أنسيتم أن المسلم منكم كان يحج مشياً على الأقدام، يصل إلى مكة المكرمة بعد سنوات؟! ولكن ينبغي أن تعرفوا أن الإسلام بخير، وأن الحج برهان هذا الخير، وأن المملكة العربية السعودية رائدها الخير، ثم إن الإسلام يقوى وينتصر بالحرب تشن عليه، مصداق ذلك في الحديث الصحيح (إن الله ليؤيد هذا الدين، بالرجل الفاجر، وفي رواية أخرى، بالرجل الكافر) فهؤلاء الذين كتبوا قد فجروا، فلينتظروا من مسلمي نيجيريا ومن المسلمين الأفارقة كلهم مقاومة هذا الفجر، ينتصر بذلك الإسلام، ويكثر عدد الحاجين.

إن الفجر هو في إنكار هذا الأمن الذي أنعم الله به على المسلمين، ولو عرفتهم.

## عن السامية . . واليهود!

وقبل أن نشرح، فنتوسع بالكلمة نكتبها عن السامية واليهود. . نحتاج إلى تقرير المقارنة بينهما أو تقنيتهما، لنعرف بطلان ادعاء السامية الآن، ولنؤكد أن اليهودية هي الأساس للصهيونية ولإسرائيل، والتي تحترف الكذبة الكبرى بأن اليهود في إسرائيل: ساميون! بينما الأكثرية منهم ذات السلطان في إسرائيل ليست من نسل «يعقوب إسرائيل» عليه السلام، حتى تصبح من نسل «سام».

ويتضح التفصيل كما يلي:

١ - إن الذي حملني أن أكتب اليوم هكذا، أمران: أولهما: ما قرأته لأستاذنا «أحمد بهاء الدين» حين كتب عن اليهوديين في بولندا، فرفع اليهود صوتهم يتهمون حكومة بولندا بأنها بدأت حربها على السامية، فسخر «أحمد بهاء الدين» من ذلك، وثانيهما: أن أحدهم أنكر علي أن أقول «اليهود» ولا أقول الصهيونية أو إسرائيل فقد درج العرب على كل ما يلقونه من اليهود في فلسطين، ولا يذكرون كلمة: اليهود كأنهم يبرئون اليهود من ذلك، بينما هم الأساس في الطغيان والقتل والتشريد، وتفريغ الأرض.

٢ - إن السامية عرق، واليهودية دين، فالعرق مستحيل أن يدخل فيه من ليس منه، أما اليهودية فدين يدخل فيه من تهود، هؤلاء الذين في إسرائيل، وحتى «هرتزل» و «وايزمان» و «دريفوس»، ليسوا ساميين، لأنهم

لم يكونوا من نسل إسرائيل، هم خزيون، مغوليون، أو سلافيون..  
تهودوا، فلهم اليهودية دين، إما أن يكونوا ساميين إسرائيليين، فكذبة كبرى  
يسقطها تاريخ السلالات، ولا تقوم بها حجة الآن على بولندا، أو على  
غيرها. إذا ما تحرك يهودي بظلم لوطنه، فأجروا عليه أحكام وطنه.. أن  
يصرخ اليهود، ليقولوا: إنه سامي!

إنهم بذلك يخدرون من يناصرهم، كالولايات المتحدة تطلب تهجيرهم  
بدعوى حقوق الإنسان، كأنما حقوق الإنسان أصبحت حكراً على اليهود.  
أما الفلسطيني صاحب الأرض، فكم أهدروا حقه، وجزروه فإذا قانون  
الإنسان أصبح سخريه بالذين يدعون أنهم حماة.

٣ - إن كلمة «اليهود» لا ينبغي أن يغضب منه اليهودي البريطاني..  
فوعد «بلفور» كان يحمل النص على أنه وطن قومي «لليهود». ودزرائيلي  
وهو البريطاني العظيم - نقرأ تاريخه، فنجد أنه يهودي تنصر.

وكذلك «كارل ماركس».. يهودي تنصر، و «هربرت صومائيل» أول  
مندوب سام في فلسطين، إذا ما أرخوا له، قالوا: إنه يهودي، ينتمي إلى  
حزب الأحرار، حتى أصبح رئيس حزب الأحرار.

و«صومائيل هور» وزير خارجية بريطانيا، وسفيرها في إسبانيا بعد، لن  
يذكروا إلا أنه يهودي، وإلا فسيصبح التاريخ البريطاني، تاريخاً مزيفاً.

٤ - وحين انعقد مؤتمر حزب العمال.. قررت الأكثرية الاعتراف  
بمنظمة التحرير، وقبول التفاوض معها، كبرنامج تطرحه على الشعب، ليفوز  
حزب العمال بالانتخابات، أذاعوا هذا الخبر في إذاعة لندن، وقالوا بعد  
استطراد لهذا الخبر: إن اليهود في هذا المؤتمر - ومن أعضاء حزب العمال  
- قد غضبوا من قرار الحزب.

فهم في كل ذلك، يقولون كلمة: «اليهود».. ولن تسمع في تاريخهم: كلمة الصهيونية.

أما كلمة «إسرائيل».. فقد أصبحت تقال، بعد أن اعترفت بها بريطانيا.. لأنه أصبح اسماً لهذه الدولة.

٥ - وليقرأ هذا المنكر تقرير لجنة «بيل» أو برنادوت، أو قرارات التقسيم، كلها تذكر كلمة «اليهود» فلا معنى لأن يغضب أي يهودي بريطاني، من أن نضع هذا الاسم في وضع «الطاغية».. فكل يهودي، هو لدولة إسرائيل عوناً وتوجيهاً ومناصرة.. حتى يهود بريطانيا.

٦ - والحصيلة: إن كل إسرائيلي من نسل يعقوب، هو سامي.. وهم قلة مضطهدة في دولة إسرائيل، ومع أنهم «يهود» فكل إسرائيلي يهودي، وليس كل يهودي إسرائيلياً أو سامياً، وكل يهودي صهيوني، وليس كل صهيوني يهودياً، فهل ينهب وطننا، ويقتل أبنائنا، ولم يجف دم المجزرة في لبنان، ثم.. إننا نسير كما أراد اليهود الذين يتخبون وراء الصهيونية وإسرائيل، فليدعني المنكر أقول: إن من يتخبي يعطي اليهود فرصة أن يظلم نفسه، إذ يسير وراء هواهم، ولعلّي نسيت أن «هتلر» والنازية، وصمت بعقدة الذنب، لأنهم ما قالوا وإن يقولوا إلا أن «هتلر» قد أحرق الملايين من اليهود، ولم يقولوا: الصهيونيين أو الإسرائيليين.

كما أن التهجير من روسيا، لم يكن إلا باسم «اليهود».

فليحتج هذا اليهودي البريطاني على ما سجله التاريخ، ولن يستطيع أن يزيّف التاريخ.

## صور

قال لي سويسري يتعلم العربية: أنا مقيد بمنطق بلدي السياسي - الحياد وليس غيره - لكن سلوك العرب السياسي في عملية الطرد لإسرائيل من المنظمات الدولية التابعة لهيئات الأمم، وفي هذه الآونة بالذات، يعرقل فرص السلام مع إسرائيل، يجعلها تتعنت أكثر، لأنها لا تريد السلام، ويعطيها قوة هذه السلبية من الولايات المتحدة، فلو عدل العرب عن هذا السلوك لطرده إسرائيل لأضاعوا عليها قوة المناهضة من الولايات المتحدة ومن دول السوق المشتركة.

- قلت له: إن العرب مضطرون لأن يثبتوا وجود المحارب لإسرائيل في كل مكان.

- قال أو ليس أبرع أساليب الحرب أن يتطور السلوك السياسي؟ فلا شك أنه بعد احتلال لبنان، والمجزرة، قد أصبح لزاماً أن يكون هناك تطور سياسي.

- قلت: الأحداث الصعبة لا بد وأن تحدث ما يتطلبه تأثيرها.

\* \* \*

أبعد العرب - مصر السادات - بسرعة «المكر - المفرد - المقبل - المدبر» حصان امرئ القيس.

وقررروا عودتها بسرعة يتباطأ فيها المتأني، ولا أقول كسرعة السلحفاة! فما أسرع الانفعال.. وما أبطأ الفعل.



## الكليات العسكرية

أبناء الجزيرة العربية هم بقية السلف أنسال الذين فتحوا الدنيا  
ونشروا آية الإسلام

فمن حظ العرب وفي نجد خاصة أن الفروسية فيها لم تمت رغم ما  
سلط على جزيرة العرب من التدمير والإبادة لكفاءة الحرب والجهاد في  
أفئدة أبنائها، فاحتفظت جزيرة العرب - أعني المملكة السعودية -  
بالفروسية، فما من فتى إلا وفي يده السيف والرمح والبندقية، وما من  
فارس إلا وفي يده العنان.. عنان فرس عربية.

لقد كان أول الجهاد بالانتداب، أعني الدعوة إليه، أو نسميه «النَّب» أما  
الآن فقد أصبح تحت نظام التجنيد «اختيارياً» ينتظم فتيان الجزيرة في  
الحرس والجيش، وينتظر فتيان الجزيرة الآخرون أن يكونوا الرديف إذا ما  
دعا الداعي إلى الجهاد.

ولقد كانت الفطنة والحصافة في الدولة ألا تترك الحفاظ على حدودها  
وأمنها وقيمها وقيمتها وقبل ذلك عقيدتها إلى ما كان عليه الأمر أولاً ندباً  
ونبأ، فالتفتت تسائر التطور، تفتح الأكاديميات مصانع رجال مؤمنين  
محاربين مجاهدين، كانت الفطنة والحصافة أخذت تسير الهوينا، تتألف

بالمسيرة الهينة الممتدة عواطف الرجال الذين كانوا ينفرون من لباس «الشنقيط» - يعني البذلة العسكرية، حتى إذا تآلفوا فألفوا أصبحوا يتزينون بالزي العسكري.

فالفطنة والحصافة في الدولة ترفض الطفرة كما ترفض التغيير، وتسير مع التطور خطوة خطوة، فكم هي الكليات العسكرية الآن؟ حينما أستعيد عددها أقول «بخ بخ» وحين أسمع اسم القبلي جندياً فيها أقول «مرحى مرحى»!

لقد عادت الحصافة والفطنة في هذه الدولة لشعبها العربي المسلم أن يمسك بالسلاح بعد أن أقصت الشعوية العربي أن يكون صاحب سلاح.

والفطنة والحصافة خذوها عن عبقرى هذه الأمة أبي حفص عمر بن الخطاب، لقد أبى أن يحرم المجاهد العربي فاتح الأرض من السلاح ومن أن يكون جندياً مجاهداً في كل وقت، كيف كان ذلك؟

لقد كان حين فتح العراق يوم نصر «القادسية»، وكانت السنة أن توزع الأرض على الفاتحين، فإذا عمر يقف بين أمرين.. فهل يسير في توزيع الأرض كما كان في خيبر ليصبح الفاتح العربي مشغولاً بالأرض مزارعاً يرعى الدواجن، فيسقط من يده السلاح، أم يبقى العربي المجاهد جندياً مسعر حرب مشعل جهاد؟ فاختار رضي الله عنه أن تبقى الأرض لأهلها وسن سنة الخراج، فقد وضع الخراج على الأرض قوة من المال تجبى للدولة، وبقي عمار الأرض لأهلها مصدر رزق للدولة وعيشاً هنيئاً للفاتح، هكذا كان حرص عمر بن الخطاب على بقاء العربي حاملاً السلاح، فكان عمله سنة، خليفة راشداً أجمع الصحابة على ألا يختلفوا على ذلك، فإذا هي سنة مؤكدة ساير بها عمر التطور رضي الله عنه.

وأختم كلمتي هذه بالاستراتيجية التي خطط لها أبو بكر الصديق سيد هذه الأمة بعد الأنبياء، الذي منحه الله أن يعمل في ثلاثين شهراً أكبر عجيبة في التاريخ، وحدة الأمة ومسيرة الفتح العظيم، إن كلمة أبي بكر هي في أمره اليومي إلى جيوش الشام، خطط بذلك لنصر «اليرموك» فقال يأمرهم: «كونوا في مكان واسع المطرد ضيق المعبر». فكان هذا الخط الاستراتيجي هو التكتيك بل هو التكنولوجيا جالب النصر، أطاح بالإمبراطورية الرومانية.

## امتصاص النعمة؟!!

ولست أُلوم الإعلام العربي، فقد قالوا: ما جاء على أصله، لا يسأل عنه!

فالشعوب العربية، لا بد وأن يطغي طبعها على أعلامها، فكل وسائل الإعلام تذيع عن إسرائيل أخبار المظاهرات حول «تل أبيب» ضد غزو لبنان، كما أنها تذيع وما زالت، أخبار لجنة التحقيق التي ألفتها من قضاتها، للتحقيق وكشف الجناة الذين قتلوا الأطفال والبنات، والرجال والأمهات في مجزرة «صبرا وشاتيلا».

كأنما الإعلام العربي، كالطبيعة العربية أخذ موضوع هذه اللجنة على أساس من التصديق، بينما هي حركة التفاف على المجزرة لامتصاص النعمة عالمياً وعربياً.

فكل معارضة في إسرائيل، أو نقد، أمر مفتعل، لا يأتي به هو: امتصاص النعمة، وأشعار الذين يصنعون الأخبار هنا وهناك، على أن إسرائيل دولة ديمقراطية، تسمح لمعارضة، تشكل لجنة تحقيق، نسمعه يذاع على أنه مقياس الديمقراطية، مع أنه لا ديمقراطية في إسرائيل، فأول من يعلم بطلان هذه الديمقراطية هم الذين صنعوها، والذين أعانوها، والذين هم لا زالوا في طاعة المدد لإسرائيل، وفي إضاعة الزمن بمعاهدة «كامب

ديفيد»، بمبادرة ريغان، كما ضاع زمن بمبادرة «روجرز»!  
كل ذلك كذب، لكن الإذاعة العربية في كل مصر، تذيع تلك الأخبار الديمقراطية على أنها صحيحة، لنفرح نحن العرب بها، وهكذا نحن - بصورة أو بأخرى - نعطي إسرائيل الفرصة تلو الفرصة لقتل الانفعال، ولامتصاص الغضب.

ولعلّي من ناحية أخرى ارتاح إلى قتل الانفعال، ولا أرى قيمة للغضب، فقد مضت خمسة وستون عاماً على احتلال الأرض الفلسطينية قطعة قطعة، وكل شيء هادئ في الميدان العربي، حتى حرب العبور، وكانت نصراً بحق، أجهضها زعيم، فانت بولد نغل، هو السلام بين إسرائيل ومصر، أبوه أمريكي، وأمه يهودية، وكل ما كان من «أنور السادات» أنه أصبح (القابلة)!

تمخضت حرب العبور عن انتقام يهودي - ما أفضعه - هو غزو لبنان، فلا نجد في الإعلام العربي إلا هذه الهدنة، كأنما نطرح الماضي بعيداً ونصمت، حتى الماضي بعيداً ونصمت، حتى عن إعلان الانتكاسات في الحاضر، حتى عن إعلان الموقف الغامض غير المفهوم، أو هو المتهم لبعض الزعامات العربية!

إن مجزرة «صبرا وشاتيلا».. لا أقول: قد نسيناها، وإنما أقول: قد نيناها، ولم تمض عليها أسابيع، كأنما الإعلام العربي يجرعنا جرعات مسكنة إلى درجة الغيوبة، أو إلى درجة فقدان الذاكرة!!

في هذا الزمن الذي امتد لمدة خمس وستين عاماً، سمعت إذاعة في العراق أيام حكم (الزعيم الأوحدا!): عبد الكريم قاسم، أذاعت علينا أنشودة، منها هذه الفقرة!

- «عبد الكريم قاسم.. أقرب نسب للمحكمة»!

يعني أن «المهداوي» قريب لعبد الكريم قاسم.

وسمع إذاعة عربية أيام تأميم القناة، تقول «إن جمال عبد الناصر يفتعل هذه الحركات، فاتفق معه الإنجليز على التأميم لإقصاء فرنسا».

وهكذا فإن الكثير من ذلك قد أذيع، يسمعه الذكي فيضحك ضحكة الثكلى، ويسمعه الغبي، فيقول: «إذا نزلت السماء على الأرض لا يصيبني إلا على قدر رأسي»!

إن كل ما تفعله إسرائيل من طرح الديمقراطية، أكرر فأقول: إنه لامتصاص النعمة، ولقتل الانفعال، وفضيحة الفعل، على الذين أمكنهم أن يفعلوا فلم يفعلوا!! وبس، كفاية، وإلا فهناك المزيد!

\* \* \*

## - صور:

يعد مجزرة لبنان، تصور العرب أن هناك وضعاً جديداً، وتضامناً شاملاً، وفعلاً بارزاً!

ولكن هذا التصور لم يصب بالتشاؤم بعد، فلا زال هناك بعض التفاؤل بعض التفاؤل، كما يقول العجائز: في التآني السلامة!

\* \* \*

وما كنت أعلم أن القاضي الفاضل السيد «خلف الحسيني» قد توفي في العام الماضي، ولكنني علمت بعد. وأريد أن أذكر حسنة له:

فقد كان رئيساً لمحكمة في القاهرة، وعرضت عليه قضية أملاك للأقباط مضت عليها ثمانية وعشرون عاماً، لم يصدر فيها حكم قضائي.

ولكن القاضي «خلف» تفرغ لها، فدرسها، وأصدر حكمه، يعيد للأقباط أملاكهم، أو هي من أوقاف الكنيسة.

وصدر الحكم، فإذا «الأنبا يؤنس» يتلفن للسيد خلف، يطلب تحديد موعد لزيارته، ليشكره، وحضر للزيارة، وأخذ يقول للسيد خلف:

- أشكرك على هذا الحكم، أعطينا أملاكنا.

- فقال السيد خلف الحسيني: لا توجه الشكر إليّ، الشكر يوجه منك إلى شريعة محمد رسول الله، حفظت حقوقكم وحياتكم (لكم مالنا، وعليكم ما علينا) فأنتم مواطنون في ذمة الإسلام وسكت «الأنبا» ثم يقول (أين الأولاد)؟

- فقال السيد خلف: ماذا تريد؟!

- قال أباركهم.

- قال السيد خلف: إنهم في بركة إسلامهم، لا يأخذون البركة منك! وهكذا، نجد أن شريعة الإسلام، لو احترمها أهلها، لما احترمها باطل، ولكن العيب لازال في المسلمين، أما الإسلام فلا يعتريه عيب.

## القصة واللغة!

مع الأستاذ العروسي المطوي :

الأستاذ «العروسي المطوي» حاضر بالأمس محاضرة شتيقة حافلة بتاريخ تونس وعن القصة والقارئ العربي واللغة.. فإذا هو قد باركه الله فلا هو شرقي ولا هو غربي.. فقد توسطت لهجته كأنما هو قد حدد نوع اللهجة تستقطب لغة وسيطاً.. فالمغربي يفهمه.. والمشرقي يفهمه.

ذلك من أثر الألفة.. فهو إنسان أليف قد جاب الأرض العربية فخالط رجالاً كثيرين فإذا هو اليوم كواحد منا عرفناه سفيراً لتونس الخضراء قبل عشرين عاماً فكان الصديق ليس لمعاشرته وإنما كان الصديق لنفسه.. ف صداقة الإنسان لنفسه يستوعب بها الإنسان المعرفة فما أحسب إلا أنه قد عرف عنا نحن العربيين السعوديين أكثر من بعض الذين يحجزون أنفسهم في أبراج عاجية..

فالعروسي قد تبرج بيننا يبهرجنا ونبهرجه.

إن هذا الأستاذ السفير وقد انتهى من السفارة السياسية لكنه ما زال سفيراً يسفر بالسفر «الكتاب» ينشر ويحقق.. فهو بين المشرق والمغرب سفير الثقافة ينشر الكتاب.. يحققه.. فأصبح العطاء جيداً وكثيراً ومفيداً



للمثقفين جميعاً من الخليج إلى المحيط أو كما يحلو لي: من شرق السويس وغرب السويس.

لقد ابتدأ يؤرخ لتونس كأنما أراد أن يشبعنا بنشوة التاريخ فابتدأ بعبد الله بن سعد بن أبي السرح قائد الفتح الأول لإفريقية.. فعبد الله بن أبي السرح سار من الفسطاط وبدأ من تونس.. ويحلو لي أن أسجل أن عواصم الفتح ست:

المدينة المنورة دار الهجرة: كانت الأولى في عهد الخلفاء الراشدين.. وجاء عهد أمية فتعانقت العواصم الخمس: دمشق عاصمة الإمبراطور.. والكوفة عاصمة العاصمة، شرق منها الفتح فلم يغرب، وإنما أهدى للإسلام الأئمة صناع الحضارة الوسيط..

والفسطاط (مصر) عاصمة العاصمة غرب منها الفتح فعرب وأهدانا الأئمة صوان الشريعة.

وتونس: كانت عاصمة التوسع في الشمال الإفريقي.. فمن حاضرة القيروان كانت هدية تونس عقبة بن نافع قائداً فاتحاً والأئمة أسد بن الفرات وسحنون وابن خلدون ومن إليهم ومن بعدهم.

والخامسة فاس: صولة الذخر كانت الهدية منها فتح الأندلس فإذا الأندلس حضارة الحضارة الإسلامية.. لئن فقدنا الفردوس المفقود فإن الحضارة فيه إلى الآن تتفقد المشاركة أن يعرفوها..

ولقد قال وقى: لولا دمشق لما كانت طليطلة.. وقلنا: لولا حراء لما كانت دمشق ولا بغداد ولا القاهرة ولا تونس ولا فاس ولا قرطبة.. ولا صنعاء..

إن الأستاذ العروسي ينبغي أن أدير معه حواراً.. لقد فرحت أن ذكر الثعالبي عبد العزيز، فهو جمال الدين الأفغاني في تونس وهو نزيل مصر.. فلماذا لم يذكر العروبي «قرطاجنة» ليشيد باسم هاني البال «هاني بال»؟ فليس من الإنصاف أن ننسى عراقية العروبة في إفريقية فهاني بال عربيه أستاذنا عباس محمود العقاد حينما فصّح فقال «هاني البال».. فأمة العرب ليس تاريخها جديداً.. فلئن أعطاه الإسلام جدة تاريخها ومسيرة مجدها والحفاظ على فصاحة لسانها بالكتاب المبين القرآن: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ﴾ (الزمر: ٢٨) فإنها أمة عريقة في التاريخ.

فالقُرطاج الفينيقية وهاني بال عرب وإن رغمت أنوف..

إن إفريقية وشعوبها عرب.. فهم وإن قالوا بربر فإنهم من الذراري التي ترسخت أقدامها يوم وصل إلى مغرب الشمس ذو القرنين «المصعب بن الحارث اليماني».

إنهم حميريون.. فأصغوا سمعكم إلى لبناني يتكلم وإلى تونسي أو جزائري أو مغربي يتكلم تجدوا أنهم رغم انتشار الفصحى العدنانية بينهم فلا تجد حرف المد قد امتد في الكلمة التي ينطقها اللبناني والتونسي ومن إليهم..

إذا سمعت كلمة «تونس» فالواو حرف المد يذوب في اللهجة.. وإذا سمعت كلمة «الجزائر» تجد الألف حرف المد قد ذاب في اللهجة..

كنت في واشنطن العاصمة وفي مكتب دكتور «هدلي» فقال لي حين امتد حوار بيني وبينه: إن سكان إفريقية القارة قد انحدروا من الشمال..

قلت له أي شمال تعني؟ شمال القارة نفسها؟ فبعض ذلك قد كان، أما إن كنت تعني أوروبا فذلك لم يكن: لأن إنسان إفريقية كان موجوداً فيها

يوم كانت أوروبا غارقة في الثلج .

ولكنني أؤكد لك أن الإنسان الإفريقي سواء كان في شمالها أو فيما بعد شمالها قد انساح إليها من الشرق . .

إن الشعوب العربية في أفريقيا من غرب السويس إلى وطأة القدم على بحر الظلمات (الأطلسي) يحبون هذه الأرض جزيرة العرب حبهم لمسجديها . . حبهم لإسلامها . . حبهم لتراثها . . فهم يحبون أرضنا وإنسانها لأنها أهل الثبات والإثبات . . فهناك مثل . . فقد قالوا :

لقد نزل القرآن مكيّاً مدنياً وحفظ في المغرب وكتب في اسطنبول وقرئ في مصر . .

فأهل المغرب كلهم لا زالوا يحافظون على مذهب أهل المدينة مذهب مالك بن أنس . . ولا زالوا يحافظون على قراءة أهل المدينة قراءة نافع بن أبي نعيم .

وأخيراً . . فأنا مع الأستاذ العروسي في تأثير القصة . . فشاعر الربابة حين قرأ الملاحم كقصص لا زال تأثيره باقياً في عواطف الشعوب . . ولا زالت أسماء أبطالهم محفوظة لدى الشعوب . . ولله المثل الأعلى . . فهذا القرآن قد أعطانا المظلة والعبرة في القصص القرآني . . وإن تأثيره لقوي فيمن اتعظ وفيمن اعتبر . .

إن قصة يوسف عليه السلام قد بلغت من الروعة أسمى ما حققه البيان، فهي مثل أعلى في القصة لا يكاد يبلغه مثل آخر من صنع البشر . .

بقي أن نعرف الأسلوب الذي تؤثر به القصة . . من هنا أختلف مع الأستاذ العروسي فأقول إنه الأسلوب الواحد . . وهو في اللغة الفصحى . .

يتوسط الكاتب بين أسلوب الحريري وحمزة فتح الله وبين الذين يريدون أن تكتب القصة بأسلوب عامي.. وهذا الأسلوب الوسط تجده الآن في الذين يكتبون القصة.. فلا هم يذبون ولا يسفون.. كأسلوب الدكتور هيكل في «زينب» وتوفيق الحكيم في «يوميات نائب في الأرياف» ونجيب محفوظ فيما كتب..

فلئن غلبت المحلية فإن الأسلوب يفهمه كل قارئ شرق السويس وغرب السويس..

أما الدعوة لأن تكتب القصص باللغة العامية التي يتجنب الأستاذ العروسي ذكرها فيقول الدارجة فإن ذلك يغرق الأمة العربية إلى شعوبية اللهجات إضافة إلى شعوبية الإقليمية.

فهل يعني أن يكتب القاص التونسي بلهجة تونس والجزائري كذلك بلهجة الجزائر.. والسوداني بلهجة السودان والمصري والعراقي والشامي والسعودي كل منهم يكتب بلهجته.. إن معنى ذلك قضاء على وحدة الأمة في لغتها إضافة إلى تشتيت الوحدة الإقليمية أو سياسية..

إن اللغة الفصحى هي الجامعة.. أما كتابة القصص بكل لهجة فمعناه الشعوبية الجديدة..

وما أحسن دعوة الأستاذ عزيز ضياء لتيسير القراءة أن تطبع الكتب والمجلات والصحف مشكولة لتيسير القراءة حتى نتغلب على هذا الإهمال الذي جعل الناس يقولون إن العرب لا يقرأون..

وقد أزعجني على معرفة.. كما أزعجني إني لا أخطئ نحوياً ولكن فوات التلقي والتلقين قد جرني كثيراً أن أقرأ الكلمة صحيحة صرفاً.. فقد كنت أنطق كلمة «البيئة» بكسر الباء أنطقها بفتح الباء.. ولم أتلق التصحيح

من أحد إلا من الأستاذ عبد الحق النقشبندى يرحمه الله .  
ثم إن الأقاليم العربية رغم تحديدها فإنها تتألف من بيئات مختلفة : بدو  
وحاضرة متعلمون وأميون . . فلا بد من وسيلة الإيضاح بالتشكيل . .  
فتحية للأستاذ العروسي قد فاتني أن ألقى ما كتبه الآن . . فما أحببت  
أن يفوتني التعليق في صحيفة . . وفي صحيفة المدينة بالذات التي يحبها  
المغاربة . .

## سيكوتوري وشولتز

وكان حقاً علي أن أكتب عن الشيخ أحمد توري (سيكوتوري) فقد توفاه الله، فهذا الزعيم الإفريقي لا أجد من يقترون به، أو هو قد شابه بعض مواقفه الإفريقية، إن الشيخ أحمد توري إذا ما ذكر في التاريخ لا بد وأن يطرح الكاتب المقارنة بينه وبين زعيم السنغال ليوبولد سنور، فقد اختلفا في العقيدة، فزعيم غينيا مسلم وزعيم السنغال (صنهاجة) مسيحي، تزعم رئيساً على الأكثرية المسلمة، لكنهما وإن اختلفا في العقيدة - مسلماً ومسيحياً - فقد كان الشبه بينهما كبيراً في ممارسة الزعامة على شعبيهما، فكلاهما إفريقي، لم تبعد بينهما الزعامة ولا الديانة عن العمل لاستقلال إفريقيا كلها، حيث ضرب كل منهما المثل عن صون الاستقلال، وعن الراحة من إثارة الشغب على كل منهما.

فأحمد توري قد تحصّن بإسلامه، فإذا هو في منظمة المؤتمر الإسلامي طليعة، وإذا هو بإسلامه أصبح حفيظاً على العلاقة العربية، فهو لم يكن نزقاً ولا طائشاً ولا مستقطباً، لأن عقله قد اتزن مع عواطفه، فالعقل فيه لا يجوز على العاطفة، والعاطفة به لا تنحرف عن العقل، من هنا عظم إفريقيا وإسلامياً وعربياً، فإذا دنيا الإسلام والعروبة تأسف لوفاته وترسل العزاء، ويشارك المسجد المسلم في هذا العزاء، يصلي عليه صلاة الغائب.

أما ليوبولد سنجور فلئن قد تشابه مع سيكوتوري في الحفاظ على إفريقيا وعلى شعبيهما، فإن ليوبولد سنجور أزعـم أنه العـديل في إفريقيا، كأنه جواهر لآل نهرو، كأنما إفريقيا قالت: أنا بليوبولد سنجور، كاسياً بجواهر لآل نهرو، كما أن هذا يدعوننا لأن نقول إن أحمد توري هو العـديل في إفريقيا للزعيم الباكستاني ضياء الحق.

إن هذا التعادل لم ينشأ من فراغ ولم يأت ترفاً، ولكن الاستعمار والضم والحفاظ على انتماء كل من هؤلاء إلى الشرق: آسيا وإفريقيا، قد أعطى هذا التشابه قيمة التعادل. إن إفريقيا كما قلت أكثر من مرة مسلمة، وإن كثر فيها غير المسلمين، فلا تجد إفريقياً وإن كان على غير الإسلام، إلا ويتجه بعقله نحو الشرق لأن آسيا وإفريقيا هما الشرق، فالضم كان لهما وعليهما، والاستقلال والسيادة والحرية والتنمية كان كل ذلك مطلبهما جميعاً.

لكن هناك مفارقة بين ليوبولد سنجور وأحمد توري، فسنجور أدى دوره ونظم مستقبل الزعامة وتخلّى احتراماً للأكثرية المسلمة للزعيم بعده الرئيس عبدو ضيوف، ولكن لم نجد إلى الآن أن أحمد توري وقد فاجأته الوفاة قد أوجد الخلف وأسس للشعب المصير بعد وفاته، فالأمل أن تبقى غينيا كما كانت أيام أحمد توري.

وإن أحمد توري لو شاء أن يبعثر تراث إفريقيا بالغضب والحماسة لوجد مجالاً واسعاً، ولكنه اتزن فاخترن التقدير له. فالتقدير في آسيا وإفريقيا قد سمعناه واحترمناه، لكن هناك تقديراً جاء على لسان وزير خارجية الولايات المتحدة، مستر جورج شولتز، فأنا لم أعود أن أسمع إذاعة واشنطن (صوت أمريكا) ولكن المصادفة، وقد كنت في السيارة، هي أن السائق فتح

صوت أمريكا، فإذا هم يقرظون سيكوتوري، ولم أستكثر على الإذاعة أن تفعل ذلك، ولكن الكثير عندي، الذي ما كنت أحسبه قد يقع، هو كلام أذاعوه على لسان جورج شولتز، فقلت وأنا أسمع: لقد عاد سيكوتوري جورج شولتز إلى مبادئ ولسون، فلقد قال هذا الوزير ما معناه: إن سيكوتوري بطل من أبطال الحرية، وزعيم من زعماء الاستقلال، فلقد صنع لشعبه ولإفريقيا ذلك.

إن ما فعله سيكوتوري هو أشبه ما يكون فيه التطبيق لمبادئ ولسون سنة ١٩١٨، وتلك المبادئ هي إعطاء الشعوب حريتها واستقلالها والعمل لمصيرها، ويعني ذلك أنه لا استعمار ولا استغلال، فلقد ذكر شولتز أن ما حققه سكوتوي هو ما طالب به ولسون.

وسألت نفسي: هل هي ازدواجية ركبت عقل شولتز؟ أم هي عواطف الأمريكي، حفيد الرواد الذين انتزعوا الاستقلال والحرية؟ كل ذلك قد يكون، ولكن السؤال يطرح: هل المستر شولتز يمارس مع العرب الاحترام لمبادئ ولسون؟ أم أن ازدواجية السلوك في السياسة تكيل الثناء لسيكوتوري، وتنسى أن ترشد نفسها بالعودة إلى مبادئ ولسون، فلا تنقل سفارة أمريكا إلى القدس، ولا تعاون إسرائيل على إهدار مبادئ ولسون!

يرحم الله سيكوتوري، فقد أعطانا مؤشراً على أن الازدواجية في شولتز ستضغط عليها الظروف القاهرة، لتصبح تزواجاً، يعتدل به الميزان، لتبقى صداقة العرب مع أمريكا حيث لا تكون أمريكا ضد مبادئ ولسون!



## وقهقه الشيطان

فحين ينتصر الشيطان على الإنسان يصرخ فرحاً حين يفترس الإنسان نفسه، حين يصبح الإنسان في قبضة الشيطان، وقبضة الشيطان هذه قد استحوذ بها على عون له، يسير على نهج الشيطان.

ذلكم هو اليهود!

هم جند الشيطان في هذه الأرض، فكل الدمار الذي يريده إبليس كانوا هم الأداة والوسيلة، فما من حركة هدامة ولا من مذهب فاسق ولا من فجور استباحوا به الأرض والعرض إلا واليهود هم صانعوه.

ومتى سمعت قهقهة الشيطان؟ لم يكن ذلك السماع تلقفته الأذن، وإنما هو استكناه الواقع في الشعوب الأوروبية كلها، وفي أنسالها في القارات الأخرى. لم يتسلط عليهم الشيطان مباشرة وإنما كان سلطانه بيد اليهود على صورة غير مباشرة تعلن نفسها أنها اليهودية، وإنما هي سخرت هذه الكثرة في الشعوب الأوروبية وبأطماع السياسة الأوروبية وبتحريك الأحقاد الصليبية، سخرتها بتلك الأيديولوجية الجديدة.. الصهيونية في جانب الغرب والشيوعية في جانب الشرق.

وخرج اليهود جند الشيطان بتحريك جديد اسمه حقوق الإنسان، ففي مؤتمر الأمن الأوروبي الذي طال الأمد على انعقاده، والمنعقد في مدريد

برز شيطان اليهود بين الغربيين الذين جعلوه مبدأ يضغطون به على الاتحاد السوفياتي، وبين الاتحاد السوفياتي الذي يظهر الغضب من أن يفرض عليه، ويستبطن الرضى عنه هو المطلب لدى الاتحاد السوفياتي الذي يتيح له أن يهجر اليهود إلى خارج الاتحاد السوفياتي كما يدعي، بينما إمبراطورية الكرملين تعرف حق المعرفة أنها حين تمارس العطاء لحقوق الإنسان لتهجر اليهود فهي تفعل ما أرادت بحركة التفاف على العرب تزعم بأنها لم تهجر اليهود أو المتمردين إلا خارج حدودها، مع أنها تعلم حق العلم أنهم - أعني هؤلاء اليهود أو المتهودين - لم يخرجوا من أرضهم إلا إلى الأرض العربية، عوناً بهذه القوة البشرية أشد نكالاً على العرب من قوة السلاح الأمريكي.

ففي هذا المؤتمر طرحت دول محايدة رأياً وسطاً رفضته دول الغرب بحجة أنه يعطل المسيرة لحقوق الإنسان، هنا فقهقه الشيطان.. وبكى التاريخ!!

فأي إنسان أرادوا أن يأخذ حقوقه؟ هل هو الإنسان في جنوب إفريقيا.. في ناميبيا؟ هل هو الإنسان العربي في فلسطين؟ هل هي كل العرب؟ أم هو الإنسان المسلم في أفغانستان؟ أم هو الزنجي في أمريكا؟ كل هؤلاء لم يكونوا في حساب هذه الغضبة العربية، فالإنسان عندهم هو اليهودي في الاتحاد السوفيتي، فلم يريدوا منحه الحق الإنساني، وإنما أرادوا أن يهدروا به الحق العربي. فالإنسان اليهودي في الاتحاد السوفياتي هو صاحب الحقوق. فالإيجاب من الدول الغربية نحو ذلك هو السلب ضد الغرب، والسلب الظاهر من الاتحاد السوفياتي المستتر نحو تهجير اليهود إهداراً لحق العرب.

إن الشيطان حينذاك ما زال يقهقه، حتى إذا شبع التفت يقول للأبالسة: إن كيدي قد عطله الإيمان، قد أخره دين الإسلام، ولكن اليهود الذين أصبحوا شعبي بوازع فقدان الضمير فيهم حيث لا يتعذبون بوخز الضمير، لأن كل طغيانهم وفسوقهم محمول على المخلص. إن وسوستي هي التي زرعت في ضمائرهم عقيدة المخلص التي أصبحت عقدة يطغى بها اليهود، ولا يسألون أنفسهم عن عذاب المصير لهم.

إن الغرب والشرق قد احترفوا حقوق الإنسان فقصروها على اليهودي ليصب العذاب على العرب.

### - حوار:

حبيب إليّ أن يعود الكاتب إلى تراثه وميراثه، والحمد لواقعه، والشكر لعطاء هذا الواقع، والنقد لما يعتور واقعه من شوائب، فحين يكون الكاتب كذلك يصلح من العطاء فيصلح له القارئ.

أما التعلق بغير ذلك فشيء ليس منه إلا شائبة تضر بالواقع إلا أن يكون ما يأخذه من الأفكار الجديدة روافد تنمو بها ثقافته، تضيئ له الواقع بالصالح من تلك الأفكار، فليس هناك حجر على المثقف أن يسترشد كل رافد ما دام قد اكتملت ثقافته وشبت مداركه وكملت حصافته وصدقت مشاعره نحو واقعه، أعني واقع وطني فالوطن ليس هو الأرض المحدودة فحسب، وإنما الوطن هو التراث والميراث يزينه الرافد الحق ويشينها الباطل.

إن الوطن.. هذا الكيان الكبير لا ينحصر في الأرض لأنها قد اتسعت، أعني أرضه، حتى أصبحت هذه الأرض وكأنها كل الأرض العربية المسلمة. فالعقيدة الجامعة والقومية المجتمعة بينهما التزاوج لا الازدواجية،

فإذا ما كانت الأرض جامعة والعقيدة جامعة واللغة جامعة، فإن التاريخ هو المجمع الذي يعرف منه المثقف ما له من حق وما عليه من واجب.

إن الحجر ليس قيئاً إذا ما انصب على الصالح يقتنيه وإذا ما طرد الطالح يحتويه، وإنما هو إذا ما التفت المثقف إلى ما يجب عليه ودان هذا الحجر لا يضيق به وإنما يتسع ليكون المثقف محيطاً بماضيه، حاضراً في حاضره، محضراً لمستقبله، ولا يحسبن المثقف أنه مقود بهذا الحجر وإنما عطاء القيادة له كحق فيه الالتزام بحراسة الواجب.

إن المثقف الآن يتعرض لهذه الكثرة الكاثرة والوفرة المتوافرة بين يديه.. صحيفة يقرأها، مجلة يطالعها، كتاباً يدرسه، تلفازاً يشاهده، إذاعة يسمعها، كأنما كل الدنيا قد أحاط بها بصره وسمعه، فمن العطاء منه والعطاء له أن يكون على بيئة يتكامل بها الواحد مع الآخر ليكون المثقفون في أحضان جامعة الوطن. فلسنا في حاجة إلى أن تتوزع عواطفنا، وإنما لفي أمس الحاجة لأن تنمو هذه العواطف سنداً للعقل والفكر.

فالحجر يقتنيه المثقف إذا ما حصر نفسه حين يستغرب بفكره أو يستشرق بعواطفه، فالتنوع سلباً أو إيجابياً تتسع به الثقافة ولكن الحجر ينبغي أن يكون من المثقف نفسه على نفسه، ذلك رأي حين أبدى أفترض قبوله ولا أفرض تقبله، فلعل من يرفضه يواكب ما كتبت مستجيباً له أو متناقضاً معه. فما أريده من التهدي هو أن أهتدي بالحوار لا مع الذين يستجيبون وإنما مع الذين يرفضون، فالمتناقضات حياة للمفكر أكثر من الرغبة في تذليل الإمعات.

فحبیب أئی أن أجد النقيض لأنی حينذاك أجد هذا المتناقض معی قد استوعب ما ذكرت حين يرفضه أكثر من استيعاب الذين تقبلوه.

أليست زبيدة.. . في «تاريخ بغداد»!

وخطر لي بحماسة القراءة أن استقرئ ترجمة للسيدة زبيدة، وجدتها في «تاريخ بغداد» لحافظ المشرق الخطيب البغدادي، فلخصتها دون سند أنشرها لأجديني أعلق عليها:

«أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، المعروفة بزبيدة زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، كانت معروفة بالخير والأفضال على أهل العلم، والبر للفقراء والمساكين، ولها آثار كثيرة في طريق مكة من مصارف حفرتها، وبرك أحدثتها، وكذلك بمكة والمدينة، وليس في بنات هاشم عباسية ولدت خليفة إلا هي، ويقال إنها ولدت في حياة المنصور، فكان المنصور يرقصها وهي صغيرة فيقول لها.. أنت زبدة وأنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها، حجت أم جعفر وبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف».

قالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد: أهنيك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة فقد عوضت ابناً خليفة لم ألد، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ.

«ماتت أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر، واسمها زبيدة، ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين».

«قال عبد الله بن المبارك: رأيت زبيدة في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي: بأول معول ضرب في طريق مكة.. قلت: فما هذه الصفرة في وجهك؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريس زفرت جهنم عليه زفرة فاقشعر لها جلدي، فهذه الصفرة من تلك الزفرة».

هذه الترجمة فيها موعظة وعبرة، فالموعظة فيها البشارة على من يحن إلى مكة، وما أجل الذين أحسنوا وما أقلهم، فالله سبحانه وتعالى قد منّ على السيدة زبيدة بالعفو والمغفرة بما أحسنت، وإنا لنسأله سبحانه وتعالى أن يمن بالرحمة والمغفرة على من تبع الأثر إحساناً إلى هذا البلد الأمين.

هذه الصورة الأولى، أما الصورة الثانية ففي زمن غير بعيد قرأت في هذا الكتاب ترجمة لهذا اليهودي ابن اليهودي الذي أحال عقيدة المخلص عند اليهود إلى عقيدة الأرجاء، يبيح للإنسان أنه لا جنة ولا نار عذاب. ولقد قرأت سخريته بالجنة والنار والأنبياء يوم تكلم مع الإمام الشافعي فأغضب الإمام، وسمع الرشيد بهذا المبتدع فأقسم «لئن ظفرت به فلاقتلته» فكيف لم يظفر به الرشيد وهو في بغداد؟ هل هناك من تستر عليه فحماه؟ لا بد أنه وجد الحماية إما لئلا يقتله الرشيد فجنبوا الرشيد ذلك ليكون هلاك بشر المريسي برمية من الله، وإما أن هناك من يعطف على بشر إشفاقاً أو اغتناماً لعقيدة الأرجاء، فإذا رؤية ابن المبارك وهو أحد الأئمة الستة الذين حفظ بهم الله الدين قد أوضحت العذاب لبشر. وهل كانت زبيدة البرهان بما حصل لها على أن القصر كان فيه من تستر على بشر؟ فكشف الله لها العقبي التي عذّب بها بشر حتى زفرت جهنم اقشعر جسم السيدة التي غفر الله لها.

## - مفارقة

أخونا طاهر الزمخشري الآن في تونس يعالج المرض من التمريض أو التمريض من المرض - شفاه الله، وهذا الزمخشري لم تكن بيني وبينه مفارقة أو متناقضات يوم كنا عشراء في المدينة ومكة والخرج وجدة، ولكن أبت الأيام إلا أن تكون بيني وبينه مفارقة واحدة. فهو يساري المرض وأنا

يميني المرض، فحين استكلى كان يساري المرض، وحين استكبدت كنت يميني المرض! غير أن هذه المفارقة تزيد الحب حباً، فاليمينية واليسارية لم تكن من عمل الفكر وإنما نحن نرجو الله أن تكون عامل الأجر.

### - إن هذا لا يرضي إسرائيل !!

إن هذا لا يرضي بريطانيا.. عبارة رقيقة فيها نظرية.. مذيلة بالتوقيع: خادمكم المطيع، يحمل التوقيع اسم المندوب السامي البريطاني، أو السفير البريطاني.. أما نائب الملك في الهند فهو الحاكم والسلطان والجيش والإمبراطورية كلها..

هذه العبارة الرقيقة كأسلوب تعني الإنذار.. فلا يسع رئيس الحكومة الموجه لها هذا الإنذار إلا الطاعة.. فمثلاً يوجد شارع حول السفارة البريطانية تريد حكومة البلد توسعته فيأتي الإنذار، لقد نمى إلى حكومة صاحب الجلالة الإمبراطور أن في عزم حكومتكم توسعة الشارع الملاصق للسفارة لمرور السيارات والعربات.. هذا فيه شيء من الازعاج لموظفي السفارة ولأسرة السفير.. إن هذا لا يرضي بريطانيا فتعدل الحكومة عن توسعة الشارع..

إن هذه الصورة وهذا التصرف قد تمتعت بهما بريطانيا أيام الإمبراطورية.. أيام الأسطول وزهو النجاح.. أيام كانت لا تغرب الشمس عن أملاكها.. فلقد انتهى ذلك الآن فلم يعد هذا الأسلوب المتبع في سياسة بريطانيا.. ولم ترث هذا الأسلوب الولايات المتحدة، فلها أساليبها الأخرى.. ولكن الوارث الوحيد لهذا الأسلوب البريطاني هو إسرائيل.. على قطعة من الأرض العربية تكوّنت بوعد من بريطانيا التي وفّت بهذا

الوعد ومن أجله لم تف بعهودها.. وعجيب أن يكون الوعد منفذاً وأن يكون العهد منفذاً وأن يكون العهد منتقضاً..

إن إسرائيل في هذه القطعة من الأرض العربية تمثل الإمبراطورية الجديدة إمبراطورية اليهود التي وبعبارة صريحة - لا تغرب الشمس عن مناطق نفوذها.. إنها إمبراطورية بلا إمبراطور.. بلا أساطيل.. ولكنها سخرت الإمبراطوريتين، فهي تملك بحق الاتفاق قوة «البتاجون» وقوة السياسة الروسية وقوة التسلط على أوروبا الغربية.. وقوة الضعف على الأمة العربية، كلهم مجند لإمبراطورية اليهود.. فهي بهذا كله أصبحت وارثة الأسلوب البريطاني: «إن هذا لا يرضي إسرائيل».

أعجزت بريطانيا أن تبيع السلاح للعرب وسخرت الولايات المتحدة لأن تنقض وعدها لبيع السلاح للعرب.. ومنعت دول السوق المشتركة أن تكون صريحة مع الموقف العربي، وذلك في صالح الدول الغربية لأن الأمة العربية وأكثرها مع العالم الحر في وضع الجناح الأيمن لحلف الأطلسي.. هذه الدول تقف حائرة خوفاً من اليهود.. وطاعة لإسرائيل.. وخذلاناً لمصالحنا.

وحين أرسل البابا كلمة عن القدس - وهي تعني بصراحة تدويل القدس - رفضت إسرائيل هذه الكلمة ولم تحافظ على احترام رأس الكنيسة الكاثوليكية لأنها لا تخشى ملايين الكاثوليك.. فلئن جزعوا فترة احتراماً للبابا فإنهم عاجزون أن يغضبوا إسرائيل..

وأنكرت على الباب استقباله لياسر عرفات ولم تحفظ للبابا موقفه مع اليهود لأنه حاول تبرئتهم مما يعتقد الكاثوليك بأنهم صلبوا السيد المسيح.. حتى عقيدة يضعها اليهود.. فكل تصرف لا يرضى عنه اليهود لا



يسير خطوة نحو التنفيذ وإنما الذي ينفذ هو ما ترغبه إسرائيل أي ما يفرضه اليهود..

أفليس ذلك يعني أن اليهود أصبحوا الإمبراطورية العالمية؟ فرضت سلطانها على الجميع!..

ولا أريد أن أتخفى.. ففوة الضعف في الأمة العربية أقوى هذه الأسلحة في يد إسرائيل..

## المثلث الرهيب

وقد يكون هذا العنوان مقتبساً لا نسرقه وإنما نستعيّره لأنه يمثل الصورة، صورة (الكماشة) التي أطبقت على العرب من الغرب والشرق، إذاً فهما مثلثان رهيبان.

فالمثلث الأول يتألف الصليبية والآرية واليهودية، والمثلث الآخر يتألف من حقد الهرموزان وخنجر ابن لؤلؤة واليهودية، فاليهودية، والحالة هذه، هي القاسم المشترك كأن هذين المثلثين من صنع اليهود إلا ما تصنع البداية فقد أمسكت بالبداية ألا تصنع فنفتت الحقد وجسدت البغضاء وشجعت العدوان، ولكن ما الذي جعلني أفكر هكذا، أقترح سجل التاريخ بفقّه قد لا يكون جديداً، إنما كل الجدة له أن الضيم آثاره في تفكيري، فالضيم لا بد أن أثير به عواطف القارئ لعلّي أجد في الذين يقرأون أن يحترفوا الحقد على هذين المثلثين.

إن المثلث الأول وهو الغربي قد فتح أبوابه وعواصمه فالأبواق تثير على العراق تتهمة تصديقاً لتهمة إيران، الآية شكلاً وموضوعاً وتاريخاً، إن الأبواق بدأت تصرخ لأنهم كما يدعون إنسانيون يذرفون الدمع على الحرقه بالغاز السام، إنها كذبة التاريخ، فهل ذرفوا الدمعة على الساميين العرب الذين تحتل أرضهم إسرائيل ويقتلهم اليهود في فلسطين في لبنان في صبرا وشاتيلا!

ما أشد جرأتهم على الأخلاق، ولكنها ازدواجية لم يذرفوا الدمع على الأفغان مع أن خراسان آرية ولكن سلاح السلافيين أقوى، يخافون فكتموا دموعهم على الأفغان مع أن هلكى الغازات السامة في الأفغان كثيرون.. كثيرون.

وعواصم الآرية فتحت مستشفياتها، ليست لعلاج الجرحى وإنما لدعاية التجريح في سمعة العرب الذين يمثلون اليوم السامية الحققة، فإسرائيل لم تعد سامية وإنما هم سلافيون، ما أشد قربهم أو تقربهم للآرية والصليبية والشيوعية.

إن العواصم الآرية ما فتحت مستشفياتها إلا استجابة لعنصرية الآرية تبث الدعاية ضد السامية العراقية، فالعراق عرب والعرب ساميون والغرب كل الغرب آريون.

إنهم يمثلون قابيل ووضعوا العرب في موضع هابيل.

والمثلث الثاني الشرقي لا يحتاج إلى تفصيل أو تأويل، كانت البداية من حقد الهرمزان يخطط لقتل عمر وخنجر أبي لؤلؤة يغتال عمر، إن شراسة العدوان على العراق هي صورة من شراسة رستم ذي الأكتاف وقمبيز وأنو شروان، فحين عز على الهرمزان أن ينتصر دبر المؤامرة فوجد في بطولة الغباوة والحق في أبي لؤلؤة يستل خنجراً يطعن عمر.

ووجدت اليهودية كل الفرص أمامها تحتال حينما تثير البغضاء وحيناً تتذرع بالحب وحيناً بوسائل أخرى.

فالغرب هو في قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدّ

هل استطعت أن أوضح الكماشة، كماشة الغرب بالنفاق السياسي  
وكماشة الشرق بالعدوان والبغضاء!

ومات أستاذنا العالم النظيف الدمشقي أبو جمال الدين القاسمي،  
مات ظافر في باريس!..

وارحمته للغريب في البلد النائي ماذا بنفسه صنعاً  
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

ظافر القاسمي من أعيان دمشق، أبوه علامتها فقد كان سلفياً واسع  
المعرفة رحيب الصدر يلتزم بعقيدة السلف ولا يتزمت، فقد قرأت مذكرات  
جمال فوجدته واسع الصدر ينصف ولا يجحف، فنشأ ابنه ظافر على ما  
نشأ أبوه. إنه الضيم كل الضيم ذاقه ابن خلدون وذاقه أبو خلدون وتعذب  
به جمال الدين الأفغاني حتى أن أرض الإسلام الواسعة وأرض العروبة  
المتسعة قد ضاقت فلم يجد فيها ظافر القاسم قبراً كأنما هو ينظم بهذه  
المأساة في عقد من جوهر التاريخ. إذا ما عرفنا ما صنعه الضيم في رجال  
كبار ليس أولهم ابن خلدون وليس آخرهم ظافر القاسمي كأنما المتنبى نظر  
إلى هؤلاء فقال: أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم  
من الفطن.

ولم أكن قد عرفت خبر موت ظافر ولكن ابن عمه الأستاذ محمد عمر  
توفيق وهو يعرف صداقتي لهما شافهني بالتعزية وأفاضل الأصدقاء يتقبلون  
التعازي بالأصدقاء.

لقد عرفت ظافر القاسمي هنا في بلدي ولم يكن الغريب فيها، متعني  
بصحبتة، تعلمت منه الكثير، ولعلّه عرف مني القليل وهو الذي عقد بيني

وبين صديقه (جاك بيرث) البرفسور الفرنسي المستعرب، صداقة طورت حين أهديت للبرفسور بإغراء ظافر الكتاب صحيح الآثار لابن بليهد، وأعجبوا لهذه المفارقة: لقد وصل إلى جدة هذه المستعرب المسيحي الفرنسي يريد أن يعرف آثار الشعراء الدخول فحومل والمنفوحة وعكاظ والجواء وجبل التوباد، كأنما هو عاشق وجاء معه عالم أزهري يحمل لقب الدكتور فقد دعوتهم إلى حفل عشاء تفضل بإقامته لهم الابن الصديق عبد العزيز بن عبد الله بن سليمان لأنني لم أكن أملك من المال ما أقيم به الاحتفال، وحضر الحفل جمع من العربيين السعوديين على رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وحين تشعب الحديث تشقق الكلام وخرج «جاك بيرث» والعلامة الأزهري كأنه يمدحني: ما حسبت أنكم هكذا، لقد كنت أظن بلدة هكذا فيها من المثقفين أكثر مني، فرفضت هذا المدح حين رأيته القدح يعيب بلد المسجدين فقلت له: استغفر الله فملء إهابك وعلى جبهتك بصمة المسجدين، وطابع المريدين في هذا البلد تراث محمد والصحابة، أفستكشر علينا أن نرثه؟ فإذا فؤاد المسلم فيه يسترجع يستغفر ودمعة من عينه قبلة للمسجدين.

هذا من أثر القاسمي فلولا إن لم نعرفه ولم نملك فرصة أن نقول يرحم الله ظافر القاسمي، ضاقت عليه أرضه واتسع له قبره في باريس.

## - عصر السباب .. !!

.. وبالأمس القريب تلفن إليّ قارئ يتكلم بصوت مرهق، كأنما الكلمات كانت تبكي، تهدج الصوت حتى خلت التلفون تلفازاً، فالكلام جسد صورته أمامي، أسمعته وأنظر إليه.. فماذا قال؟

قال: لقد قرأت الكتاب بعنوان (صاحب المغيرة) ألفه أبو ريا، عالم

من مصر، فما ترك طعنًا ولا سبًا، ولا تجريحاً إلا وهو يصبه على (أبي هريرة) - رضي الله عنه - وأكمل قوله (أعني السائل) بفقرات من ذلك السباب!!

قلت: إن سب أبي هريرة - رضي الله عنه - لا يضير هذا الصحابي الجليل، فالذين يكيلون السباب للأخيار إنما يسبون أنفسهم، (وأبو ريا) لم يقصد أبا هريرة فحسب، وإنما كل قصده هو النيل من السنة، فقد تجرأ يوماً ما، ونال من صحيح البخاري، إن صحيح البخاري أصح كتب السنة، ذلك بكل الصدق للأخيار من الأئمة ولكن يخرج علينا كل من سفه نفسه، زعيم يهرطق أو متعالم يتزندق، فمن الزندقة بمكان، السباب أو الطعن في السنة ما يناله من رجالها..

إنها ظاهرة تذهب بالتفكير على أننا ونحن في القرن الخامس عشر قد عدنا بأساليب التسافه والطعن، إلى القرن الثاني والثالث وما إليها..

كأنما كل عواصمنا أصبحت بغداد الجديدة، فبغداد الأولى كان فيها صراع بين رجال الحق، ورجال الباطل، فالحق قد صانه محمد، وأبو يوسف صاحباً أبي حنيفة، ويحيى بن أكثم قاضي المأمون، وجاء الصوت بارعاً قاتلاً بموقف ناصر السنة الإمام (أحمد بن حنبل)، أما الباطل ما أن ابتدأ بواصل بن عطاء حتى انتهى إلى بشر المريسي وأحمد بن أبي دئاد ومن كان مثلهم، كان ذلك الصراع قد أعطى عامة المسلمين أن يكونوا مع أحمد بن حنبل ومن قبله، فإذا البدعة تنهزم وإذا صاحب الحيدة الإمام (عبد الرحمن الأذني) يجهز على ابن أبي دئاد كأنما الله أرسله نصير للحق ناصراً للإمام أحمد، وامتد السباب أكثر وأكثر بين الذين يتخذون من العقل حكماً على الشريعة على الإسلام فإذا مظاهر العلم أصبحت عقلاً لعقولهم

تؤيد العقيدة العاطفة المسلمة في كثير من الظواهر..

إن عواصمنا كصورة من بغداد الأمس ظهر فيها أبو ريا كما ظهر آخرون.. ففي العاصمة المسلمة القدس أحفاد بشر المريسي اليهودي بن اليهودي بلور عقيدة المخلص عند اليهود بهذه البدعة «الإرجاء» فالإرجاء في مذهبه الباطل لا جنة ولا نار، لا ثواب ولا عقاب، وفي عواصم أخرى تركوا الدين المذهب فتفرقوا شيعاً، وفي عواصم أخرى ما زالوا يحتمون بمذهب مالك، فقه من القرآن والسنة..

وعاصمتنا الرياض، وما إليها ما زالت عاصمة للحق معتصمة بالحق حين اعتصمت بعقيدة السلف ومذهب الإمام أحمد..

ولكن بعض السباب قد ظهر في قلة من الشواذ فهذا (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا..) تعرضوا لسباب الملحدين والطريقين على أنهم الوهابيون.. أفلا يجزع من عاصمته الرياض من أن يتخذ (أبو الهدى الصيادي) الطرقي المشعوذ العدو الألد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) ولآل سعود السيف الناصر لدعوة السلف حكماً على (رشيد رضا) وشيخيه، فإذا جاز ذلك لهؤلاء الذين اتخذوا من (أبي الهدى) حكماً أفلا يجوز لآخرين أن يتخذوا من (ابن بطوطة) وابن عطاء الإسكندرية.. حكمين على شيخ الإسلام (ابن تيمية) أفلا يجوز لآخرين أيضاً أن يتخذوا من الذين ألفوا الكتب طعانين على شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) حاكمين عليه!

أفلا يجوز مرة ثالثة أن يتخذ حشوى حكماً على الشيخ (عبد الله بن حسن) أو حكماً (على الشيخ عبد العزيز بن باز) والكاتب الذي كال السباب لجمال الدين، ومن إليه، قد جهل موقف آل سعود من الدولة

العثمانية أو على الأصح موقف السلطان (محمود ومحمد علي) من حربهما على آل سعود، وحقدتهما على دعوة السلف، فقد اتهم جمال الدين الأفغاني من خلال أحكام أبي الهدى وأمثاله من الطرقيين، فهم قد قالوا إن جمال الدين كان يريد تحطيم دولة الخلافة، أليس في هذه الحجة الطرقية صورة من الحجة التي ساق السلطان جيوشه لحرب آل سعود يتهمهم بالنيل من الخلافة العثمانية؟.

إن هؤلاء الطرقيين قد حجزهم حين أعجزهم تفوق المملكة العربية السعودية لأن يواجهوا دعوة السلف صراحة فاتخذوا الطريق الملتف ينالون من أنصارها لينالوا منها من خلال الظلال والخلفيات ولكن للباطل صولة ثم يضمحل . .



## لجنة التلفيق والتزوير

ولا تزال المؤامرات يتسع نطاقها على لبنان، بل ما زال هذا النطاق من المؤامرات يتسع على العرب شرق السويس، الهدف الظاهر.. . الفلسطيني. بينما المقصود في المراحل التي تأتي بعد هم كل العرب شرق السويس أولاً ولعلّ غرب السويس يأتي بعد، فمخططات إسرائيل عمل عصابة لا سلوك دولي حتى الذين يتعاونون معها قد شكلوا من إسرائيل شرق السويس المافيا الجديدة بأسلوب النازية الجديدة.

إن الذين يعاونون إسرائيل لا يخافونها وإنما هي السبيل والوسيلة للاستحواذ على الأمة العربية، فغرب أوروبا والولايات المتحدة هدفهما واحد، فلئن ثاروا على منابر «هايد بارك».. هيئة أمم.. مجلس أمن.. وكالات أنباء وإذاعات، فإنهم أرادوا امتصاص النقمة بالاستهلاك المحلي، فلقد اتهمت السنة من الغرب الولايات المتحدة بأن اجتياح لبنان وإجلاء منظمة التحرير وقتل الفلسطينيين أطفالاً وأمهات بأنه عمل النازية فإن هذا الاتهام ما هو إلا اتهام للحادث، العرب ينسونه وهم يتناسونه ويصبح القاتل في لبنان صديقاً للجميع، فمن هو القاتل؟!

بيغن يمثل اليهودية التي خططت لهذا القتل، يتبرأ من مذبحه صبرا وشاتيلا وهو فاعلها، يتهم ميليشيا الكتائب بقيادة سعد حداد بأنها قد ذبحت

الفلسطينيين، ولا يتبرأ الكتائبون من ذلك، والمشاركون في هذه المذبحة هم جنود الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا، فحين تخلصوا من المقاومة الفلسطينية أخلوا الطريق لأن يمارس مناحيم بيغن وسعد حداد هذه المذبحة، حتى إذا وقعت رجعوا بصورة مسرحية، ولكي تخرج إسرائيل من تهمة النازية ألفوا لجنة تحقيق فكانت عصابة تلفيق وتزوير، كل الذين أدلوا بشهاداتهم كذب بعضهم بعضاً، لا لأنهم يحترمون الصدق وإنما لأنهم يحترفون هذا التلفيق لتبقى اللجنة في تيه. عمل ديمقراطي تعمدت إسرائيل أن تصنعه لتنفي عنها تهمة النازية وليتأرجح اتهام بيغن ووزرائه وأعضاء الكنيست ومن إليهم من الذين شاركوا في هذا التخطيط ليقال إن ميليشيا الكتائب هي التي صنعت ذلك دون إذن، وليقال إن وزراء إسرائيل لم يأمرؤا ولم يعلموا. كذبة كبرى وتلفيق لم ينطل على العرب وإن تغلف بطلاء صنعه غرب أوروبا والولايات المتحدة.

\* \* \*

إن النازية الجديدة تبني المستعمرات، ويقال حسب التصريحات الأوروبية والأميركية أن هذا تعنت من إسرائيل، مع أنه وباليقين القاطع أنه موضع الرضا من الغرب والولايات المتحدة ومن الاتحاد السوفياتي.

إن شرق السويس كما قلت أكثر من مرة هو المهدد، فإسرائيل قد تخرج من لبنان، لكن الولايات المتحدة هي التي ستبقى فيه، فالترحيب العالمي بأمين الجميل وإن أبرزوا التفاؤل به ما هو إلا عمل مباشر لإرضاء الولايات المتحدة.

\* \* \*

## الوطن القومي :

إن وعد بلفور أعطى اليهود وطناً قومياً، لكنني لا أعلم ولم أقرأ أن هذا الوعد قد وضعت له حدود لا يتعداها اليهود، فلماذا؟! أليس من سوء الظن أو يقين الحكمة أن بريطانيا ومن إليها تركوا التحديد ليباح لإسرائيل التوسع؟ فبمقتضى هذا الوعد توسعت وأصبحت تبني المستعمرات في كل فلسطين، مكيدة ليت أن العرب فطنوا لها من الأول وحين كانت أرضهم ميدان حرب لصالح بريطانيا قد وقفوا موقفاً صعباً ضدها يطالبونها بإلغاء هذا الوعد وإن لم يقدرروا على الإلغاء، فقد كان في إمكانهم أن يطلبوا منه تحديد الوطن القومي.

وكانت مصر وفلسطين والعراق ومن إليهم يستطيعون أن يقولوا لبريطانيا ذلك، لكن العراق ثار على بريطانيا، ومصر تجنبت ويلات الحرب، والسيد أمين الحسيني ذهب إلى هتلر! ولا أدري هل الدراسات الفلسطينية وضعت النقاط على الحروف في هذا الشأن؟!

## صلاح منتصر :

أخي الأستاذ صلاح منتصر..

استقرأت كلمتك في عمودك تحت عنوان «مجرد رأي» في جريدة «الأهرام» الصادرة يوم الخميس ٩ صفر ١٤٠٣هـ، فشكرت لك الشاء وكان شكري ينصب أكثر على أن الأستاذ المصري أصبح يقرأ قلماً عربياً، كأنه أضاف - أعني الأستاذ المصري - إلى الاحتفال بإذاعة الأغاني العربية أن يقرأ صحيفة عربية، وأريد أن أوضح لك ما أستعير له كلمة سعد زغلول مع شيء من التعديل حين قلت إني مصري الأصل هاجر إلى السعودية فاكسب الجنسية، تلك الكلمة عليّ «شرف لا أرفضه وتهمة لا تفرض علي». لعلك

أخذت ذلك من زميلك في «الأهرام» الصديق كمال الملاح، فلم تكتب ما قال لك حرفياً، فكتب هذه السطور لم تلده مصر ولادة مباشرة لأنه ولد في المدينة المنورة ولم ير مصر إلا بعد الثورة. سافر إليها كثيراً، وتمتع بحصيلة كبيرة من عليّة الأصدقاء وكان قارئاً فعرف الكثير عن مصر. إن الذي هرب من مصر مهاجراً ومن قرية «القطيعة» تبع مركز «أبي تيرج» من محافظة أسيوط هو والدي، فر من سخرة الجهادية، فوصل المدينة قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر، فهو يقول: أنا جئت المدينة قبل حرب عرابي.

إن ما قلته لا أتذكر له، فأعراقي صعيدية ولكني سعودي المنشأ والولادة كأكثر أبناء الذين هاجروا من مصر والصعيد إلى الحجاز أو الذين ترسبوا في بعض قرى نجد حين تخلفوا عن محمد علي كالأستاذ القصيمي، الذي أنكر صلاح الدين المنجد قصيميته مع أنه ولد ونشأ هناك.

إن الفرق بيننا وبينك كممثل للمثقفين المصريين هو أننا نحن المثقفين «العربيين» شرق السويس أو غرب السويس نعرف عن مصر الكثير والكثير جداً، كما يعرف الشامي عن العراق، والعراقي عن الشام، وكما يعرف كل المغاربة عن مصر، بينما المثقف المصري مشغول بثقافته المحلية والأوروبية أو ثقافة التراث، ولا يعرف إلا القليل عن العالم العربي.

وإني لأطرح عليك أسئلة أبرهن بها على ثقافتنا، وهي خاصة بالتاريخ المصري، فهل أجد عندك الإجابة؟

أولاً: أين تضع تصريح ٢٨ فبراير كالنواة الأولى في استقلال مصر وإعطائها النظام الملكي بعد الخديوية من معاهدة ١٩٣٦؟

إن ثروت وإسماعيل صدقي لم يكونا من برادع الإنجليز.

ثانياً: هل هناك ناحية تجد فيها الشبه أو كأنها هي يشبه فيها سعد

زغلول في قيادته لثورة ١٩١٩ «كرومويل» قائد الثورة الإنجليزية، أين وجه الشبه؟

ثالثاً: وهل هناك شبه بين ثورة ٢٣ يوليو التي خلت من الدم وبين الثورة الفرنسية؟ أعني أن هناك تشابهاً بين جمال عبد الناصر و«ميرابو»؟

رابعاً: من هو الوارث لمحمد عبده الأستاذ الإمام؟ أهو السيد رشيد رضا كما يدعي أم هو الشيخ مصطفى المراغي؟

خامساً: ولقب «المنتصر» فهل أنت من الفيوم ولأسرتك قرابة بالأسرة الليبية التي تحمل هذا اللقب؟ إذا كان ذلك صحيحاً كأغلب الظن فإنك نجدي من أولاد علي تمصّر أجدادك حين تناسلوا من بني هلال وسليمى.

أسئلة أطرحها، وأكرر أنك ستعرف مدى ما يعرفه المثقف العربي عنكم، ولعلّ إجابتك تصلح تعديلاً لبعض التاريخ المصري كطلب الوزير مصطفى كمال حلمي.

### أثمر العلم . . فنهض الرجال!

وسمعت الخبر . . «علي النعيمي رئيساً لشركة أرامكو، وتلبثت أنتظر تعريفاً له ومعرفة به، فإذا بي أستقرئ خطاب وزير البترول والثروة المعدنية الأستاذ أحمد زكي يمانى حين كرمه يشارك في تكريمه الرجال العربيون السعوديون، فزهوت كأنما قلت لمشاعري . . زفيني زفيني»!

فهذا الابن من هذه الأرض يتولى رئاسة شركة عالمية وإن كانت سعودية، وما استطعت أن أجلس، فالصمت أمام ذلك لا يليق، حتى إذا وفقت أمام

المرأة أبصر نفسي بالنظرة العشواء.. تبصرت.. أرى مشاعري بتسم!  
فنحن أبناء هذا البلد، لقد جعلنا كثيراً حين غشيت أرضنا عماية الجهل  
وغواية الطامسين للمعرفة.

وتذكرت كلمة كتبته من قبل، فحين تولى أحمد زكي يماني وهشام  
ناظر منصبيهما، وحين بدأت تترى زرافات الجامعيين تتولى المناصب،  
أحببت أن أطرب نفسي بكلمة شيخ قريش أبي سفيان صخر بن حرب بن  
أمية بن عبد شمس، فقد كان يوم «اليرموك» القاص يشجع الرجال حتى إذا  
نظر أقصت عنه ما كان يلاقه يوم الإيلاف، يستجدي القيصر حماية الإيلاف  
في رحلة الشتاء والصيف، فقال وهو يرى ابنه يزيد الخير في الميمنة وابن  
عمه عمرو بن العاص في الميسرة وابن القحطاني شرحبيل بن حسنة يقود  
جيشه مؤتلفاً لا مختلفاً، ويرى ابني عمه العامري أبا عبيدة والمخزومي قائد  
النصر خالد بن الوليد.. رأى ذلك كله فصرخ يهتز فاحراً فقال:

«بخ بخ.. فتیان قريش یقاتلون بني الأصفر».

كتبته حينذاك مستبشراً، وأعيدها وأنا أكثر استبشاراً، فأنا من جيل  
التجربة يوم كنا ولا شيء لدينا، ويوم كانوا ولا شيء فيهم يجعلنا الأمنين  
أو الآملين.

إن «علي النعيمي» والأسماء التي ألقى عليها الأضواء أحمد زكي يماني  
في كلمة ما كانت إلا عطاء العلم، إلا عطاء التجربة، إلا عطاء ابن التراب  
لترابه، فما أكثر حاجة هذا الوطن لأن يكون أبنائه القابضين على نواصي  
الأعمال، نحمد الله فهم كثير.

إن هؤلاء في المنطقة الشرقية ومعهم إخوان لهم في الجامعتين وفي  
المرافق الأخرى يمسكون بزمام الأمن والأمان.

الحمد لله أن عشت حتى رأيت الجامعتين ومشاريع الري والصرف ومشروع الجبيل وضخ البترول ومجلس التعاون بين دول الخليج العربية .

ولئن كان من حق «علي النعيمي» أن أهنته هو وإخوانه، فإن من حقه علينا أن نهني أنفسنا به، فعلى أقل تقدير أصبح عنواناً على أن بترولنا تديره يد سعودية وفكر سعودي وإخلاص وطني .

\* \* \*

### الأسد وجاكسون :

وكسب الرئيس حافظ الأسد الجولتين، واكتسب القس جاكسون جولتين . . حافظ الأسد كسب الردع بهذا الأسير، ورأب التصدع بإطلاق الأسير .

أما جاكسون فقد اكتسب ثناء الرئيس ريغان وتنفس الشعب الأمريكي . لكن هناك كاسباً أكبر هو السلام، هو إنقاذ لبنان، هو رأب التصدع في المنظمة، هو الشعور الذي يلتزم بالعمل الجماعي أمة عربية واحدة أن أي زعيم يجلب نصراً لشعبه ما هو إلا جالب النصر لأمته، فلو أن كل زعيم قدم الهدف . . هدف النصر للأمة قبل الاستهداف تغطي به كلمة «أنا» على «نحن» لوجد نفسه متوجاً بتاج على صفحات التاريخ .

إن الرئيس حافظ الأسد من حقه علينا ألا نبخسه حين خطأ هذه الخطوة البارة، أسر الطيار الأمريكي ثم أطلقه، يصنع للقس جاكسون الخطوة الأولى ينتصر بها كمرشح للحزب الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأمريكية .

وإن القس جاكسون ما أحسبه إلا وقد أطلق أسيراً أمريكياً، لا لأنه كما

يقال أطلق أسيراً أسود، فإن الانتماء للولايات المتحدة في رجل مرشح للرئاسة لا يمكن أن يتهم بأنه قد انحاز إلى السود ضد البيض.

وأطرح سؤالاً: هل هناك أمل إذا ما نجح جاكسون في الرئاسة أن ينقذ هيئة الولايات المتحدة بالعمل الحق للسلام لا بالدعاوى العريضة؟

وإن القس جاكسون مرة أخرى أسأله وهو القس المتدين:

هل هو بروتستنتي أم هو كاثوليكي أم هو أرثوذكسي أم هو مورمانسي؟

فلئن كان بروتستنتياً فإني أتوقاه، وإن كان كاثوليكيّاً فإني أخشاه، وإن كان أرثوذكسياً فلست أجفوه، وإن كان مورمانسياً فإني أخافه.

إن أول خطوة للسلام هي أن تضغط الإدارة الأمريكية على إسرائيل، تنسحب من لبنان لتبطل حجة سوريا، وإلا فإن بقاء إسرائيل في جنوب لبنان معناه بقاء الاحتلال الإسرائيلي وصمود الموقف السوري. وبهذا لن تحل المشكلة.

إن السلام إذا أرادت أمريكا أن تصنعه ينبغي أن يكون جيشها وجيش حلفائها مع كل الطوائف اللبنانية، مع إلزام إسرائيل بالانسحاب.

وهناك ظاهرة، وهي أن الطائرات الأمريكية قد نابت عنها الطائرات الإسرائيلية تغير على بعلبك وبحمدون، ومعنى ذلك أنه لا سلام ولا وحدة في لبنان.

\* \* \*

**ابن عبد ربه والزركلي:**

ابن عبد ربه صاحب، «العقد الفريد» إمام أثرى التراث العربي بكتابه، فلئن كان مغربياً فقد أعطانا ثقافة المشرق والمغرب.



وقرأت كثيراً من «العقد الفريد»، وما أحسن ما جمع، وما أكمل ما صنع، ولكنني رأيته ذكر هذا البيت:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته      والبيت يعرفه والحل والحرم

فلم يذكر اسم الشاعر ولا المناسبة ولا الممدوح.

فالشاعر الفرزدق، والمناسبة تجاهل العارف وهو هشام بن عبد الملك يقول من هذا الذي احترمه الناس يقبل الحجر الأسود، فإذا الفرزدق يطغى عليه تقييمه لعلّي زين العابدين.. ممدوح الفرزدق.

وخير الدين الزركلي أضاف للتراث العربي موسوعته في التراجم.. «الأعلام».

قرأت ترجمته لجابر بن حيان فلم يذكر أنه تلميذ جعفر الصادق.. ولم يذكر صلته بالمأمون، ثم قرأت ترجمته للمهلب بن أبي صفرة فلم يذكر ما جرى له من سليمان بن عبد الملك، فقد نكبه سليمان وأذله، مع أن المهلب كما الحجاج كما زياد أعطوا بني أمية رسوخ القدم وضم الجماعة.

فوجدتني أعزو ذلك منهما إلى حبهما لبني أمية، فالزركلي شامي وابن عبد ربه أندلسي يعرف قدر بني أمية فاتحين للأندلس كما يعرف قدر صقر قريش عبد الرحمن الداخل، أسس دولة في الأندلس أشرقت بها حضارة العرب على الغرب.

هي البيئة، الإنسان فيها صفحة بيضاء تضع بصماتها عليه، فالمفارقة في هذا الأموي نسبة أبي الفرج الأصفهاني صاحب «الأغاني» طبعت عليه بيئة فارس أن أصبح شيعياً علوياً.

فلا عتاب ولا ملامة، يرحمهم الله بقدر ما أحسنوا.

## صورة

أخطأ فعاقبوه حين لم يخافوه، وأجرم الآخر فخلفوه، فعاقبوا أنفسهم حين لم يعاقبوه.

لقد وقع الكثير من هذا بين اليهود، لا يقيمون الحد على من عظموه، ويقيمون الحد على من استضعفوه.

## الاستفزاز وسيلة الاستعمار والابتزاز غاية الاستقطاب

مارس الاستعمار في أول الأمر أسلوب القرصنة استفزازاً وتخويفاً، وحتى الإغراء بالخرز الأحمر والمنسوجات الملونة لم يكن إلا استفزازاً يستحوذ على الضعفاء ليستقوا سلطان الأقوياء، أصحاب القيم في أي بقعة من أرض استعمرت.

فالشعوب البدائية التي خضعت لأسلوب القرصنة أو الاستكشاف كان أصحابها يملكون قيمة وقيماً تسلطنوا بها، وانتهى أسلوب القرصنة حين استحال سلطان القرصان إلى سلطة الإمبراطوريات.

وتعاملت الإمبراطوريات المستعمرة بالاستفزاز كما جرى في احتلال الجزائر، استفز السفير الفرنسي حاكم الجزائر فلطم الحاكم بالمروحة، وكان هذا الفعل من الحاكم بغية ذلك السفير، ذريعة اعتبرتها الإمبراطورية الفرنسية إهانة لها، فغزت الجزائر بأسطولها ورجالها الذين يريدون أن يشبعوا من الأرض وخيراتها إذا ما استعمروها.

وحتى في العصر الحديث قد استفز الاتحاد السوفياتي المجر وتشيكوسلوفاكيا فأرسل سلاحه القوي مؤدباً ومستحوذاً.

وهكذا تطور الاستفزاز إلى كلمة يتفوه بها وزير من وزراء أي

إمبراطورية، أو أن هذه الإمبراطورية تستفز الشعوب الصديقة إذا ما عقدت اتفاقاً يعين الطغيان المنصب على الشعوب.

إن كلمة قد صرح بها وزير في قوله مثلاً «إن اتفاقنا مع إسرائيل سنمضي به سواء رضي العرب أم غضبوا». فقد أراد الاستفزاز.

لكن العرب لم يستفزه ذلك، بل تلطفوا مع هذا التصريح وادعوه على أنه خبر مطمئن، كأنما العرب قد أسقطوا الانفعال حين أسقطوا أن يستفزوا.

ذلك موقف يحمد للعرب، بل إن رد الفعل كان استحواداً جعل تصريح الوزير غير ذي موضوع.

\* \* \*

وبقي الابتزاز.

فهو الحصيلة لما يتأتى من الاستفزاز، فالاستعمار كان استفزازاً وسيلة لبسط سلطان المستعمر، أما الابتزاز الآن فقد أصبح حصيلة الاستقطاب، فالعالم كله الآن وقد تصور أن الاستعمار انتهى قد انقسم إلى شطرين، كل منهما خاضه للابتزاز، ابتزاز الإمبراطوريتين.. إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض.

فقد وضعوا العالم كله في خوف من الحرب النووية، كصورة من الاستفزاز الخفي لتكون الصورة الواضحة ابتزازاً علنياً.

إن العالم المنشطر على نفسه شطر يبتزه الاتحاد السوفياتي، وشطر تبتزه الولايات المتحدة، فإذا سلمنا بأنه لا وفاق بين الإمبراطوريتين غير المعلن لتتم عملية الابتزاز.

وابتزاز الإمبراطوريتين ليس استعطاء أو استجداء، فالكبرياء والتعاضم قد جعلاهما لا يستعطيان ولا يستجديان، وإنما هو ابتزاز باسم العون والحماية، أي يبيع الأسلحة لبسط النفوذ وإقامة القواعد العسكرية في شعوب رضيت بذلك، وما أجبرها على هذا الرضا إلا استفزاز إمبراطورية ليكون ذلك في صالح ابتزاز الإمبراطورية الأخرى.

\* \* \*

إن الوفاق غير موجود، لأنه يفضح أساليبهما، أما الاتفاق فهو الموجود، لأنه يتستر تحت رغبة الشعوب المستقطبة - بفتح الطاء - طلباً للعون والحماية.

من هنا قلنا من قبل.. إن الحرب العامة الأولى كانت بطراً ألمانيا، وزهواً أنجليزياً، وخوفاً فرنسياً، وحاجة روسية، ومرضاً عثمانياً! أما الحرب العامة الثانية فكانت غضباً ألمانياً، وطغياناً نازياً فاشياً، وزهواً يابانياً، ودفاعاً بريطانياً، وانتحاراً فرنسياً، واستغلالاً أميركياً، وتفوقاً روسيا!

فقد استطاع هتلر بهذه الحرب أن ينتصر تاريخياً حين حطم إمبراطورية الاستعمار، وانهزم شعبياً حين تكالبوا على ألمانيا.

ولكن الحرب الثالثة أحسبها الآن ضرورة إنسانية يتخلص الإنسان بالخوف من الهلاك، لتأتي أنسال إنسانية جديدة تصنع مدينة جديدة، ولا تجد نفسها باكية على حضارة أبيدت..

كل ذلك من عمل الاستعمار والاستقطاب، والاستفزاز والابتزاز.

## بيغن أم شو آن لاي؟!!

الرئيس السابق للولايات المتحدة بدأ يكتب عن العظماء، تارة يعلو بالتحليل فيرتفع إلى فوق كأنما هو يتقمص شخصية العظيم، وتارة لا يرتفع بالتحليل كأنما هو لم يخرج عن أمريكيته، فالكاتب نيكسون يرتفع والإنسان نيكسون يعطي نفسه ما يود أن يكونه. أتابع ما يكتب في «المجلة» عن هؤلاء العظماء فأصفق حين ينصف ولا أبتئس حين ينتصف، فمن حقه كإنسان أن يكون كذلك، ومن حق التأمرك كوطن عظيم تولى رئاسته أن ينتصف فيضع العظيم موضع الخصيم قبل أن يكون صديقاً. فالخصومة في شو آن لاي زمن قد امتد طويلاً فمن حقه لحماية ما يذهب إليه أن ظل خصيماً طوال الزمن الذي عاشه، أما المصالحة التي سعى إليها نيكسون فهي مصالحة وقت قد تغير بموقف أمريكي أو بتصلب صيني.

إن الرئيس نيكسون الكاتب البارع، ولا أنسى الثناء على المترجم بارعاً أجاد الترجمة لأنه أجاد لغته العربية، فالرئيس نيكسون بعد أن أضفى على شو آن لاي كثيراً من المزايا أراد أن ينتصف منه كأنما تذكر مرارة الخصومة وتصلب الصين وبراعة شو آن لاي فأراد أن يحط من قدره، فقد وصفه «سفاح قتل الملايين من الصينيين»، كما وصفه بأنه ازدواجي صاحب عقيدة كونفوشيوسية كما أنه عقائدي ماركسي.

إن الشرق، والصين من أقدم أممه وكونفوشيوس من أقدم الأخلاقيين المصلحين، لم يزل رغم المذهب الجديد ترجع به الطفولة إلى العقيدة الوطنية القديمة، فغاندي ونهرو قد بلغا من المعرفة والثقافة مبلغاً كبيراً، وتخطت بهما مذاهب اعتنقها، لكنهما - كما شو آن لاي - فلا زال بوذا قديساً في نظر نهرو وغاندي، ولا زال كونفوشيوس قديساً في وجدان شو آن لاي، حتى أن بعض الصينيين قد ظنوا أو اعتقدوا أن القنبلتين الأمريكيتين اللتين ضربتا هيروشيما ونجازاكي وجعلتا اليابان تركع على ركبتيها من أثر روحاني تسلطت به روح كونفوشيوس، لأن الزعيم الأول للصين لم يرض أن تغزى الصين فانتقم لوطنه.

قد تكون تلك خرافة ولكن روح الشرق قد اتسعت للحقائق والخرافات، كما أن روح الغرب قد اتسعت بها حقائق الماديات وخرافات الأساطير.

إن الرئيس نيكسون قد وصم شو آن لاي بسفك الدماء، فأين الرئيس نيكسون من مناحيم بيغن؟!

\* \* \*

إن مناحيم بيغن سفاح، حكمت عليه محاكم الإنجليز بالقتل، قتل من الفلسطينيين الآلاف، وفي الوقت الذي نشر مقال الرئيس نيكسون عن شو آن لاي كانت دماء الألوف من الأمهات والأطفال في صبرا وشاتيلا تسفح بسلاح أمريكي وفعل يهودي تولى كبر ذلك الإثم مناحيم بيغن.

وهل نسي الرئيس نيكسون القتل في فيتنام والحرب الكورية؟! أفليس

ذلك يضع شو آن لاي في موضع أشبه ما يكون بالرئيس نيكسون ومناحيم بيغن؟!!

كانت الدماء تسفك والرئيس نيكسون على سطح البارجة في البحر الأبيض يلوح بتهديد سوريا ومصر كأنما هو يريد أن يدخل بين الأخوين لا بشخصه وإنما بشخص حكومة إسرائيل لترتع في امتصاص الدماء التي لم تكن لو لم تحتل إسرائيل الأرض ولم يختل حبل الود بين الأخوة.

إن شو آن لاي كان يحارب باسم ثورة أو باسم الثورة التي كتب على الصين أن تخوضها انتقاماً من الأفيون وانتقاماً من الاستحواذ وإن اتسمت بالماركسية، أما مناخيم بيغن والسلاح الذي في يده فيرسل صواعقه بالأسلحة المحرمة على أرض يريد أن يحتلها وشعوب يريد أن يقتلها.

لقد حاربتم النازية وصادقتم الماركسية بينما أنتم الآن أصبحتم أصدقاء الماركسية وأصدقاء النازية الجديدة التي يمثلها هتلر الثاني مناخيم بيغن.

\* \* \*

وهكذا فالسفاح قاتل الألو ف من العرب ينبغي أن يعده الرئيس نيكسون أسوأ من شو آن لاي كسفاح لا يبلغ عظمة هتلر، فإن هتلر قد أسقط إمبراطوريتين.. فرنسا وبريطانيا، وأقام إمبراطوريتين.. الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، ولعلّ «ووتر غيت» كانت أحبولة يهودية سفكت سمعة الرئيس نيكسون!

- صورة:

وكان المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه قد استغول في أطراف



العراق يقاتل الفرس، وكان معه نصراني اسمه أبو زيد الطائي، فقال أبو زيد للمثنى بن حارثة:

«إني امرؤ نصراني فماذا تريدني أن أصنع؟!».

فقال المثنى لأبي زيد:

«قاتل على أحسابك».

فانتفضت العروبة في وجدان الفارس فقاتل حتى قتل يحارب في الصف المسلم، فهل في هذه الصورة تعبير يتضح ولا ينفضح؟! وبس!!

\* \* \*

ولأكثر من مرة كتبت عن موقف لطليحة الأسدي سيد الحلف الأعظم بين أسد وغطفان، ارتد وادعى النبوة ثم اهتدى وأسلم، فإذا هو في «القادسية» أحد فرسانها لا يقطع سعد بن أبي وقاص أمراً دون أن يستشير هو والمرتد الآخر الذي أسلم.. فارس اليمن عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

وانتصر الإسلام في القادسية، وسار النعمان بن مقرن يطلب «نهاوند» التي استشهد فيها فنعاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبكاه.

سار النعمان بن مقرن إلى «نهاوند» وانتدب طليحة الأسدي يسبر الطريق فغاب طويلاً. فظنوا به الظنون، ظنوه قد لجأ إلى الفرس حتى إذا عاد وسمع سوء الظن فيه قال كلمة كم أود أن كل عربي يقولها الآن، يصرخ بها حول البصرة، قال:

«أو تظنون بي الظنون؟ أتحسبون قومي العرب جزراً لهؤلاء الأعاجم؟!»  
أنصت الجميع واعتذر القائلون.

وفتحت «نهاوند» الفتح العظيم!  
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولعلي أتفاءل فلا أسمع من يقول:  
إني لأغمض عيني ثم أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً!

\* \* \*

## الإيمان . . قاتل اليأس . . حياة الأمل

أيها الملك إنك من واقع المسؤولية رئيساً لمؤتمر القمة الإسلامي الثالث قد ألزمت نفسك أن تكون راشداً ومرشداً، ذلك عطاء الإيمان وأن تكون بهذا الإيمان قاتلاً لليأس، فالإيمان قاتل اليأس وحياة الأمل!

أيها الملك فهد بن عبد العزيز :

لئن أعجزتني السنون أن أجد نفسي صحفياً راكضاً في ركابك أسبر أخبار المؤتمر، أستكشف لأكشف عطاء القمة الإسلامية الذي عُقد في الأرض التي كانت موطئ القدم . . قدم عقبة بن نافع، والتي هي ما زالت موطن الحفاظ على القدم . . التراث والميراث . . تلك أرض المغرب العربي . فإني لن أحجز نفسي عن الوقوف أمام ما أعرفه عنك، فأنت يا أيها الملك بالحفاظ على التضامن الإسلامي وعونك للأخ المسلم وحرصك على أن يكون المسلمون أمة واحدة عصمتها في العقيدة الواحدة، واعتصامها بالقيادة الموحدة، فأنت بكل ذلك قد أحدثت تعريفاً جديداً للشجاعة، فإن الشجاعة لم تعد في العاديات ضبحاً، ولا في العضل الجسمي، ولا البراز في ميدان . فقد أرجعتها - أعني الشجاعة - إلى الدعائم والقيم التي لن تكون إلا بها، فالشجاعة ليست إلا إيماناً، تحارب من أجل المبدأ وليست إلا صبراً، لا يخذله التريث ولا يستعجل بالانفعال، وليست

إلا حصافة تسبر الأغوار، تكشف المحاذير ولا تتأخر بالمعاذير.

فرغم العراقيل والعقائيل واقتحاماً للمعوقات، بادرت تذهب إلى القمة، فليس من طبيعة الشجاع ولا من وازع الإيمان أن يدور حول المسؤولية فيركن إلى المعاذير. فأنت تعرف التبعات التي تحملتها، فإذا بك تلقي خطابك في المؤتمر بياناً من البيان، وتبيناً لا يصدر إلا عن إيمان لم تنكر عن عزيمة مضت منك، بل حزمت عزائمك الأولى بعزيمة الإصرار على أن تكون قضية فلسطين شغل المؤتمر، وأن تكون قضية لبنان نجاح المؤتمر، وأن تكون نهاية الصراع بين إيران والعراق عطية المؤتمر.

فلئن كانت قضية فلسطين ولبنان والحرب بين العراق وإيران الشغل الشاغل للعرب والأشدّ مساساً بهم، فإن الأفارقة المسلمين والقادة الآسيويين حملهم إيمانهم أن يكونوا عرباً مع العرب، ما تخلى واحد منهم، بل تجلّى كل واحد منهم يقول: «أنا مسلم.. لا أنكر أخوة الإسلام بين عربي وغير عربي».

فأنت أيها الملك لم تنل هذه الثقة من إخوانك القادة إلاً لأنك ما زلت غير باخل بالثقة بهم.

لم أكتب ذلك إطرأ أو ثناء، أتزيد به عنك، فالحق حيث استويت على الذروة رفعت شعبك من الحضيض، يتسمنون بإيمانك وعملك الدؤوب إلى ذروة هي أن شعبك وأنت على رأسه عربي على السنام مسلم على الذروة!

لا ينكر ذلك علينا أحد، ولا نستعلي به على أحد من إخواننا في العروبة والإسلام، وإنما أنشد أن نعرف أنفسنا بذلك حيث كنت أنت المعرفة والتعريف، ولم يكن ما أنت فيه قد جاء من فراغ.

فأعراقك صنعت تاريخ المجد ومجد التاريخ، وأرضك صدرت الرجال، صنعوا تاريخ المجد ومجد التاريخ بشيء واحد وحيد هو.. الإسلام.

وهناك ظاهرة قد تكون موضع العجب، وهي أن شعبك العربي السعودي وأرضك الطاهرة لم تنتكر للعروبة ولا تقبل التناكر على الإسلام، وليس ذلك عن ازدواجية تختلط بها الأمور، وإنما عن التزاوج عن طهارة الأعراق وقداسة الأرض وإمبراطورية اللغة.

أنت أيها الملك.. تجدني قد أملت كلمتي ولما يصدر البيان الختامي عن مؤتمر القمة الإسلامي الرابع، كتبت ذلك لأن خطابك في الجلسة الافتتاحية ومسيرتك وصبرك هي كلها البيان للبيان، فما أحسب إلا أن بيان المؤتمر لن يحيد عما طلبت.

وإني لعاذر نفسي تحت إلزام الصحيفة أن أملّي مقالتي يرسل إلى المطبعة في وقت أكثر ما حدده الكم وأقل ما ينبغي من الكيف. ولكن البيان سيداع وسيكون المجال متسعاً للتعليق.

## رسالة

وحين أحتفل برسالة تصلني ذات موضع فإنني أحتفي بها أنشرها، شاكراً لكتابها بيانه وعمله، فهو بذلك لا يجلس قابلاً في المملكة وإنما هو قد أعلن الملاء أنه حريص على العطاء لكل زائر للمكتبة ولكل باحث أو باحثة.

هذه الرسالة أنشرها شاكراً ومقدراً وداعياً عميد شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز أن يحذو حذو صاحب هذه الرسالة أمين مكتبة الحرم المكي الشريف.

وإني لأحسن الظن بعميد شؤون المكتبات بجدة أنه قد بدأ يستجيب لما طلبت وإن لم يتلفن إلي راضياً أو ناقدًا.

سعادة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حسين زيدان المحترم حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد فقد قرأت رسالتكم الموجهة إلى عميد شؤون المكتبات بجدة تحت عنوان «تمر وجمر» المنشورة في جريدة عكاظ العدد (٦٤١٩) وتاريخ ١٤٠٤/٣/٣٠هـ بناء على تساؤلات إحدى طالبات جامعة الملك عبد العزيز عن المجلدات الأولى التي جمعت فيها جريدة «المدينة المنورة».

وأحب أن أطمئن سعادتكم والباحثين إلى أن مكتبة الحرم المكي الشريف - التيسير عمارة بن سليمان - تتوافر فيها جميع الصحف القديمة على ميكروفيلم وجميع الصحف والمجلات القديمة والحديثة ومن ذلك مجلدات «المدينة المنورة» وهي ما تحتويه المكتبة تحت استفادة الباحثين.

بإمكان الطالبة أن ترسل طلباً مع ما يثبت احتياجها لهذه الجريدة أو غيرها في بحثها من الجامعة إن كانت طالبة مسجلة فيها، إلى الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين والمكتبة ستقوم بتصوير ما تحتاجه وهذا لا يستغرق وقتاً.

إن مكتبة الحرم المكي الشريف تستقبل روادها صباحاً ومساءً طيلة أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة والخدمة المكتبية تقدم إلى جميع روادها بدون استثناء ومن ذلك خدمات التصوير وفق توجيهات سماحة الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين.

حفظكم الله وأطال عمركم لخدمة العلم والأدب وطلابه ودمتم .  
المخلص عبد الله المعلمي  
أمين مكتبة الحرم المكي الشريف

### صورة:

في الأيام الأولى حين بدأت نذُرُ الحرب العالمية الثانية تستحوذ على  
مشاعر الناس سأل أحد الصحفيين سياسيًا بريطانيًا:

- ماذا تتوقع عن موقف أسبانيا؟ هل تتعاطف مع الشيوعية أم مع  
المحور أم مع بريطانيا؟

فأجابه السياسي البريطاني بكلمة مجنحة:

- إن أسبانيا ستكون مع الذين لم تتلوث أيديهم بدماء أبنائها، أي أنها  
لن تكون مع الشيوعية التي كانت طرفاً في الحرب الأهلية، ولا مع الفاشية  
والنازية اللتين كانتا طرفاً آخر في هذه الحرب الأهلية ويعني ذلك أنها  
ستكون مع بريطانيا.

وقد تم ذلك فعلاً.

## من غرينادا إلى لبنان

أن أبدأ بهذا الحوار مع العم «سام» لا بد أن أطرح مقدمة عن حديث بين فتى عربي سعودي وبين أمريكي من ولاية أوكلاهوما. كان الفتى السعودي طالباً في الجامعة، وما أحلى الجامعات الأمريكية في القرى، في الريف. خرج من درسه يذهب إلى سكنه، حتى إذا وصل إلى السيارة وفتح الباب نظر إلى الخلف قبل أن يدير المحرك فوجد فتى وفتاة يجلسان في المقعد الخلفي لسيارته، يتناجيان، صديق وصديقه، فرجع الفتى السعودي إلى الوراء يعتذر لهما لأنه عكر عليهما صفو المناجاة. فإذا الفتى الأمريكي يكبر ذلك ينزل من السيارة يصافح الفتى السعودي بحرارة وتحية.

فقال الفتى السعودي: أنا آسف، ما كنت أظنكما داخل السيارة.

فقال الفتى الأمريكي: إنها كانت تستعجل الذهاب إلى قريتها «بانكا» إذا سمحت تأخذها إلى قريتها.

وأوصلها الفتى السعودي إلى القرية وعاد معه الفتى الأمريكي، فأصبح كل منهما صديقاً للآخر. وكان الفتى الأمريكي قد نشأ أبوه «أسبرطيا» علمه كل أنواع الرياضة، حتى أنه في مرة رحل إلى البرازيل ونزل يسبح في «الأمازون» لم يشعر إلا وحنش قد طوقه، فإذا الأسبرطية فيه جعلته يحمل



خنجرأ يحتزم به، لا يتركه وهو في النهر، فسحب الخنجر، وقطع الحنش  
ينفك منه .

ودعيت لزيارة الولايات المتحدة إبان الأزميتين، الحرب اليمنية  
والصواريخ في كوبا في عهد الرئيس كينيدي. فلم أشعر، وكان ذلك في  
أول أكتوبر عام ١٩٦٢م، إلا والفتى الأمريكي يدعونا إلى العشاء باسم  
والديه. كان ذلك يوم احتفالهم بذكرى يوم الشكر، وهم يسمونه عيداً.  
وذهبنا إلى قرية الأسيرة الأمريكية على بعد ٣٠ كلم من قرية الجامعة  
«تانكا» وجلسنا على مائدة العشاء وقد كان العشاء ثريداً عليه ديك رومي،  
فابتسمت وقلت: هذا طعام الحواريين، أعارته لكم فلسطين، فالثريد عربي.  
وجاء ذكر المسيح عليه السلام فأوضحت عقيدة الإسلام في عيسى بن  
مريم، فأكبر الأب الأمريكي ذلك الحديث عن المسيح وقال: ما كنا نعرف  
ذلك.

والأب من المحاربين القدامى، لا زالت عليه سمة رعاة البقر، أولئك  
الذين بنوا الولايات المتحدة، وإذا هو يتحدث بمرارة عن فلسطين.  
قال: إن الشعب الأمريكي لا ينسى أحداثاً ثلاثة.. حريق شيكاغو،  
وزلزال سان فرانسيسكو وخسارة ترومان في «المني فاتورة» أي أنه كان  
بزازاً.

قلت: لماذا لا تنسون خسارة ترومان؟

- قال لو لم يخسر لما اشترته إسرائيل تستقطبه، يطيح بالعلاقات العربية  
إلى الوراء من أجل اليهود.

وأردنا الرجوع إلى بيتنا، فإذا هو ينتصب رجلاً طوالاً، ولبس  
مسدسين، وأخذنا إلى السيارة يسوقها.

قلت: لماذا أنت، ألا يكفي ابنك؟

- فقال: أريد أن تصلوا بأمان.

وتزى بالقبعة العالية والياقة المنشأة.

إن هذه الصورة في هذا الحدث الصغير قد تجسدت أمامي في صورة العرب جميعاً وفي معاملتهم للولايات المتحدة. وإنهم كالفتي السعودي مارسوا مع الولايات المتحدة خلق الجنتلمان، فتوطدت على هذا الخلق صداقة. لكن الولايات المتحدة في كل ما مارسته من سياسة بعد الحرب العالمية الثانية قد أجهفت بصداقة العرب، فألقت بعضهم في أحضان الاتحاد السوفياتي. والسبب أن الفتاة أمريكا كانت الصديق والعشيق للفتى اليهودي، يصرفها عن الوفاء للأصدقاء. يكلفها الكثير حتى جرعتها سقوط الهيبة. لقد كانت الفتاة أمريكا «ماشوسية» وكان الفتى اليهودي سادياً يسلط عليها العذاب، يسلب كل شيء منها وهي راضية، بينما هي في الوقت نفسه تنقلب إلى سادية مع العرب، فإن تلك الازدواجية تتعرض بها أمريكا إلى أكثر من خسارة.

ولنضرب مثلاً آخر هو ما يعنيه العنوان «من غرينادا إلى لبنان».

إن القفزة الأمريكية على غرينادا «غرناطة» قد انتصرت بها، وهزم الاتحاد السوفياتي، ولكن الاتحاد السوفياتي لا يستعجل العقاب، فقد ابتلع الهزيمة، أخليت غرينادا من كل أصدقائه.

ودعا الفتى اليهودي الفتاة أمريكا إلى أن تمارس غزواً جديداً ينتصر به اليهود على صورة تمثلت في حشد من القوة من البوارج ومشاة البحرية، والرديف من حلفاء أمريكا تحت اسم «القوات متعددة الجنسيات»، فإذا هي ورطة هزت الشعب الأمريكي. فلبنان وقد احتلت إسرائيل جزءاً كبيراً منه

أصبح بين احتلالين، احتلال إسرائيل والاحتلال المقنع لهذه القوات .  
واتضح القصد، فلم يكن جلاء إسرائيل عن لبنان، وإنما كان القصد  
والهدف - كما أذاعوا - إعلان الحرب المقنعة على نفوذ الاتحاد السوفياتي  
في سوريا، ولكن سوريا لم ترضخ، أوضحت لهذه القوات ولأمريكا بالذات  
أنها تستطيع المقاومة، كما أوضحت طوائف لبنانية ترفض الاحتلال أنها قد  
استطاعت المقاومة، فأخرجت الولايات المتحدة حتى اضطرت إلى  
الانسحاب.

ومن هنا يتضح أن الاتحاد السوفياتي قد انتقم لاحتلال غرينادا، فسوريا  
غير غرينادا.

إن الولايات المتحدة كان في إمكانها أن تحدث الهزيمة للاتحاد  
السوفياتي، وأن تأخذ من سوريا صداقة جيدة، لو أنها حين دخلت لبنان  
ضغطت على إسرائيل لتنسحب من كل لبنان، ولكنها لم تفعل. ذلك لأن  
الفتى اليهودي ما زال سادياً. ولو أن الولايات المتحدة لم تظهر بمظهر  
المدافع عن فئة واحدة في لبنان لاستطاعت أن ترى الوحدة اللبنانية حين  
تكون الولايات المتحدة نصيراً للبنانيين جميعاً. ولكن الولايات المتحدة ما  
زالت تعيد موقفها في أواخر الخمسينات مع بيروت الشرقية ضد الغربية،  
مع من ينتمون إلى بيروت الشرقية في الجبل ضد الذين ينتمون إلى بيروت  
الغربية من سكان الجبل.

وبدأت القوات متعددة الجنسيات تنسحب من لبنان، وتركت إسرائيل  
تحتل لبنان، وتركت الانشقاق في لبنان، فصح اتهام رئيس جمهورية إيطاليا  
أن كل ما فعلته أمريكا هو العون لإسرائيل.

إن ما جرى لا أقول إنه قلب الموازين، وإنما قد اعتدل به الميزان.

ومن المؤسف حقاً أن الولايات المتحدة هي التي تعطي للاتحاد السوفياتي موطئ قدم.

والخشية كل الخشية إذا ما استمر الموقف الأمريكي يرضخ لما يفعله الفتى السادي. فإن بعض العرب قد يغريهم موقف الاتحاد السوفياتي بالإطاحة بكل ما بينهم وبين الولايات المتحدة من علاقات.

إن ما حدث وقتي، فلا زال الزمن مع الولايات المتحدة إذا ما اعتدلت وسمعت الصوت الإنساني، ليس في آسيا وإفريقيا، وإنما في أوروبا الغربية أيضاً، يدعو الولايات المتحدة أن لا يفوتها بعوامل الوقت انتصارها في الزمن حين تلزم إسرائيل بالانسحاب من لبنان، وبالخضوع إلى المفاوضات. فالولايات المتحدة ملزمة بنزعة الديمقراطية بتنفيذ قرارات مجلس الأمن.

ولا يفوتني أن أضع هذه الإشارة. فقد قالوا إن فرنسا أرادت أن تمارس دور الأم الحنون كما هو شأنها من قبل. وإيطاليا أرادت أن ترضي الفاتيكاني يحن إلى حماية رعاياها. أما بريطانيا فالطاعة لأمريكا. وأما أمريكا فالخضوع لنزعة السادية وطاعة الماشوسية.

### مستضعفون لا ضعفاء

والكاتب إذا ما كان صاحب موهبة فلا بد له من أن يكون محترفاً.. يعني أن يغترف من الموهبة ليحترف التصنيع لها أو بها أو منها.. فلا احتراف بدون موهبة ولا نماء للموهبة إلا بالاحتراف.. وليس ذلك ما أحسبه كل الصواب عند غيري وإنما أجدني لا أعدو الصواب فيما قصدت إليه..

وأخذت أحترف.. كأنما كنت أمنح من الموهبة لأكتب.. ثم إن الموهبة والاحتراف تحركهما عصارة الأحلام التي يتجسد بها الخيال.. فلا

غنى للكاتب عن الموهبة والاحتراف والأحلام..

وبدأت أجتر خبراً بعد خبر.. رؤية مكان رؤية، فإذا بي أتذكر حكاية ثلاثة من الضعفاء انتقموا من رجال أقوياء كانوا بطاشين.. سلطوا هيبتهم على الضعفاء.. كل واحد منهم بطش برجل وضعه في سرير المرضى من كسور تحت الجبيرة.

ولكل واحد من هؤلاء الذين بطش بهم أخ بلغ من الضعف نهايته.. كل منهم قزم.. واحد أقرع والآخر أعور.. والثالث أعرج.. ولكن الضعف فيهم لم يعجزهم عن الانتقام.. فبطشوا بالبطاشين، فما نجا من بطشهم واحد.. كلهم وسدوهم الفراش.. كلهم رحلوا بهم إلى المقبرة..

إن تفصيل ذلك بعد.. لكنني وأنا أجتر أفكر في قوة الضعيف وضعف القوي فإذا بي بين عنوانين.. الأول المشهور هو: ويل للضعفاء من الأقوياء.. والثاني الذي أرجحه هو ويل للأقوياء من الضعفاء..

وتذكرت بلاغة القرآن فإذا بي أترك الضعفاء وأخذ من بيان القرآن البديل فأقول المستضعفون..

تمعنوا في هذا البيان القرآني.. لا يسمى السابقين الأولين من أمثال بلال وعمار وخباب ومن إليهم الضعفاء.. وإنما أطلق عليهم أنهم المستضعفون..

من هذه المقارنة يتضح الفرق بين الضعيف والمستضعف لأن المستضعف قوي.. إن لم يكن قوة المادة وشرف النسب وعلو الحساب.. والبسطة في الجسم فإن هناك قوة أكبر هي قوة الإيمان.. قوة الصبر.. قوة الاحتقار بالحياة والفخار بالموت في سبيل المبادئ.

فلن تجد كلمة في السيرة تطلق على هؤلاء السابقين بأنهم الضعفاء وإنما هم المستضعفون.. وذوقوا معي هذا البيان في الآية الكريمة:

﴿وَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

لو تركت الاجترار إلى النظرة العابرة فلا تجدني أفرق بين الضعيف والمستضعف ولكن إمعان النظر.. وتدقيق الفكر.. فهما أول الأمر وفقها آخر الأمر.. فهناك فرق بين الفهم والفقہ: الفهم معرفة مجردة.. والفقہ فهم ومعرفة وعلم..

إن العرب اليوم ليسوا ضعفاء.. ولكنهم استضعفوا أنفسهم بالفرقة فأصبحوا المستضعفين.. من هنا أفقه ما عناه الدكتور العميد طه حسين حين قال - رحمه الله - قد أخطئ نحواً أو صرفاً ولكني لا أبيع لنفسي أن أخطئ في مفهوم اللغة.. لفظاً مكان لفظ.. كلمة مكان كلمة..

ولكي أوضح ما فهمته من الدكتور طه هو ما يتضح بالتعامل مع المترادفات. ولعلّ «الزجاج» الإمام أو «ابن السراج» إذا ما خانتني الحافظة وكما ظهر في المزهر للسيوطي هما السابقان أو أحدهما إلى أن المترادفات ليست بمعنى متحد.. فجاء.. وقدم.. وأتى.. وحضر.. وآب.. وأقبل: ليست بمعنى واحد يسطع منه البيان.

قدم: من سفر إلى أي مكان.

آب: من سفر إلى موطنه.

حضر: بعد طلب.

أقبل: بعد نداء.

فلو قلنا مثلاً: زيد قدم إلى جدة من الرياض فذلك بيان.. أما إن قلنا جاء إلى جدة من الرياض فقد تجاوزنا وزن الدقة في التعبير.. وما دام أن موطن زيد هو الرياض فلا نقول قدم إلى الرياض وإنما نقول آب إلى الرياض.. حتى كلمة عاد فلا تدل على أن الرياض موطنه وإنما هي الأوبة.. وحتى رجع فإنها كعاد..

إن هذا كله فيما تقدم قد ذكرني بالحملة الفاسقة التي زعموا أن المترادفات لا تدل على حضارة وإنما هي لهجات قبائل تعاملت الأمة العربية بها حين تحضرت..

إن الحقيقة هي أن هذه المفردات تدل على سعة اللغة العربية ودقة التعبير البياني وترف الذوق ولن يكون ذلك إلا نزعة من حضارة أو حضارة توطدت أركانها بهذه النزعات..

إن اللغة العربية التي اتسعت بالمترادفات قد اتسعت أيضاً بالاشتقاق والتعريب والمجاز.. فخير للكاتب أن يذوق الكلمة ليضعها في مكانها..

إن المستضعفين غير الضعفاء، فعندما ملك المستضعفون الأقوياء بإيمانهم القوة المادية بالجهاد قتلوا الصناديد وأسروا الأبطال فانتشرت الهداية..

## تأبط شراً . . تأبطه خير

ولا أريد أن أكتب عن الشاعر الفاتك، المتهم باللصوصية والمبعد عن بيته، والقريب من عارفيه. لا أريد أن أكتب عن الحقيقة، فالفاتك العداء تأبط شراً معروف من شعراء المفضليات، ومعروف في العدائين. فالحقيقة مترجمة في ديوان الرجال الذين برزوا في قبائلهم. ولكني أريد أن أكتب عن الخير الذي تأبط هذا الفاتك العداء، في أسطورة لعلها لم تكن صورة لحقيقته، وإنما هي خرافة من تخاريف الوثنية، ومن مفاخر القبيلة بواحد منه: ينسجون حوله الأساطير.

لو كتبت عن الحقيقة لمجها قارئ، لا إنه يستطيع الرجوع إليها في كتب التراث، ولكنني عمدت أن أتغنّى بالأسطورة، فإن جفوتها خرافة، فإني أصفو معها، لأنها فيما أعرضه تعطي الأنموذج لمشاعر الذين صاغوها، وكأنها مشاعر الذين سيقرونها، من مشابهة الحال بالحال.

فهذا الفاتك العداء اللص ينسجون حوله الأسطورة هكذا: اسمه ثابت بن جابر، هذا حقيقة. نسبه إلى بني فهم الهذليين التهاميين، أما الأسطورة فقد قالوا: إن أمه حملت به وذهبت إلى الغدير، تتروي أو تروى تحمل قربتها، فغابت وقد أليل الليل، فذهب الليل، فذهب زوجها جابر، يسأل عنها الحي وأبعد من الحي، كأنما هو قد جن، ولما لم تأت ذهب إلى



كاهنة هذيل يسألها عن زوجها، غابت نهاراً وليلاً، فتمتت الكاهنة بسجع الكهان تقول له: استملحها جن فخطفها وضاجعها، فأصبح حملها إنساناً وجنياً في وقت واحد!! ثم قالت الكاهنة: إياك أن تمسها بسوء، وإلا فسيصيبك الجنى بقاتلة، وأقبلت على زوجها تعود إلى بيتها، حيث أطلقتها الجنى، ولم يسمع زوجها لتحذير الكاهنة، فأخذ يريد قتلها، وقبل أن يصلها كان هو القتيل، قتله الجن عاشقها.

وأنجبت طفلاً فيه شوهة، نحيفاً، فما أحبته، وما أقصته، فالأمومة طاغية بحنانها، وتزوجت بعد أبيه من قومها فاحتوى الطفل: يبغضه، يكرهه. ودرج الطفل حتى إذا استوى في دور الطفل العارف، بدأ يغيب نهاره عن أمه، يتطلب رزقه في الصحراء، في شماريخ الجبال وفي شعابها فإذا ما رأى رعيلاً من الأطباء نظر إلى ظبي يضع عينه عليه، يشتد عداؤه، فلا ينفلت منه الظبي حتى يمسكه!! يشدخ رأسه بحجر، يقطع أوداجه بأسنانه، يشرب الدم الذي يشخب من عنق الظبي، يوقد ناراً يشوي الغزال، يأكله عظماً ولحماً، يعود شعباناً لا يكلف أمه وزوجها طعاماً.

وأصبح فتى، يعدو كأنه جيش غزٍ يجر الجمل الفحل بخطامه، تلحق به الإبل، كأنها كسب غاز، وهكذا عاش.

وفي ليلة من الليالي أقبل يجر جسماً مهولاً، وضع رأسه تحت إبطه، فهال ذلك قومه، وسألوا: ما هو؟ فإذا زوج أمه يقول: «لقد تأبط شراً» فأصبح هذا لقبه، تسير به الركبان، وحين وصل إليهم سألوه: ما هذا؟ قال إنها السعلاة «الغولة» عدت علي فأخذت أضربها بفهر بعد فهر، حتى شدخت رأسها تنفق أي تموت، فأخذت أجرها لتروا هذه العجيبة. فخشيه بعض قومه، وفخر به بعض قومه.

كل ذلك كان الشر، فكيف تأبطه الخير؟ قالوا: إن العرب تنادوا يوم أقبل جيش فارسي بقيادة «جاهان» أو «جاهين» يريد القضاء على الحيرة، ملك المناذرة اللخميّين السبأيين القحطانيين، فإذا قبائل العرب، التي إذا أمنت من عدو، لم تأمن الحروب القبلية بينها، وإذا تنادوا لقتال عدو اجتمعوا في صف واحد، لا يسأل عدناني كيف ينصر قحطانياً، فهم أمام العدو أمة واحدة، قبيل واحد هكذا كانوا، وفي فتوح الإسلام هكذا استبانوا، وحين فقدوا السلاح استهانوا، فإذا هم يعودون قبلين أو إقليميين. تنادى العرب ينصرون المناذرة، لم يقصر تناديهم على من أنجد، بل شمل شماريخ السراة، وسهول تهامة، وفكروا، هؤلاء الفهميون الهذليون التهاميون المضريون العدنانيون، بماذا ينصرون اللخميّين؟ كيف يقضون على الجيش الفارسي؟ فقال أحدهم: اجعلوا جعلاً لتأبط شرا، فهو عدا خريت رئبال يأتكم برأس «جاهان» يدب الذعر في الجيش الفارسي، فلا تقوم لهم قائمة عليكم.

وذهب واحد منهم إلى المغارة التي اعتزل فيها تأبط شرا، يراوده بالجعل ألف ناقة: هات لنا رأس الفارسي، ينتصر قومك العرب، فقال تأبط شرا: لا ولا.. ألح عليه يغريه بالجعل فرفض. وتأمروا عليه، ينتقمون من عصيانته، فقد أذاع صاحبه سره. قال لهم إن تأبط شرا فقد قوة الجن فما أهونه عليكم واحتال عليه صاحبه يأتي به إلى القوم عند الغدير، فأمسكوا به يقولون: يا عاق، يا خواف، تأبى الجعل، تجبن عن قتل العدو، تضع قومك العرب في عار الهزيمة!! فقال لهم بشموخ العدا، ونزعة العروبة فيه: أنا أرفض الجعل، لا أستأجر على قومي، إنكم أرخصتموني بهذا، اذهبوا إلى المغارة فستجدون في غرارة رؤوساً ثلاثاً: رأس «جاهان» رأسين من مرازبة الفرس. قال صاحبه الكياد: «أنت كاذب» قال اذهبوا إلى

المغارة فالغرامة صادقة، وذهبوا وأتوا بالرؤوس، فهتفوا باسم الوثن، فهم لم يسلموا بعد، وأعزوا تأبط شرا، تأبطه الخير. وانتصر العرب.

إن هذه الأسطورة لها مغزاها، فالحال أمس كان أهون على العرب من الحال اليوم، فهل أجد من تأبط شراً يعود إلى الخير؟! عمدت إلى هذه الأسطورة، أقتبسها من تمثيلية كتبها لصوت العرب الأستاذ: الذي أجله وأنا لا أعرفه، الشاعر العربي المسلم عبد الفتاح مصطفى. وإن أعوزت القارئ أن يعرف ترجمة تأبط شرا، فهذه هي، حفلت بها كتب التراجم، تترجمه شاعراً عداء فاتكاً. أما الأسطورة ففي ديوان التراث من كتب شتى، إن هذه الترجمة أنقلها نصاً من أعلام الزركلي:

### تأبط شراً:

ثابت بن جابر بن سيان، أبو زهير، الفهمي من مضر، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة، شعره فحل، استفتح الضبّي مفضلياته بقصيدة له مطلعها:

«يا عيد مالك من شوق وإيراق»

ويقال إنه كان ينظر إلى الطيبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته، قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال به «رضمان» فوجدت جثته فيه بعد مقتله.. وللجلودي كتاب «أخبار تأبط شرا» (الأعلام - الجزء الثاني ص ٨٠).

## وبرز الإسلام كله . . للكفر كله

وليس غريباً أو بدعاً أو عجيباً، أن يحتضن البلد القمة . القادة القمة .  
ليشن حرباً على العدوان القمة، كأنما مكة القبلة الكعبة . مشرق النور،  
دعت بنيتها أن يحكموا أمرهم في مؤتمر كأنهم في صلاة جامعة، فالمؤتمر  
في مكة بعيد عن المؤامرة والمقامرة، فالإيمان شجاعة في الوجدان،  
يحارب الخوف، ويقتل المؤامرة والمقامرة، وكأنما مكة حين تحتضن بنيتها  
تدعوهم إلى ما كانت تدعو إليه وما زالت تدعو إليه سرمدياً قائماً ما دام  
هذا القرآن، تدعوهم قائلة: ليست الكارثة أن تتداعى عليكم الأمم كما  
تتداعى الأكلة على القصعة، وإنما الكارثة أن تدعوا إلى الجهاد فلا تجيئوا،  
وأن ترسل المآذن النداء تلو النداء تدعوكم إلى التضامن فلا تتضامنوا، ولا  
أريد أن أقولها من عندي وإنما قالها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . .  
سأله أصحابه (من قلة يا رسول الله؟) فأجاب كأسلوبه في جوامع الكلم:  
إنما يدرككم الوهن . . وفسر الوهن بالخوف . حب الدنيا وكرهية الآخرة .

إن مكة تستقبل بنيتها ليس فيهم كبير ولا صغير أمام دعوتها، وإنما  
كلهم سواء ألبستهم مكة بإيمانها الكبرياء، فالقادة والشعوب أمام مكة في  
المسجد الحرام إخوة في أمة واحدة يصغر الكبير حين يستكبر ويكبر الصغير  
حين يستقبل ولا يستدبر .

وهكذا برز الإسلام كله للكفر كله، فالصليبية كفر، والشيوعية كفر،

واليهودية كفر تصنع كل يوم كفراً، تلك قوى امتد سلاحها من كل نوع على الأرض المسلمة، والعقيدة المسلمة، والتراث المسلم. إنها بكل ما تملك من قوة إذا ما انتزعنا الخوف من أفئدتنا فإنها تستحيل حتماً قوتهم إلى قوة لدينا، فلن نُغلب إذا كنا كلمة واحدة وجهاداً واحداً وسلاماً واحداً. ولكننا غلبنا وسنغلب حينما أصبح بأسنا بيننا، ليس هذا كلامي وإنما هو رسول الله محمد ﷺ. وبرز الإسلام كله، فهل تصدق النيات وتنفذ القرارات ليكون المؤتمر الإسلامي تتحقق فيه هذه الكلمة (برز الإسلام كله للكفر كله).

إنكم اليوم في وضع كالوضع الذي فيه جرت وقعة الخندق، (الأحزاب) تحزيب الأحزاب تريد أن تهدم البيضة، تقضي على الإسلام، تنتصر على محمد، فإذا النبي في سفح سلع، وإذا الخندق - يحجز الأحزاب وإذا المسلمون ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فليجأوا إلى الإيمان وقتلوا الخوف.. هكذا يصفهم الجواهري:

وتلك قلوب ننشد اليوم مثلها أبا دينها أن يجمع الله والرعبا

كان الله معهم لأنهم كانوا له فلا خوف ولا رعب.

وبرز فارس يقفز على الخندق من ثغرة ضاقت، كان أحد فرسان العرب جميعاً، عدوه أحد أقران عنترة، فارس قريش اسمه عمرو بن ود العامري، حتى إذا استقام على حصانه يصل سيفه، يطلب البراز.. عجيبة كيف تركه رسول الله يصول ويجول في الميدان يطلب البراز؟ لماذا لا يكتنفه رجال من الصحابة يقتلونه حتى لا يعود إليها رجال آخرون من المشركين، ولكن استمطر بعض الفهم من الخبر، لو فعل ذلك النبي لربما

كان قتله بالجمع يصنع حماسة في المشركين يتقاذفون على الخندق، فأحب النبي ألا يكون ذلك.

وصال وجال بن ود، فإذا النبي القائد العظيم (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) يلتفت إلى أصحابه - أنصار أو مهاجرون - يقول لهم: من يبرز إليه؟ يريد لها فارساً لفارس، فقال الشاب كريم الوجه، أبو الحسن، أبو تراب، حيدرة، علي بن أبي طالب: أنا أبرز إليه، فقال النبي - وكأنما يسبر غور عليّ أو يعلمه ألا يكون فيه شيء إلا للإيمان - قال عليه الصلاة والسلام (إنه عمرو...) وقال الفتى علي: وإن يكن عمرو، وأعادها النبي، ولباها علي ثلاث مرات.

وبرز علي فإذا النبي يقول: الله أكبر.. برز الإسلام كله للكفر كله كأنما تلك اللحظة حين انتصر علي بنصر الله له، كان النصر للإسلام كله، إلى يومنا هذا.. فارس واحد يمثل الإسلام كله، وفارس واحد يمثل الكفر كله.. ذلك حتم الظروف جاء بعده حتم الزمان على كل الظروف.

وقال عمرو: ابن أبي طالب؟ لا يسخر منه وإنما حنين ابن العم لابن العم.. ابن أبي طالب.. لا أريد أن أقتله.. فقال علي: ولكنني أريد أن أقتلك.. فقد كان عمرو على فرس، وكان على راجلاً، فإذا الشموخ في الفارس يلبي الدعوة يترجل، رجل لرجل، لا يمتطي كل منهما حصانه.. وتقععت السيوف.. فإذا اليد المؤمنة بالسيف ذي الفقار تقتل فارس المشركين، فكانت بوادر الهزيمة صدت كل فارس ألا يتصدى الخندق..

فارس واحد تمثل به الإسلام كله، وأنتم اليوم جمع واحد، نسأل الله وأنتم أمام الكعبة أن يتمثل بكم الإسلام يسألكم أن تنصروه في مثالية

الأخلاق، وامتنال الدعوة إلى الجهاد، والرغبة في استشهاد، تقتلون (الأننا) لتحيا أمتكم بالكلمة (نحن).

ومعذرة إلى قارئى أرجوه أن يغفر لي عزمي على اعتزال الكتابة، أستجم من بعض الأوضاع، واستجم للراحة بعض الوقت، أريد أن أرفع القلم ولما يجب إعداد، لا عن العجز وإنما مطاوعة لبعض الحجز، ولست بهذا أقترف ندالة الإخلال بما يجب علي وإنما لأستريح من الذين يختزنون التوجيهات كأنها علم الأسرار فلا يتبرعون بإعطاء الكاتب لديهم هذه التوجيهات.. فالحكومة لم تفرض سلطانها على القلم، وإنما جاءت الحكمة بالتوجيه بينما بعض حملة التوجيهات يبخلون على كاتب أن يعرفها..

أعترف ولا أشرف فقد سئمت هذا العرف.